اخطر عائلة فى التاريخ

٢٠٠ عام من صراع الأخوة الذي

سيغير وجه العالم إلى الأبد

إعداد

مصطفى محمد على

التجمع العربي للطباعة والنشر والتسويق

(أفكار الكتاب وحقوق الملكية الفكرية يتحمل مسئوليتها المؤلف وحده)

رئيس مجلس الإدارة

اسماعيل حسانين العمدة

مدير الإنتاج

مونتاج

SH

الطبعة:الأولى

كتاب : أخطر عائلة في التاريخ

الكاتب: مصطفي محمد على

التصنيف: دراسة تاريخية

المقاس:14-21

رقم الإيداع: ..... /2022

الترقيم الدولي

978-977-000-00-0

التجمع العربي للطباعة والنشر والتسويق

جمهورية مصر العربية

٢٨ ش ١٠ - الطوابق - فيصل

سوهاج - المراغة - نجع ابو عوض

فاكس 0932912572 002 واتساب 01100243311 002

واتساب 00201063240597 واتساب 00201100243311

اميل

altjmalrby@gmail.com

موقع الكتروني

https://www.eltgmo3s.com

وربما أوجب استقصاؤنا النظر عدولًا عن المشهور والمتعارف، فمن قرع سمعه خلاف ما عهده، فلا يبادرنا بالإنكار، فذلك طيش، فرُبَّ شنعٌ حق ومألوفٌ محمودٌ كاذب. والحق حقٌ في نفسه، لا لقول الناس له».

ابن النفيس (١٢١٣م - ١٢٨٨م)،

عَبْدُ شَمْسٍ قَدْ أَضْرَمَتْ لِبَنِيهَا
شِمٍ نَاراً يَشِيبُ مِنْهَا الوَلِيدُ
فَابْنُ حَرْبٍ لِلْمُصْطَفَي وَابْنُ هِنْدٍ
لِعَلِيٍّ وَلِلْحُسَيْنِ يَزِيدُ

«ومنا المشكاة والزيتونة ومنكم الشجرة الملعونة، ومنا هاشم بن عبد مناف ومنكم أمية كلب الاحلاف، ومنا شيبة الحمد عبد المطلب ومنكم الكذاب المكذب. ومنا أسد الله ومنكم طريد رسول الله، ومنا الطيار في الجنة ومنكم عدوالاسلام والسنة، ومنا سيدة نساء العالمين بلا كذب ومنكم ابن حمالة الحطب، وحسبي برسول الله ﷺ صهرا وابنته فاطمة شرفا وعزا وفخرا،»

جزء من خطاب الامام على الى معاوية بن ابى سفيان

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾

سورة الإسراء أية ٦٠

عن أحد كبار العلماء الألمان، أنه قال لبعض علماء المسلمين في الأستانة :
إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالا من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا برلين ! قيل له : لماذا ؟ قال : لأنه هوالذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغالب ! ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كله ولكُنا نحن الألمان ـ وسائر شعوب أوربا ـ عربا ومسلمين .

أنظر تفسير المنار ج ١١ / ٢٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد اشرف الخلق وأكثرهم تواضعا وكرما وعفوا ، ما هواكبر شر وأكثر نقيصة إنسانية مهلكة وموردة للهلاك السريع ، لا شك أنها من وجهة نظر القران الكريم ووجهة نظر إنسانية بحتة هما في الواقع نقيصتين ولكنهم مرتبطين ببعض بشدة ونادرا ما تجد شخص يتحلى بواحدة دون الأخرى إلا وهما (الغل) و(الكبر) وقبل إن نستفيض في شرح وتوضيح هاتين المقبحتين الخطيرتين دعونا نستعرض بعض آيات القران العظيم ونرى كيف لفت إلى خطر هاتين الصفتين في أكثر من موضع

الكِبْر من أوَّل الذنوب التي عُصي الله تبارك وتعالى بها، قال الله تعالى مبيِّنًا سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤].

والكِبْر سبب رئيس في هلاك الأمم السابقة: فهؤلاء قوم نوح ما منعهم عن قبول الدعوة، والاستماع لنداء الفطرة والإيمان، إلا الكِبْر، فقد قال الله تعالى على لسان نبيِّهم نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

وهؤلاء قوم عاد ظنوا بسبب تكبرهم أنَّه لا قوة أشدُّ من قوتهم، فقد قال الله عنهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥-١٦].
وها هي ثمود من بعدهم ينهجون نفس النهج في الاستكبار والتعالي، فيردون دعوة الله عزَّ وجلَّ، ويكذبون نبيه عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ

لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ٧٥قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦].

وقال الله تعالى عن قوم نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[الأعراف: ٨٨].

أما فرعون فقد ملأ الدنيا كبرًا وعجبًا وخيلاءً، حتى وصل به الحال أن ادَّعى الربوبية والإلوهية، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[القصص: ٣٨-٤٠].

- والكِبْر سبب في الإعراض عن آيات الله والصد عنها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الجاثية: ٧-٨].

- وهوسبب للصرف عن دين الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف: ١٤٦].

- وهوسبب لدخول النَّار والخلود فيها، قال الله تبارك وتعالى:﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأقحاف: ٢٠].

وليست هذه المواضع فقط التي ذكر فيها الكبر والتحذير منة في القران فقد ذكر الكبر ومشتقاته مثل الاستكبار والتكبر وغيرها مئات المرات، دعنا ألان نستمع إلى سيد الخلق الذي لا ينطق عن الهوى عندما تحدث

عن أناس لا يدخلون الجنة أبدا فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبيِّ -ﷺ-، قَالَ: «لا يدخلُ الجنةَ مَن كان في قلبه مِثقال ذرةٍ من كِبر» فقال رجل: إنّ الرجلَ يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونَعله حسنة؟ قال: «إنّ الله جميلٌ يحب الجمالَ، الكِبر: بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس». [صحيح.] - [رواه مسلم.]

لننتقل ألان إلى الغل والحقد وكيف أتى القران على ذكره

قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾[البقرة: ٢٠٤-٢٠٥]

- وقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

- وقال عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧-٤٨].

وقال السعدي: (وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودًا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانًا متحابين، وأخلاء متصافين ... ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هوفيه من النعيم نعيم. فبهذا يأتمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه.

ومن هنا توضح أهمية وخطر الغل حيث إن الله يؤكد في موضعين ا ناهل الجنة سوف ينزع منهم هذا الغل والحقد لينعموا بالراحة والهناء .

﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَّحِيمٌ﴾

[الحشر / ١٠]

وفي هذه الآية يوضح لنا دعاء المؤمنين إن لا يغلوا على احد من المؤمنين

لان هذا الغل ينبع من القلب ويجعل الشخص تعيس ويفسد متعة الحياة ويؤدى إلى عواقب وخيمة كما نرى من معنى كلمة غل أصلاغل يغل: إذا صار ذا غل (انظر: الأفعال ٢/ ١ و٧)، أي: ضغن، وأغل، أي: صار ذا أغلال. أي: خيانة، وغل يغل: إذا خان، أغللت فلانا: نسبته إلى الغلول.

. وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقرئ: أن يغل (وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة وال كسائي وخلف ويعقوب وأبي جعفر. انظر: الإتحاف ص ١٨١، وإرشاد المبتدى ص ٢٧١) أي: ينسب إلى الخيانة، من أغللته. قال: ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة [آل عمران/ ١٦١]، وروي: (لا أغلال ولا أسلال) (شطر من حديث طويل في صلح الحديبية أخرجه الإمام أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسنده ٤/ ٣٢٥؛ وأبوداود في كتاب الجهاد، باب: صلح العدو. انظر: سنن أبي داود رقم ٢٧٦٦؛ ومعالم السنن ٢/ ٣٣٦. وقد تقدم الحديث في باب (سل) أي: لا خيانة ولا سرقة.

وهكذا رائينا عظم هاتين النقيصتين وخطرهما ولا يخفى على احد تأثير الغل الذي هومرادف للحقد والتكبر والغرور على العلاقات الإنسانية وإثرهما السيئ على المجتمع ككل ، ولكن لماذا هذه المقدمة وما علاقتها بعنوان الكتاب ؟ ومن هي اخطر عائلة في التاريخ العربي الإسلامي ؟ وكيف اثروا بالسلب على ألامه كلها ؟ دعونا نحاول في الصفحات القادمة إن نجيب على هذه الأسئلة ولكن اتفق في البداية إن التاريخ له أوجهة أكثر ويقرءا من زاوية رؤية كل طرف على حسب خلفيته ومنهجه وأيدلوجيته لكن في الأخير هناك أرضية ثابتة وهي منطق الأشياء وتسلسل الإحداث ونتائج الأفعال وعوامل الوراثة وإعمال العقل في الخبر كما قال ابن خلدون عالم الاجتماع العظيم ،

فالنقل وحدة بدون إعمال عقل ومنطق في الراويات وبدون تمحيص وتحقيق وتدقيق يورد إلى رؤية مشوهة غير حقيقية بالمرة ، كل المؤرخين العظام يعلمون هذا بل ويعملوا وفقا له ، ولكننا سوف نورد أيضا اصح الراويات وأكثرها موثوقا بالنسبة لغالبية الأمة لاسيما أهل السنة والجماعة وأئمتها المعتبرين ، فلا يتسرع احد بالحكم على ما يقرءا من فواجع ومفاجئات إلا بعد إن بقراء ويعود للمصادر التي ستأتي تفصيلية لسهولة التحقيق والتأكد من صحة الإحداث ، وإذا سال احد لماذا نفتح هذا الموضوع ألان بعد مرور أكثر من خمسة عشر قرنا على هذه الإحداث وهل لهذا اهمية الان دراسة التاريخ تعدّ هواية لبعض الأشخاص، ورحلة علمٍ وعَمَل للمؤرخين، وهي ليس بالأمر السهل بحيث تعتمد دراسة التاريخ على اكتشاف حقائق الماضي وربطها بالإنسان ومدى تأثره وتأثيره على مد العصور، كما يحتاج الإنسان بطبيعته إلى اشباع فضوله فيما يتعلّق بخلقه واستمراريته مما دفعه إلى تفسير وتحليل الماضي وربطه بواقعه، وقد وصل للعالم أجمع الكثير من أحداث التاريخ عن طريق القرآن الكريم، ممّا يؤكد أثر دراسة التاريخ على تغيير الواقع الإنساني سواء بالتحذير من ارتكاب الذنوب التي سبق وأن ارتكبتها الأمم السابقة، أوحتّى لتغيير حياة الإنسان إلى الأفضل بالصبر والعمل الصالح، وكأيّ علم آخر يتطرق إليه الفرد فعليه ان يكون على دراية باختلاف المعلومات التي سيتوصل إليها عند دراسة التاريخ باختلاف المنظور الذي سيتطرق إلى الدراسة من خلاله والمنهج الذي سيتبعه، وبنيأمية كان لهم أعظم الأثر على الأمة الإسلامية كلها بل على الدين الاسلامى كله وهم سبب الفرقة الحادثة بين شقيالأمة حتى الان السنة والشيعة وسبب تغيير نظام الحكم الاسلامى المستنير القائم على الشورى إلى ملك متوارث كالأكاسرة والقياصرة وهوما افسد أنظمة الحكم فى الدول العربية كافة حتى هذه اللحظة التى يكتب فيها صاحب هذهالأسطر وكما قالت المصادر عن اثر بنيأمية فى الأمة

مثلا روى الطبري وابن الأثير وابن الجوزي وأبي الفداء وابن كثير وغيرهم عن الحسن البصري : أنه قال : أربع خصال كنّ في معاوية لولم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة ، انتزاؤهُ على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذووالفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤهُ زياداً وقد قال رسول الله (ﷺ) الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجراً ، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر ، مرتين وقال الجاحظ « فعندها استوي معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه عام الجماعة وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة .

والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكا كسرويا والخلافة غصباً قيصريا ، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق . ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتبنا .

حتى رد قضية رسول الله رداً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهرا في ولد الفراش وما يجب للعاهر مع اجتماع الأمة أن سمية لم تكن لأبي سفيان فراشا، وأنه إنما كان بها عاهرا . فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار .

وليس قتل حجر بن عدي ، وإطعام عمروبن العاص خراج مصر وبيعة يزيد الخليع ، والاستئثار بالفيء ، واختيار الولاة على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة ، من جنس جحد الاحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسنن المنصوبة ، وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ورد السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن احدهما اعظم وعقاب الآخرة عليه أشد .

لما كنا الان سنة ٢٠٢٢ نعيش فى العالم الإسلامي والشرق الأوسط

غير بعيدين عن مهد الاسلام ولا مكامن عزة وازدهاراه مثل بغداد والقاهره وبالطبع مكة والمدينة ولما كنا نعيش انقسام حاد في الأمة الإسلامية بين سنة وشيعة وزيود وسلفيون واباضية وغيرها الكثير والكثير من المتناحرين والمتناطحين وكل فرقة تدعى أنها الفرقة الناجية الوحيدة والباقى فى النار حتماً ،هناك الكثير من المسالمين لا شك في ذلك ،ولكن هناك فرق أخرى وهى الاعلى صوتاً والاقوى فعلاً مازالت تحارب وتذبح وتتحين الفرص والتحالف مع الشيطان نفسة لافناء الفرق الأخرى والتسيد عليها ، أتحدث هنا عن الشيعة والسنة بالتأكيد لا يخفى على أحد هذا الصراع والحصار والأحقاد المتبادلة بين الفريقين لدرجة أن السنى يرى أن الشيعة أخطر علية من الصهيوني اليهودي والاحساس متبادل ، لماذا كل هذا ونحن نتوجه لنفس القبلة وهى مكة المكرمة ونشهد أن لا إله إلا الله وحده وأن سيدنا محمد عبده ورسوله ونقرأ قرآن واحد ، كيف انشقت هذه الأمة التى قال عنها الله تعالى فى كتابه العزيز﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

هذه قصه درامية خطيرة جدا وعلى درجة كبيرة من الروعة وبها كثير من الخفايا ويقول قائل لماذا الان ؟ وهل يجدى معرفة الحقيقة والتاريخ شئ في تغيير واقعنا المعاصر ويخفف من حدة الصراع والأحقاد المتبادلة، والإجابة نعم بالطبع معرفة ما حدث ستنير لنا طريقنا وتدلنا على مكمن الفساد وربما يسهم كتابنا هذا فى إنارة الطريق نحوتحسين واقعنا ، والسبب الآخر ولعلة يكون الأهم من تأليف هذا الكتاب هواسترضاء سيدنا محمد عليه افضل الصلاه والسلام وانصاف ال بيتة وهم اجدادى الذين افتخر بهم وذكر ما حدث لهم ومعرفة كيف ظلموا ومن ظلمهم فهذا يرقق القلوب وينير الطريق ولعلنا نلقاهم على الحوض على باب الجنه ويكونوا سعداء بنا ويكون بحثنا هذا وانصافنا للحق شفيعا لنا وانت عزيزي القارئ ستستمتع بقصة درامية

خطيرة وستعرف تاريخ نبيك محمد كما لم تعرفة من قبل وستتعرف على الذين ناصبواة هواجدادة العداء منذ أكثر من مائة عام قبل بعثة بالإسلام فالقصة هى قصة حقد اخ على اخية وحسد عائلة فضل الله على أبناء عمومتهم كما حدث في بداية الخليقة مع أبنى ادم وما فعلة بينهم الحقد ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

تحدث الكثيرين عن قصة بنى هاشم وبنى أمية ولنك هنا ستراها من البداية كما لم تعرفها من قبل وبالاعتماد على المصادر التاريخية الموثوقة وإلى أن يضيع الدين ويتبدل كل شيء قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

فهيا بنا نبحر عبر رحله ممتدة على مدى ٢٠٠ عام من صراع الأخوة الذى سيغير وجة العالم إلى الأبد .

مصطفى محمد على

القاهرة٢٠٢١

الْفَصْل الْأَوَّلُ

قـريـــــش

٥ منازل القبائل العربية وديانتها قبيل ظهور الإسلام

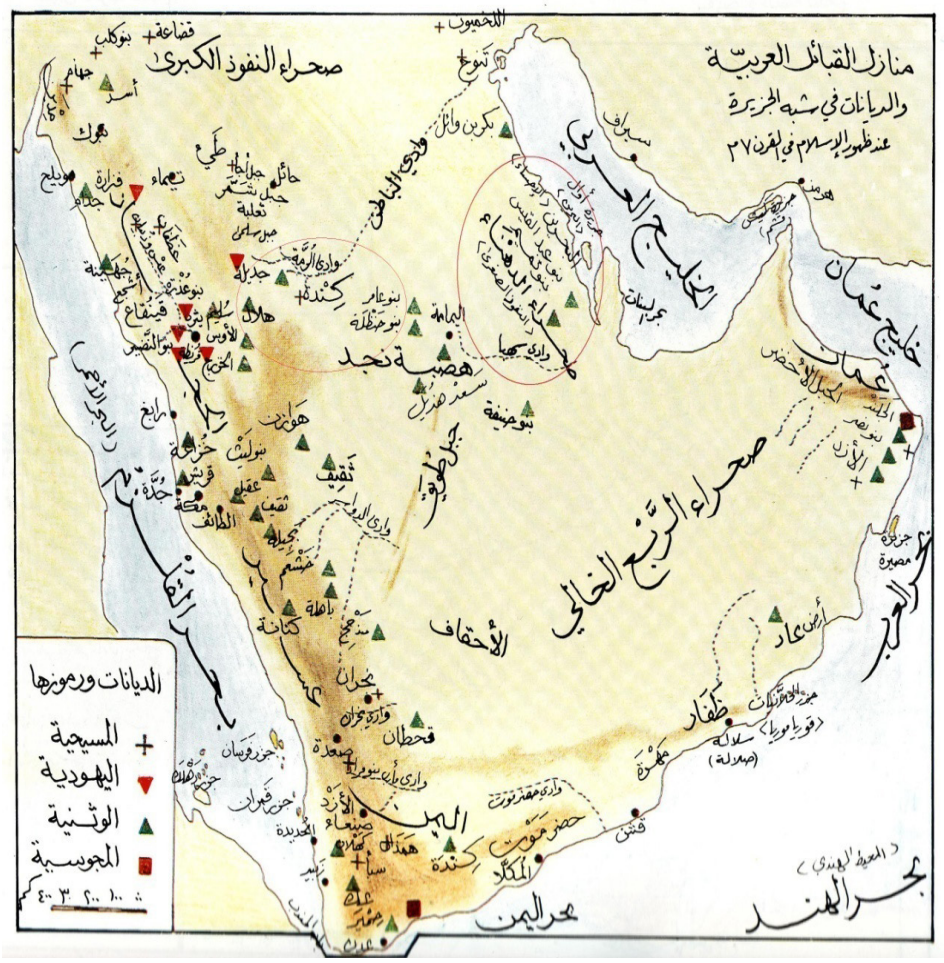

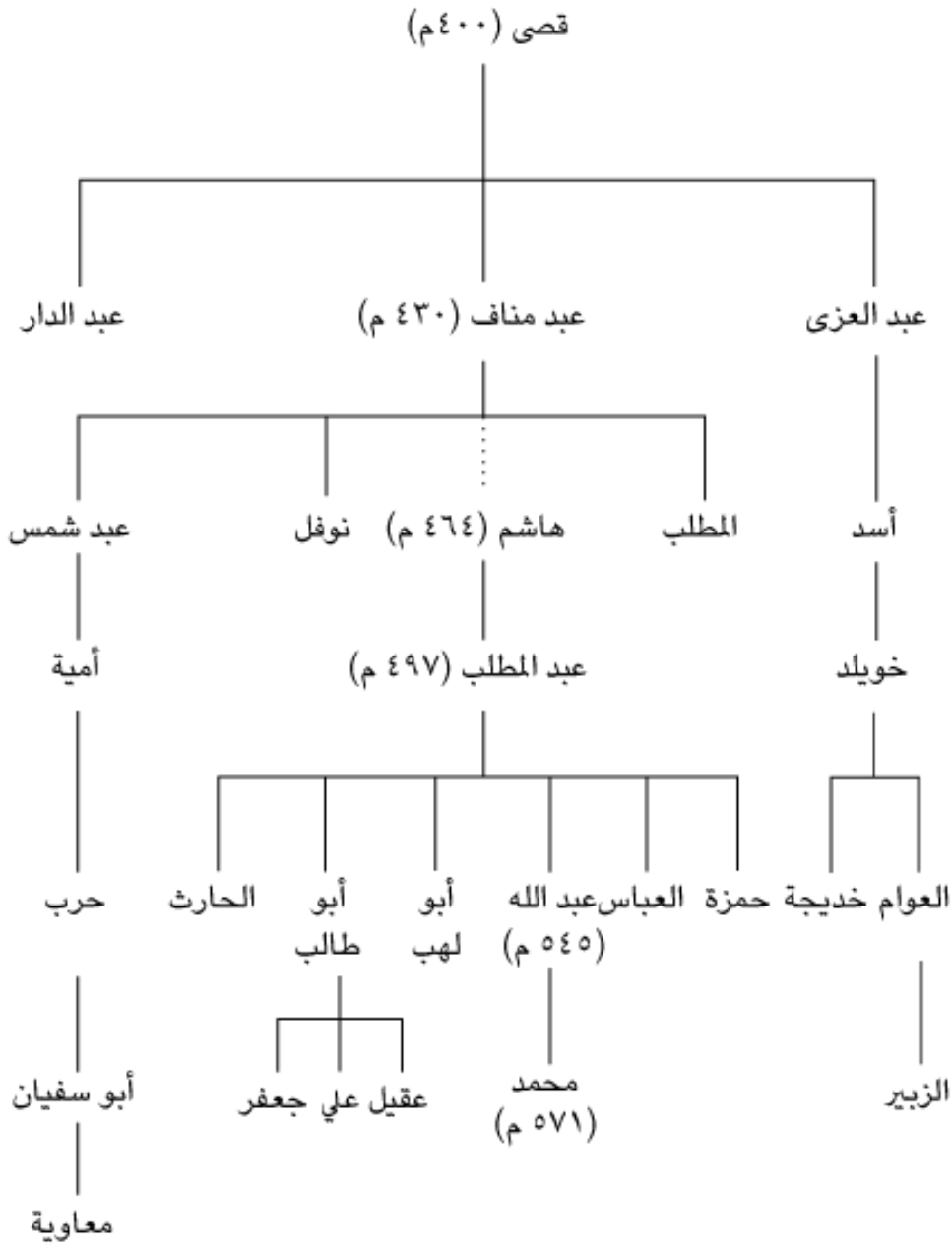
قصى (٤٠٠م)
عبد الدار
عبد مناف (٤٣٠ م)
عبد العزى
عبد شمس
نوفل
هاشم (٤٦٤ م)
المطلب
أسد
أمية
عبد المطلب (٤٩٧ م)
خويلد
حرب
الحارث
أبو طالب
أبو لهب
عبد الله (٥٤٥ م)
العباس
حمزة
العوام
خديجة
أبو سفيان
عقيل
علي
جعفر
محمد (٥٧١ م)
الزبير
معاوية

نحن ألان في وادي ليس زى زرع كما وصفة القران :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾

وهوارض هذه الأرض التي اصطفاها الله وكرمها وخصها لتكون هي الوجهة التي أرسل إليها نبيه إبراهيم وهويعتبر أبوالأنبياء لكي يترك بها زوجته هاجر وابنة إسماعيل والذي سوف يمتد نسله الطاهر إلى سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله ودعونا نبدأ من بداية القصة ونرجع بالتاريخ قدر ما تمدنا بة المصادر والمؤرخين والبداية كانت مع سيدنا إبراهيم

نشأ إبراهيم في مدينة أور من بلاد الكلدان، لأب نجار كان ينحت الأصنام ويبيعها لقومه الذين كانوا يعبدونها، وأدرك إبراهيم أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، فساوره الشك في أمرها، فسأل أباه كيف يعبدها وهي من صنع يده، وتحدث بذلك إلى الناس، فخشي أبوه بوار تجارته، وأدرك أنه يريد الكيد للأصنام، ولم يلبث إبراهيم أن اغتنم غفلة من الناس فكسرها إلا كبيرها، فحاكموه وحكموا عليه بالتحريق، وأشعلوا لذلك نيرانًا ألقوه في وسطها، فأنجاه الله منها، ورأى أنه لا ينجح في هداية قومه، وقد فشلت كافة الوسائل لإقناعهم، فهاجر إلى فلسطين هووزوجه سارة التي آمنت به، ومعه لوط ابن أخيه الذي آمن به أيضًا، وحاول أن يهدي أهل فلسطين إلى عبادة الله، ولكنه فشل فارتحل إلى مصر وحمله على ذلك — في رواية البعض — جدب أصاب فلسطين إذ ذاك.

دخل إبراهيم ومعه زوجه سارة أرض مصر، في القرن العشرين قبل الميلاد، إبان حكم الهكسوس، كما يُستنتج من تواريخ التوراة، ومن سياق الأقصوصة التالية، وكان من شأن ملوك الهكسوس — كما تقول القصة — أن يأخذوا النساء الجميلات ممن يهبطن أرض مصر، وكانت سارة كما يقول ابن الأثير «من أحسن النساء وجهًا، وكانت لا تعصي إبراهيم شيئًا، ولما وُصفَتْ لفرعون أرسل إلى إبراهيم، فقال: من هذه التي معك؟ فقال: أختي، خشية أن

يقتله الملك ليتخذها زوجًا، فقال له: زينها وأرسلها إليَّ، فأمر بذلك إبراهيم فتزينت وأرسلها إليه فلما دخلت عليه أهوى بيده إليها.

وكان إبراهيم حين أرسلها قام يصلي، فلما أهوى إليها أُخِذَ أخذًا شديدًا، فقال: ادعي الله ولا أضرك، فدعت له فأُرسل، فأهوى إليها فأُخذ أخذًا شديدًا، فقال: ادعي الله ولا أضرك، فدعت له فأُرسل، ثم فعل ذلك الثالثة، فذكر مثل المرتين، فدعا أدنى حجابه وقال له: إنك لم تأتني بإنسان وإنك أتيتني بشيطان، أخرجها وأعطها هاجر.» فأقبلت بهاجر الجارية المصرية إلى إبراهيم وأزمع الكل الرحيل.

ولما كانت سارة قد سلخت السنين الطوال ولم تلد لإبراهيم فإنها وهبته هاجر، وقالت: خذها لعل الله يرزقك منها ولدًا، فدخل بها فلم تبطئ أن ولدت إسماعيل، وبعد أن شب إسماعيل وترعرع حملت سارة وولدت له إسحاق

وكانت إقامة إبراهيم في الطرف الجنوبي من بلاد فلسطين، فلما كبر الغلامان إسماعيل وإسحاق اختصما، فغضبت سارة على هاجر، وقالت: لا تساكنيني في بلد، فأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة، وليس بها يومئذ نبت، فجاء إبراهيم بإسماعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة، فلما مضى نادته هاجر: يا إبراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس، قال: أمرني ربي، قالت: فإنه لن يضيعنا، فلما ظمئ إسماعيل جعل يدحض الحجر برجله، وانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيئًا، فلم ترَ شيئًا، فانحدرت إلى الوادي فسعت حتى أتت المروة، فاستشرفت أن ترى شيئًا فلم ترَ شيئًا، ففعلت ذلك سبع مرات، ثم جاءت إلى إسماعيل وهويدحض الأرض بقدميه وقد نبعت العين وهي زمزم فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء حتى لا يضيع في الرمال «وهي تقول: زم زم، فسُمي لذلك زمزم.»

وكانت جرهم بواد قريب من مكة والجراهمة مُلوك مكَّة:هنالك الكثير من الشعوب والقبائل البائدة التي لعبت دورا هامًّا في القدم..ومن هذه الشعوب الجراهمة (بنوجُرهم)..وأهميَّة الجراهمة أنهم كانوا ملوكَ مكّة،وقد تولّوا الملكَ على العديد من الشعوب البائدة،كانوا ملوكَ مكّة تبعتهم عملاق

وطسم وجديس ورائش وقطور... وفي عهدهم كثر العمران والبناء في مكّة، وكثرَ أيضا وتزايدَ الحجيج، وغزوا عندما ترسَّخَ دعائم ملكهم،الكثير من البلدان والشعوب الأخرى مثل أرض الحبشة واليمن إلى أن تولَّى ملكهُم الحارث بن مضاض الجرهمي.

فالجراهمة هم ملوك مكَّة قبل قريش وخزاعة وسدنة الكعبة قبلهم، ولهذا يُمثل تاريخُهم أمرا مهمًّا رئيسيًّا وحسَّاسا في حياةِ الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام. ويمثِّلُ أيضا نقطةَ التقاء مهمَّة بين التاريخ الأسطوري للجزيرة العربيَّة، والتاريخ المُسَجَّل الذي أثبتهُ رجال التاريخ بعد الإسلام، ونقطة الالتقاء هذه هي التي أصبحت محور التفات المُفسّرين ورجال الأدب والتاريخ.. بعد هذا تتبلور في شخصيَّة «عبيد بن شربة الجرهمي» سمير ونديم الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأموي.. فمعاوية يستدعيه من اليمن ليقصَّ عليه قصصَ ملوك اليمن،وأخبار وأحداث الأمم البائدة،ويسجِّل كتَّاب أخبار ملوك اليمن هذه الأسمار كلها،وهي التي أمرَ الخليفة الأموي أن تُدوَّنَ وتحفظ في خزائنِهِ.

جاء في كتاب الأغاني الجزء الخامس عشر لأبي الفرج الأصفهاني قوله:

« قال عثمان بن ساج في خبره: وحدثني بعض أهل العلم أن سيلاً جاء فدخل البيت فانهدم، فأعادته جرهم على بناء إبراهيم، بناه لهم رجل منهم يقال له أبوالجدرة وأسمه عمر الجارود، وسمي بنوه الجدرة. قال: ثم استخف جرهم بحق البيت، وارتكبوا فيه أموراً عظامـًا، وأحدثوا فيه أحداثـًا قبيحة، وكان للبيت خزانة، وهي بئر في بطنه، يلقى فيها الحلي والمتاع الذي يهدى له، وهويومئذ لا سقف عليه، فتواعد عليه خمسة من جرهم أن يسرقوا كل ما فيه، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس، فجعل الله عز وجل أعلاه أسفله، وسقط منكسـًا فهلك، وفر الأربعة الآخرون.

قالوا: ودخل إساف ونائلة البيت ففجرا فيه، فمسخهما الله حجرين، فأخرجا من البيت. وقيل إنه لم يفجر بها في البيت، ولكنه قبلها في البيت.

وذكر عثمان بن ساج عن أبي الزناد، أنه إساف بن سهيل، وأنها نائلة بنت عمروبن ذئب. وقال غيره: إنها نائلة بنت ذئب. فأخرجا من الكعبة، ونصبا

ليعتبر بهما من رآهما، ويزدجر الناس عن مثل ما ارتكبا، فلما غلبت خزاعة على مكة ونسي حديثهما، وحولهما عمروبن لحي بن كلاب بعد ذلك؛ فجعلهما تجاه الكعبة يذبح عندهما عند موضع زمزم.

قالوا: فلما كثر بغي جرهم بمكة قام فيهم مضاض بن عمروبن الحارث بن مضاض فقال: يا قوم احذروا البغي، فإنه لا بقاء لأهله، وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم ولم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا، حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم فتفرقوا في البلاد، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله، ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرماته، أوخائفاً، أورغب في جواره، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوفت أن تخرجوا منه خرج ذل وصغار، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم، ولا إلى زيارة البيت الذي هولكم حرز وأمن، والطير تؤمن فيه. فقال قائل منهم يقال له مجدع: ومن الذي يخرجنا منه؟ ألسنا أعز العرب وأكثرهم مالاً وسلاحاً؟ فقال مضاض: إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون؛ فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق! قالوا: وقد كانت العماليق بغت في الحرم، فسلط الله عز وجل عليهم الذر فأخرجهم منه، ثم رموا بالجدب من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رؤوسهم، ثم أرسل عليهم الطوفان- قال: والطوفان: الموت- قال: فلما رأى مضاض بن عمروبغيهم ومقامهم عليه، عمد إلى كنوز الكعبة، وهي غزالان من ذهب، وأسياف قلعية ، فحفر لها ليلا في موضع زمزم ، ودفنها.

ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي، قالوا: ما لذمته إلا وفيه ماء، فجاءوا إلى هاجر، فقالوا: لوشئت فكنا معك فآنسناك والماء ماؤك، فقالت: نعم، فكانوا معها حتى شب إسماعيل، وماتت هاجر، فتزوج إسماعيل منهم، ويقول ابن الأثير الذي ننقل عنه هذه الرواية: إنه تعلم العربية منهم هووأولاده، واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: «أين صاحبك؟» قالت: ليس ها هنا، ذهب يتصيد، وكان إسماعيل يخرج يتصيد ثم يرجع، قال إبراهيم: «هل عندك ضيافة؟» قالت: «ليس عندي ضيافة وما عندي أحد»، فقال إبراهيم: «إذا جاء زوجك

فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه»، وجاء إسماعيل فقال لامرأته: «هل عندك أحد؟» قالت: «جاء لي شيخ كذا وكذا» كالمستخفة بشأنه، فعرف أنه أباه، قال: «فما قال لك؟» قالت: «قال: أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه» فطلقها وتزوج جرهمية أخرى هي بنت مضاض بن عمرو، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له فجاء حتى انتهى إلى بيت إسماعيل قال لامرأته: «أين صاحبك؟» قالت: «ذهب يتصيد وهويجيء الآن فانزل يرحمك الله» فقال لها: «هل عندك ضيافة؟» قالت: «نعم». قال: «فهل عندك خبز أوشعير أوتمر؟» قال: فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة، فقالت: انزل حتى أغسل رأسك.» فلم ينزل فجاءته بالمقام بالإناء فاغتسل فقال لها: «إذا جاء زوجك فقولي له: قد استقامت عتبة بابك»، فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: «هل جاءك أحد؟» قالت: «نعم شيخ أحسن الناس وجهًا وأطيبهم ريحًا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهويقرئك السلام، ويقول قد استقامت عتبة بابك» .

هذه القصة نقلناها عن ابن الأثير بتصرف يسير، وهي لا تختلف في جوهرها عما أورده كافة مؤرخي العرب ومعظم المستشرقين، ثم أن الله تعالى أراد أن يمتحن إبراهيم، فرأى إبراهيم في منامه أن الله يأمره أن يذبح ولده، فعرض الأمر على الولد، فأعلن خضوعه لما يأمر به الله، فأخذ إبراهيم الغلام وألقاه على عنقه وخده وَهَمَّ بذبحه، ففداه الله بذبح عظيم (سورة الصافات الآيات من ١٠١ إلى ١١٢)، ولم يذكر القرآن أي ابني إبراهيم كان الذبيح أهوإسماعيل أم إسحاق؟ كما أنه لم يذكر الموضع الذي حدثت فيه الحادثة، أكان ذلك بفلسطين أم بالحجاز؟ وقد اختلف من أجل ذلك المؤرخون والمفسرون المسلمون، فمنهم من قال: إن الذبيح هوإسماعيل، ومنهم من قال: إن الذبيح هوإسحاق، فابن مسعود ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن إسحاق يقولون: إن الذبيح هوإسماعيل، أما ابن عمر وابن عباس والحسن وعبد الله بن أحمد فيقولون: إنه إسحاق. أما التوراة فإنها تنص في الآيات من ١ إلى ١٤ من الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين على أن الذبيح هوإسحاق، ويرى الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» مستدلًا

من القرآن في سورة الصافات، ومن التوراة نفسها في الآيات السالفة الذكر، على أن الذبيح هوإسماعيل، قائلًا: إن لفظ إسحاق الذي ورد فيها بعد قوله: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض الموريا ... الخ.» إنما حُشر حشرًا في الآية، حرصًا من اليهود على أن يكون أبوهم هوالذبيح الذي جاد بنفسه في طاعة ربه.

وجمهور المؤرخين المسلمين يعتقد أن الذبح والفداء كانا فوق جبل من جبال مكة، أما سياق القصة سواء أكان الذبيح إسماعيل أم إسحاق فيرجح أن الذبح والفداء كانا في فلسطين، وينكر بعض المستشرقين القصة برمتها، بينما بعض المؤرخين المسلمين ينسج حولها خيوطًا رائعة من خيال مؤثر، فيزعمون أن الشيطان تمثل رجلًا فجاء أم الغلام فقال لها: «أتدرين أين ذهب إبراهيم بابنك؟» فقالت له: «ذهب به يحتطب لنا من هذا الشعب»، قال الشيطان: «والله ما ذهب به إلا ليذبحه»، قالت الأم: «كلا»، قال الشيطان: «إنه يزعم أن الله أمره بذلك»، قالت الأم: «فليطع أمر ربه»، ثم كان حديث بين الشيطان والأب والابن، كان جوابهما عليه كجواب الأم، فنكص الشيطان على عقبيه خزيان محنقًا. ثم يصف ابن الأثير الموقف بين الأب والابن وصفًا مؤثرًا شعريًّا، فيلقي على لسان الابن أنه قال: «يا أبت إن أردت ذبحي فاشدد رباطي لئلا يصيبك من دمي شيء فينقص أجري فإن الموت شديد، واشحذ شفرتك حتى تريحني، فإذا أضجعتني فكبني على وجهي، فإني أخشى إن نظرت في وجهي أن تدركك رحمة، فتحول بينك وبين أمر الله، وإن رأيت أن ترد قميصي إلى أمي فعسى أن يكون أسلى لها عني فافعل.» فقال إبراهيم: «نعم المعين أنت أي بني على أمر الله»، فربطه كما أمره ثم حد شفرته وتله للجبين، ثم أدخل الشفرة لحلقه فقلبها الله لقفاه، ثم اجتذبها إليه ليفرغ منه فنودي: «أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها.» ويرى الدكتور هيكل باشا أن قصة الذبح والفداء هي قصة الإسلام لأمر الله غاية الإسلام، والتسليم لقضائه كل التسليم» .

وننتقل الآن إلى بناء إبراهيم وإسماعيل للبيت الذي بمكة :

صحب تأسيس الكعبة أساطير عدة لا تعتمد على سند من تاريخ أودين، وقبل أن نعالج هذه الأساطير يجب أن نذكر هنا قوله تعالى في سورة آل عمران آيتي ٩٦، ٩٨: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، وقوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٢٧: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فهذه الآيات وغيرها تحملنا على الجزم بأن بناء البيت من عمل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأنهما قصدا ببنائه عبادة الله تعالى ونشر الوحدانية، ولا يطعن في ذلك أن التاريخ يروي لنا أن معابد كثيرة أسست قبل هذا المعبد في مصر أوآشور أوفلسطين، فإن هذه المعابد إنما أسست في ظل الوثنية لعبادة آلهة متعددة، ولا شك أن المعبد الذي بناه إبراهيم كان أقدم من المعابد التي أسسها نبي الفراعنة إخناتون ببضعة قرون، وإخناتون في أرجح الأقوال من الأنبياء والموحدين، أما الأساطير التي ابتكرها المؤرخون والمفسرون من العرب، رغبة منهم في إضفاء قداسة عليها أكثرها مما ورد في القرآن فنحن نلخصها فيما يلي:

(١) أن الكعبة بنيت في السماء، على غرار أنموذج لا يزال موجودًا، يسمى البيت المعمور، وذلك قبل أن تُخلق الدنيا بألفي سنة، وأن آدم عليه السلام أقامها على الأرض تحت الموضع الذي يقابل أنموذجها تمامًا.

(٢) أن الله أمر الملائكة من سكان الأرض، أن يبنوا في الأرض بيتًا على غرار البيت المعمور وأمر من في الأرض أن يطوفوا به، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.

(٣) أن آدم عندما هبط إلى الأرض مع زوجه من الجنة، لم يسمع أصوات الملائكة حول العرش، فأقبل آدم حتى وصل مكة، وساعدته الملائكة فبنى البيت، متخذًا أحجاره من خمسة جبال، هي: جبل طور سيناء، وطور زيتاء، ولبنان، والجودي، وحراء.

(٤) أن البيت المقدس أغرق في طوفان نوح، وأن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يعيد بناءه، وأن إسماعيل ساعد أباه في البناء، فكان يجيء بالحجارة وإبراهيم يبني حتى رفع القواعد من البيت.

(٥) أن إبراهيم لما أمره الله ببناء البيت لم يعرف موضعه، فبعث الله سحابة على قدر الكعبة، فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت، فنودي منها يا إبراهيم أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص.

(٦) أن إبراهيم لما أُمر بالبناء أقبل على البراق ومعه السكينة، وهي ريح لها رأسان تشبه الحية، يتبع أحدهما صاحبه، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة، فطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الحية، فكنست ما حول البيت عن الأساس.

وتختلف الأقاويل في أصل الحجر الأسود، وقد ذكر ابن الأثير أن إبراهيم قال لإسماعيل: ائتني بحجر حسن أضعه على الركن فيكون للناس علمًا، فناداه أبوقبيس «جبل بمكة» أن لك عندي وديعة، وقيل: بل جبريل أخبره بالحجر الأسود فأخذه ووضعه مكانه، وتذكر بعض الروايات أن هذا الحجر من حجارة الجنة، وأنه عندما هبط إلى الأرض كان أبيض كاللبن ثم اسود من خطايا الناس، ولا نستطيع أن نجزم بنوع مادة هذا الحجر، ففريق من العلماء يقول: إنه حجر بركاني يشبه الحجر الخفاف، وآخرون يقولون إنه نيزك، بل أكبر نيزك هبط من السماء.

وعندما مات إسماعيل وقعت الكعبة في يد الجراهمة، وظلت في أيديهم زهاء ألف سنة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى أيدي بني خزاعة، وخزاعة هي من أمهات القبائل في الجزيرة العربية، حكمت مكة المكرمة في تهامة لفترة طويلة من الزمن، قال المسعودي: كانت ولاية البيت الحرام في خزاعة ثلاثمائة سنة. يسكن معظم القبيلة حاليـًا السعودية والعراق ويتواجدون بنسبة أقل في بعض الدول العربية الأخرى كمصر وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان.

ذهب المبرد إلى أن خزاعة هم ولد عمروبن ربيعة وهولحي من الأزد ،

ووافقه صاحب اللباب بقوله إنما قيل لهم خزاعة لأنهم انقطعوا عن الأزد لما تفرّقت من اليمن أيام سيل العرم، وكذلك ياقوت الحموي، فقد ذهب إلى أن خزاعة أزدية. وقال القلقشندي: «بنوخزاعة قبيلة من الأزد، من القحطانية»، وقال ابن سعيد المغربي أن خزاعة هم ولد عمروبن ربيعة، وقال دعبل الخزاعي «أن أفصى بن حارثة بن عمروبن عامر وهوأبوخزاعة».

ونقل لنا ابن عبد البر أن ابن الكلبي يرى أن عمروبن لحي ولحي اسمه: ربيعة بن حارثة بن عمروأوهومزيقياء بن عامر وهوماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، هوأبوخزاعة كلها ومنه تفرقت.

وقد انتقلت إلى خزاعة بعد ذلك والذين أقاموا عليها أكثر من مائتي سنة، وكثيرًا ما كانت تدمر بسبب السيول التي تجتاحها، ثم أعاد بناءها قصي بن كلاب الذي جعل لها سقفًا، وكانت حتى زمنه مكشوفة لا سقف لها، وفي خلال هذه القرون الطويلة تطورت العبادة في الكعبة، حتى أصبحت موئل الأصنام وعبادتها، بعد أن كانت بيتًا لعبادة الله جل وعلا، ولا يحدثنا التاريخ المعتمد عن الأدوار التي مر فيها هذا التطور، إنما يذكر مؤرخوالعرب أن عمروبن لحي الخزاعي كان أول من أدخل الأصنام إلى بلاد العرب، وأنه جلب أول صنم إليها وهوهُبَل من مدينة «هيت» في العراق، ومن ذلك الوقت أصبحت الكعبة لكل القبائل؛ أي مجمعًا ومقرًّا لأصنامها، وكان قصي أول من بني حول الكعبة بيوتًا، ولم يترك بين البيوت والكعبة إلا قدر المطاف، وأشرفت قريش على الكعبة بعد قصي فأصابها حريق، فأعادوا بناءها في حجم أصغر من حجمها الأصلي وأقاموا بداخل البناء ستة أعمدة ليعتمد عليها السقف، ثم وضعوا تمثال هُبَل إلى جدار في داخل الكعبة، وروى ألأزرقي أن صور العذراء والمسيح وإبراهيم وإسماعيل وبعض الملائكة كانت منقوشة على بعض عمد الكعبة.

بعد أن تم بناء البيت وعاد إبراهيم إلى فلسطين، أقام إسماعيل في مكة التي أخذت أفئدة الناس تهوي إليها، ونخص بالذكر منهم الجراهمة، الذين كانوا

يقيمون إلى جوار مكة قبل أن ينبع الماء في زمزم، وظل إسماعيل يدعوالناس إلى عبادة الله في مكة وما جاورها حتى مات، وقام أبناؤه من بعده — إذا تساهلنا في التعبير — على السلطة الزمنية في مكة وعلى خدمة البيت، وقد سبق أن قلنا إن إسماعيل تزوج من السيدة فاطمة بنت مضاض بن عمروالجرهمي، ومن هذه السيدة أنجب أبناءه الاثني عشر، الذين هم أجداد العرب الإسماعيلية، ولم يلبث أولادهم أن انتشروا في أنحاء الجزيرة، وخاصة في شمالها، وليست أسماء القبائل التي تنسب إلى إسماعيل إلا أسماء هؤلاء الأولاد أوأحفادهم.

وأشهر أعقاب إسماعيل هوعدنان، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، والذي يقال إنه تزوج — كجده من قبل — من جرهمية، ونحن لا نستطيع أن نجزم بصحة ما أورده النسابون في سلسلة النسب التي تربطه بإسماعيل، أما أبناء عدنان، فأنسابهم إلى حد ما مضبوطة، لا يختلف فيها مؤرخوالعرب، ويعترف بها معظم المستشرقين، ونخص بالذكر منهم نزار بن معد بن عدنان.

وقد أنجب نزار ولدين، أحدهما ربيعة والآخر مضر، ومن أشهر أعقاب ربيعة بكر وتغلب، أما مضر فأشهر أعقابه عبس وذبيان وسليم وهوازن وتميم وهذيل وخزيمة، ومن بني خزيمة كنانة وأسد، وأشهر بني كنانة فهر أوقريش، وهي القبيلة التي ستشغل أكبر حيز من كلامنا في هذا الباب.

وتاريخ بني إسماعيل في هذه الفترة الطويلة من الزمن، غامض غموضًا شديدًا، ولا يعرف حتى المؤرخون العرب كيف يملئون فراغ هذه القرون المتطاولة، ولا تبزغ شمسهم — مشبحة بالغيوم — فوق أفق التاريخ الحقيقي إلا من عهد قصي، في منتصف القرن الخامس الميلادي، على أن هذا لا يمنعنا من أن نذكر بناءًا على ما رواه مؤرخوالعرب، أن الذين قاموا على الحكومة والبيت في مكة بعد أولاد إسماعيل مباشرة هم الجراهمة أخوالهم، ومن بعدهم الخزاعيون.

لما ضعفت قبضة بني إسماعيل في مكة، نحاهم أخوالهم الجراهمة، الذين آثروا المقام في مكة، بينا هاجر معظم بني إسماعيل، وقد احتفظ الجراهمة بسدانة البيت، ولقبوا أنفسهم بالملوك، وممن يذكرهم مؤرخوالعرب من

الجراهمة، مضاض الجرهمي الأصغر الذي نازعه بعض أهل مكة السلطان فانتصر عليهم، ولا يذكر المؤرخون شيئًا جديرًا بالذكر إلا أن جرهمًا بغت مكة واستحلوا حرمة البيت، وظلموا من دخل مكة من الحجاج وغيرهم، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى إليها، وظهر فيهم الفسق والفساد حتى كانوا يأتون الفحشاء في جوف الكعبة، وما زال أمرهم يضعف حتى تمكنت خزاعة من التغلب عليهم، والاستيلاء على مكة.

وقبل أن يبرح آخر ملوكهم — وهوعمروبن الحارث بن مضاض — مكة يقال إنه رمى في بئر زمزم كل تحفه وذخائره، ومن بينها غزالتان من الذهب وسيوف ودروع سنعود إلى الكلام عنها في الفقرات التالية، كما تذكر بعض الروايات أنه دفن الحجر الأسود أيضًا، ثم طم البئر على ما دفن.

وتذكر بعض كتب الأدب والتاريخ أشعارًا يتجلى فيها حزن الجراهمة على ما فقدوا من ملك وجاه، وأغلب الظن أنها موضوعة.

أما أين ذهب الجراهمة بعد طردهم من مكة فذلك ما لا نعرفه، وإن كان بعض المؤرخين يذكر أنهم انصرفوا إلى اليمن، وهذا ما لا نستطيع أن نجزم به.

في القرن الثاني الميلادي أخذت عدة قبائل من القبائل اليمانية تهجر بلادها إلى الشمال بعد تصدع سد مأرب، وكان معظم هذه القبائل يقصد المدينة والشام والحيرة، ولكن بني حارثة بن عمرو، وهم خزاعة تخلفوا في مكة، وآثروا المقام فيها، وهم الذين استطاعوا أن يجلوا الجراهمة عنها في القرن الثالث الميلادي، وقد ظلوا سادة مكة زهاء مائتي سنة، لهم ما يشبه السلطة الزمنية، وأهم الوظائف الدينية؛ إذ لم يتركوا لأهل مكة من هذه الوظائف إلا أصغرها، وتذكر بعض الكتب أن خزاعة لم تُخرج جرهمًا من مكة منفردة، بل تولت هذا الأمر معها كنانة، ويذكر لنا المؤرخون من الخزاعيين عمروبن لحي، الذي يقال إنه أول من أدخل عبادة الأصنام، ولقد ذكر ابن الكلبي في كتاب الأصنام «أنه مرض مرضًا شديدًا فقيل له: إن بالبلقاء من الشام حمة إن أتيتها برئت، فأتاها فاستحم بها فبرئ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما

هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة.» وقد سبق أن قلنا: إن الصنم الذي حمله هوهبل.

وآخر من ولي من خزاعة هوحليل الذي جعل ولاية البيت إلى ابنته حبي، فقالت إنها لا تقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجعل أبوها الفتح والإغلاق إلى رجل من خزاعة يقوم لها اسمه أبوغبشان، فكانت له سدانة الكعبة قبل قريش، فاجتمع مع قصي في شرب بالطائف، فأسكره قصي ثم اشترى مفاتيح البيت الحرام منه بزق خمر، وأشهد عليه، ودفع المفاتيح إلى ابنه عبد الدار وطيره إلى مكة، فلما أفاق أبوغبشان ندم على المبيع، فضُرب به المثل في الحمق والندم وخسارة الصفقة، فقالوا: «أخسر من صفقة أبي غبشان» وتلا ذلك حرب بين خزاعة وقريش، انتهت بانتصار قريش، وزوال ملك خزاعة عن مكة كما سنبينه، وآل أمر البيت إلى قريش ورثة إسماعيل الحقيقيين.

تذكر بعض الروايات أن حليلًا أوصى لزوج ابنته قصي بحكم مكة وولاية البيت من بعده، ولكن خزاعة أبت، وسواء أكانت هذه الرواية أوالرواية السابقة أصح فإن حربًا قامت بين قريش وخزاعة، وقد انضمت كنانة إلى قريش، وانضم بنوبكر إلى خزاعة، واستنجد قصي ببعض إخوته لأمه من بني عذرة في الشمال، وظلت الحرب بين الفريقين سجالًا حتى تداعى القوم للصلح، وحكموا بينهم واحدًا من كنانة فقضى لقصي بولاية الكعبة وحكم مكة، فأصبح رئيسًا كما يقول بعض المستشرقين للجمهورية المكية وزعيمًا لديانتها، وقبل أن نتكلم عن حكومة قصي وأعماله الإصلاحية نذكر لمحة عن حياته الأولى:

ذكر أكثر المؤرخين إن اسم قصي الأصلي هوزيد،وسبب تسميته قصي؛ ذلك لما مات كلاب تزوجة أمه من ربيعة بن حرام العذري، فخرج بها إلى بلاد قومه في الشام، فحملت قصي معها، وكان اسمه زيدا، فلما بعد من دار قومه سمته قصيا (أي البعيد عن قومه)، فلما شب قصي، وهوفي حجر ربيعة، قال له رجل من بني عذرة: الحق بقومك، فإنك لست منا! فقال: ممن أنا؟ فقال: سل أمك! فسألها، فقالت: أنت أكرم منه نفسا، وولدا، ونسبا! أنت

ابن كلاب بن مرة، وقومك آل الله، وفي حرمه. فكره قصي الغربة، وأحب أن يخرج إلى قومه، فقالت له أمه: لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج في حجاج قضاعة فإني أخاف عليك! فلما دخل الشهر الحرام صحبهم حتى قدم مكة.، حيث كان النفوذ الديني والمدني في أيدي الخزاعيين، وملكهم إذ ذاك حليل بن حبشية، وعز على قصي أن يرى الأجانب سادة بني قومه القرشيين، الذين تجري في عروقهم دماء أبيهم الأكبر إسماعيل، فصمم على أن ينتزع السلطان له من خزاعة، وبدأ ينفذ خطته بالتدريج، حينما رجع قصي إلى مكة وأقام فيها، تقدم بطلب الزواج من حُبّى بنت حُليل بن حبيشة بن سلول بن عمروالخزاعي، آخر من توالى شؤون الكعبة وأمر مكة من قبيلة خزاعة، فعرف حُليل نسبه فزوجه ابنته.

فلما حضرت حُليل الوفاة نظر إلى قُصي، وإلى ما ولد إليه من أولاد من ابنته، فرأى أن يجعلها في ولد ابنته،فدعا قصيًا، فجعل له ولاية البيت الحرام، وأعطاه مفتاح الكعبة، وبعد موت حُليل أخذوا خزاعة المفتاح من حُبى لأنه كان معها، فذهب قُصي إلى رجال من قومه من قريش وبني كنانة، فدعاهم إلى نصرته فأجابوه، وأرسل إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوه إلى نصرته، ويخبره بما فعلته خزاعة وأبعاده عن ولاية بيت الله، فقدم إليه رازح مع قومه وإخوته، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وفي نهاية الأمر أنتصر قصي بن كلاب عليهم ورجع الأمر إليه

نقلت بعض المصادر التاريخية أن قيصر الروم أعان قصي في حربه مع خزاعة،وفي نقل آخر، أنّ بعد موت حُليل وصلت الرئاسة إلى ابنه أبوغبشان المحترش، وتنازل عن منصبه لقصي مقابل ناقة ناجية (أي سريعة

تولى قصي بن كلاب عدّة أمور في مكة المكرمة، وهي عبارة عن:

- السقاية: وهي توفير المياه للحجاج عند زيارتهم للكعبة.
- الرفادة: وهي تقديم الطعام للفقراء من الحجاج، وقد ألزم قصى نفسه بذلك، وكانت قبيلته تساعده.
- اللواء: وهي عبارة عن راية الحرب التي كانوا يرفعونها فوق رمح عند

إعلان الحرب على قبيلة أخرى.

- الحجابة: وهي سدانة الكعبة وخدمتها وتولى مفاتيحها.
- الندوة: وهي رئاسة الجلسات في دار الندوة التي أسسها قصى بن كلاب

كانت لقصي منزلة عظيمة عند قومه في حياته، وبعد وفاته، حيث كانوا يرون أمره كالدين المتبع، يعملون به ولا يخالفونه،وحتى بعد وفاة قصي وظهور الإسلام ومخالفة المشركين رسول الله ، فقد قيل أنهم طلبوا من رسول الله أن يدعوالله فيحيي لهم قصي؛ وذلك ليشاوروه في صحة النبوة والبعث، حيث كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل

كان قصي يفوق قومه ورجال عصره، في درايته وصدقه وكرمه وعفته،وباعتقاد الشيعة الإثنا عشرية أن كل أباء وأجداد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين موحدين. حيث كان يؤمن بالله الواحد الأحد، وينهى عن عبادة الأصنام من دون الله.

وذكرت بعض المصادر التاريخية أن قصي كان يتكلم بالحكمة والموعظة، فقال لبنيه يوصيهم: من عظم لئيما شاركه في لؤمه، ومن استحسن مستقبحا شركه فيه، ومن لم تصلحه كرامتكم، فدلوه بهوانه، فالدواء يحسم الداء.

وكذلك أوصاهم فقال: يا بني إنكم أصبحتم من قومكم موضع الخَرَزَةِ من القِلادة، يا بني فأكرموا أنفسكم تُكْرمكم قومُكم، ولا تَبْغُوا عليهم فتبوروا، وإيَّاكم والغَدْر فإنه حُوَب عند الله عظيم وعارٌ في الدنيا لازمٌ مقيم، وإياكم وشُرْبَ الخمر فإنها إن أصلَحَتْ بدَنـًا أفسدَتْ ذِهْنـًا

توفي قصي بن كلاب في مكة ودفن في مقبرة الحجون، ـ وهي أول مقبرة في مكةـ فكانوا يزورون قبره ويعظمونه، وبعده بدأوا بدفن موتاهم في نفس المقبرة

كانت الجزيرة العربية تنقسم سياسيـًا إلى ثلاثة أقسام، مملكة حِميَر اليمنية في الجنوب، تقاسي محاولات التغلغل الحبشي الذي تحول فيما بعد إلى

احتلال كامل، وفي الشمال مملكتي الحيرة في العراق التابع للفُرس والغساسنة في الشام التابع لبيزنطة. وبين الجنوب والشمال مساحة تسكنها قبائل تأنف من الخضوع لنظام ملكي أودولة خارجية مثل قريش في مكة والأوس والخزرج بالمدينة وغيرها، أوتجمعات للأعراب يعيشون في ضيق حال مما دفع كثير منهم لاحتراف حياة اللصوصية وقطع الطرق على القوافل .

وقد اشتهرت قريش بالتجارة، وبها عرفت وذاع صيتها بين القبائل وتمكن رجالها بفضل ذكائهم وحذقهم بأسلوب التعامل من الاتصال بالدول الكبرى في ذلك العهد: الفرس والروم والحبشة، وبحكومة الحيرة والغساسنة، وبسادات القبائل، ومن تكوين علاقات طيبة معها، مع تنافر هذه الدول وتباغضها، كما تمكنوا من عقد أحلاف مع سادات القبائل، ضمنت لهم السير طوال أيام السنة بهدوء وطمأنينة فى كل أنحاء جزيرة العرب، والطمأنينة أهم أمنية من أماني التاجر، وبذلك أمنوا على تجارتهم، ونشروا تجارتهم في كل أنحاء جزيرة العرب، حتى عرفوا بـ»قريش التجار»، جاء على لسان كاهنة من كهان اليمن قولها: «لله در الديار، لقريش التجار».

وليس لنا علم بتأريخ بدء اشتغال قريش بالتجارة واشتهارها بها، وروايات أهل الأخبار، متضاربة في ذلك، فبينما هي ترجع ظهور «قريش» بمكة إلى أيام قصي، ومعنى ذلك أن تجارة قريش إنما بدأت منذ ذلك الحين، نراها ترجع تجارتها إلى أيام النبي «هود» وتزعم أنه لما كان زمن «عمروذي الأذعار الحميرى»، كشفت الريح عن قبر هذا النبي، فوجدوا صخرة على قبره كتب عليها بالمسند: «لمن ملك زمار؟ لحمير الأخيار. لمن ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار. لمن ملك ذمار؟ لفارس الأحرار. لمن ملك ذمار؟ لقريش التجار»

وقد علمت الأسفار سادة قريش أمورًا كثيرة من أمور الحضارة والثقافة، فقد أرتهم بلادًا غريبة ذات تقدم وحضارة، وجعلتهم يحتكون بعرب العراق وبعرب بلاد الشام، فتعلموا من «الحيرة» أصول كتابتهم، وهذَّبوا لسانهم، ودونوا به أمورهم، وذكر أنهم كانوا من أفصح العرب لسانًا، وقد شهد العرب لهم بفصاحة اللسان، حتى إن الشعراء كانوا يعرضون عليهم شعرهم، وذكر أن الشاعر «علقمة الفحل» عرض عليهم شعره، فوصفوه بـ»سمط الدهر».

وقد علمت الطبيعة أهل مكة أنهم لا يتمكنون من كسب المال ومن تأمين رزقهم في هذا الوادي الجاف، إلا إذا عاشوا هادئين مسالمين، يدفعون الإساءة بالحسنة، والشر بالصبر والحلم، والكلام السيئ البذيء بالكلام الحسن المقنع المخجل.

فتغلب حلمهم على جهل الجاهلية، وجاءت نجدتهم في نصرة الغريب والذب عن المظلوم والدفاع عن حق المستجير بهم، بأحسن النتائج لهم، فصار التاجر والبائع والمشترى يفد على سوق مكة، يبيع ويشترى بكل حرية؛ لأنه فى بلد آمن، أخذ سادته على أنفسهم عهدًا بألا يتعدى أحد منهم على غريب؛ لأن الإضرار به يبعد الغرباء عنهم، وإذا ابتعد الغرباء عن مكة، خسروا جميعًا موردًا من موارد رزقهم، يعيش عليه كل واحد منهم بلا استثناء، لذلك كان الغريب إذا ظُلِمَ، نادي: يا آل قريش، أويا آل مكة، أويا آل فلان، ثم يذكر ظلامته، فيقوم سادة مكة أومن نودي باسمه بأخذ حقه من الظالم له.

وقد اصطلحت قريش على أن تأخذ ممن ينزل عليها في الجاهلية حقًّا، دعته: «حق قريش»، وفى جملة ما كانوا يأخذونه من الغريب القادم إليهم عن هذا الحق بعض ثيابه أوبعض بدنته التي ينحر.

ويأتي أهل الأخبار بمثل على ذلك هومثل: «ظويلم ويلقب مانع الحريم، وإنما سمى بذلك؛ لأنه خرج في الجاهلية يريد الحج، فنزل على المغيرة بن عبد الله المخزومي، فأراد المغيرة أن يأخذ منه ما كانت قريش تأخذ ممن نزل عليها في الجاهلية، وذلك سمي: الحريم وكانوا يأخذون بعض ثيابه أوبعض بدنته التي ينحر، فامتنع عليه ظويلم»، وظويلم منع عمروبن صرمه الإتاوة التي كان يأخذها من غطفان

وقد ذكر القلقشندي معنى كلمة قريش قائلا :

روي عن ابن عباس أن النضر كان في سفينة فطلعت عليهم دابة من دواب البحر يقال لها قريش فخافها أهل السفينة فرماها بسهم فقتلها وقطع رأسها وحملها معه إلى مكة وقيل لغلبة قريش وقهرهم سائر القبائل كما تقهر هذه الدابة سائر دواب البحر وتأكلها وقيل أخذًا من التقريش وهوالتجميع سموا

بذلك لاجتماعهم بعد تفرقهم وقيل لقرشهم عن حاجة المحتاج وسد خلته وقيل من التقاريش وهوالتجارة. وقد ذكر ابن خلدون جمعا بين القولين وشرحا لهما بقوله: النضر هوالذي يسمى قريشا. وإنما انتسبوا إلى فهرلأن عقب النضر منحصر فيه لم يعقب من بني النضر غيره فهذا وجه القول بأن قريشا من بني فهر بن مالك أعني انحصار نسبهم فيه وأما الذي اسمه قريش فهوالنضر.

ولما تولّى قصي بن كلاب رئاسة قريش صرف عنايته إلى جمع بطون قريش، وكانوا متفرقين في ظهر مكة، فأنزلهم الأبطح وبطن مكة، وأطلق عليه لذلك لقب المجمِّع، قال الشاعر:

به جمــعَ اللهُ القبـائلَ مـنْ فِهرِ أبوكم قُصَيٌّ كان يُدعَى مُجَمِّعـًا

ومنذ ذلك الحين صار أمر مكة إلى قريش، فتولّت أمر مكة والبيت، وظلَت جماعة منها نازلة بظهر مكة، وهم قريش الظواهر .

الفَصْل الثاني

أَخُـــــوه الـدَّم

وهكذا أخذنا لمحة سريعة ومختصرة وتكاد تكون مخلة عن تاريخ العائلة التي يخصنا ذكرها في هذا الكتاب واعتمدنا في هذا على المصادر المختلفة والمتعددة للتاريخ العربي القديم مثل ابن اسحق المتوفى ١٥١ هجريا وابن هشام المتوفى ٢١٨ هجريا وابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هجريا واليعقوبى المتوفى سنة ١٧٧ هجريا والطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجريا والمسعودي »المتوفى سنة ٣٤٦هجريا وياقوت المتوفى سنة ٦٢٦هجريا وابن الأثير المتوفى سنة ٦٥٠هجريا وأبوالفدا المتوفى سنة ٧٣٥هجرياوابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٧ هجريا

في صحراء الحجاز القاحلة وشمسها الحارقة في بدايات القرن السادس الميلادي اى قبل البعثة النبوية بحوالي مائة عام ونيف ، عائلة كبيرة ومتسيدة في مكة التي شرفها الله بالكعبة ، فقد كانت الكعبة والحج هم محور الاقتصاد المكي بجانب التجارة طبعا ، وقد كان لهذه العائلة السيادة المطلقة في الجانبين سواء خدمة الحجيج أوالبعثات وقوافل التجارة إلا وهي عائلة عبد مناف ابن قصي ابن كلاب ، متمثلة في كبيرها وسيد قريش المطاع الذي يصل نسبة إلى تسمية قريش نفسها بهذا الاسم وهوعبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قُصَىّ ـ واسمه زيد ـ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر ـ وهوالملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة ـ بن مالك بن النَّضْر ـ واسمه قيس ـ بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة ـ واسمه عامر ـ بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان.

بهذا النسب المذكور في كل مصادر التراث العربي والإسلامي كانت بداية هذه العائلة التي سوف يكون لها أعظم الأثر على العالم كله حرفيا فيما بعد ،

في يوم قائظ وسمائه صافية وفى خيمة عبد مناف العظيمة ، بالداخل نرى زوجة الزعيم السيدة عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج والتي يمتد نسبها إلى عدنان وهي راقدة على الأرض وبجانبها القابلة أوإي كانت تسمى في هذه الأيام ونساء أخريات من الصويحبات والقريبات ، فهي زوجة سيد قريش ولابد فى يوم وضعها لولى العهد والوريث لاسم هذه العائلة العريقة إن تجد حولها الكثير ، وبعد التي والتين وصويت وعويل وعرق وتجفيف وغيرها من الأشياء الكثيرة مما يفعل يوم ولادة صعب كهذا فقد عانت السيدة الكثير

إثناء فترة حملها فقد كانت بطنها عظيمة الامتلاء لدرجة لفتت كل من رائها ، بالإضافة للألم مضاعف من ارتجاج وعدم استقرار الجنين بداخل أحشائها حتى أنها كانت تظن في بعض الأحيان بل كانت متأكدة أنها سوف تضع توأمين وليس طفل واحد فهذه الحركة بداخل أحشائها والرفص والركل لا يمكن إن يكون طفل بمفردة يفعلها بل مؤكد أنهم اثنين ويركلون بعضهم البعض ولذلك عندما بداء رأس الطفل بالخروج من أحشائها تفا جئت القابلة بشي غير طبيعي ولكنها أثرت الصمت حتى سحبت الجسم واستمرت في السحب حتى فرغت أحشاء سيدة قريش الأولى تماما وهنا وقف الجميع دهشة إمام المشهد فقد راءوا ذكرين عظيمين الجسم ولكن ملتصقين في بعضهم البعض بطريقة ما لم تشاهدها القابلة طوال مدة عملها التي تمتد لأربعون عام ، مضت دقائق الصمت والمفاجئة ثم صرخ الطفلين في لحظة واحدة معلنين عن وصولها للدنيا فاقتحم الزعيم ستار الخيمة مسرعا تجاه إلام ليطمئن عليها ثم إلى الطفلين ليرى المفاجئة ولكن ردة فعلة كانت أسرع واقوي من ما تصور الجميع فقد اخرج سيفه وفصل بينهم في سرعة وحسم ولم يعبا بما سال من دمائهما على أرضية الخيمة ، وتدخلت القابلة والنساء الأخريات بسرعة لأخذ الطفلين المنفصلين لتضميد جراحهم والاهتمام بهم ، فقال الجميع في أنفسهم « إن هذا لفال شر فإسالة هذه الدماء سوف تستمر بين هذين الأخوين للأبد » ، وكائنهم استشفوا مستقبل الأيام. إما السيد فقد تذكر فينفسه القصة التي كان قد سمعها من احد الرهبان في إحدى رحلاته إلى الشام للتجارة والتي تحكى عن توأمين ادم الذين حاربوا بعضهم بعضا وبغضوا وتنافسوا قابيل وهابيل هذا كان اسمهم كما يذكر من قصة الراهب ، تنافسوا على امرأة وتملك الحقد من احدهما على الأخر حتى وصل لأقصى مرحلة وهي أنة قرر قتل أخيه من كثرة ما حقد علية تميزه واختيار الله له وتفضيله علية وقبول قربانه ورفض ما قدمه هووهكذا يطرق عبد مناف إلى الأرض هنيهة ثم يهز رأسه ليطرد الخواطر الشريرة منها ، ويقرر إن يسمى احد الابنين عمروالذي سيعرف فيما بعد بهاشم والأخر عبد شمس ،،، يبتسم الزعيم ويأمر بذبح الذبائح وإعداد الولائم احتفالا بولديه الذكرين الذي انتظر وصولهما كثيرا ، وهكذا تبدأ رحلة من أكثر القصص درامية في التاريخ الإنساني كله والتي سوف

تغير وجهة الكرة الأرضية إلى الأبد وهي رحلة هاذين الأخوين ونسلهما من حوالي عام ٥٠٠ من ميلاد المسيح وحتى وقتنا هذا يمتد الأثر .

هوامش

نص ما ورد في كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم للإمام تقي الدين المقريزي

« وقد كانت المنفرة لا تزال بين بني هاشم وبني عبد شمس ، بحيث أنة يقال : إن هاشما وعبد شمس ولدا توءمين ، خرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم ، ولقد لصقت إصبع احدهما بجبهة الأخر ، فلما نزعت دمى المكان، فقيل : سيكون بينهما أوبين بينهما دم ، فكان كذلك . ويقال إن عبد شمس وهاشما كانوا يوم ولدا في بطن واحدة ، وكانت جباههما ملتصقة بعضها ببعض، فاخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف ، فقال بعض العرب : إلا فرق ذلك بالدرهم فأنة لا يزال السيف بينهم وفي أولادهم إلى الأبد .»

هذا نص كلام المقريزي ولكن في حاشية الكتاب نجد هذا الهامش المهم جدا ونصه ما يلي :

«تعليقا على ما أوردة المقريزي هنا إن هاشما وأخاه عبد شمس ابني عبد مناف ، ولدا توائمين ملتصقين احدهما بالأخر ، ذكر بوزورث في تعليقاته على ترجمته الانجليزية لكتاب النزاع والتخاصم إن صديقا لهنبهه إلى إن هذا النوع من القصص الأسطوري المتعلق بالعداوة بين الإخوة التوائم يتوارد في الأدب الشعبي العالمي ، وهويحيل في ذلك على فهرس لموضوعات الأدب الشعبي المتكررة في آداب الشعوب وهو:

e ، Bloomington’sﷺatuﷺSmith Thompson ،matif-index of folk lite . and London 1966

وقد ورد موضوع العداء بين التوائم في ذلك الدليل في أكثر من موضع، فقد ورد تحت رقم (A.511.1.2.1) تحت عنوان نزاع الإخوة المتعادين ثقافيا وكيف يكونون كذلك قبل الميلاد ، كما ورد رقم (T.575.1.3) بعنوان التوائم يتنازعون في رحم إلام قبل الميلاد ، كذلك ورد برقم (T.85.2) بعنوان

(التوائم المتعادون) وبرقم (F.523) تحت موضوع (شخصان يولدان بجسد واحد) . كذلك ورد برقم (N.312) في موضوع فصل التوائم .

ويضيف بوزورث معلقا على ما ذكرها المقريزي هنا من عداء هاشم وعبد شمس إن ما ذكرها المقريزي يعتمد على ما ورد في العهد القديم من العداء بين عيسى ويعقوب ابني إسحاق انظر سفر التكوين (إصحاح ٢٥ الآيات ٣٤ـ١٩) .

هذا وقد أورد المقريزي هذه القصة عن المصادر العربية القديمة ، فقد وردت عند كثير من المؤرخين السابقين علية : انظر على سبيل المثال : ابن سعد الجزء الأول ص ٧٦ ، والطبري الجزء الثاني «ص ٢٥٢ ».

هذا ما حدث في ولادة إخوة الدم هاشم وعبد شمس أبناء سيد قريش عبد مناف ، وبداء الأخوة ينفي النموسريعا والنضوج بجانب إخوة آخرين لهما من نفس الأب وإلام وهما المطلب بن عبد مناف ونوفل بن عبد مناف ولكن هذين الأخوين الآخرين قد اندثر ذكرهم ولا يعنينا إلى أين وصل نسلهما ، ولكن دعونا نتتبع ذكر وتطور التوائم ،، فقد كبروا كطفلين مرفهين ينعمون في السؤدد ورفاهية بنوة زعيم قريش حتى صاروا شابين بل قل رجلين و مات أبوهما عبد مناف وحان الوقت لتنتقل الزعامة إلى احد الأبناء وهنا نتوقف عند هذا المفصل التاريخي الخطير في قصتنا إلا وهوإلى من ستنتقل زعامة قريش بعد موت عبد مناف ، ولكي نعلم باقي فصول القصة دعونا نتتبع ونتقصى

الْفَصْل الثالث

هاشــم وأميــة

في هذه الأجواء الصحراوية القاحلة شب الأخوين ولكن لصغر المجتمع ومحدودية عدد افرادة نسبيا فالعائلات معروفة والأنساب مشهورة والرجال معدودة ولذلك حينما تكون ذوشخصية بارزة وذات صفات حميدة واضحة سوف تظهر سريعا وهذا ما اثبتتة الأيام بالنسبة للأخوين التوائمين فقد كبرا سرعان ما ظهر الفرق الشاسع بين الشخصيتين فكما قالت المصادر المتعددة كما سنرى كان هاشم ذوهيبة وجمال وفخامة واضحة غير ماله الوفير الذي اكتسبه من تجارته الواسعة خارج مكة مع الشام واليمن وبرغم إن هذا سبب إن أبية عبد مناف قد اختار لذلك إن يعطيه السيادة من بعدة حتى تجتمع لدية كل الكاملات وينزوي ذكر اخية عبد شمس،

وبداية دعونا نأخذ لمحة سريعة عن صفات هاشم وطريقة عيشة وأيضا عن اخية وصفاته وطريقة عيشة حتى نصل إلى مربط الفرس هوابن الأخ (أمية ابن عبد شمس) بداية الأحقاد ومكمن الشرور والغل ، وكانت هذه الفترة من التاريخ تكاد تكون غامضة وغير واضحة المعالم لقلة التدقيق وكثرة الروايات وتضاربها في بعض الأحيان ولذلك حاولنا إن نركن ونعتمد على اصح الروايات وأدق الكتب التي أرخت لهذه الفترة المبكرة من تاريخ عائلة قصي بن كلاب والتي سوف ياتى منها عميد عائلة بنوأمية التي تدور حولها إحداث هذا البحث المدقق لنعرف ونرى ما حدث في هذه القصة الدرامية الخطيرة والتي سوف يكون لها أعظم الأثر في تاريخ ليس العرب فقط ولكن مصير وتاريخ الكون كله بلا مبالغة وسوف ندرك هذا كلما تقدمنا في رحلتنا وسوف ادع هذا الحكم للقارئ العزيز بعد إن نبرح من ذكر ما حدث بالوثائق والمصادر المختلفة والمتنوعة وألان دعونا نعود للإخوة هاشم وعبد شمس ولعل من المنصف هنا إن نذكر إن الأخوين شبا في تحابب وتآخى ولم يظهر بينهم اى عداوة أوتنافر حتى وصلا لسن الشباب والبلوغ والذي نعتقد إن وفاة الأب عبد مناف قد حدثت فيه كما ترجح اغلب المصادر وهنا يبدءا أوحدث مهم وهوكيف انتقلت السلطة والصلاحيات من عبد مناف إلى أولادة وإلى من انتقلت وهنا سوف نعود قليلا ونرى كيف وصلت السيادة أصلا من قصي الذي ذكرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب كيف تولى أمر سيادة مكة والبيت إلى ولده عبد مناف وهنا نذكر ما ذكره ابن سعد في كتاب الطبقات الكبرى

«إن قصيا لما كبر وأسن عزم على إعطاء ما بيده من أمور الكعبة لأكبر ولده عبد الدار لان اخوتة ولاسيما عبد مناف قد شرف علية وساد في حياة والدة فقال قصي « إما والله يا بني لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت الذي تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلا كنت أنت الذي تعقده بيدك ولا يشرب رجل بمكة إلا من سقايتك ولا يأكل احد من أهل الموسم طعاما بمكة إلا من طعامك ولاتقطع قريش امرأ من أمورها إلا في دارك فاعطاة دار الندوة وحجابه البيت ليلحقه بسائر اخوتة « وهذا نص ما أوردة الطبري أيضا في تاريخ الرسل ٢/ ١٨ ولكن كما ذكروا فان عبد مناف كان اعلي هيبة وأسيد وارهب جانبا من بقية اخوتة برغم صغر سنة فهل اخذ الرئاسة من اخية فى حياته أم في حياة أبية أم بعد ان مات الأخوين كما تذكر بعض الراويات انتقلت السيادة إلى أبناء عبد مناف دون أبناء عبد الدار ولكن ما يهمنا هنا إن الوظائف والرئاسة انتقلت الى فرع عبد مناف ومع ان السقاية والرفادة وغيرهما يمكن إن تعد وظائف إدارية إلا أنة يمكن القول ان القائم بهذه الإعمال كان يمثل سيد مكة وزعيمها وإلى جانب ذلك فان رئاسة مكة كانت تتحدد حسب نباهة الشخص وفضلة وشرفة من ألقصي تحديدا بغض النظر عن عمرة بين اخوتة فكانت الرئاسة لعبد مناف من دون اخوتة برغم من أنة اصغر سنا كما قال ابن كثير هذا فى كتابة السيرة النبوية ١/ ١٨٧ فكان القائم بأمور قريش إلى أن مات .

وهنا نورد كلاماً نقله ابن أبي الحديد عن أبي عثمان الجاحظ قال: «إنّ شيخنا أبا عثمان قال: إنّ أشرف خصال قريش في الجاهليّة اللواء، والسقاية، والرفادة، وزمزم، والحجابة، وهذه الخصال مقسومة في الجاهليّة لبني هاشم وعبد الدّار وعبد العزّى دون بني عبد شمس. قال شيخنا أبوعثمان: وكان اسم هاشم عمرواً، وهاشم لقب، فغلب هذا اللقب على اسمه حتّى صار لا يُعرف إلا به، وليس لعبد شمس لقب كريم، ولا اشتق له من صالح أعماله اسم شريف، ولم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضبعه، ويرفع من قدره، ويزيد في ذكره، ولهاشم عبد المطلب سيّد الوادي غير مدافع، أجمل النّاس جمالاً، وأظهرهم جوداً، وأكملهم كمالاً، وهوصاحب الفيل والطير الأبابيل، وصاحب زمزم، وساقي الحجيج، وولد عبد شمس أميّة -وأمية نفسه- ليس هناك وإنّما ذكر

بأولاده، ولا لقب له، ولعبد المطلب لقب شهير، واسم شريف (شيبة الحمد)، وإنّما عرف عبد شمس بأبيه عبد مناف بن قصي، وبني ابنه أميّة بن عبد شمس، وهاشم شرف بنفسه وبأبيه عبد مناف وبابنه عبد المطّلب. ويختم كلامه بقوله: وشرف هاشم متّصل من حيث عددت كان الشرف معك كابراً عن كابر، وليس بنوعبد شمس كذلك

قال ابن إسحاق : فولى الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة ، وكان مقلا ذا ولد ، وكان هاشم موسرا فكان – فيما يزعمون – إذا حضر الحاج قام في قريش فقال : (يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته ، وهم ضيف الله ، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها ، فإنه والله لوكان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه) . فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم ، كل امرئ يقدر ما عنده ، فيصنع به للحجاج طعاما حتى يصدروا منها .

قال ابن الأثير في الكامل: «وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة، فحسده أميّة بن عبد شمس على رئاسته وإطعامه، فتكلّف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه، فشمتت به ناس من قريش، فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنّه وقدره، فلم تدعه قريش حتّى نافره على خمسين ناقة، والجلاء عن مكّة عشر سنين، فرضي أمّية، وجعلا بينهما الكامن الخزاعي، وهوجد عمروبن الحمق، ومنزله بعسفان وكان مع أميّة همهمة بن عبد العزّى الفهري وكانت ابنته عند أميّة. فقال الكاهن: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجوّ من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أميّة إلى المآثر، أوّل منه وآخر، وأبوهمهمة بذلك خابر. فقضى لهاشم بالغلبة، وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها، وغاب أميّة عن مكّة بالشام عشر سنين، فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأميّة»

ثم ان قريشا اصطلحت على تولية هاشم لأمور مكة بعد وفاة أبية عبد مناف بسبب كثرة امكاناتة المادية على عكس اخية عبد شمس الذي كان

كثير الإسفار قلما يقيم بمكة وأنة كثير الولد وهذا ما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٨٨ وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٧٧ ومن الواضح إن هاشم قد ورث كثيرا من صفات أبية وجدة إذا كان جدة قصيا رجلا جلدا حازما بارعا وأبوة عبد مناف شرف في زمن أبية وذهب بة الشرف كل مذهب ولذلك لأعجب إن نرى هاشما قد سار على هذا المنوال وشرف بعد أبية وجل إمرة كما ذكر الحلبي في السيرة الحلبية ١/ ١١ ويبدوان وراثة هاشم هذه الصفات لم تقتصر على صفات الحسب والشرف فقط وإنما ورث صفات حسن الهيئة والوسامة من ابائة إذ كان أبوة يقال لة قمر الفيحاء لحسنة وجمالة كما جاء في السيرة الحلبية أيضا وكان هاشم أوسم الناس وأجملهم وجها ولذلك قيل لة القمر أيضا وفي ذلك قال مطرود بن كعب الخزاعي :

إلى القمر الساري المنير دعوته ومطعمهم في الأزل من قمع الجزر

وكذلك يلحظ في رثاء بناته لة كثيرا من الصفات الحميدة منها أنة السيد الغمر والسميع والمهذب والسمهري وماضي العزيمة والوسيم والشهم والشيظمى وصادق البأس وهاشم الخير وهذه الأوصاف توضح صفاته وسجاياه كما أوردت إشعار بناته في رثاء أبيهم هاشم وبجواره يشب أيضا اخية عبد شمس بن عبد مناف بجواره ولكن لم تذكر المصادر أنة كان يضاهى اخية ولا حتى يرتقى إلى مكانته وصفاته فى الهيبة والجمال والسيارة فكان خامل الذكر وكثير الإسفار كما أوردنا وقد عاش أيضا كتاجر كبير فى قريش ولة بالطبع مكانة فهواخوالزعيم وابن السيد الموروث وحفيد الجد العظيم قصي بن كلاب ولما كان هاشم تاجرا عمل بالتجارة حتى وفاته فكان يخرج بتجارات عظيمة إلى الشام ويمر بإشراف العرب الذين كانوا على طريق القوافل فيحمل لهم بعض التجارات من دون اخذ ما يعادل أثمانها وعلى اثر ذلك جمع ثروة مالية فكان رجلا موسرا ينفق على اخية عبد شمس لأنة مملق لا مال عنده كما يقول ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغة ويذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ

ومن مظاهر سيادة هاشم دوره في القضاء على المجاعة التي أصابت قريشا والعمل على نحواثارها وقضاؤه علي ظاهره كادت تفتك بالمجتمع

المكي وهي ظاهره الاحتفاد اذ روي عن الزبير بن بكار قوله:كانت قريش في الجاهلية تحتفد وكان احتفادها أن أهل البيت منهم كانوا إذا ساقت يعني هلكت أموالهم خرجوا إلي براد من الأرض فضربوا علي أنفسهم الاخبيه ثم تنابوا فيها حتى يموتوا من قبل إن يعلم بخلتهم حتى نشأ هاشم بن عبد مناف فلما نبل وعظم قدره في قومه قال*يا معشر قريش ان العز مع الكثرة وقد أصبحتم أكثر العرب أموالا وأعزهم نفرا وان هذا الاحتفاد قد أتي علي كثير منكم وقد رأيت رأيا قالوا رأيك راشد فمرنا نأتمر قال رأيت ان اخلط فقراءكم بأغنياتكم فأعمد إلي رجل غني فأضم إليه فقيرا عياله بعدد عياله فيكون بوزارة بالرحلتين رحله الصيف إلي الشام ورحله الشتاء إلي اليمن فما كان في مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظله وكان ذلك قطعا الاحتفاد قالوا نعم ما رأيت فألف بين الناس وفي هذا النص دلاله واضحة علي زعامة هاشم وأطاعه قومه له فقيامه بضم الفقراء إلي الأغنياء حتى لا يصبح هناك فقير في مكة فقضي علي أخطر ظاهره كانت متفشية في المجتمع المكي وخلق بدلا عنها صوره من صور التكافل الاجتماعي وإذا كان إجراؤه هذا يوحي إلي المؤاخاة بين الفقراء والأغنياء فإن أسرع ما يتبادر الي الذهن إجراء النبي ﷺ في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في أموالهم ومتاعهم وكما امتثل المسلمون لأمره صلي الله عليه وسلم في المؤاخاة فإن أهل مكة امتثلوا لأمر هاشم فيما أمرهم به ولذلك فإن أهل مكة كتبوا علي انفسم وعلي أولادهم أن يعاهدوا هاشما ما بقوا إحياء لصنيعه في أمر المجاعة وإنقاذهم منها وهذا الأمر يؤكد زعامته علي قومه..روي روايتين في عن هشام بن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال «كان.هاشم.صاحب إيلاف قريش . وكان أول من سن الرحلتين لقريش ترحل إحداهما في الشتاء إلي اليمن والي الحبشي إلي النجاشي فيكرمه وبحبوه. إما الثانية عن الواقدي عن القاسم بن عباس بني عن أبيه عن عبد الله بن نوفل بن الحارث قال «كان هاشم رجلا شريفا وهوالذي اخذ الحلف لقريش من قيصر لان تختلف أمنه وإما من علي الطريق فألفهم علي أن تحمل قريش البضائع لزعماء القبائل التي تمر القوافل في أرضهم من دون أرباح ولهذا نقول «ان المقصود بزعماء القبائل هي القبائل التي كانت .خاضعة لسلطه الروم في المنطقة العربية وربما كان المقصود بها

القبائل التي كانت متحالفة معهم وإلا كيف يستطيع قيصر الروم إن يعطي كتابا بسلامه تلك القوافل مالم يكن مطمئنا من ولاء تلك القبائل له وكذلك تضمنت الرواية ان قيصر الروم كتب إلي النجاشي ملك الحبشة أن يدخل قريشا أرضه ويمكن القول أن هذا الكتاب .إن صحت روايته لم يكن موجها إلي النجاشي بصيغه الأمر فربما كان بحكم صداقه كانت تربط الطرفين لان الحبشة لم تكن خاضعة إلي حكم الروم فربما كانت هناك تحالفات وشريعة مشتركه وهي المسيحية وكان هذا التحالف موجها ضد الفرس الذين استحكم عداؤهم آنذاك مع الروم ....

قبل ان نذهب إلى بقية قصتنا دعونا في نهاية هذه اللمحة السريعة عن حياة هاشم نضع أيدينا على ملمح مهم من حياته إلا وهي ديانته أوعقيدته : الحديث عن عقيدة هاشم والديانة التي كان عليها يدعونا الي التساؤل هل كان إباء الرسول وأجداده مسلمين؟ولعل الكلام في هذا الأمر يجرنا النقاش طويل يذهب بنا بعيدا عن صلب الموضوع ولذلك سوف يقتصر الكلام علي إيراد الشواهد التي تجيب علي هذا التساؤل باختصار فعلي الرغم من أن هذا الأمر من الأمور المهمة ليس في سيره هاشم فحسب وإنما له متعلقات في الجذور التاريخية للإسلام فإذا سلمنا جدلا ان هاشما كان مسلما فربما يخالفنا بعضهم ويطلب دليلا علي ذلك ولهذا لابد من وجود دليل قوي ومقنع وأفضل الادله علي ذلك هوالدليل القرآني إذ جاء في قوله تعالي (إن الدين عند الله الإسلام) يتضح من الآية أن لله دينا واحدا هوالإسلام وهذا الدين هوالدستور الذي وضعه الله سبحانه للأرض ومن عليها فسبحانه لم يترك الأمور سدي منذ ان خلق نبينا ادم عليه السلام وانزله الأرض فوضع له ذلك الدستور وهوالإسلام ولهذا جاء في قوله تعالي :» كان الناس أمه واحده.فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق « وقد تعددت الآراء حول المراد من كلمه الناس ولكن اقوي هذه الآراء واثبتها أن المراد بالناس هونبينا ادم عليه السلام كان علي أمه واحده اي مله واحده وهي الإسلام وهذا ما أثبته دراسة علميه اكاديميه إذ أن ادم عليه السلام هوأول المسلمين اختلفت ذريته وهذه هي حال الناس إلي اليوم وكذلك اختلفت الناس حول عقيدة خليل الرحمن فقال بعضهم كان يهوديا وقال آخرون نصرانيا فنزل قوله تعالي: «ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا

ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين « برا الله سبحانه ساحة إبراهيم عليه السلام من اليهودية والنصرانية والشرك وجعله مسلما وهذا هوالدليل الثاني علي وجود الإسلام.

وكذلك كان أصحاب الكهف مسلمين مؤمنين لجئوا إلي الكهف بإرادة ربانيه فرارا بدينهم فمثلوا انتصار الحق علي الباطل ومع أن ذلك بعيد عن الموضوع إلا انه يعطي دليلا عن قدم وجود الإسلام.

اخرج الطبري في تفسيره قوله تعالي (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد أمنا)

(واجنبني وبني ان نعبد الأصنام) فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده. فلم يعد احد منهم صنما قط وجعل من ذريه إبراهيم من يقيم الصلاة وتقبل دعاءه وهاشم من ذريته إبراهيم عليه السلام وعليه فإنه لم يعبد الأصنام وسيرته خاليه من الاشاره إلي عباده الأوثان لان تفسير هذه الآية دل علي استمرارية التوحيد في ذريه ابراهيم وهاشم منهم بطبيعة الحال مع الاشاره إلي أن المقصود من تلك الذرية الممتدة لصلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم اي لا ينطبق ذلك علي أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقيل في تفسير قوله تعالي (وتقلبك في الساجدين) أي انتقال النبي الأعظم صلي الله عليه وسلم من نبي ال نبي حتى أخرجه الله من نكاح لا من سفاح من ادم عليه السلام إلي أبيه.

لم يكن هاشم الوحيد من بين أجداد الرسول الذين عرفوا بإسلامهم الله سبحانه وتعالي فقد كان جده كعب بن لؤي يقر بذلك ذكر ذلك اليعقوبي بقوله ... فأما كعب بن لؤي فكان أعظم ولد أبيه قدرا وأعظمهم شرفا وكان أول من سمي يوم ألجمعه بالجمعة. وكانت العرب تسميه عروبة فجمعهم فيه وكان يخطب عليهم. فيقول:اسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ان الليل ساج والنهار ضاح والأرض مهاد والسماء عماد والجبال أوتاد والنجوم إعلام والأولون كالآخرين والأبناء ذكر فصلوا أرحامكم وأحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم فهل رأيتم من هالك رجع اوميت نشر الدار إمامكم والظن غير ما

تقولون وحرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم يقول :

نهار وليل كل يؤوب بحادث سواء علينا ليلها ونهارها
يؤوبان بالأحداث حين يؤوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأبناء تغلب أهلها لها عقد ما يستحل مريرها
علي غفله يأتي النبي محمد فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

ثم يقول. يا ليتني شهد نجوي دعوته لوكنت ذا سمع وذا بصر ويد ورجل تنصبت له تنصب العجل وارقلت ارقال العجل فرحا بدعوته جذلا بعرضته فلما مات كعب ارخت قريش من موت كعب وبذلك فإن الإسلام كان سمه من سمات أجداد هاشم ولعلهم كانوا مسلمين علي الفطرة أوأنهم كانوا أحنافا علي مله جدهم النبي إبراهيم عليه السلام بالوصية من أب إلي أب ولولم يكن أجداد النبي صلي الله عليه وسلم ومنهم هاشم مسلمين لما دعوا إلي إتباع نبي من صلبهم..

وروي الحلبي نصا قال فيه: ووجد كتاب في حجر إنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصله الرحم وفي هذا النص دلاله واضحة لا تقبل الشك إن عبد مناف الذي هوالمغيرة والد هاشم كان مسلما ورفض عباده الأصنام وإلا كيف يوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وهوعلي عباده الأوثان فهذا الأمر لا يقبله المنطق ومن الطبيعي ان يلزم ولده بذلك فهذا أمر لا يقبل القسمة علي اثنين.

ويبدوإن كان هناك وصيه كان أجداد الرسول ﷺ يتوارثونها الواحد تلوالآخر فمن كلام دغفل ألنسابه مع أبي بكر يظهر ذلك إذ سأله بعض الاسئله منها:فمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبوالغطاريف السادة ؟ولم تفصح الروايات عن طبيعة تلك الوصايا وفي رواية ابن حاتم ألعاملي قال فيها(وكان عبد مناف وصي إلي هاشم ودفع إليه مفتاح البيت سقاية الحاج وقوس إسماعيل فقبلوه في حياته فلما توفي عبد مناف قالوا. ان هاشم خالف

ألهتنا وصاروا يعادونه والسؤال المطروح هنا لماذا قال أهل مكة إن هاشما خالف ألهتنا ؟وما هي الالهه التي كانوا يعبدونها؟فالمعروف إن قريشا كانت تعبد الأصنام وان مخالفه هاشم الالهه جعلت المشركين منهم يعادونه هذا من جهة ومن جهة أخري إن قوس النبي إسماعيل عليه السلام كان له علاقة بوصيه عبد مناف ويبدوانه رمز ديني كان يتوارثه أبناؤه من بعده إلي إن وصل الي عبد مناف فسلمه الي هاشم وإذا استثنينا مفاتيح البيت وسقاية الحاج باعتبارها وظائف إداريه فإن قوس النبي إسماعيل عليه السلام له أهميه دينيه

وهذه الاهميه تقتضي بطبيعة الحال معرفه دين النبي إسماعيل عليه السلام الذي كان..علي ديانة أبيه النبي إبراهيم عليه السلام وهي الإسلام لقوله وسبحانه وتعالي.(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)وهذا الأمر لا يحتاج إلي إثبات فالنبي إبراهيم عليه السلام وكان مسلما بدلاله الايه الكريمة إذا كانت وصيه عبد مناف لابنه هي الالتزام بدين النبي إسماعيل عليه السلام الذي هودين النبي إبراهيم عليه السلام وهوالإسلام وعليه فإن هاشما عندما خالف إلهه قريش فقد خالفها لان كان علي مله النبي إبراهيم الخليل عليه السلام وهذه الله كانت معروفه عند أهل مكة قبل ألبعثه النبوية الشريفة إذ كان ورقه بن نوفل يستقبل ألقبله وكان زيد بن عمرويسجد للكعبة ويذكر النبي إبراهيم عليه السلام في صلاته وهناك الكثير من المسلمين عاشوا قبل ألبعثه النبوية الشريفة وعليه فإذا لم يكن علي دين إسماعيل وأبيه إبراهيم(عليهما السلام)فما الغاية في إعطاء عبد مناف قوس إسماعيل لهاشم وما الفائدة منه ؟وفي رواية أبي الحسن البكري قوله فلما حضرت عبد مناف الوفاة أخذ عليه العهد والميثاق علي ان لا يودع نور رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في الأرحام الزكية من أكرم الناس فقبل هاشم هذا العهد والميثاق وألزمه نفسه وكان كل يوم يمضي إلي الكعبة ويطوف بها سبعا ويتعلق بأستارها ولهذا فإن عبد مناف كان يعلم بوجود نبي من صلبه ولذلك أخذ العهد علي هاشم أن يودع نور هذا النبي في الأرحام الطاهرة هذا من جانب ومن جانب آخر فإن طواف هاشم بالكعبة وتعلقه بأستارها دليل توحيده للخالق .

وقد يتبادر إلي الذهن أن أهل مكة يطيعون هاشما وفي الوقت نفسه كانوا

يختلفون معه واتهموه انه خالف إلهتهم وجواب ذلك أنهم كانوا يحترمون من هوأفضل من هاشم وهوالنبي محمد ﷺ وكانوا يسمونه بالصادق الأمين ولكن عندما جاء برسالته السمحاء وخالف معتقداتهم صاروا يعادونه وينبذونه لمخالفته لهم في الوثنية فالأمر متشابه وليس هناك فرق سوي ألمده التي كانت بين أيام هاشم وايام النبي ﷺ والذي لم يتغير أهل مكة ظنوا علي عبادتهم الوثنية نفسها.

وروي في الحديث الشريف أن الله سبحانه وتعالي قد اصطفي من إباء الرسول وأجداده ما شاء منهم إلا ان وصل ذلك لان يصطفي النبي ﷺ ودليل ذلك قوله ﷺ ان الله عز وجل اصطفي كنانة من ولد إسماعيل واصطفي قريشا من كنانة واصطفي هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم وفي التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام روي ما نصه عن النبي ﷺ قال : واما خياره من عباده فولد ادم وخياره من ولد ادم من اختارهم علي علم منه بهم فإن الله عز وجل لما اختار خلقه اختار ولد ادم ثم اختار من ولد ادم العرب ثم اختار من العرب مضر ثم اختار من مضر قريشا ثم اختار من قريش هاشما ثم اختارني من هاشم وأهل بيتي كذلك...وبما أن الله سبحانه وتعالى وقد اصطفاه من قريش فهذا يعني انه قد ميزه عنها اي طهره واختاره من بين يطونها فجعل في صلبه ألنبوه وهل يختار الله تعالي من أخزته عباده الأصنام ام يختار من سار علي سيره النبي إبراهيم الخليل عليه السلام حنيفا مسلما ونزه نفسه عن عباده الأصنام؟ فكان هاشم كذلك من بين الأصلاب الطاهرة التي حملت نور ألنبوه وهذا ما أشار إليه الكلبي بسنده الي الإمام الصادق عليه السلام في مجمل روايته عن النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام ونقلهما في الأصلاب الطاهرة اذ قال(فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في اطهر طاهرين في عبد الله وابي طالب عليهم السلام

وروج المقريزي ما يشبه هذا المعني بسنده عن ابن عباس قوله :قلت يا رسول الله اين كنت وادم في الجنه ؟ قال كنت في صلبه واهبط إلي الأرض وانا في صلبه وركبت السفينة وانا في صلب نوح وقذفت في النار في صلب إبراهيم لم يتلق لي أبوان قط علي سفاح لم يزل ينقلني من الأصلاب المطهرة إلي

الأرحام النقية مهذبا لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خير منهم فأخذ الله بالنبوة ميثاقي وفي التوراه بشر بي وفي الإنجيل شهر اسمي تشرق الأرض لوجهي والسماء لرؤيتي ولهذا كان صلب هاشم من الأصلاب الطاهرة التي حملت نور ألنبوه ويتنافى الشرك بالله مع طهارة هذه الأصلاب لان الطهارة صفه من صفات الإيمان وليس العكس وفي رواية ألأزرقي ذكر قصه الغلام التيمي الذي هتك احد أستار الكعبة إمام أنظار المكيين الذين لم يفعلوا شيئا هرع إليه عبد شمس وأمسكه ونادي بأعلى صوته قائلا : يا ال قصي يا ال عبد مناف فهلع إليه الناس فقال هل رأيتم ما صنع هذا الغلام ؟قالوا نعم. قال.فأقسم برب الكعبة لتعظمن حرمتها اولينزلن بكم ما نزل بمن كان قبلكم فقال له اخوه هاشم بن عبد مناف ليس لك ضربه بحاجه ولكن انظر فان كان قد بلغ فاقطع يده فنظروا اليه فإذا هولم يبلغ.

ومن ذلك يتضح حرص هاشم علي حفظ حرمه الكعبة وقداستها وهذا يدل علي تمسك هاشم بعقيدته الموحدة إذ أعطي الحكم الشرعي الملائم بحق الذي يتجاوز علي حرمه بيت الله الحرام .

وروي دغفل النسابة عن إعرابي التقي هاشما في أحد مواسم الحج قوله.

وقد نمي الي حبر من أحبار اليهود ان النبي التهامي هذا اوان مبعثه ووقت توكفه فخللته إياه وقلت عله اوعساه فدنوت منه فقلت. السلام عليك يا رسول الله فقال لست به وليتني به .وبهذا كان هاشم يعلم ان النبي من صلبه سوف يظهر ولذلك أجاب بكل حزم وتمني ان يلتقي به وهذا واضح من جوابه للإعرابي.

واذا استثنيت كل الادله التي ذكرت في إثبات حقيقة كون هاشم من اهل الإسلام فالا دله كثيرة في إثبات ذلك ولعل أكثرها إفصاحا خطبته في موسم الحج إذ اورد ابن سعد في مجمل حديثه عن دور هاشم في أيام الحج قائلا وكان اذ حضر الحج قام في قريش فقال: يا معشر قريش أنكم جيران الله واهل بيته وانه...يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمه بيته فهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به وحفظ

منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرمه ضيفه وزواره يأتون شعثا غيرا من كل بلد علي ظوامر كألهن القداح قد ازحفوا وتلفوا وقملوا وارملوا فأقروهم واسقوهم.

المتمعن في هذه الخطبة يجد فيها دلائل عقيدته وأول اشاره علي ذلك ذكره لفظ الجلالة الله سبحانه وتعالي فهولم يجعل مع الله ندا من الأصنام التي كانت مشهورة آنذاك في مكة في حين كان مشركون مكة يذكرون اسم الهتم من اللات والعزى وهبل وغيرها ويجعلونها أندادا وشركاء مع الله سبحانه وتعالى كانوا متمسكين بقدسية هذه الأصنام لدرجه انهم كانوا لا يسمحون الحيض من نسائهم بالدنومن تلك الأصنام هذا من جهة ومن جهة أخري ان حث قريش وخطبته فيهم لرعاية وخدمه الحجيج وكذلك تسميه قريش جيران الله وأهل بيته وتسميه الحجيج بزوار الله فيه الدليل القاطع علي عقيدة هاشم الموحدة لله سبحانه وتعالي وإلا ما الغاية التي يريدها من هذه الخطبة؟وما الداعي إليها؟وحثه أبناء قومه علي سقاية الحجيج وإطعامهم وتوفير أسباب الراحة لهم سوي مرضاه الله سبحانه وتعالي ومن دون غيرها من الأسباب الأخر.. وروي هذه الخطبة ابن أبي الحديد عن الزبير بن بكار قوله .. وكان هاشم يقول اول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيسند ظهره الي الكعبة من تلقاء بأنها فيخطب قريشا فيقول .يا معشر قريش أنتم ساده العرب أحسنها وجوها... وأعظمها أحلاما وأوسطها انسابا وأقربها أرحاما يا معشر قريش أنتم جيران الله أكرمكم بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ منكم جار من جاره فأكرموا ضيفه وزوار بيته فإنهم يأتونكم شعثا غيرا من كل بلد فورب هذه البنيه لوكان مالي يحمل ذلك لكفيتموه الا واني مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم تنقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمه هذا البيت الا يخرج منكم رجل من ماله لكرامه زوار بيت الله ومعونتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم تقطع فيه رحم ولم يغتصب.فكانت قريش تخرج من أموالها وتأتي به هاشم فيضعه في دار الندوة لضيافة الحاج..

وفي هذه الخطبة نلحظ ان القسم الذي اقسمه هاشم فورب هذه البنية

هوقسم واضح يدل علي ان هاشما يطيع رب هذا البيت كما ان نوع القسم عند هاشم مختلف عما كان المكيون يقسمون به بإلهتهم اللات والعزى وهبل وغيرها من أصنام فإذا كان هاشم مشركا لأقسمها من دون الله .

وهنا نأتي لجزء مهم جدا في قصتنا وهي مربط الفرس ونقطة البداية وهي حيث أخذنا صورة ولمحة بسيطة من صفات وحياة هاشم واخية عبد مناف ومن تزوج عبد شمس من أكثر امراءة وايضا كل منهما ذرية ولكن ما يهمنا من عقب عبد شمس هوأمية ومن عقب هاشم هوبالطبع عبدا لمطلب ولذلك قبل ان نذكر ماحدث بين هاشم وابن اخية أمية والذي كان بداية الغل والحقد على هاشم وفرعة من عائلة عبد مناف بن قصي والذي استمر حتى نهاية قصتنا وعلى مدى أكثر من مائة عام وتسبب في هلاك ألاف البشر بل مائات الألوف وتدهور كل شئ وضياع الدين وكل هذا بسبب أحقاد وطمع فى سيادة غير مستحقة وكبر وتكبر وغل على من جمع الكمالات وتم اصطفائه ولذلك من الضروري بمكان دراسة شخصية أمية على الأقل من جانب نسبة إذ شك احد الباحثين في نسبة موضحا انة شخصية مجهولة الواقع يحوم التاريخ حولها بشك وريبة وينسبها المؤرخون باحتياط وتحفظ فإذا قيل أنة عبشمى اللحمة اة من بنى عبد شمس كان قولا لا يستند إلى اليقين وذلك لان فى الرواة من قال أنة عبد رومي لعبد شمس ثم تبناه عبد شمس لأسباب منها أن من العرف عند العرب أن يتبنوا الربائب والعبيد ولعل منها أن أمية كان لبقا في استيلائه على مولاة وفي استئثاره بحبة ورضاه ومهما تكن الأسباب فان عبد شمس تبنى أمية ، ثم مضى الزمن وأمية يدعومولاة ابا والمولى يدعوه ابنا حتى إلف الناس هذه الأبوة وقد ورد هذا في كتاب هاشم وأمية في الجاهلية لصدر الدين شرف الدين وهناك روايات تطعن فى نسب أمية صراحة ومنها ما رواة أبوالقاسم الكوفي بقولة «... ولقد رويناه من طريق علماء أهل البيت عليهم السلام من إسرار علومهم التي خرجت عنهم إلى علماء الأمة إن قوما ينتسبون إلى قريش وليسوهم من قريش في حقيقة النسب وهذا مما لا يجوز أن يعرفه إلا في معرفة معدن النبوة وورثة علم الرسالة وذلك مثل بني أمية ذكروا أنهم من قريش وليسوا من قريش وأن أصلهم من الروم وفيهم تأويل هذه الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ - فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾

[سورة الروم ، ٢] .

معناه أنهم غلبوا على الملك وسيغلبهم على ذلك بنوالعباس وذلك ان العرب فى الجاهلية اذ كان لأحد عبد فارا دان ينسبه ويلحقه بنسبة فعل ذلك وجاز عندهم وفد وجدنا ذلك من وجوة كريمة من العرب فيلحق بنسب مولاة فكان هذا من سيرة العرب وهذا ما ورد فى نزلت فى بنى أمية لأنهم ينتسبون في الأصل إلى عبد رومي ، أورد ذلك بسنده عن الحسن بن القاسم قراءة ، عن على بن إبراهيم ابن المعلى عن فضيل ابن إسحاق عن يعقوب بن شعيب عن عمران بن ميثم عن عباية عن الإمام على علية السلام قال « قولة عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ - فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾

[سورة الروم ، ٢] .

هي فينا وفى بني أمية كما ورد فى كتاب بحار الأنوار للمجلسى وكتاب فضائل امير المؤمنين علية السلام ومن المفسرين من أكد أنها نزلت في بني أمية مثل ما ورد في تفسير الفيض الكاشانى المسمى الاصفي تفسير القران وتفسير الصافي وتفسير الحويزى المسمى تفسير نور الثقلين وكل هولاء دعموا هذه الرواية وفى إحدى المراسلات التى دارت بين الإمام على علية السلام ومعاوية بن ايى سفيان فى صفين أورد بن اعثم الكوفي نصا للإمام قال فية « ولولا ما نهى الله عنة من تزكية المرء نفسه لذكره أكثر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تلمحها أذانهم من أشياء لوشئت لقلت فدع عنك يا بن هند من قد بانت الرمية فإننا صنائع ربنا والناس كلهم لنا صنائع ولم يمنعنا شرفنا ان خلطناهم بأنفسنا ولستم هنالك وأنى يكون ذلك ؟ ومنا المشكاة والزيتونة ومنكم الشجرة الملعونة ومنا هاشم بن عبد مناف ومنكم أمية كلب الأحلاف ورد هذا النص فى كتاب الفتوح ، والمتمعن فى هذا النص يرى ان الإمام على قد طعن بالأمويين بصورة غير مباشرة وهذا واضح من قولة لم يمنعنا شرفنا إن

خلطناهم بأنفسنا ولستم هنالك ، اى أنة استثناهم من ذلك لان فيهم الشجرة الملعونة من أمية تحديدا إما الطعون المباشرة في نسب الأمويين فنجدها بصورة جلية فى بعض الراويات منها ما ذكره ابن قتيبة بقولة « كان أمية بن عبد شمس خرج الى الشام فأقام بها يقال لها ترنا وكان لها زوج من أهل صفورية يهودي فولدت لة ذكوان فادعاه أمية واستلحقة وكناه أبا عمروثم قدم بة مكة فلذلك قال النبي ﷺ لعقبة يوم أمر بقتلة إنما أنت يهودي من أهل صفورية ،،،،» وقد أورد هذا ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة ٥/ ٣٩٨ وذكره المقريزي في كتاب إمتاع الإسماع ١٠/ ٦ ويروى أيضا إن عقبة توسل بالنبي ﷺ وقال له من للصبية يا محمد ؟ فإجابة النبي صلى الله علية وآلة وسلم بالقول : النار وقد ورد هذا مالك بن انس فى المدونة الكبرى وابن الأشعث السجستانى في سنن ابى داوود ١/ ٦٠٧ والطبراني فى المعجم الأوسط ٣/ ٢١٣ واتفق الحلبى فى السيرة الحلبية مع ابن قتيبة ان النبى ﷺ قال ذلك معلقا بقولة انة صلى الله علية وسلم لما أمر بقتل عقبة بن ابى معيط يوم بدر وهوعقبة بن ابى معيط بن ابى عمرو(ذكوان) الذي ذكرناه من قبل بن أمية ولمن لا يعلم فان عقبة بن أبى معيط بن ابى عمروبن امية بن عبد شمس بن عبد مناف هذا من كبار مشركى قريش وكان يضع سلا الجزور (الأوساخ التى تخرج مع الجمل الصغير إثناء الولادة) بطريق الرسول علية الصلاة والسلام وحاول مرة خنقه بيده وقصته سوف تأتى مفصلة في حينها حيث أنة اسلم ثم ارتد وبصق فى وجهة النبي الكريم علية لعنة الله ولذلك امر النبي بقتلة بعد أسرة في موقعة بدر الكبرى وفى موضع قصتنا هذا واستشهدنا فلما قال يا معشر قريش مالي اقتل بينكم اى وانا واحد منكم قال لة يا محمد ناشدتك الله والرحم فقال لة رسول الله صلى الله علية وسلم هل أنت إلا يهودي من أهل صفورية اى فليس هومن قريش اى لا رحم بينى وبينك اى لان أمية جد ابية خرج الى الشام ووقع على امة اليهودية ولها زوج يهودي من أهل صفورية فولدت لة ابا عمروالذى هووالد ابى معيط على فراش اليهودي فاستلحقة أمية بحكم الجاهلية ثم قدم بة إلى مكة وكناه بابي عمرووسماه ذكوان وفي رواية الطبري عن ابى مخنف عن محمد بن السائب الكلبي قال « ان الناس لما اجتمعوا بالجماجم وهومكان بالكوفة وفية كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن

الاشعث عام ٨٢ للهجرة وهزم فية ابن الأشعث سمعت عبد الرحمن بن محمد وهويقول الا ا نبنى مروان يعيرون بالزرقاء والله مالهم نسب اصح منة الا ا نبنى أبى العاص أعلاج من أهل صفورية فان يكن هذا الأمر فى قريش فعيني فقئت بيضة قريش وان ي كفى العرب فانا ابن الأشعث بن قيس ومد بها صوته يسمع الناس وبرزوا للقتال « ويفهم من ذلك ان العرب انذاك كانوا يطعنون ونسب الأمويين ، وإلا لما كان ابن الأشعث قد استخدم ذلك كحجة عليهم ، ويرى الباحثين ان تسمية الزرقاء إنما هي لقب الزرقاء بنت موهب الرايات التى يستدل بها على بيوت البغايا فى الجاهلية ولهذا كان الى مروان يذمون بها وقد يكون ذلك صحيحا ولكن يبدوان المقصود من كلمة الزرقاء هي زرقة العيون فأريد الطعن في نسبهم بدلالة قول ابن الأشعث أنهم من أهل صفورية لان صفة زرقة العيون هي صفة لم تشتهر بها العين العربية واشتهرت بها العين الرومية وألاما السبب في ايرادة هذه الصفة من دون غيرها ؟ ويمكن ملاحظة هذا المعنى من قول ابى طالب بن عبدا لمطلب:

توالى علينـا موليـانا كلاهما إذا سئلا قالا إلى غيـرنا الأمـر

قديما أبوهم كان عبدا لجدنا بني أمية شهلاء جاش بها البحر

وفى هذا الشعر عدة تساؤلات وخاصة البيت الأخير فهل كان ابوطالب يقصد عبد شمس فى كلمة أبوهمأم أنة كان يقصد أمية فإذا كان يقصد الأول وجب ان يكون قولة : قديما جدهم كان عبدا لجدنا ، على اعتبار ان جدهم عبد شمس وان جدة هاشم وهم إخوة ومتساوون فى الترتيب ولكن الواضح من الأبيات الشعرية أن المقصود كان أمية الأب الأعلى للأمويين وبهذا يصح الترتيب إما الشطر الثاني من البيت نفسه فيبدوأكثر إفصاحا اذ ما عرفنا ا نامية الذي سماه أبوهم في صدر البيت انما هوشئ جاء بة البحر ولعل الوصف الذي وصفة ابوطالب (بنى امي شهلاء) إنما هي إشارة للمعنى نفسه الذي ورد في الطبري انفا فالشهل زرقة العيون وهى صفة ربما لم تشتهر بها العين العربية وربما كان وراء هذا القصد اوالتعبير المجازى أنة أراد القول ان هذه الأمة لم يسر فى عروقها الدم العربي ، ولكن من ذلك يبقى الغموض مكتنفا لهذه الأبيات ، فلماذا وصف بنى عبد شمس وبني نوفل بلاخوة بقولة : انما هما

أغمضا للقوم فى أخويهما ؟ فالظاهر من سياق الشعر انة كان فية عتاب لتركهم إخوة بني هاشم وبنى عبدا لمطلب فهل كانت فية عتاب لتركهم إخوة بنى هاشم وبني المطلب فهل كانت هذه الإخوة حقيقية ام أنها كانت إخوة النسب بالإلحاق اوإخوة الموالاة ؟ علما أنة أشار فى هذه الأبيات لهذا المعنى بقولة : توالى علينا موالينا كلاهما ويبقى كل هذا النقاش واردا إذا كان هذا الشعر صحيحا ولم يصحف اويحذف منة وتبقى علامات الاستفهام هذه واردة خصوصا حول النص الذي قاله الإمام على علية السلام عند موازنته بين بنى هاشم وبني أمية حسب إحدى الرسائل التي أرسلها الإمام إلى معاوية جوابا لة واحتجاجا علية اذ قال « وإما قولك انا عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابوسفيان كابي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق « وكلمة الصريح تعنى الرجل الخالص النسب كما قال ابن منظور فى لسان العرب وكلمة اللصيق هنا هي مثار التساؤل فالإمام على علية السلام لا يقول الكلام الأعلى علم ودراية وهذا الكلام لا يختلف علية اثنان فمن كان المقصود باللصيق ؟ فان كان ابا عمروالذي استلحقة أمية كما مر فى الروايات أنفا فمعاوية ليس من صلب ابى عمروانما من صلب حرب بن أمية كما هومعروف ، إذا لم يبقى سوى أمية الذي معاوية من صلبة ، وهذا ما اكدة صاحب كتاب إلزام النواصب بقولة « وشان امية بن عبد شمس شان العوام فأنة لم يكن من صلب عبد شمس بن عبد مناف وانما هوعبد من الروم فاستلحقة عبد شمس فنسب الية كما نسب العوام الى خويلد فبنوامية جميعهم ليسوا من قريش وانما هم ملحقون بهم وتصديق ذلك جواب أمير المؤمنين لمعاوية « وخلاصة ما تم عرضة من روايات تطعن فى نسب أمية يمكن القول إن ظاهرة الإلحاق بالنسب كانت موجودة عند الأمويين من ايام أمية حين الحق العبد ذكوان بنسبة وسماه ابا عمروكذلك قيام الأخير بإلحاق إبان ولعل ظاهرة الإلحاق بالنسب لم يبتدعها أمية إذا كانت معروفة في الجاهلية وعلية ربما كانت الروايات التي ذكرت ان عبد شمس قد الحق أمية بنسبة صحيحة وأن العرب لم يجدوا أنذال في ذلك عيبا ويكفينا استعراض هذا الراى

ولنعود لقصتنا ان هاشم عندما تسيد وبرزت صفاته وهيبته دون اخية

عبد شمس فان ابن اخية المسمى أمية حسده وحقد علية وأحب ان يقلده فى الإطعام والسقاية للحجيج كما يفعل عمة هاشم ولكنة فشل وسخرت منة قريش واستصغرت شانه فدعا عمة هاشم إلى المنافرة .

والمنافرة هى مفاخرات كانت تحدث بين اثنين اوأكثر من سادة العرب وإشرافهم وفيها يشيد كل من المتفاخرين بحسبة ونسبة ومجدة وسجاياه ، إمام حكم من إشراف العرب اوكهانهم الحكماء ، ليكون لة القول الفصل فى تفضيل احد الطرفين على الاخر ،

ولا شك أن الذي دعاه الي ذلك هوالحسد والغرور ،اللذان اذا ركبا أحدا أفقده رشده، ثم اعتقاد أمره بأن الذي يمشي وراءه من الإتباع أكثر وأكثر ممن يمشي وراء هاشم

كما قال الله فى كتابة العزيز ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾

ويقول التفسير الميسر : بل أيحسدون محمدًا ﷺ على ما أعطاه الله من نعمة النبوة والرسالة، ويحسدون أصحابه على نعمة التوفيق إلى الإيمان، والتصديق بالرسالة، واتباع الرسول، والتمكين في الأرض، ويتمنون زوال هذا الفضل عنهم؟ فقد أعطينا ذرية إبراهيم عليه السلام -من قَبْلُ- الكتب، التي أنزلها الله عليهم وما أوحي إليهم مما لم يكن كتابا مقروءا، وأعطيناهم مع ذلك ملكا واسعا.

وها هى المنافرة كما أوردها كتاب المنمق فى إخبار قريش لابن حبيب البغدادي :

قال: كان هاشم بن عبد مناف قد أتى الشام فأقام به حينا ثم أقبل منه يريد مكة ومعه الغرائر مملوءة خبزا قد هشمته، ومعه الإبل تحمل الغرائر حتى قدم مكة، وذلك في سنة شديدة قد جاع فيها الناس وهلكت فيها أموالهم وأنفسهم فعمد هاشم إلى الإبل التي كانت تحمل الغرائر فنحرها وأقام الطهاة فطبخوا، ثم أخرج الخبز الهشيم فملأ منه الجفان ثم أمر بالقدور فكفئت عليها، فأطعم الناس أهل مكة وغيرهم فكان ذلك أول خصبهم، فقال في ذلك رجل من قريش

وهوحذافة بن غانم العدوي: عمروالعلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

وقال في ذلك وهب بن عبد بن قصي بن كلاب:

تحمّل هاشم ما ضاق عنـه وأعيا أن يقوم به ابن بيـــض
أتاهم بالغرائـــر متأقـــات من أرض الشام بالبر النفيض
فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريض
فظل القوم بيـــن مكلّلات من الشيزى وحائرها يفيض

وكان أمية بن عبد شمس مكثرا، فتكلف أن يصنع ما صنع هاشم فعجز عنه وقصر، فشمت به ناس من قريش وسخروا منه وعابوه بما صنع ثم قصر فهاج ذلك بينه وبين هاشم شرا ومفاخرة ومخاصمة حتى دعاه إلى المنافرة وألب أمية إخوته ووبخوه وحرّبوه، وكره ذلك هاشم لسنه، حتى أكثرت قريش في ذلك وذموه ، فقال له هاشم: أما إذا أبيت إلا المنافرة فأنا أنافرك على خمسين ناقة سوداء الحدقة ننحرها بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين، قال: فرضيا بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وخرج أبوهمهمة بن عبد العزى عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر وكانت أمة بنت أبي همهمة عند أمية بن عبد شمس فخرج معهما كالشاهد، فقالوا: لوخبأنا له خبيئا نبلوه به قبل التحاكم إليه، قال: فوجدوا أطباق جمجمة بالية فأمسكها معه/ أبوهمهمة ثم أتوا الكاهن وكان منزله بعسفان فأناخوا الإبل ببابه وقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئا فأنبئنا به قبل التحاكم إليك فقال: أحلف بالنور والظلمة، وما بتهامة من بهمة ، وما بنجد من أكمة ، لقد خبأتم لي أطباق جمجمة، مع الفلندح أبي همهمة، قالوا: أصبت فاحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف فقال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجومن طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، منجد أوغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر، أول منها وآخر. قال: فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين، ومن ثم يقال إن أمية استلحق أبا عمروابنه وهوذكوان وهورجل من أهل صفورية ، فخلف أبوعمروعلى

امرأة أبيه بعده فأولدها أبان وهوأبومعيط ويقال استلحق ذكوان أيضا ابان .

وقد ورد هذا النص فى كل المصادر التاريخية المعتمدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ١٧ وطبعا كتاب المقريزى السابق ذكره وغيرها من المصادر

ومن الواضح ان هذه المنافرة كانت بداية سلسال الحقد والغل الذي سوف يتوارث جيل بعد جيل بين أولاد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وبين أولاد هاشم بن عبد مناف ومرت السنوات وهاشم فى علومستمر وهيبة وسيادة لقريش وخدمة للحجيج وامية يقضى سنواته العشر الحالية طريدا منفيا في الشام يتاكلة الغل والحقد وينمى داخلة أحساسة بالصغر والكرة لبنى هاشم ورغبة في الانتقام منهم حين تنتهي مدة عقوبة نفيه ويعود الى مكة مرة أخرى وخلال هذه السنوات العشر يموت هاشم ويتولى ابنة عبدا لمطلب السيادة من بعدة ويبدءا فصل جديد فى الغل والتنافر بين الفرعين ،

وفي آخر سفر تجاري لهاشم إلى الشام ومعه أربعين شخصاً من قريش وصلوا غزّة فمرض هاشم وتوفي فيها ويقال بأنه قد دفن هناك ورجعوا بتركته وأمواله إلى وُلده. يوجد مسجد ومقام ل»هاشم بن عبد مناف» في منطقة «الدرج» شمالي مدينة غزة القديمة. تدعى مدينة غزة «غزة هاشم»تكريماً لمكانة جد الرسول ﷺ. لم تشر أغلب المصادر إلى عمرِ هاشم عندما توفي، لكن ذكر البلاذري بأنه كان إبن ٢٥سنة. وقيل٢٠سنة وإذا كان هذا هوالواقع فيدل على مدى رشده وبلوغه الفكري نظراً لماكان يتمتع به من مكانة وعزة واحترام طيلة السنين التي ساد قومه. وفيما يتعلق بوصيته كان قد أوصى الى أخيه المطلب بن عبد مناف، فبنوهاشم وبنوعبد المطلب كانوا بعدئذ يداً واحدة

وصلت الرئاسة إلى الأخ الشقيق لهاشم وعبد شمس أولادعبد مناف وهو(المطلب بن عبد مناف) والذي يكون عم (أمية بن عبد شمس) وعم (عبد المطلب بن هاشم) الذي سيرث الزعامة بعد موت المطلب كما سنرى والذي سيكابد فصل من فصول الغل والتنافر مع امية بن عبد شمس ،،،

من هوالمطلب بن عبد مناف ؟ دعونا نتعرف علية سريعا قبل ان ننتقل إلى عبد المطلب بن هاشم بطل فصلنا القادم ...

هوالمطلب بن عبد مناف بن كلاب ، أخوهاشم جد الرسول ، كان اكبر إخوته وكان عند قومه جليلا مهابا عزيزا يذكر أصحاب السير والمؤرخون انه هوالذي عقد الحلف لقريش مع النجاشي ملك الحبشة في متاجرتها إلى أرضه، وقد كان له الحظ الأوفر في القرب من خط هاشم إذ كان المطلب متآلفا بأخيه هاشم وجرى بنوهما على ذلك بعدهما حتى قال النبي صلى الله عليه واله (لم يفترق هاشم والمطلب في جاهليةٍ ولا إسلام) ، ومن محبتهما ببعض سمى كل منهما ابنه باسم أخيه فهاشم بن المطلب وعبد المطلب بن هاشم. وقد حرمت الصدقة على بني المطلب أسوةً بإخوانهم بنوهاشم ، وكان المطلب كفء الهاشمية في النكاح ، وكانوا معهم في شعب آبي طالب حين قاطعتهم قريش .

وأولاد المطلب خمسة في اصح الروايات ؛ الحارث ،مخزمة،عباد،هاشم وابورهم ، ويزيدهم بعض المؤرخون من النسابين فيقولون أحد عشر، وان كانت الرواية الأولى أقوى.

وذرية الحارث بن المطلب مشهود لها في بدر ، إذ شهدها جميعهم، وكان موقفا جليلا لعبيدة بن الحارث حين طلب عتبة بن ربيعة من الرسول يوم بدر قائلاً « يا محمد ؛ اخرج لنا نظرائنا (أكفـّائـَنا) من قومنا» فاخرج لهم شجعان بني هاشم وبني المطلب : أسد الله حمزة (عليه السلام) ، وأمير المؤمنين علي (سلام الله عليه) وعبيدة بن الحارث بن المطلب (رضي الله عنه) الذي أصيب في تلك المبارزة واستشهد على إثرها ، وقد كان اكبر عمراً من الرسول بعشر سنين. ومن ذرية المطلب الأمام الشافعي (محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب) صاحب المذهب الشافعي وهواقرب المذاهب لمذهب أهل البيت ومعروفة آراء الشافعي وأشعاره في أهل البيت لا يتسع له حديثنا .

وقد كَانَ بنوالمطلب بن عَبْد مناف مع بني هاشم يدًا عَلَى جَميع الناس،

قسم ﷺ قسمًا بين بني هاشم وبني المطلب، وجعل سهم ذي القربى فِي بني هاشم وبني المطلب، فأتاهُ عُثْمَان، وجبير بن مطعم، فقالا: قرابتنا برسول الله، وقرابة بني عَبْد المطلب واحدة، فكيفَ أعطيتهم دوننا؟ فقال: إنا وبني المطلب كذا وشبك أصابع يديه وكنا فِي الشعب معًا ويُقال أَنَّهُ قَالَ: كنا وهم فِي الشعب كذا وشبك أصابع يديه .

وفى موضع اخر عن بنو المطلب حَدَّثَنِي عَمْرُوبْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ وَوَهْبُ بُن بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ وَغَيْرُهُمَا قَالُوا : ثنا يزيد بن هرون عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ كَلَّمَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَهْمِ ذِي الْقُرْبَى، وَقَالا: قَسَمْتَهُ بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَنَحْنُ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إِلَيْكُمْ فِي النَّسَبِ سَوَاءٌ، فَقَالَ: إِنَّا وَهُمْ لَمْ نَزَلْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَبِيرُنَا وَصَغِيرُنَا شَيْئًا وَاحِدًا، وَكَانُوا مَعَنَا فِي الشِّعْبِ، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ . وهكذا عاش المطلب كريما وعلى دين الحنفية أيضا ومن ثم توفي بدرمان من ارض اليمن ودفن فيها.

ومن ثم يظهر على الساحة عبد المطلب ابن هاشم ابن اخية ليتسلم راية الرئاسة وهوجد رسولنا الكريم علية أفضل الصلاة والسلام ومن ثم أيضا يكون أمية قد عاش حياة حافلة بالأحقاد وبالحسد لأبناء عمومته بني هاشم وبنى المطلب وياتى من صلبة ابنة الشهير حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الذي ورث طباع أبية وكرهه واحقادة على بني هاشم ونافر ابن عمة عبد المطلب ابن هاشم كما سنرى .....

الْفَصْل الرابع

عبد المطلب بن هاشم

وحـــرب بـــن أميـــة

من هوعبدالمطلب بن هاشم ؟؟

أصغر أبناء هاشم أمه سلمي ألنجاريه أخر زوجه تزوجها هاشم في آخر رحله تجاريه مات فيها وفيه عمود النسب الكريم للنبي صلي الله عليه وآله وسلم من جهة وشخصيته قد اكتسبت تلك الشهرة الواسعة النطاق لما تمتع به من صفات واحترام قومه له ومنزلته المرموقة بينهم إذ كان سيدهم حتى وفاته .

واختلفت الروايات في اسمه قيل شيبه الحمد وقيل عامر وقبل عبد المطلب وهي التسمية التي اشتهر فيها وبها يشار إلي ذريته من بعده فقد أثبتت دراسة علميه آن اسمه (عبد المطلب)ولم يكن له اسم غيره.

أما ولادته فقد ولد عند أخواله بني النجار في يثرب وذلك لأن أمه بقيت عند أهلها بعد وفاته زوجها هاشم وقيل غير ذلك، أي أن الاتهامات في مكة وهذا ما يظهر من رواية اليعقوبي التي أوضحت أن هاشما حمل زوجته وابنه عبد المطلب ليكونا عند أخواله وهم بني النجار في يثرب عندما أراد الخروج الي الشام في الرحلة التي توفي فيها .

قيل ان عمه المطلب بن عبد مناف هوالذي جاء به إلي مكة بعد إن قضي مده طفولته هناك واختلف في كيفية رجوعه إلي مكة لاسيما من ناحية موافقة أمه علي ذهابه مع عمه ففي رواية ابن هشام أن المطلب اقنع سلمي بضرورة رحيل ابن أخيه معه إلي قومه وبعد حوار دار بين المطلب وسلمي سأل المطلب ابن أخيه المجئ معه فأجابه:لست بمفارقها إلا ان تأذن لي «فأذنت له أمه بالرحيل مع عمه وفي رواية ابن سعد أن سلمي قالت للمطلب «لست بمرسلته معك وغلظت عليه فقال المطلب. لا تفعلي فأني غير منصرف حتى اخرج به معي»فلما رأت سلمي إلحاح المطلب علي آخذه استمهلته ثلاثة أيام ومن ثم سمحت بالذهاب مع عمه المطلب. وفي رواية اليعقوبي ان المطلب لما رأي ابن أخيه عرفه من بين القوم الحاضرين فدعاه للرحيل معه.وقد أشار القوم علي المطلب أن يأخذه من دون علم أمه لأنها آن علمت فإنهم سيحولون بينه وبين ابن أخيه تلبيه لرغبتها.فاستجاب لدعوه عمه من دون تردد وبعد أن

علمت أمه بغيابه قامت تندب حظها وعلقت تدعوحربها فأخبروها أن عمه ذهب به إلي قومه .. وفي رواية الزمخشري أن المطلب انتزعه من أمه إما ابن خلدون فأشار إلي إن المطلب قد استلمت إليه بعد تعسف واغتباط به من أمه

قد يرفض البعض هذه الروايات ويعدها مثالب ألصقت به علي اعتبار أن عبد المطلب من تربيه أمه ولم ينشأ مع الرجال فلأجل ذلك وضعت وكانت غير صحيحة ولا يمكن تأييده في ذلك لأن تربيه إلام لأبنها من دون أبيه ليس من المثالب فهناك أنبياء ربتهم أمهاتهم مثل السيد المسيح عليه السلام فهل يعتبر ذلك مثلبة؟كما لا يمكن ترجيح رواية الزمخشري اوابن خلدون لأنها تصرح ان المطلب قد جلب ابن أخيه بالقوة من أمه.وكذلك رواية اليعقوبي التي أشارت ان المطلب قد أخذ ابن أخيه من دون علم أمه لسبب بسيط وهوأن المطلب كان من الحكمة بمكان ان يفعل ذلك وهوالرجل الذي عرف بالفيض لمسامحته ونبله فرجاحة عقله تمنعه من فعل ذلك ويمكن ترجيح رواية ابن هاشم وابن سعد لأنهما اقرب الي الواقع إذ صرحتا أن حوارا حصل بين المطلب وسلمي أدي في نهاية قبول سلمي بالأمر الواقع وعندئذ سمحت لولدها الذهاب مع عمه علي الرغم من امتعاضها لفراق ولدها وهذا شئ بديهي وبالمقابل استأذن عبد المطلب أمه فسمحت له .

وبعدها ظل عبد المطلب مقيما في مكة حتى بلغ مبلغ الرجال .وعندما ذهب عمه المطلب في تجاره له الي اليمن توفي هناك فولي عبد المطلب بعده أمور مكة من سقاية ورفادة وأصبح القائم بأمورها وزعيما في قريش ومع أن فيها رؤوسا آخرين إلا إن عبد المطلب كان أبرزهم وكانوا يعرفون فضله وشرفه .وروى انه تولي زعامة مكة بوصيه من عمه المطلب عندما أراد الرحيل إلي اليمن إذ قال له .

«أنت يا ابن أخي أولي بوضع أبيك. فقم بأمر مكة»

ومن أبرز الإحداث التي حصلت في حياته تحالفه مع قبيلة خزاعة وكان هذا الحلف متينا بين الطرفين لدرجه إن عبد المطلب أوصي أولاده من بعده بالحفاظ علي أواصر هذا الحلف وكذلك حفر عبد المطلب بئر زمزم

الذي جعله سقيا الحجيج والخلاف الذي حصل بينه وبين قومه بعد حفره والروايات التي حدثت عن حصوله علي كنز جرهم وقد رفض أحد الباحثين هذه الروايات وعد الحديث عن كنز جرهم إنما هي روايات هدفها التقليل من شأن عبد المطلب في توحيده لله ولتحريف القصد الذي حفر البئر من اجله وهوسقاية الحاج ومن الثابت ان عبد المطلب لم يكن باحثا عن ذلك الكنز وآن ما أعاده حفر بئر زمزم.

لعل أبرز الإحداث السياسية التي حصلت في أيام زعامته هجوم أبرهه الحبشي علي البيت الحرام والحديث الذي دار بين عبد المطلب وابرهه عندما أصاب الأخير إبل عبد المطلب فسأله أن يرد عليه ذلك فتعجب ابرهه من طلبه وسأله كيف يطلب منه ذلك ولا يطلب منه عدم هدم البيت وهوزعيم مكة .

وقد كان عبد المطلب كاملاً عاقلاً، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكان سيد قريش حتى هلك. قال الجاحظ: لم تأتى العرب: بأحلمَ من عبد المطلب، ولاَ هوأحلم من هاشم، لأنَّ الحلم خَصلة من خصاله كتمام حلمه، فلمَّا كانت خصالهُ متساويةً، وخلالُه مشرفة متوازيةِ، وكلُّها كان غالبـًا ظاهراً، وقاهراً غامراً، سمِّي بأجمع الأشياء ولم يُسمّ بالخصلة الْوَاحدة، فيستدلَّ بذلك على أنَّها كانت أغلب خصال الخيرِ علَيه.

وكلام الجاحظ هذا يصدق في جميع آباء عبد المطلب. ولقب عبد المطلب بالفيّاض. كان أعظم رجال مكة والجزيرة العربية كان له مجلس عند الكعبة يجلس ويلتف من حوله رجال مكة وقريش يتكلم ويسمعون منه ويحترمونه فقد كان له كلمة على مكة كلها فكان فاتح بيوت لإطعام الحجاج والزائرين وعابري السبيل وكانوا يلقبونه بمطعم الإنس والوحش والطير وكان له من الإبل ما يخصصه في خدمة الكعبة بيت الله الحرام.

وقد ذكر البرزنجى والسيوطي وغيرهم ممن ألفوا في نجاة آباء النبي ﷺ وأمهاته وفى أنهم كلهم على التوحيد، دلائل وبراهين على ذلك، وأفردوا كل أحد من الآباء بترجمة.

وقد صح في أحاديث كثيرة أن النبي محمد ص قال: (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات)، وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى: وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ وقول النبي محمد ص «من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» يعني أن آبائه وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر. وإن أبا طالب قال وهويحتضر : هوعلى ملة عبد المطلب، لأن النبي محمد وآبائه كلهم كانوا على الحنيفية ملة إبراهيم.

وكان عبد المطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترفا بوحدانية الله تعالى، وكان يختلي كثيراً بغار حراء ليتفكر فى صفات الله وأفعاله، وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأتى عبد المطلب فتستسقى به فيسقون.

ولما جاء أصحاب الفيل ليهدموا الكعبة، ذهب إلى أبرهة الأشرم وقابله وطلب إبله التي نهبوها، فتعجب أبرهة وقال : أنتم تعظمون البيت، ولم تسألني عنه وتسأل عن إبلك ؟ فقال له: (انا رب الإبل، وللبيت رب يحميه) ثم ذهب وتعلق بأستار الكعبة قائلاً:

اللهـــم إن كان العبـــد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديـــــه اليـــوم آلك
جاءوا بخيلهم وإبلهـــم ليسبـــــوا عيـــــالك
والأمر منـك وبك ولك فاصنـــــع مـــا بـدا لك

ويتضح من هذه الأبيات إن قائلها على الدين الحنيف القويم ولم يكن مشركا يعبد الأصنام

ثم ننتقل إلى أهم أعمالة وهي حفر زمزم بعد أن طمرتها جُرْهُم عندما سيطروا على مكة، ويذكر كتَّاب السِّير: أنَّه حفرها برؤية صادقة مكررة، وكأنَّها إلهام من الله تعالى، ألهمه – سبحانه وتعالى – لصفاء نفسه وإشراق روحه. ويذكرون – أيضـاً – أنه لم يكن له عند حفر زمزم إلا ولد واحد هوالحارث، فلما لقي من قريش ما لقي من العنت آنذاك، نذر لئن وُلَدَ له عشرة من البنين، وبلغوا معه حتى يمنعوه لينحرَّن أحدهم عند الكعبة لله، فلما بلغوا عشرة،

وعرف أنهم سيمنعونه، أخبرهم بنذره، فأطاعوا، فاتجه بكل قوته إلى الوفاء بالنذر، فجمعهم وأراد القرعة بينهم، فدخل بهم في جوف الكعبة، وأمرهم أن يأخذ كل واحد منهم ورقة، ويكتب فيها اسمه، وبعد أن كتبوا أسماءهم وضع اسم كل واحد منهم في قدح، وأمر خبيراً في القداح أن يسهم بينهم، فساهم فكان القدح على عبد الله ابنه وأبي محمد النبي عليه الصلاة والسلام، ومع أن عبد الله كان أحب بنيه إليه، أخذ الشفرة يحدها ليذبحه غير أن الأمر هال قريشاً وإخوته، فجاءوا إليه مسرعين وقالوا له: لا تذبحه أبداً حتى تعذر (أي تبدي العذر عن النذر) لئن فعلت هذا، لا يزال الرجل منا يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا! وطلبوا منه أن ينطلق إلى كاهنة وعرافة في أرض الحجاز، فانطلقوا إليها، فأشارت عليهم بأَنْ يقدموا الدية وهي عشر من الإبل، ويقرع بينها وبين الذبيح. فإن كانت القرعة عليه، زادوا في الإبل حتى تكون القرعة عليها، فلما أجمعوا لذلك، قام عبد المطلب يدعوالله، ثم قرَّبوا عبد الله وعشراً من الإبل، فخرجت القداح على عبد الله، فزادوا عشراً، فخرجت القداح على عبد الله، فما برحوا يزيدون عشراً حتى بلغت الإبل مئة، ثم ضربوا فخرجت القداح على الإبل، فقالت قريش: قد انتهى الأمر، ورضي ربُّك بالفداء يا عبد المطلب، ولكن عبد المطلب يريد أن يستوثقن من الرِّضا بالفداء، فذكر الرواة أنه ضرب مرة ثانية وثالثة، والقدح يخرج على الإبل، فنحرت الإبل، وتُرِكَتْ للناس لا يصد ولا يمنع أحد.

وقد عظم قدره لما احتفر بئر زمزم، وكانت من قبل مَطْوِية، وذلك في مدة ملك قباذ ملك فارس، فاستخرج منها غزالتي ذهب عليهما الدر والجوهر، وغير ذلك من الحلي، وسبعة أسياف قلعية، وسبعة أدرع سوابغ؛ فضرب من الأسياف باباً للكعبة، وجعل إحدى الغزالتين صفائح ذهب في الباب، وجعل الأخرى في الكعبة. وعظم قدره كثيراً بين العرب بعد يوم الفيل. وقدم اليمن في وجوه قريش ليهني الملك سيف بن ذي يزن لتغلبه على الأحباش المغتصبين للجنوب العربي، فأكرمه الملك، وقرَّبه، وحباه، وخصَّه، وبشَّره بأنَّ النبوة في ولده. وكان محسوداً من بعض قريش، فنافره بعضهم فنكس وانتكس، وحاول آخرون مجاراته فأُفْحِمُوا وتعبوا. شدَّ أحلاف آبائه، وأوثق عُراها،

وعقد لقريش حلفـًا مع خزاعة فكان أنفةً لفتح مكة في عام ٩ هـ ودخول الناس في دين الله أفواجـًا

ثم أن عبد المطلب كانت لة عدة زوجات وأبناء وتقول المصادر في اصح الأقوال أن زوجاته هن

صفية بنت جنيدب بن حجير من بني عامر بن صعصعة والدة الحارث

نتيلة بنت جناب بن كليب من بني النمر بن ساقط والدة ضرار وقثم والعباس

فاطمة بنت عمروبن عائذ بن مخزوم القرشية والدة أبوطالب وعبد الله والزبير وأم حكيم وعاتكة وبرة وأميمة وأروى وهي جدة الرسول وهالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشية والدة المقوم والمغيرة وحمزة وصفية ولبنى بنت هاجر بن عبد مناف الخزاعية والدة أبولهب وممنعة بنت عمروبن مالك الخزاعية والدة مصعب

وبالنسبة لأبنائه الذكور كما قالت المصادر هم :

١-الحارث بن عبد المطلب : أكبر أبنائه ومات على حياة أبيه ومن أبنائه عبد الله وأبوسفيان وأمية .

عبد مناف بن عبد المطلب وهوعمه أبوطالب سيد قريش بعد وفاة أبيه ومن أبنائه طالب وعقيل وجعفر وعلي وأم هانئ وجمانة

٢-ضرار بن عبد المطلب : مات قبل البعثة وليس له ذرية

٣- الزبير بن عبد المطلب شاعر قريش مات قبل البعثة وليس له عقب باقي، ولد له عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وحجل بن الزبير، والطاهر بن الزبير وهوأكبرهم وبه كان يُكَنَّى وضباعة بنت الزبير

٤- عبد العزى بن عبد المطلب وهوعمه أبولهب ومات كافرا بعد بعثة الرسول من أبنائه عتبة وعتيبة ومعتب

٥- مصعب بن عبد المطلب وسمي بالغيداق وليس له عقب

٦- المقوم بن عبد المطلب ليس له عقب

٧- قثم بن عبد المطلب مات صغيرا وليس له عقب

٨- المغيرة بن عبد المطلب وليس له عقب

٩- عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول ﷺ

١٠- العباس بن عبد المطلب من أبنائه: الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وكثير والحارث وتمام وأم حبيب

١١- حمزة بن عبد المطلب أسد الله توفي شهيدا يوم أحد وولد: يعلى وعمارة وفاطمة

بالنسبة لبناته الإناث

أم حكيم بنت عبد المطلب جدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان لأمه

عاتكة بنت عبد المطلب

برة بنت عبد المطلب

أمية وهي صاحبة المنام قبل يوم بدر. واختلف في إسلامها.

والدة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

أميمة بنت عبد المطلب، والدة عبد الله بن جحش وأم المؤمنين زينب بنت جحش.

أروى بنت عبد المطلب، والدة طُلَيْب بن عمرو.

صفية بنت عبد المطلب، والدة الزبير بن العوام أسلمت وهاجرت.

والمعقبون من أبناء عبد المطلب بن هاشم هم: أبوطالب والحارث والعباس وأبولهب، وعبد الله الذي عقّب محمدا، والذي أتى عقبه كما نصّ من ولدي ابنته الحسن والحسين

هذا هوعبد المطلب باختصار كما وصلتنا حياته :

ذلك هوالجد القريب الذي تربى النبي في كنفه، والذي رأى فيه أول ما رأى عزَّة الرجال، وحكمة الشيوخ وعطف الأبوة التي استعاض بها عن أبيه الذي لم تكتحل عيناه برؤيته، وقد حباه عبد المطلب بالعطف، فكان ينسبه إلى نفسه مباشرة، فلا يقول ابن عبد الله، ولكن يقول: ابني. وعندما أحس بالموت يقترب منه أوصى أبا طالب بحفظ الرسول وحياته، وقد اختصه بهذه الوصية، وقد قام أبوطالب بحقها.

فى هذه الفترة الانتقالية من تاريخ الفرعين الكبيرين من أسرة قصي بني هاشم وبني أمية حدث تغير كبير فى سلوك واتجاه الأسرتين وهوا نبنى أمية بادءويركزون جل اهتمامهم فى التجارة ولاسيما مع الشام وقد ازاحوا بنى هاشم واخذوكثيرا من حصتهم في تجارات القوافل حتى اثروا ثراء فاحشا لان بن هاشم فى هذه الإثناء وبزعامة عبد المطلب قد بداءويركزون فى الجانب السياسى والهيبة المعنوية والسمعة الكبيرة فى الزعامة والسيادة على قريش وأمية لما يائس من مجاراة عبد المطلب بن هاشم فى هذا المضمار فركز كل مجهوده هوولده حرب فى الثراء والتجارة حتى في مقابل ذلك، انحدر آل عبد المطلب إلى درجة الفقر المادي على الرغم من احتفاظهم بالوجاهة الرمزية.

هكذا، لما توفي عبد المطلب عن سن الثمانين سنة، لم يترك لأبنائه غير ذلك الثراء الروحي الذي استمدوه من اسمَيْ قصي وهاشم ؛ فما عدا ابنه العباس بن عبد المطلب الذي كان من كبار أغنياء مكة، والذي امتدت ثروته إلى يثرب فتملك بستانا فيها، فإن التاريخ لا يذكر عن عبد الله (والد الرسول)، بهذا الصدد، غير أنه بينما كان في طريقه من غزة إلى مكة في تجارة، نزل بالمدينة وهومريض، وهناك توفي ودفن. أما أخوهما أبوطالب، فقد مات وحالته المادية ليست على ما يرام، إذ بلغ به الفقر أن أخذ منه أخوه العباس ابنه جعفرا لتخفيف الإنفاق، بينما أخذ منه ابنُ أخيه محمد ابنَه عليا لنفس السبب. وقد أكد عليّ ابن أبي طالب حالة الفقر هاته عندما قال: «أبي ساد فقيرا، وما ساد فقير غيره».

هكذا، تغيرت خريطة الوجاهة بمكة قبل البعثة المحمدية، حيث أصبح ورثة قصي فريقان: فريق بني عبد شمس الذين بنوا وجاهتهم على الثروة، ودعموها بالتحالف مع الأغنياء؛ وفريق بني هاشم الذين لم يعد لهم غير وجاهة معنوية، رمزية.

على العموم، لقد انقسمت قريش إلى فرعين (بطنين) كبيرين وثمانية فروع (بطون) أخرى أقل شأنا. الفرعان الكبيران هما بنوهاشم (الهاشميون)، وبنوأمية (الأمويون، عبد شمس). وأما الفروع الأخرى، فهي نوفل وعبد الدار وأسد وتميم ومخزوم وعدي وجمح وسهم. وقد ظل التنافس شديدا بين الفرعين الكبيرين على الرئاسة أوالملك أوالإمارة

هذا التنافس الشديد بين الطرفين سيكون له أثر بالغ على طبيعة تلقي العرب لمعاني النبوة وتقديرهم لمضامين الرسالة بل إن هذا التنافس نفسه هوالذي سيمتد في الزمن لينخر دولة الخلافة وما بعدها من ذلك، على سبيل المثال، أن فرع أمية رأى في النبوة وسيلة للملك. وقد لخص عمروبن هشام بن المغيرة المعروف بـ«أبوجهل» هذا التنافس المحموم بقوله: «تنازعنا نحن وبني عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا؛ حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفَرسيْ رهان قالوا منَّا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذا؟.

إما حرب ابن أمية لنعرف سريعا من هو:

تزوج أمية بن عبد شمس من أمراءه تدعى ليلى بنت الربيع بن الوليد بن عبد الله لينجب منها ابنة الشهير (حرب ابن أمية) وطبعا ابنته الشهيرة جدا حمالة الحطب

لقد تضمّن القرآن الكريم العديد من القصص التي تناولت أخبار نساء صالحات وأخريات أضلهنّ الشيطان، فكانت النتيجة أن أهلكهن الكفر... فكنّ بعد ذلك أمثلة تُضرب على مرّ التاريخ للدِّلالة على أنّ عاقبة الكفر والصدّ عن سبيل الله وخيمة؛ وهي الخِزي والتحقير والمهانة في الدنيا، والخلود الأبدي في النار يوم القيامة...

ومن هذه النماذج امرأة قال الله سبحانه وتعالى فيها في سورة المسد: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، فمن هذه المرأة؟

هي أروى بنت حرب ابن أمية أخت أبي سفيان بن حرب، ولقد عرفت بكونها عوراء وكنيتها «أم جميل» وهي زوجة عدوّ الله أبي لهب وشريكته في الحملة الشرسة التي استهدفت رسول الله ﷺ، والتي لم تتوانَ فيها «أم جميل» عن استخدام كل الوسائل الممكنة للتنفيث عن حقدها الدفين وبُغضها للإسلام والمسلمين؛ لذلك يمكننا القول: إنّ شخصيتها يمكن أن يستمدّ منها الدروس والعِبَر التي يجب أن تستفيد منها كل امرأة لا سيما نساء اليوم حتى لا يكون حالهنّ ومصيرهن شبيهًا بحال ومصير أم جميل التي بسبب نفورها من الإسلام وإعراضها عن كتاب الله أضحت : مثالًا للمرأة التي تعين زوجها على سلوك طريق الكفر والشرّ والمعصية ولا تعينه على اتِّباع طريق الهداية والإيمان، فكانت بذلك بعيدة كل البعد عن حديث رسول الله ﷺ: الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

فهي كانت شرّ متاع لأبي لهب لأنّها دومًا تقف وراءه تعاونه وتحرّضه وتدفعه إلى الاعتداء على المسلمين وإيذائهم والتصدي لدعوة محمد ﷺ. ولكونها شريكته في الأذى والشرّ والكفر في الدنيا، فقد استحقّت أن تكون قرينته في العذاب يوم القيامة.أم جميل نموذجًا للجارة السيئة التي أعماها الحقد وأطغاها الكفر فانعكس بذاءةً في لسانها وسوءً في سلوكها وأخلاقها، ويتجلّى ذلك في العديد من المواقف التي تعرّضت فيها أم جميل للرسول ﷺ والتي لم تراعي فيها حقوق القرابة والجوار، فهي لم تتوانَ عن هَجْوه ﷺ عندمانزلتفيهاوبزوجهاسورةالمسد؛فقالت: مذمّمًاعصينا وأمرهأبينا ودينه قَلينا ولم تتورع أيضًا عن رمي الأشواك ونثرها في طريقه... ولا عجب في ذلك لأنّها كانت بعيدة عن هَدْي الإسلام وتعاليمه التي تدعوإلى صلة الأرحام وإلى حسن معاملة الجار والرِّفق به والابتعاد عن الفُحش في الكلام .امرأة أبي لهب مثال للحماة السيئة، فهي لم تتورع عن الضغط على ولديها عُتْبة وعُتيبة من أجل تطليق ابنتي رسول الله ﷺ – أم كلثوم ورقية – حتى قادها إصرارها وعنادها على الأذى والشرّ إلى القول لهما: رأسي برأسيكما حرام إن لم تطلقا

ابنتي محمد وذلك إرضاءً لرغبتها الخسيسة الدنيئة التي هدفت من ورائها إيذاء الرسول ﷺ وإدخال الحزن إلى قلبه الشريف دون أن تكترث أنّها بهذا العمل أدّت إلى تشتيت أسرة وخراب بيت .إنّ البيت الذي لا يقوم على طاعة الله عز وجل، والالتزام بأوامره ونواهيه، من الطبيعي أن يخرّج أبناء مفطورين على حبّ المعصية، وعندها ستكون العاقبة وخيمة لأنّ سوء التربية تؤدي إلى المهالك. وهذا ما حصل مع «أم جميل» التي حرّضت أحد أبنائها على أذية الرسول ﷺ فكان مصيره الموت على الكفر والضلال... تروي كتب السيرة أنّ عُتبة أراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتين محمدًا فلأُذينه فأتاه، فقال: يا محمد أنا كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى، ثمّ تفل في وجه الرسول ﷺ وردّ عليه ابنته وطلّقها، فدعا الرسول ﷺ عليه فقال: اللهمّ سلّط عليه كلبًا من كلابك فتحقّق دعاء النبي ﷺ فقتلته إحدى السباع، فصدق قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾. أم جميل نموذج للمرأة المتكبّرة المغرورة المعتدة بحسبها ونسَبها وثرائها فهي لم تتردد لحظة واحدة عن استخدام أموالها ومجوهراتها للتصدِّي لدين الله عز وجل يقول سعيد بن المسيِّب: كان لها قلادة فاخرة فقالت: لأُنفقنها في عداوة محمد... لذلك جزاها الله تعالى حبلًا في جيدها من مسد جهنم لأنّ الجزاء من جنس العمل.

أنّ سورة المسد غنية بالدلالات والرموز فهي تصور الحرب الإعلامية – وإن كانت مصغرة – حيث كانت تشن في ذلك الوقت لطمس صوت الحقّ وتشويه الحقائق؛ فأبولهب كان يتتبّع الرسول ﷺ في مواسم الحجّ وفي الأسواق لكي يجهض دعوته إلى (لا إله إلا الله)، فكان يقول للناس: لا تصدّقوه إنّه صابىء كاذب، تسانده زوجته التي كانت تستغل أي فرصة للنيل من الرسول ﷺ سواء بالسباب أوالهجاء لاسيما وأنّ الشعر في ذلك الوقت كان الوسيلة الإعلامية الأكثر رواجًا... فهذه الحرب الإعلامية تزامنت مع الحرب الجسدية – أذية الرسول ﷺ وأصحابه– والحرب النفسية – تطليق ابنتي رسول الله ﷺ – والتي حُشدت لها الطاقات وتوحّدت من أجلها الجهود وأُنفقت في سبيلها الأموال. وها هوالتاريخ يُعيد نفسه اليوم وإن اختلفت الأسماء والأمكنة والأزمنة. في هذه السورة تحذير صارخ ووعد ووعيد لأبي لهب وامرأته ولكلّ

من تسوّل نفسه الكيد لدعوة الله ورسوله لأنّ كل من يتجرأ على ذلك فقد باء بغضبٍ من الله تعالى وحربٍ منه في الدنيا، والخلود الأبدي في النار يوم القيامة؛ لذلك صدق قولُ الله تعالى في أم جميل وغيرها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

إما حرب ابن أمية فلما كبر وورث تجارة أبية أمية بل وأصبح من كبار مكة ومن وجهاء قريش ولكن نفسه مازالت تطمح ولا ترضى ولا ترتاح إلى ابن عمة عبد المطلب صاحب اليد العليا والزعامة الروحية على قريش كان حرب يعتبر زعيم قبيلة كنانة وقد روى أنة كان زعيمها فى أثناء حرب الفجار وحرب الفجار هي إحدى الحروب الهامة التي حدثت في الجاهلية والتي قيل أن النبي ﷺ حضرها مع أعمامه عندما كان في العشرون من عمره حيث كان يقوم بتجهيز النبال لأعمامه، ويعد السبب وراء تسمية تلك الحرب بهذا الاسم هوأن القتال قد حدث في الأشهر الحرم.وقعت تلك الحرب في عام ٥٩٠ ميلادية، وقيل بعد عام الفيل بحوالي عشرون عام، بين قبيلتين من مضر هما قبيلة كنانة وقبيلة قيس، وسبب الحرب هوأن الملك النعمان بن المنذر كان يرسل إلى سوق عكاظ مجموعة من النوق المحملة بالكثير من البضائع لبيعها فيه، كالمسك والحرير وغيرها، وكان يفعل ذلك في كل عام، ولكنه كان يخشى على قافلته تلك من قطاع الطرق، ولذلك كان يبحث عن من يقوم بحمايتها حتى تصل إلى السوق.

وبينما هوجالس في يوم مع مجموعة من جلسائه، وكان من بينهم عروة بن عتبة بن جعفر من قبيلة قيس، والبراض بن قيس بن رافع من قبيلة كنانة، وقد قام قوم البراض هذا بخلعه، وكان الجميع على علم بذلك، فقام الملك النعمان بسؤال جلسائه من منكم يقوم بحماية قافلتي حتى لا يسطوعليها قطاع الطرق، فأجاب البراض أنا أقوم بحمايتها لك من قبيلة كنانة، أي يحميها من قبيلته فقط.

ولكن الملك النعمان أجابه بأنه يريد رجلا يحميها من قبيلتي كنانة وقيس وليس كنانة فقط، ولكن عروة بن عتبة قام بسب البراض، وعايره بخلع قومه له، قائلا باستهزاء أكلب خليع يجيزها لك، أي يحميها لك، فسكت البراض ولم ينطق بكلمة، فقال عروة للملك النعمان متفاخر، أنا أحمي لك قافلتك من جميع العرب وليس من قبيلة كنانة وقيس فقط وبالفعل ترك الملك النعمان قافلته لعروة كي يحميها، وقام عروة بأخذ القافلة متجهًا إلى سوق عكاظ، ولكن البراض لم ينسى إهانة عروة له، وقد قرر الانتقام منه، وفي طريق عروة جاء البراض من خلفه وقتله، ثم أخذ القافلة وأتجه إلى سوق عكاظ.

بعد ذلك قامت قبيلة بني أسد بإرسال رجل من رجالها إلى قبيلة كنانة والتي كانت متواجدة داخل سوق عكاظ شأنها شأن جميع القبائل من أجل التجارة، وقام هذا الرجل بإخبارهم بأن الضراب قد قام بقتل عروة، وأخبرهم أيضا بأن قبيلة قيس تريد مقاتلتهم وأن عليهم توخي الحذر منهم، وبالفعل خافت قبيلة كنانة مما سمعته واتجهت مسرعة إلى الحرم المكي لعلمها أنه من الأماكن التي حرمت فيها العرب القتال فليس هناك مكان أنسب منه لتحتمي به.

وعندما علمت قبيلة قيس بذهاب قبيلة كنانة إلى الحرم ذهبت إليهم ونادى واحد منهم بأعلى صوته ليسمع قبيلة كنانة، بأن موعد الحرب بينهم سوف تكون في العام القادم داخل سوق عكاظ، وبالفعل في العام التالي توقف السوق عن التجارة، وقامت الحرب بين القبيلتين داخل السوق، وكانت قبيلة قريش تقاتل بجانب قبيلة كنانة وهذا بعد أن استعانت بها كنانة، وكانت الحرب في شهر ذوالقعدة وكونه من الأشهر المحرمة عندهم حتى قبل ظهور الإسلام، فقد كان هذا الأمر من أبشع الأمور التي قامت بها القبيلتين، لذلك فقد قاموا بإطلاق اسم حرب الفجار عليها.استمر القتال بين القبيلتين والذي وقع على أثره العديد من القتلى، من القبيلتين كنانة وقيس وأيضا من قبيلة قريش، ولذلك فقد اتفقت القبيلتين على إيقاف تلك الحرب، وذلك عن طريق حساب عدد القتلى من القبيلتين، والقبيلة التي يكون عدد قتلاها أقل تقوم بدفع دية للقبيلة التي عدد قتلاها أكثر، وبالفعل قامت قبيلة كنانة بدفع

الدية لقبيلة قيس حيث وجدوا أن عدد قتلى قبيلة قيس أكثر، وبذلك انتهت الحرب بين القبيلتين، والتي كانت من أشهر الحروب التي عاشها العرب قبل الإسلام يذكر ابن إسحاق أنَّ النبيَّ ﷺ قد حضر حرب الفجار، ولكن كانت مشاركته ﷺ محدودة فلم يُحارب، ولكنَّ أعمام الرسول ﷺ الزبير بن عبد المطلب والعباس وحمزة رضي الله عنهما قد شاركوا في تلك الحرب على رأس قبيلة قريش.

فاصطحبوا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لينبل معهم؛ فقد روي عن رسول الله ﷺ: «كنت أنبل على أعمامي؛ أي أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها». ويُقال إنَّه ﷺ كان بين الرابعة عشر والعشرين من عمره.

وقد اختلف العلماء في صحة مشاركة النبي ﷺ في حرب الفجار؛ فمنهم من أثبتها كابن إسحاق ونقلها عنه الذهبي وابن كثير رحمهم الله، وكذلك رواها ابن سعد وغيرهم، ومنهم من ضعَّفها ويمكنك معرفة أدلتهم من هنا، فالله تعالى أعلم.ولعل مشاركه حرب بن أمية أوقيادته لهذه الحرب وثراءه الفاحش هوالذي اغراة بمنافرة عبد المطلب بن هاشم وهومن هوولكن لم يشفع لة لا قيادته ولا ثرائة حلف الفضول وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذى القعدة في شهر حرام تداعت إليه قبائل من قريش: بنوهاشم، وبنوالمطلب،وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان التيمى؛ لسنِّه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ. وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لى به حمر النعم، ولوأدعى به في الإسلام لأجبت). وهذا الحلف روحه تنافي الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تثيرها، ويقال في سبب هذا الحلف: إن رجلًا من زُبَيْد قدم مكة ببضاعة، واشتراها منه العاص بن وائل السهمى، وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الأحلاف عبد الدار ومخزومًا، وجُمَحًا وسَهْمًا وعَدِيّا فلم يكترثوا له، فعلا جبل أبي قُبَيْس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعًا صوته، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال:

ما لهذا مترك؟ حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم في حلف الفضول، فعقدوا الحلف ثم قاموا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي.أ هـ

وكان حرب ابن امية لة قصة تدل على صفاتة الغير سوية وهي ذكر البيهقي في المحاسن والمساوئ، والجاحظ في المحاسن والأضداد، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ولفظ الجاحظ عن ابن عباس قال: قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت، فقال: يا بن عباس، من الناس؟ قلت: نحن، قال: فإذا غبتم؟ قلت: فلا أحد، قال: فإنك ترى أني قعدت هذا المقعد بكم؟ قلت: نعم، فبمن قعدت؟ قال: بمن كان مثل حرب بن أمية، قلت من كفأ عليه إنائه وأجاره بردائه؟ قال: فغضب وقال: أرجني من شخصك شهرا، قد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك.

فلما خرج ابن عباس قال لخاصته: إلا تسألوني ما الذي أغضب معاوية؟ قالوا: بلى، قل بفضل علمك.

قال: إن أباه حربا لم يلق أحدا من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق إلا تقدمه حتى يجوزه، فلقيه يوما رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب: أنا حرب بن أمية فلم يلتفت إليه وجازه، فقال: موعدك مكة، فخافه التميم ثم أراد دخول مكة فقال: من يجيرني من حرب بن أمية؟ فقيل له: عبد المطلب، فقال: عبد المطلب أجل قدرا من أن يجير على حرب، فأتى ليلا إلى دار الزبير بن عبد المطلب فطرق بابه فقال الزبير لعبده: قد جاءنا رجل إما طالب قرى وإما مستجير، وقد أجبناه إلى ما يريد ثم خرج الزبير إليه فقال التميمي شعرا:

لاقيت حربا في الثنية مقبلا ... والصبح أبلج ضوءه للساري

نادى مليا واكتني ليروعني ... وسما علي سموليث ضـاري

فتركته كالكلب ينبح ظلـه ... وقصدت قرم معالـم وفخـار

ليثا هزبرا يستجـار بعـزه ... رحب المباءة مكرما للجـار

ولقد حلفت بمكة وبزمزم والبيت ذوالأحجار والأستار

إن الزبير لما نعى من خوفه ما كبر الحجاج في الأمصـــار

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام إليه فلطمه، فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هارب يعدوحتى دخل دار عبد المطلب وقال: أجرني من الزبير، فأكفأ عليه جفنة كان هاشم بطعم فيها الناس فبقي تحتها ساعة ثم قال له: أخرج، قال: وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم؟! فألقى عليه رداء كان كساه إياه سيف بن ذي يزن له طرفان خضراوان، فخرج عليهم فعلموا أن أباهم قد أجاره، فتفرقوا عنه،.

إما بالنسبة لموتة فلة قصة طريفة ايضا وهى الذى يذكر فية بيت الشعر الذي يقول « وقبر حرب بمكان قفر .. وليس قرب قبر حرب قبر» والذي والمناسبة التي قيل فيها هذا البيت هوأن «حرب» قد خرج في قافلة تجارية مع جماعة من قريش ، ومعه أمية بن أبي الصلت (وهومن شعراء قبيلة ثقيف وكبارها) وكان مشهورا بالتوحيد وترك عبادة الأصنام في العصر الجاهلي ، وهوأول من قال «باسمك اللهم» وأثناء سيرهم مروا «بحية» فقتلوها.

وعند دخول الليل جاءتهم امرأة «من الجان» ومعها عصى ، فضربت به الأرض ، حيث نفرت وهربت الإبل ، ثم قامت القافلة برد هذه الإبل مرة أخرى ، بعد ذهاب هذه المرأة ، فلما اجتمعوا جاءتهم مرة أخرى فضربت الأرض بعصاها فهربت الإبل مرة أخرى ، ولم يصبحوا قادرين على ردها، فلما أعياهم ذلك قالوا «لحرب» هل عندك مخرج مما نحن فيه فقال لا والله ولكن سأنظر في ذلك ، لمحاولة الخروج من هذا المكان .

وأثناء سيرهم بالقرب من هذا المكان وجدت القافلة نارا داخل خيمة ، فقال «أمية بن أبي الصلت» إذا جاءتكم فقولوا باسمك اللهم فإنها تهرب ، فلما جاءتهم ثانية قال في وجهها «حرب» باسمك اللهم ، فضربته بالحية التي قتلتها القافلة أثناء رحلتها فمات ، ثم شردت حتى اختفت عن أنظارهم .

ودفن «حرب» على يد أصحابه في هذا المكان عام ٦٠٧م، حيث لا يوجد به دار أوجار.

ويرى الكثير من المؤرخين وشعراء العرب إن هذا البيت (وقبر حرب بمكان قفر .. وليس قرب قبر حرب قبر) من قول الجن الذي قتله ، لأن هذا البيت لم يرد على لسان شاعر أوقصيدة محددة ، كما أنه لا يستطيع أحد أن يقوله ثلاث مرات متتالية بسهولة دون تلعثم .

وللذهاب الى قصتنا دعنا نرى مثال على منافرات الجاهلية وكيف كانت تجرى وايضا هذا يدل على مكانة هاشم فى قومة ومنزلتة عندهم

تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقفيين إلى عزى سلمة الكاهن:

كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له: ذوالهرم؛ فغلبه عليه خندف بن الحارث الثقفي، فنافرهم عبد المطلب إلى عزى سلمة الكاهن -أوإلى نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث، وليس له يومئذ غيره، وخرج الثقفيون مع صاحبهم، وحرب بن أمية معهم على عبد المطلب؛ فنفد ماء عبد المطلب فطلب إليهم أن يسقوه؛ فأبوا، فبلغ العطش منه كل مبلغ، وأشرف على الهلاك؛ فبيننا عبد المطلب يثير بعيره ليركب؛ إذ فجر الله له عينًا من تحت جرانه؛ فحمد الله وعلم أن ذلك منه، فشرب وشرب أصحابه ريهم وتزودوا منه حاجتهم، ونفد ماء الثقفيين، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم، فقال له ابنه الحارث لأنحنين على سيفي حتى يخرج من ظهري، فقال عبد المطلب: لأسقينهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقاهم، ثم انطلقوا، حتى أتوا الكاهن، وقد حيثوا له رأس جرادة، في خرزة مزادة، وجعلوه في قلادة كلب لهم يقال له سوار؛ فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بخرجًا كلتاهما تزعم أنه ولدها، ولدتا في ليلة واحدة؛ فأكل النمر أحد البخرجين. فهما ترأمان الباقي؛ فلما وقفتا بين يديه، قال الكاهن: هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان؟ قالوا: لا. قال الكاهن: «ذهب به ذوجسد أربد، وشدق مُرَمِّع، وناب معلق٦، ما للصغرى في ولد الكبرى حق» فقضى به للكبرى، ثم قال: ما حاجتكم؟ قالوا: قد خبأنا لك خبئًا؛ فأنبئنا عنه، ثم تخبرك بحاجتنا، قال: «خبأتم لي شيئًا طار فسطع، فتصوب فوقع، في الأرض منه بقع؛ فقالوا: لاده، أي بينه. قال: «هوشيء طار، فاستطار، ذوذنب جرار، وساق كالمنشار، ورأس كالمسمار» فقالوا: لاده قال: «إن لاده فلاده،

هورأس جرادة، في خرز مزادة، في عنق سوار ذي القلادة»، قالوا: صدقت، فأخبرنا فيم اختصنا إليك؟ قال: «أحكم بالضياء والظلم، والبيت والحرم، أن المال ذا الرهم، للقرشى ذي الكرم» فقضى بينهم، ورجعوا إلى منازلهم على حكمة.

وروى الجاحظ لعزى سلمة أنه قال:

«والأرض والسماء، والعقاب والصقعاء، واقعة ببقعاء، لقد نفر المجد بني العشراء، للمجد والسناء». «البيان والتبيين»

ذكر ما حدث بين حرب امية وعبد المطلب

تنافر عبد المطلب بن هشام وحرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة، فأبى أن ينفر بينهما، فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودي يقال له أذينة، يتجر وله مال كثير؛ فغاظ ذلك حرب بن أمية، وكان نديم عبد المطلب، فأغرى به فتيان من قريش ليقتلوه، ويأخذوا ماله، فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار، وصخر بن عمروبن كعب التيمي، جد أبي بكر رضي الله عنه، فلم يعرف عبد المطلب قاتله، فلم يزل يبحث حتى عرفهما، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية؛ فأتى حربًا ولامه وطلبهما منه فأخفاهما؛ فتغالظا في القول، حتى تنافرا إلى النجاشي فلم يدخل بينهما؛ فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب فنفر عبد المطلب عليه. وقال لحرب بن امية «يا أبا عمرو: أتنافر رجلًا هوأطول منك قامة، وأعظم هامةً، وأوسم منك وسامة، وأقل منك ملامة، وأكثر منك ولدًا، وأجزل صفدًا، وأطول منك مذودًا، وإني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب، جلد المريرة، جليل العشيرة، ولكنك نافرت منفَّرا».

فغضب حرب وقال: إن من انتكاس الزمان أن جعلت حكمًا.

فأنشأ نفيل يقول:

ليهنأ قوما لهم في الناس سابقة حمل المئين وسبق ما لهم ورع

أعطاهم الله نورا يستضاء بـــه إذا الكواكب أخطا نوءها النجع

وهم عروق الثرى منهم أرومتنا ما جادى اليوم في ترابهم ضرع
ما إن ينال البلى أركان منزلهـــم ولا يحل بأعلى نيقهم صـــــدع
أولاد شيبة أهل المجد قد علمت عليا معدّ إذا ما هزهز الـــــورع
وهبت الريح بالصـراد فانطلقت تزجي جهاما سريعا سيره ملـع
وشيبة الحمـد نـــور يستضاء به إذا تخطّا إلى المشبوبة الفـــزع
وراحت الشول جدبا في مراتعها حول الفنيق رسيلا ما له تبـــع
يا حرب ما بلغت مسعاتكم هبعا تسقي الحجيج وماذا يحمل الهبع
أبوكما واحد والفـرع بينكمـــا منه الخشاش ومنه الناضر الينع
فاعرف لقوم هم الأرباب فوقكم لا يدركنّك شر مالـــه دفـــع
هم الرّبى من قريش في أرومتهـــا والمطعمون إذا ما مسها القشع

وقال في ذلك الأرقم بن نضلة بن هاشم يذكر منافرة هاشم وأمية:

وقبلك ما أردى أميـة هاشـــم فأورده عمروإلى شر مـــورد
فيا حرب قد جاريت غير مقصر شآك إلى الغايات طلّاع انجد

قال: فأراد حرب بن أمية إخراج بني (عدي) بن كعب من مكة فاجتمعت لذلك بنوعبد شمس بن عبد مناف وبنونوفل بن عبد مناف وغضب لعبد المطلب بنوهاشم وبنوالمطلب وبنوزهرة وغضبت بنوسهم لبني عدي لأنهم من الأحلاف فمنعوهم، فلما رأى ذلك حرب بن أمية كف عنهم

وقد ذكرت هذة القصة فى في سيرة ابن هشام ص ٨٠٦ وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢:٦، وتاريخ الطبري

الفصل الخامس

أبـو سفيـــان بـن حـــرب

و محمد بن عبد اللـه ﷺ

عاش عبد المطلب حياته في السيادة الروحية كما ذكرنا وحرب بن امية فى حياتة التجارية وفى ثرائه الذي يزيد يوما بعد يوم ليلد عبد المطلب عشرة من الأبناء وست من البنات، هم العباس وضرار وأمهما هي نكيله بنت جناب بن كليب، وحمزة وحجلاً والمقوّم وصفية وأمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناه، وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبره وأمهم هي فاطمة بنت عمروبن عائذ، والحارث وأمه سمراء بنت جندب بن جحير، وأبا لهب واسمه عبد العزى وأمه هي لبنى بنت هاجر بن عبد مناف. والذى يهمنا منهم الان وكلهم مهم هوابنة عبد الله قال الطبري في تاريخه : «كان عبد الله أبو رسول الله أصغر ولد أبيه وكان عبد الله والزبير وعبد مناف وهو أبوطالب بنوا عبد المطلب لأم واحدة، هذا في رواية ابن إسحاق».

وروى هشام بن محمد عن أبيه أنه قال : «عبدالله بن عبدالمطلب أبو رسول الله وأبوطالب واسمه عبد مناف والزبير وعبد الكعبة وعاتكة وبرة وأميمة ول د عبد المطلب إخوة».

نذر عبد المطلب إذا تم أبناؤه عشرة لينحرن أحدهم قربانا لله تعالى عند الكعبة فلما توافى أولاده عشرة جمع قريشا وأخبرهم بنذره فكان عبد الله والد النبي هو الذبيح وعبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم وأحبهم إليه فأقبل به عند الكعبة ليذبحه فمنعته قريش سيما أخواله من بني مخزوم وأخوه أبوطالب فقال عبد المطلب: ماذا أفعل بنذري؟ فأشارت إليه امرأة أن يقرع بينه وبين عشرة من الإبل فإن خرجت على عبد الله يزيد عشرا من الإبل حتى يرضى الله به وأقرع عبد المطلب بين عبد الله وعشرة من الإبل فوقعت القرعة على عبد الله فلم يزل حتى بلغت مائة إبل.

زواجه من آمنة بنت وهب

كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب تعيش في كنف عمّها وهيب بن عبد مناف، فذهب إليه عبد المطلب بابنه عبد الله فخطبها له، ثم تزوجها، ولما تزوجها أقام عندها ثلاثة أيام، وكانت تلك العادة عندهم

تذكر كتب السير النبوية بأنّ عبد الله قد عَرَضت له امرأة طلبت منه

أن يجامعها، فرفض ذلك، وهذه المرأة هي «قتيلة بنت نوفل»، أخت ورقة بن نوفل وقيل أنها «فاطمة بنت مر الخثعمية»، حيث مرّ بها عبد الله يومًا، فدعته يجامعها ولزمت طرف ثوبه فأبى وقال: «حتى آتيك»، وخرج سريعًا حتى دخل على زوجته آمنة بنت وهب فجامعها، فحملت بالنبي محمد، ثم رجع عبد الله إلى المرأة فوجدها تنظر إليه فقال: «هل لك في الذي عرضت عليّ؟» فقالت: «لا، مررتَ وفي وجهك نورٌ ساطعٌ، ثم رجعتَ وليس فيه ذلك النّور»، وقال بعضهم قالت: «مررتَ وبين عينيك غرة مثل غرة الفرس ورجعت وليس هي في وجهك».

خرج عبد الله من مكة متوجهًا إلى غزة في الشام في قافلة بهدف التجارة بأموال قريش، وفي طريق عودتهم وأثناء مرورهم بالمدينة المنورة مرض عبد الله، فقرر البقاء عند أخواله من بني النّجّار على أمل اللحوق بالقافلة إلى مكة عندما يشفى من مرضه، فمكث عندهم شهرًا، وتوفي بعدها عن عمر ٢٥ سنة، ودفن في دار تُسمّى «دار النابغة» (وهورجل من بني عديّ بن النّجار)، وكانت زوجته آمنة بنت وهب يومئذٍ حامل بالنبي محمد لشهرين. وقد ترك عبد الله وراءه خمسة أجمال، وقطعة غنم، وجارية حبشية اسمها «بركة» وكنيتها أم أيمن. وقد رثته آمنة بقولها:

وجاور لحدًا خارجًا في الغماغم عفا جانبُ البطحاء من ابن هاشم

وما تَرَكَت في النّاس مثل ابـــن هاشم دعته المنايا دعوةً فأجابهـا

تعاورَه أصحابه في التزاحـــم عشيّةً راحـوا يحملـون سريرَه

فقد كان معطاءً كثيـرَ التراحـم فإن يكُ غالتـه المنايا وريبهـا

وأقوى ماورد : أن عبد المطلب بعث عبد الله بن عبد المطلب يمتار له تمرا من يثرب ، فتوفى عبد الله بها، وولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان في حجر عبد المطلب.

والمعروف المشهور أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد يتيم الأب، وقد صحت الرواية في ذلك ، وإليه ذهب الواقدي وابن سعد ووافقهما أبن

كثير وآخرون.

وقد ذكر يتمه في القرآن :((ألم يجدك يتيما فآوى)).

والذي رجحه الواقدى وكاتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفى أبوه وهوجنين فى بطن أمه، وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه.

وقد تقدم فى الحديث: «ورؤيا أمي الذي رأت حين حمل بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ».

وقال محمد بن إسحاق: فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ، تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

من كل بر عاهد وكل عبد رائـــد

يذود عنى ذائد فإنه عند الحميد الماجد

حتى أراه قد أتى المشاهد

وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمدا، فإن اسمه فى التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه فى الإنجيل أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه فى القرآن محمد، وهذا وذاك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، ثم لما وضعته رأت عيانا تأويل ذلك كما رأته قبل ذلك هاهنا، والله أعلم.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا محمد بن عمر – هوالواقدى – حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم، عن الزهرى:

دخل حديث بعضهم فى حديث بعض أن آمنة بنت وهب قالت: لقد علقت به – تعنى رسول الله – فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمدا على

يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء.

وقال بعضهم: وقع جاثيا على ركبتيه، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها، حتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى، رافعا رأسه إلى السماء.

وقال الحافظ أبوبكر البيهقي: أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا محمد بن إسماعيل قال: أنبأنا محمد بن إسحاق، حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن ابن أبى سويد الثقفي، عن عثمان بن أبى العاص قال:

حدثتنى أمى أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ليلة ولدته، قالت: فما شيء أنظره فى البيت إلا نور، وإني أنظر إلى النجوم تدنوحتى إني لأقول ليقعن علي.

وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، أنها كانت قابلته، وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل، سمعت قائلا يقول: يرحمك الله، وإنه سطع منه نور رؤيت منه قصور الروم.

وهكذا ولد اشرف الخلق من الفرع الهاشمي ولكن دعنا نرى من ولد في الفرع الأخر والذي سيظل يحارب النبى الكريم ويحارب ويحارب حتى الرمق الأخير وحتى بعد ان يسلم ظاهريا

عاش حَرْبِ بن أمية وأعقب الكثير من ائمة الكفر وسدنة

وهم: أبوسفيانَ والفارِعةُ، وأمهما صفيَّةُ بِنت حَزْن هِلاليَّة. وأمُّ جَميل بنتُ حرب أمها فاخِتَة بنتُ عامر بن مُغيث الثَّقفي. وأميمةُ وأُمُّ الحكم ابنتا حرب، أُمُّهما أمُّ وَلَد، والحارث بنُ حرب، وأمُّه يمانِيَّةٌ دَرَج، وعَمروبنُ حرب [وأبوعمروبن حرب والصَّهباء بنت حرب.

فأمَّا أبوسفيانَ، فسنحكى قصتة بالتفصيل

وأما الفارعةُ فكانت تحت شيبةَ بن ربيعةَ بن عبد شمس، فخلف عليها الأَسْودُ بن المطَّلب بن أسَد بن عبد العُزّى.

وأمَّا أم جميل فتزوجها أبولَهَب بن عبد المطلب.

وأمَّا فاخِتةُ، فتزوجها جَثَّامةُ اللَّيثي، ثم خلف عليها عُتْبةُ بن غَزْوانَ المازني.

وأمَّا الصَّهْباء فتزوجها بِشْر بنُ عبد الملك السَّكوني. فهؤلاء أولاد حرب بن أمية الأكبر.

وأمَّا سفيانُ بن أميةَ الأكبر فلا عَقِب له.

وأمَّا أبوسفيان بن أمية فاسمه عَنْبَسة، وهوأكبر ولده، ولا عَقِبَ له.

وأمَّا عمروبن أمية، فلا عَقِبَ له، وأمه بنت أبي هَمْهَمَةَ من وَلَدِ الحارث بن فِهر.

وأمَّا أبوعمروبن أمية، فأُمه من لَخْم. وولد عمروبن أمية أبا مُعَيط جَدَّ الوليد بن عُقبةَ بنِ أبي مُعَيط.

ومن وَلد أمية الأكبر العاصُ بن أمية، كان سيدًا حكيمًا، قال له قومه: اهْجُ بني أَسَد بن عبدِ العُزّى، فقال:

أنَّى أُعـــادي معشَرًا كانـــوا لنا حِصْنًا حَصينا
خُلقوا من الجَـوزاء إذ خُلقوا ووالدُهم أَبونـا
أبْلِغْ لديك بَني أُميـةَ آيـــة نُصحـــًا مُبينـــا
أنَّا خُلِقنا مُصْلِحيـن وما خُلِقْنـــا مُفْسدينـا

وولد أبوالعِيص بنُ أُمَيَّة الأكبرِ أَسيدًا أبا عَتَّاب بن أَسيد، عامل رسول الله - ﷺ - على مكة.

وأمَّا العاص بن أمية، فولد سعيد بن العاص، وكنيته أبوأُحَيْحَة.

وأمَّا أبوالعاص بن أمية فولد عفَّانا أبا عثمان - رضي الله عنه -، والحكمَ أبا مروان.

هيا بنا نرى من هوأبوسفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن

عبد مناف الأموي القرشي، وهووالد يزيد ومعاوية وغيرهما، له كنية أخرى: أبوحنظلة وحنظلة هذا قتلة على بن ابى طالب فى بدر .

تزوج من هند بنت عتبة المشهورة في مكة، كان أكثر العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام ليقربوهم إلى الله زلفى، فرغم عبادتهم للأصنام وغيرها إلا أنهم كانوا يعتقدون بوجود الخالق، أما أبوسفيان فكان له مذهب خاص وهوالزندقة. قال المقريزي فيه: « وكان كهفا للمنافقين، وأنه كان في الجاهلية زنديقا ».

والزنديق كما في لسان العرب: « القائل ببقاء الدهر « وقد قالوا ما قال القرآن عنهم (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) ونستطيع أن نقول: هوالقائل بأزلية العالم ويسمى ملحدا ودهريا، فهذا هومذهب أبي سفيان في الجاهلية، وقد تعجب من هذا، ولكن سيزداد عجبك إذا عرفت أن هذا الاعتقاد بقي مسيطرا على أبي سفيان حتى بعد إسلامه.

كان أبوسفيان على رأس المحاربين للنبي والإسلام، ومظاهر عدائه كثيرة، فقد مشى مع جمع من رجال قريش إلى أبي طالب قائلين له: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، إلخ

وردت سيرة أبي سفيان بن حرب في العديد من المصادر التاريخية كتاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (ت. ٣١١هـ)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت. ٦٣٠هـ)، فضلاً عن الكثير من كتب التراجم والطبقات كالطبقات الكبرى لابن سعد (ت. ٢٣٠هـ)، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (ت. ٧٤٨هـ).

بحسب تلك المصادر، فإن اسم أبي سفيان هوصخر، وولد على أرجح الأقوال قبل عام الفيل بعشر سنين. وتتفق المصادر على التأكيد على المكانة المرتفعة التي حظي بها أبوسفيان في المجتمع القرشي، ومما يدل على ذلك أنه كان يحتفظ بـ«راية العقاب»، وهي راية الحرب التي اعتادت قريش أن ترفعها وقت الحرب، بحسب ما ذكره ابن عبد البر النميري (ت. ٤٦٣هـ) في

كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب».

وذكر ابن عبد ربه الأندلسي (ت. ٣٢٨هـ) في كتابه «العقد الفريد» أن أحد ملوك اليمن في مرحلة ما قبل الإسلام، لمّا أراد أن يعرف مَن هوالسيد الحقيقي في قريش، أرسل لمكة عشرة من الإبل، وطلب أن ينحرهم أشرف سيد من سادات قريش، وكان أبوسفيان وقتها يتزوج من هند بنت عتبة، فأمر بألا يقترب من الإبل أحداً، وقال مهدداً «والله ما نحرها غيري إلا نحرته»، فتركها الجميع، حتى إذا ما خرج من منزله بعد سبعة أيام من عرسه، ذهب إلى الإبل ونحرها.

أبوسفيان الذي كان زعيم البيت الأموي منذ فترة مبكرة من حياته عُرف بمشاركته في الرحلات والقوافل التجارية، وبأسفاره إلى بلاد الشام والعراق وبلاد فارس، وذكرت روايات أنه التقى بملوك البيزنطيين والفرس في بعض الأحيان.

مكانة أبي سفيان، وزعامته لبني أمية، فضلاً عن ثرائه الواسع، كانت كلها عوامل اشتركت مع بعضها البعض في تنصيبه كواحد من قادة الطبقة الأرستقراطية الأكثر تأثيراً على مسرح الأحداث السياسية في مكة، ومن هنا لم يكن من الغريب أن نجد المصادر الإسلامية تتحدث عن دوره الفاعل في عداوة الدعوة المحمدية في بواكيرها، خصوصاً أن تلك الدعوة اجتذبت إليها قطاعاً عريضاً من المهمشين والضعفاء والعبيد والموالي.

أبوسفيان أصبح من طبقة الأثرياء والزعماء فى مكة وكان عبد المطلب بن هاشم مازال يعيش فى هذه الإثناء وطبعا كان الرسول الكريم قد ولد وشب كما ذكرنا من قبل وهوفى كنف جدة عبد المطلب وعمة ابوطالب وطبعا المصادر طافحة بسيرة محمد بن عبد الله وكيف كان مستقيم ويكنى بالصادق الأمين وكيف كان خلقة وعدم عبادته للأصنام وحنيفيتة وتعبده حتى يشب ويصل أربعون عاما ونحن هنا فى غنى عن ايراد سيرة سيد الخلق أجمعين فهي تملئ مجلدات لم اراد التوسع والتبحر في سيرته ولكن ما يهمنا هنا هوالعائلة المقابلة لة وكيف تعاملت مع الرسول الكريم الذي اتى على غير ما تشتهى

سفنهم فأتى من الفرع الهاشمي وليس من الفرع الاموى ليزيد حسدهم وحقدهم على بني هاشم كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ صدق الله العظيم

ولكن هذا الفصل من الحقد والكبر والمحاربة سيستمر ٢٠ عامل كما سنرى وأيضا يقول الله عن قريش وأهل مكة فى رواية محاولة قتل النبيفي صورة يس أنهم لن يؤمنوا أبدا وأنى لأعجب كيف لم ينتبه المسلمون لهذه الآية الواضحة في أن هؤلاء لن يصح إيمانهم أبدا في قولة تعالى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ صدق الله العظيم

الم يلفت نظرك ان الله يقول لق حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ما معنى حق القول اى أنهم لن يؤمنوا أبدا وفيمن نزلت هذه الآيات فى قريش الذين حاولوا قتل النبى ومنهم طبعا بل وزعيمهم ابوسفيان بن حرب ، إلي إن تأتي اللحظة الحاسمة والفارقة فى عمر كوكب الأرض كله خَرَجَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتَّى صَعِدَ الصَّفا، فَهَتَفَ: يا صَباحاهْ، فقالوا: مَن هذا الذي يَهْتِفُ؟ قالوا: مُحَمَّدٌ، فاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فقالَ: يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي عبدِ مَنافٍ، يا بَنِي عبدِ المُطَّلِبِ، فاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فقالَ: أرَأَيْتَكُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بسَفْحِ هذا الجَبَلِ، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: ما جَرَّبْنا عَلَيْكَ كَذِبًا، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ، قالَ: فقالَ أبولَهَبٍ:

تَبًّا لكَ أما جَمَعْتَنا إلَّا لِهذا.

الراوي : عبدا لله بن عباس المحدث : مسلم المصدر : صحيح مسلم الصفحة أوالرقم ٢٠٨

وتسير الإحداث ويعلن النبي دعوته ويتصدى لة طبعا زعيم الكفر أبو سفيان وغيرة من زعماء قريش ولكن أعمام النبي أبى طالب وحمزة يتصدوا لزعماء قريش ويدافعوا عن النبي ويحموه

يذكر الطبري رحمه الله أنَّ قريشًا حين عرفوا أنَّ أبا طالب قد أَبَى خذلان رسول الله ﷺ، وتسليمه لهم مشوا إليه بفتى منهم هو عمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له فيما بلغني: يا أبا طالب! هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك، هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرَّق جماعة قومك، وسفَّه أحلامنا فنقتله؛ فإنما هو رجل برجل. قال: والله لبأس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني فتقتلونه، فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: «والله يا أبا طالب! لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلُّص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا». فقال أبو طالب للمطعم: «والله ما أنصفوني».
قال المقريزيّ: ثمّ تمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيّد بني هاشم أبو القاسم محمّد بن عبد الله بمكّة يدعو قريشاً إلي توحيد الله تعالي، وترك ما كانت تعبد من دون الله، فانتدب لعداوته جماعة من بني أُميّة منهم: أبو أُحَيْحَة سعيد بن العاص بن أُميّة، وَعَقَبَةُ بن أبي مُعَيْط، وَالحَكَمُ بن أبي العاص بن أُميّة . وكان مؤذياً لرسول الله يطّلع عليه وهو في حجرات نسائه. وقد قال فيه النبيّ: مَنْ عَذِيرِي مِنْ هَذَا الوَزَغَةِ ! لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَفَقَأْتُ عَيْنَهُ. ثمّ لعنه وما ولد، وغرّبه عن المدينة. فلم يزل خارجاً عنها بقيّة حياة رسول الله وخلافة أبي بكر وعمر. فلمّا استخلف عثمان ردّه إلي المدينة وولده مروان، ولمّا مات ضرب علي قبره فُسطاطاً. ومنهم: عُتْبَة بن أبي ربيعة بن عبد شمس ، وهوأبوهند التي لاكت كبد حمزة بن عبد المطّلب. ومنهم: الوليد بن عُتْبَة بن أبي ربيعة والوليد هذا هوخال معاوية. ومنهم: شَيْبَة بن ربيعة بن عبد شمس عمّ هند.

وممّن حاربوا النبيّ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميّة . وهوالذي جدع أنف حمزة ومثّل به. ومعاوية هذا هوأبوعائشة أُمّ عبد الملك ابن مروان عمل كجاسوس ضد المسلمين أثناء عهد النبي محمد. أُسِرَ بعد غزوة أحد، وقُتِل. روى البلاذري أنه هوالذي جدع أنف حمزة بن عبد المطلب ومثّل به. بعد انتصار قريش في غزوة أحد لم يستطع العودة فبات قرب المدينة المنورة، فلما أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفان، كان معاوية ابن عم عثمان بن عفان، فأخبرته أم كلثوم بنت محمد زوجة عثمان أنه ليس متواجدًا، فانتظره حتى أتى، فلما جاء عثمان قال لمعاوية: «أهلكتني وأهلكت نفسك ما جاء بك»، قال: «يا ابن عم لم يكن أحد أقرب إلي ولا أمس رحمًا بي منك فجئتك لتجيرني»، فأدخله عثمان وذهب إلى النبي ليأخذ منه الأمان. فسمع النبي يقول «إن معاوية في المدينة وقد أصبح بها فاطلبوه»، فوجده الصحابة في بيت عثمان، فقال عثمان: «والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له الأمان فهبه لي»، فأعطاه النبي فترة سماح مدتها ثلاثة أيام لمغادرة المدينة المنورة ورتب له عثمان جَمَل ومؤن لرحلته إلى مكة.غادر عثمان مع النبي إلى غزوة حمراء الأسد، لكن معاوية أقام إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبي ويأتي بها قريشًا، فلما كان في اليوم الرابع قال النبي: «إن معاوية أصبح قريبًا لم ينفذ فاطلبوه» فخرج له زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فوجداه بالجماء فضربه زيد بالسيف، ورمياه بسهم فقتلاه ثم انصرفا إلى المدينة بخبره.ابنته عائشة تزوجت الخليفة الرابع من خلفاء بني أمية مروان بن الحكم، وهي والدة الخليفة الخامس عبد الملك بن مروان.. وعبد الملك هذا أعرق الناس في الكفر ، لانّ أحد أبويه الحكم ابن أبي العاص لعين رسول الله وطريده، والآخر معاوية بن المغيرة

وقبل إن نرى محاولات بني أمية المستميتة لصد الدعوة وتسفيه النبي الكريم بل وقتلة وحصاره وتجويعه وحربة دعنا نرى أول شخص من بني أمية حاول قتل النبى وهو عقبة بن أبي معيط: وهوعقبة بن أبي معيط بن أبي عمروبن أمية بن عبد شمس

كان عقبة بن أبي معيط من وجهاء قريش وكان خليلا لأمية بن خلف الجمحي، وكان عقبة يجالس النبي ﷺ، بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً حليمـًا،

وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان قد صنع وليمة فدعا إليها قريشا، ودعا رسول الله ﷺ فأبى أن يأتيه إلا أن يسلم، وكره عقبة أن يتأخر عن طعامه من أشراف قريش أحد فأسلم ونطق بالشهادتين، فأتاه رسول الله ﷺ وأكل من طعامه وكان خليل أبي معيط أمية بن خلف غائبا عنه بالشام فقالت قريش: صبأ أبومعيط، ولما قدم خليله من الشام ليلاً، قال: ما فعل خليلي أبومعيط؟ فقالوا: صبأ، فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبومعيط، فحياه، فلم يرد عليه التحية، فقال: مالك لا تردّ عليّ تحيتي؟، فقال: كيف أرد عليك تحيتك، وقد صبوت؟ قال: أوقد فعلتها قريش؟ قال: نعم، فقال عقبة: رأيت عظيما ألا يحضر طعامي رجل من أشراف قريش، فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداقال أبومعيط: فما يبريء صدرك إن أنا فعلته؟ فقال له خليله: لا أرضى حتى ترجع تأتيه في مجلسه فتبزق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم وتبصق في وجهه وتطأ عنقه وتقول كيت وكيت. ففعل عدوالله ما أمره به خليله، طاعة لخليله وإرضاءً له ولما بصق عقبة في وجه رسول الله ﷺ رجع بصاقه في وجهه وشوى وجهه وشفتيه، حتى أثر في وجهه وأحرق خديه، فلم يزل أثر ذلك في وجهه حتى قتل- ويحكي عروة بن الزبيررضي الله عنهما ويقول: سألت عبد الله بن عمروعن أشدِّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: «رأيتُ عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهويُصلِّي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبوبكر حتى دفعه عنه، وقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربِّي الله

، فنذر النبي ﷺ قتله فلما كان يوم بدر، وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا، قال: وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً. فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك، فلوكانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين، وحمل به جمله في جدود من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبومعيط، فقال: أتقتلني من بين هؤلاء؟ قال: « نعم بما بزقت في وجهي «، فأنزل الله في أبي معيط: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾(سورة الفرقان، الآية ٢

ثم اجتمع رؤوس بطون قريش بزعامة ابوسفيان بن حربفي دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون بمحمّد بن عبد اللّه. فاتفقت الآراءُ على قتله، على أن يَخرج من كل بطن لقريش، منها بنوهاشم، شابٌّ فيضربون محمداً بأسيافهم جميعـًا، كلٌّ منهم ضربة واحدة، حتّى يتفرّق دمُه في قريش كلها، فلا يستطيع بنوهاشم وبنوالمطلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم، خاصة بما أنّهم قد شاركوا فيه. وأكتموا وأسرّوا ذلك فيما بينهم، لكن نزل جبريل على رسول اللّه وأخبره بكيدهم ولمّا أخبر النبيَّ جبريلُ بأمر اللّه في ذلك، دعا رسولُ اللّه علي بنَ أبي طالب وأخبره وأمرَه أن يبيت في مضجعه. فسأله عليٌّ: «أوتسلمنّ بمبيتي يا نبيّ اللّه؟» قال: «نعم». فأهوى عليٌّ إلى الأرض ساجداً، شكراً لما أنبأه رسول اللّه به من سلامته، - فهوأوّل من سجد للّه شكراً- فاستلقى عليٌّ على فراش الرسول والتَحَفَ ببُردته وجعل السيف إلى جنبه. اجتمع أولئك النفر من قريش يرصدونه ويطافون بداره ينتظرون أن ينتصف الليلُ وتنام الأعينُ، فلما أسدل الليل أستاره أراد النبي أن يخرج أخذ حفنة من البطحاء ثمّ جعل يذرّها على رؤوسهم وهويقرأ: «يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ... فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَيُبْصِرُونَ» (أوالآية التاسعة من سورة يس فقط) فغادر دون أن يشعروا به ومضى إلى غار ثور كما أوحى إليه جبريل فلمّا أقبل القوم لتنفيذ خطّتهم، رموا من كان مستلقيـًا، بالحجارة ولايشكّون أنّه محمد، ثمّ شهروا أسيافهم ـ وكانت دُور مكةيومئذ سوائب لا أبواب لها ـ وأقبلوا، فوثب عليٌّ في وجوههم، فلما تبصّروه قالوا: «إنك عليٌّ؟ فإنّا لم نُردك! فما فعل صاحبُك؟» قال: «لا علم لي به» (أوقال: أجعلتموني عليه رقيبـًا؟!) فتركوه وتفرقوا في طلب محمد.

وناتئ على أسلوب أخر من أساليب أبوسفيان : عندما حكم قصي بن كلاب مكة، أعطى لكل قبيلة من قريش مكانا يكون سكنا لهم. وكان هذا المكان ((شعب أبي طالب)) يقع مقابل الكعبة، جعله قصي له ولأولاده عبد مناف وعبد الدار.

ثم أصبح هذا الشِعب فيما بعد ذلك تحت تصرف عبد المطلب، حيث

قسمه على أولاده في آخر حياته، وقد حصل النبي ﷺ على حصة أبيه.

لقد ولد في هذا الشِعب النبي الأكرم ولهذا يقال لهذا الشِعب في بعض الأحيان شِعب المولد.

وقد كان هذا الشِعب محل سكن النبي) وخديجة (وقد ولدت السيدة الزهراءفي هذا الشِعب.

كما إن ابن عباس ولد في هذا الشِعب، وعاش فيه وهنا يبدءا أبوسفيان فصل أخر من التأليب على النبي بالظلم والعدوان في محرّم السنة السابعة للبعثة النبويّة،

اجتمع كفار مكة اجتماعًا طارئًا وعاجلاً بقيادة أبوسفيان أيضا، بعدما رأوا من اجتماع بني عبد مناف للدفاع عن رسول الله، وخرجوا منه في نهاية الأمر بقانون جديد، فقد ابتكروا وسيلة جديدة لحرب أهل الإيمان، وقرروا بالإجماع أن ينفذوا هذا القانون، كان هذا القانون هو«المقاطعة»، تفعيل سياسة الحصار الاقتصادي لبني عبد مناف، وإعمال سياسة التجويع الجماعي لهم، سواءٌ أكانوا كفارًا أم مسلمين. واجتمع الكفار يعملون على صياغة القانون الجديد، القانون الذي يخالف كل أعراف وتقاليد وقيم مكة السابقة، ولا يهم أن يتغير الدستور؛ طالما أن ذلك لمصلحتهم الخاصة، وطالما أنه من عند أنفسهم، وفي الوقت ذاته هوفي أيديهم، لكننا في شهر ذي الحجة وهومن الأشهر الحرم، أيضًا لا ضير. لكننا -أيضًا- في مكة البلد الحرام، لا ضير أيضًا، المصالح تتقدم على الأعراف والقوانين، فليس هناك مبدأ يُحترم، ولا قانون يُعظّم، ولا عهد يبجل، فماذا صاغوا في هذا القانون؟! بنود المقاطعة أبرموا فيه أنه على أهل مكة بكاملها في علاقتهم مع بني عبد مناف ما يلي: أن لا يناكحوهم -لا يزوّجونهم- ولا يتزوجون منهم، وأن لا يبايعوهم، لا يبيعون لهم ولا يشترون منهم، وأن لا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، وأن لا يقبلوا من بني هاشم وبني المطلب صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسْلموا رسول الله لهم للقتل. هكذا في غاية الوضوح: السبيل الوحيد لفك هذا الحصار هوتسليم الرسول حيًّا ليقتله زعماء الكفر بمكة.

وقد صاغوا قانون العقوبات هذا في صحيفة، ثم علقوها في جوف الكعبة، وقد تقاسموا بآلهتهم على الوفاء بها، وبالفعل بدأ تنفيذ هذا الحصار الرهيب في أول ليلة من ليالي المحرم في السنة السابعة من البعثة، وقد دخل بنوهاشم وبنوالمطلب مؤمنهم وكافرهم إلى شعب أبي طالب وتجمعوا فيه، ومعهم رسول الله؛ وذلك ليكونوا جميعًا حوله كي يحموه من أهل مكة. المعاناة والألم .. وصور الباطل تتكرر ومن حينها تكون قد بدأت مرحلة جديدة من المعاناة والألم، تلك التي عاشها المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية، فقد قُطع الطعام بالكلية عن المحاصرين، لا بيع ولا شراء، حتى الطعام الذي كان يدخل مكة من خارجها وكان يذهب بنوهاشم لشرائه، كان القرشيون يزيدون عليهم في السعر حتى لا يستطيعون شراءه، ومن ثَمَّ يشتريه القرشيون دون بني هاشم. وقد بلغ الجهد بالمحاصرين حتى كان يسمع أصوات النساء والصبيان يصرخون من شدة وألم الجوع، وحتى اضطروا إلى التقوت بأوراق الشجر، بل وإلى أكل الجلود، وقد ظلت هذه العملية وتلك المأساة البشرية طيلة ثلاثة أعوام كاملة، ثلاث سنوات من الظلم والقهر والإبادة الجماعية، وهي وإن كانت صورة جاهلية من اختراع أهل قريش في ذلك الوقت، إلا أنها -وللأسف- تكررت بعد ذلك كثيرًا، وللأسف أيضًا فإنها في كل مرة كانت تتكرر مع المسلمين فقط. المقاطعة والحصار الاقتصادي بين التاريخ والواقع فهي وإن كانت قد حدثت في شعب أبي طالب. ومع هؤلاء المحاصرين فإنا نتفهم حقيقة أن يضحي المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب بأنفسهم وبزوجاتهم وأولادهم؛ وذلك لأنهم بصدد قضية غالية جدًّا، إنهم يصمدون ويضحون من أجل العقيدة، لكن الغريب حقًّا هوكيف يصبر الكافرون من بني هاشم وبني المطلب على هذا الحصار؟! هؤلاء الكفار لا يرجون جنة ولا يخافون نارًا، بل إنهم لا يؤمنون بالبعث أصلاً، ورغم ذلك فقد وقفوا هذه الوقفة الرجولية مع مؤمني بني عبد مناف. وفي تفسير واضح لهذا العمل الرجولي والبطولي فقد كانت الحمية هي الدافع والمحرك الرئيسي له، حمية الجاهلية، ولكنها في النهاية حمية، حمية الكرامة حين يهان رجل من القبيلة، حمية لصلة الدم والقرابة، حمية العهد الذي كانوا قد قطعوه على أنفسهم قبل رسالة محمد على أن يتعاونوا معًا في حرب غيرهم، حميّة واقعية يدفع فيها الرجل بنفسه

وأولاده وهوراضٍ، حمية بالفعل وليست بالخطب والمقالات والشعارات، ويا ليت هذه الحمية تعود، بعد أن ماتت الذمم، وإخواننا يموتون جوعًا!! هشام بن عمرووشاعر الفطرة السليمة مرت الأيام والسنوات عصيبة على المحاصرين، مرت تحمل الآلام والأحزان، حتى جاء شهر المحرم من السنة العاشرة من البعثة، وشاء الله أن تنقضي في هذا الشهر الكريم تلك الصحيفة الظالمة، وأن يُفك الحصار البشع عن بني هاشم وبني عبد المطلب بعد ثلاث سنوات كاملة. وكانت البداية حين شعر أحد المشركين من بني عامر بن لؤي وهوهشام بن عمرو، وهوليس من بني هاشم ولا بني المطلب، شعر هذا الرجل بشيء حاك في صدره، وشعر بشيء من الغصة في حلقه، إذ كيف يأكل ويشرب وهؤلاء المحاصرون لا يأكلون ولا يشربون؟! وكيف ينام أطفاله شبعى وينام أطفال هؤلاء عطشى وجوعي؟! وإزاء هذه المشاعر وتلك الأحاسيس التي تولدت بداخله، ورغم أنه كان كافرًا، فقد بات يحمل الطعام بنفسه سرًّا إلى شعب أبي طالب يقدمه لهم، وعلى هذا الوضع ظل هشام بن عمروفترة من الزمان، لكنه وجد أن هذا ليس كافيًا، وأنه لا بد من عمل أكبر، ولأنه كان وحيدًا، وقبيلته لم تكن بالحجم الذي يخول لها أن تمده وتناصره، فقد عمد إلى أن يجد لنفسه معينًا -ولومن خارج قبيلته- ليساعده على نقض الصحيفة وإلغاء العهد الذي كان قد قطعه زعماء قريش على أنفسهم بقطيعة بني هاشم وبني عبد المطلب. وفي نهاية الأمر فقد اهتدى هشام بن عمروإلى أن يستعين بقبيلة بني مخزوم؛ وذلك لأنها كانت من أكبر القبائل القرشية، كما أنها كانت قد اعتادت أن تعارض قبيلة بني هاشم، وأن تنافسها، فقد رأى أنه إذا قبلت هذه القبيلة بفك الحصار على بني هاشم؛ فإن بقية القبائل -بلا شك- سترضى بفك هذا الحصار أيضًا، وإذا كان هشام بن عمروقد وجد ضالته في قبيلة بني مخزوم، فإنه لم يجدها بعد فيمن يذهب إليه من بني مخزوم، فمَنْ مِنْ بني مخزوم يَقْوَى على أن يقف مع بني هاشم ضد بني مخزوم، ويعارض بذلك أبا جهل نفسه زعيم القبيلة، الذي كان من أشد المتحمسين لأمر القطيعة؟! الأمر وإن كانت غاية في الصعوبة، فقد وجد هشام بن عمروضالته في زهير بن أبي أمية المخزومي، وذلك لأن أمه (أم زهير) من بني هاشم، وهي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، بل إن أم زهير هي أخت أبي طالب نفسه،

أي أنها عمة رسول الله، وبذلك يكون هشام بن عمروقد لعب على وترين حساسين، هما الدوافع الفطرية من جهة، والدوافع العصبية وروابط الدم من جهة أخرى، مما يكون له كبير الأثر في نفس زهير بن أبي أمية المخزومي. هشام بن عمرو.. وجهد لا يعرف اليأس ولا الملل ذهب هشام بن عمروإلى زهير بن أبي أمية المخزومي، وفي محاولة مخلصة لكسب مشاعره واستمالة عواطفه، واستثارة لنزعة الكرامة عنده قال له: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وأخوالك حيث تعلم؟! ثم بعد ذلك يضرب على وتر الحمية والتحدي لأبي جهل فيقول: «أما إني فأحلف بالله أن لوكانوا أخوال أبي الحكم بن هشام (يعني أبا جهل)، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبدًا». وهنا قال زهير: «ويحك! ما أصنع وأنا رجل واحد، أما والله لوكان معي رجل آخر لقمت في نقضها». وعلى الفور كان أن فاجأه هشام بن عمروبأن قال له: «قد وجدت رجلاً»، فقال زهير: «فمن هو؟» قال: «أنا». ولأن الموقف جِدُّ عسير، فقد رد زهير بقوله: «أبغنا رجلاً ثالثًا». لم ييئس هشام بن عمرو، وقد ترك زهيرًا وذهب إلى رجل آخر، ذهب إلى رجل صاحب أخلاق وإن كان كافرًا، ذهب إلى المطعم بن عدي من بني نوفل، وقد ذكّره بأرحام بني المطلب وبني هاشم، ولامه على موافقته للظلم الذي وقع عليهم، وهنا قال له المطعم: «ويحك، ماذا أصنع؟! إنما أنا رجل واحد». قال هشام: «قد وجدت ثانيًا». قال: «من هو؟» قال: «أنا». قال المطعم: «أبغنا ثالثًا». وهنا فَاجَأَهُ أيضًا هشام وقال: «قد فعلت». قال: «ومن هو؟» قال: «زهير بن أبي أمية». ولأن المهمة -ولا شك- صعبة، قال المطعم: «أبغنا رابعًا». لم يدخل اليأس قلب هشام بن عمرو، ومن فوره ذهب يبحث عن رابع حتى وجده في شخص أبي البختري بن هشام، ذهب إليه هشام وقال له مثل ما قال للمطعم. فقال أبوالبختري: «وهل من أحد يعين على هذا؟» قال هشام: «نعم، زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا». وكسابقه رد أبوالبختري أيضًا بقوله: «أبغنا خامسًا». إنه في الحقيقة مجهود ضخم يقوم به هشام بن عمرو، وهوليس بمسلم، وليس من بني هاشم أوبني عبد المطلب، ولكن لشيء كان قد تحرك بداخله، ولمشاعر كانت ما زالت نقية أصيلأسرع هشام بن عمرومن جديد وكله حمية يبحث عن خامس، فذهب إلى زمعة بن الأسود (من بني أسد). فقال له زمعة: «وهل على

هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟» قال: «نعم». ثم ذكر له الأربعة السابقين، فوافق زمعة بن الأسود الأسدي. اجتمع الخمسة رجال، وأخذوا القرار الجريء الذي سيعارضون به أكابر القوم، القرار الذي قد يؤدي إلى انقسام حاد في المجتمع المكي، وقد يؤدي إلى نصرة دين لا يقتنعون به، يفعلون كل ذلك لشيء كان قد تحرك في صدورهم جميعًا، إنه حمية النخوة، النخوة المتمثلة في أن تجد إنسانًا -أي إنسان- مؤمنًا كان أوكافرًا، أن تراه يعذب، أن تراه يظلم، أن تراه يجوع أويعطش، ثم تقول بملء فيك: لا، إنها النخوة التي زرعت في قلوب أناس ما عرفوا الله ، وهي نفسها (النخوة) التي لم نرها من مسلمين كثيرين، ثم لم يتحرّك لهم ساكن. كيف أن هشام بن عمروالكافر ومن معه من الكفار لم يهدأ لهم بال والمسلمون يعذَّبون؟! وكيف أن الكثير من المسلمين اليوم يأكلون وينامون ويتمتعون، وليس في أذهانهم ما يحدث لإخوانهم وأخواتهم في أماكن كثيرة في العالم؟! أين النخوة التي تحركت في قلوب الكافرين الخمسة؟! أين النخوة التي دفعتهم لمعاداة قريش دون مصلحة شخصية محققة! اجتمع الرجال الخمسة واتفقوا على القيام بنقض الصحيفة، وقال زهير: «أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم». ولما كان الصباح ذهبوا إلى المسجد الحرام، ونادى زهير على أهل مكة فاجتمعوا له، فقال: «يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنوهاشم هلكى، لا يباع ولا يبتاع منهم؟! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة». هنا قام له أبوجهل زعيم مكة وزعيم بني مخزوم، قام يرد عليه وكله حماسة وغلظة، فقال: «كذبت، والله لا تشق». فقام زمعة بن الأسود وقال: «أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت». ومن بعده قام أبوالبختري بن هشام فقال: «صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به». ومن بعده أيضًا قام المطعم بن عديّ وقال: «صدقتما وكذب من قال غير ذلك (يقصد أبا جهل)، نحن نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها». وهنا قام الرجل الخامس هشام بن عمرو، الذي جمع كل هؤلاء فقال مثل ما قاله المطعم، وصدّق المطالبين بنقض الصحيفة. وقد حدث كل هذا في دقائق معدودة، ووجد أبوجهل نفسه محاصرًا بآراء خمسة من الرجال، حينها أدرك أن هذا لم يكن قدرًا ولا مصادفة، فقال: «هذا أمر قُضِي بليل». وكانت معيّة الله أصبح الموقف متأزمًا، فإذا كان رقم الخمسة

رجال كبيرًا، فإن على الناحية الأخرى أبا جهل، وهوزعيم مكة، ومعه كثير جدًّا من زعمائها، ومن هنا فقد لاح في الأفق بوادر أزمة ضخمة في مكة، لكن الله أراد أن تنتهي هذه المعضلة ويفك الحصار، فحدث أمر آخر قد تزامن مع هذه الأحداث، فقد أوحى الله إلى نبيه أن الأرضة (دودة الأرض) قد أكلت الصحيفة، ولم تترك فيها إلا ما كان من اسم الله. وبنبأ الأرضة أخبر رسول الله عمه أبا طالب، فما كان منه (أبي طالب) إلا أن أسرع إلى نادي قريش، وهناك رأى الحوار الذي دار بين الرجال الخمسة وبين أبي جهل، ولما انتهوا من حوارهم تدخل أبوطالب في الحديث وقال: «إن ابن أخي قال كيت وكيت، فإن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا». قال زعماء قريش في المسجد الحرام: «قد أنصفت يا أبا طالب». وذهبوا إلى الصحيفة في جوف الكعبة، فإذا هي تمامًا كما ذكر رسول الله ، أُكلت بكاملها إلا ما كان فيها من اسم الله: «باسمك اللهم»، ظلت آية واضحة. هنا لم يعدْ أمام زعماء مكة أي خيار، لم يجدوا بدًّا من نقض الصحيفة وإنهاء المقاطعة بعد ثلاث سنوات كاملة كانت قد مرت من الحصار والتجويع. إسلام هشام بن عمرومن دأب هشام بن عمرومع كونه كافرًا، فإن المرء ليتعجب، فلم يضع الله مجهوده سدى، ولم يُذهب عمله هباء، فقد فك الحصار، وأزيلت الصحيفة، وخرج بنوهاشم وبنوالمطلب من شعب أبي طالب تغمرهم الفرحة، وما ضاع حق وراءه مطالب. وقد أسلم بعد ذلك هشام بن عمرو، أسلم بعد فتح مكة، بعد أكثر من عشر سنين من هذا الحدث، وأسلم أيضًا زهير بن أبي أمية، أما بقية الخمسة فقد ماتوا على الكفر. ولحكمة كان يعلمها فإن الله شاء أن يتأخر هذا الإنقاذ إلى مدة ثلاث سنوات، ولوشاء سبحانه لحدث مثل هذا الاجتماع من الرجال الخمسة أومن غيرهم بعد شهر واحد أوشهرين من بداية الحصار، لكن لا؛ فقد كان هذا التأخير مقصودًا، لقد خرج المؤمنون من هذا الحصار أشد شكيمة وأعمق إيمانًا وأقوى تمسكًا بدينهم وعقيدتهم، لقد وقع الابتلاء والامتحان، ونجح المؤمنون فيه، فإنه لا بد أن يثبت الصادقون صدقهم بالتعرض للبلاء والثبات على الحق، فقد قال الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا

الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧]. لا بد أن يُصهر المؤمنون في نار .

وأما حوار أبي سفيان مع هرقل فهى قصة نوردها من باب الاستدلال على ان رفض بنوامية وعلى رائسهم ابوسفيان للنبى الكريم وللاسلام لم يكن لعدم اقتناع بل كان بسبب الحقد والاستكبار وهذا ما سنشاهدة حينما نرى كيف فهم هرقل ملك الروم مباشرا ان هذا نبى كريم ولكن ابوسفيان وهوالذى يخبرة بالنبى لم يؤمن وصمم على قتال محمد لحقدة على بنى هاشم واستكبارة على ان يؤمن لزعيم منهم وهيا بنا نرى الواقعة :

فقد روى البخاري في الصحيح عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره : أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبوسفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبا فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هوفينا ذونسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل؟ فيه قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هوفاعل فيها قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه، قال ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذونسب فكذلك الرسل تبعث في

نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت: لوكان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت: فلوكان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلوأني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولوكنت عنده لغسلت عن قدمه ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصري فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ قال أبوسفيان، فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام وكان ابن الناظور صاحب إيلياء وهرقل أسقفا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوما خبيث النفس فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناظور وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب

إلى مداين ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هوأم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال ردوهم علي وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل .

هذه هى قصة ابوسفيان واخبارة خبر النبى لهرقل وقد رائينا ان هرقل فقط من اخبار ابوسفيان قد رائ ان هذا شخص عظيم ولكن انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب والان للنتقل الى أولى المواجهات المباشرة بين ابى سفيان ومحمد وهوغزوة بدر :

كانت أسباب معركة بدر فهواعتراض المسلمون قافلة أبي سفيان القادمة من الشام، وكان السبب الذي دفع المسلمون لاعتراض القافلة هواسترجاع أموالهم التي نهبتها منهم قريش قبل وإثناء هجرتهم إلى المدينة، لان اغلب المهاجرين تركوا أموالهم في مكة أوأخذها منهم قريش بالقوة.

وصل الخبر للمسلمين بأن قافلة أبوسفيان بن حرب قدمت من الشام، وتحمل أموال وتجارة لقريش، وقُدّر عدد الرجال بها ما بين ثلاثين إلى أربعين رجلا من قريش، منهم مخرمة بن نوفل، وعمروبن العاص فلما وصل الخبر للنبي ندب المسلمين إليهم، وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله يُنْفِلُكُموها.

فبدأ الناس يستعدون للانطلاق، البعض جهز سلاحا والبعض الأخر لم

يجهز سلاح بل وسيلة نقل من ناقة وخلافه، إذ أنهم لم يعتقدوا باحتمالية قيام الحرب.

وكان أبوسفيان حينما اقترب من الحجاز يتحسس الأخبار ممن كان يلقى من المسافرين والقوافل، تخوفا على أموال قريش من المسلمين. ووصله من بعض المسافرين أن محمد قد استنفر المسلمين للقافلة، فأخذ حذره، واستأجر ضمضم بن عمروالغفاري، فبعثه إلى مكة، ليستنفر قريش للدفاع عن أموالهم، وليخبرهم بأن محمدا قد يهاجم القافلة. فانطلق ضمضم سريعا إلى مكة.

ما أن وصل ضمضم مكة حتى جدع بعيره، وحوّل رحله، وشق قميصه، ووقف فوق بعيره ببطن الوادي وهويصرخ: يا معشر قريش ، اللطيمةَ اللطيمةَ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوثَ الغوثَ.

بدأت قريش بتجهيز سلاحها ورجالها للقتال، وعند بدء التحرك تخوف البعض بسبب الحرب بين قريش وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، إذ اعتقدوا ان يغدر بهم بنوبكر وهم منشغلون بملاقاة المسلمين. فقال سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وهوأحد أشراف بني كنانة: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه.

انطلق المسلمون من المدينة باتجاه مكة، مرورا بنقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على أولات الجيش (وقيل أم اسمها ذات الجيش). ثم مر على تُرْبان، ثم على ملل، ثم غَميس الحمام من مريين، ثم على صخيرات اليمام، ثم على السيالة، ثم على فج الروحاء، إلى أن وصلوا إلى عرق الظبية.

ثم أكمل المسلمون طريقهم فمروا بسجسج، وهي بئر الروحاء، ثم وصلوا المنصرف، هنالك تركوا طريق مكة بيسار، واتجهوا يمينا من خلال النازية باتجاه بدر، إلى أن وصلوا وادي رُحْقان، وهووادٍ بين النازية وبين مضيق الصفراء، ثم وصلوا إلى المضيق، إلى أن اقتربوا من قرية الصفراء.

وصل المشركون إلى بدر، وقام المسلمون بردم أبار بدر بعد أن استولوا عليه وشربوا منه -حتى لا يتمكن المشركون من الشرب منه. وقبل أن تبدأ المعركة، تقدم ثلاثة من رجال قريش وهم: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة ، وولده الوليد يطلبون من يبارزهم من المسلمين . فتقدم ثلاثة من الأنصار، فصرخوا بهم قائلين: « يا محمد، أخرج إلينا نظراءنا من قومنا من بني عمنا» فقدم الرسول عليه الصلاة والسلام عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب . فبارز حمزة شيبة فقتله، وبارز علي الوليد فقتله، وبارز عبيدة عتبة فجرحا بعضهما، فهجم حمزة وعلي على عتبة فقتلاه. واشتدت رحى الحرب وانتهت المعركة بنصر المسلمين وهزيمة المشركين.

وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون فممن قتل: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة والعاص بن سعيد وأبوجهل وأبوالبَخْتَري وحنظلة بن أبي سفيان والحارث ابن عامر وطعيمة بن عدي وَزَمْعة بن الأسود ونوفل بن خويلد والنضر بن الحارث وعُقْبة بن أبي مُعيط والعاص بن هشام خال عُمر وأمية بن خلف وعليُ بن أمية ومنبه بن الحجاج ومعبد بن وهب.

وممن أسر: نوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب وأبوالعاص بن الربيع وعدي بن الحباب وأبوعزيز بن عمير والوليد بن الوليد بن المغيرة وعبد الله بن أبي بن خلف وأبوعزة عمروبن عبد الله الجمحي الشاعر ووهب بن عمير وأبووداعة بن ضبيرة وسهيل بن عمرو.

وكان فداء الأسارى كل رجل منهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف إلا قوما لا مال لهم من عليهم رسول الله ﷺ منهم أبوعزة الجمحي.

وقال ابن جرير الطبري في «تـاريخ الأمم والملوك» عن غزوة بدر:

حدثنا علي بن نصر بن علي، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث -قال علي: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، وقال عبد الوارث: حدثني أبي -قال: حدثنا أبان العطار، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن وعروة، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أما بعد، فإنك كتبت إلى في أبي سفيان ومخرجه، تسألني كيف كان شأنه؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام

في قريب من سبعين راكبـًا من قبائل قريش كلها، كانوا تجاراً بالشام، فأقبلوا جميعـًا معهم أموالهم وتجارتهم، فذكروا لرسول الله ﷺ وأصحابة؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك، فقتلت قتلى، وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخلة، وأسرت أساري من قريش؛ فيهم بعض بني المغيرة، وفيهم ابن كيسان مولاهم، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بني عدي بن كعب، في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ بعثهم مع عبد الله بن جحش، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وأول ما أصاب به بعضهم بعضـًا من الحرب، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشأم.

ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام، فسلكوا طريق الساحل، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الأموال، وبقلة عددهم، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه؛ لا يرونها إلا غنيمة لهم؛ لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها: « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ».

فلما سمع أبوسفيان أن أصحاب رسول الله ﷺ معترضون له، بعث إلى قريش: إن محمدا وأصحابه معترضون لكم، فأجيروا تجارتكم. فلما أتى قريشـًا الخبر – وفي عير أبي سفيان؛ من بطون كعب ابن لؤي كلها – نفر لها أهل مكة؛ وهي نفرة بني كعب بن لؤي، ليس فيها من بني عامر أحدٌ إلا من كان من بني مالك بن حسل؛ ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله ﷺ ولا أصحابه ؛ حتى قدم النبي ﷺ بدراً – وكان طريق ركبان قريش، من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشأم – فخفض أبوسفيان عن بدر ولزم طريق الساحل، وخاف الرصد على بدر وسار النبي ﷺ، حتى عرس قريبـًا من بدر، وبعث النبي ﷺ الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر، وليسوا يحسبون أن قريشـًا خرجت لهم، فبينا النبي ﷺ قائم يصلي؛ إذا ورد بعد روايا قريش ماء بدر وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود؛ فأخذه النفر الذي بعثهم النبي ﷺ مع الزبير إلى الماء، وأفلت بعض أصحاب العبد نحوقريش، فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله ﷺ وهوفي معرسه، فسألوه عن أبي سفيان وأصحابه؛ لا يحسبون إلا أنه معهم، فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها،

وعن رءوسهم، ويصدقهم الخبر، وهوأكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم؛ وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه، والنبي ﷺ يصلي؛ يركع ويسجد ويرى ويسمع ما يصنع بالعبد، فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ضربوه وكذبوه وقالوا: إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه؛ فجعل العبد إذا أذلقوه بالضرب وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه - وليس لهم بهم علم؛ إنما هومن روايا قريش - قال: نعم، هذا أبوسفيان والركب حينئذ أسفل منهم؛ قال الله عز وجل: « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم» - حتى بلغ - « أمراً كان مفعولاً » ، فطفقوا إذا قال لهم العبد: هذه قريش قد أتتكم ضربوه، وإذا قال لهم: هذا أبوسفيان تركوه.

فلما رأى صنيعهم النبي ﷺ انصرف من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم فزعموا أن رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده، إنكم لتضربوه إذا صدق وتتركونه إذا كذب ! قالوا: فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت، قال: فإنه قد صدق؛ قد خرجت قريش تجير ركابها، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش، وقال: لا علم لي بأبي سفيان، فسأله: كم القوم ؟ فقال: لا أدري؛ والله هم كثير عددهم. فزعموا أن النبي ﷺ، قال: من أطعمهم أول من أمس؟ فسمى رجلاً أطعمهم، فقال: كم جزائر نحر لهم ؟ قال: تسع جزائر، قال فمن أطعمهم أمس ؟ فسمى رجلاً، فقال كم نحر لهم؟ قال: عشر جزائر؛ فزعموا أن النبي ﷺ قال: القوم ما بين التسعمائة إلى الألف. فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة.

فانطلق النبي ﷺ فنزل الماء وملأ الحياض، وصف عليها أصحابه، حتى قدم عليه القوم، فلما ورد رسول الله ﷺ بدراً قال: هذه مصارعهم؛ فوجدوا النبي ﷺ قد سبقهم إليه ونزل عليه. فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي ﷺ قال: هذه قريش قد جاءت بجلبتها وفخرها؛ تحادك وتكذب رسولك! اللهم إني أسألك ما وعدتني.

فلما أقبلوا استقبلهم، فحثا في وجوههم التراب؛ فهزمهم الله. وكانوا قبل أن يلقاهم النبي ﷺ قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه: أن ارجعوا -والركب الذين يأمرون قريشاً بالرجعة بالجحفة -فقالوا: والله لا نرجع حتى ننزل بدراً، فنقيم فيه ثلاث ليال، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز؛

فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا. وهم الذين قال الله عز وجل: « الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس «؛ فالتقوا هم والنبي ﷺ، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المسلمين منهم.

ثم قال لهما رسول الله ﷺ: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قال: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبوالبختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث بن كلدة، وزمعة بن الأسود، وأبوجهل ابن هشام، وأمية بن خلف ونبيه، ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمروبن عبد ود. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبده

حدثنا ابن وكيع: قال: حدثنا الثقفي -يعني عبد الوهاب -عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ، قال: وهوفي قبته يوم بدر: اللهم إني أسألك عهدك ووعدك؛ اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم! قال: فأخذ أبوبكر بيده، فقال: حسبك يا نبي الله، فقد ألححت على ربك -وهوفي الدرع -فخرج وهويقول: « سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ».

حدثنا ابن حميد؛ قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد، قال: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمروبن حزم، قال: كان عمروبن أبي سفيان بن حرب -وكان لابنه عقبة بن أبي معيط -أسيراً في يدي رسول الله ﷺ من أسارى بدر، فقيل لأبي سفيان: افد عمراً، قال: أيجمع على دمي ومالي! قتلوا حنظلة وأفدي عمراً! دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم. قال: فبينا هوكذلك محبوسٌ عند رسول الله ﷺ، خرج سعد بن النعمان بن أكال، أخوبني عمروبن عوف، ثم أحد بنى معاوية معتمراً، ومعه مرية له؛ وكان شيخـًا كبيراً مسلمـًا في غنم له بالنقيع؛ فخرج من هنالك معتمراً؛ ولا يخشى الذي صنع به؛ لم يظن أنه يحبس بمكة؛ إنما جاء معتمراً؛ وقد عهد قريشـًا لا تعترض لأحد حاجـًا أومعتمراً إلا بخير؛ فعدا عليه أبوسفيان بن حرب، فحبسه بمكة بابنه عمروبن أبي سفيان، ثم قال أبوسفيان:

أرهط ابن أكالٍ أجيبوا دعـاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عـمـرولـئامٌ أذلـــةٌ لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

قال: فمشى بنوعمروبن عوف إلى رسول الله ﷺ؛ فأخبره خبره، وسألوه أن يعطيهم عمروبن أبي سفيان فيفكوا شيخهم؛ ففعل رسول الله ﷺ، فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلى سبيل سعد.

وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك، قدمهم فضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر واديـًا كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً. قال: فقال له العباس: قطعتك رحمك ! قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم، ثم دخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، ثم خرج عليهم رسول الله، فقال: إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن؛ وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم، قال: « فمن تبعني فإنه منى ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيمٌ «، ومثلك يا أبا بكر، مثل عيسى، قال: « إن تعذبهم فهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم « ومثلك يا عمر مثل نوح، قال: « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً «، ومثلك كمثل موسى، قال: « ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم «. ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم اليوم عالةٌ فلا يفلتن منهم أحدٌ إ لا بفداء أوضرب عنق؛ قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء. فإنى سمعته يذكر الإسلام.

فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء منى في ذلك اليوم؛ حتى قال رسول الله ﷺ: « إلا سهيل بن بيضاء « قال: فأنزل الله عز وجل: « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ... « إلى آخر الآيات الثلاث.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: لما نزلت -يعني هذه الآية: « ما كان لنبي أن يكون له أسرى «، قال رسول الله

ﷺ: لونزل عذابٌ من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ، لقوله: يا نبي الله، كان الإثخان في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال.

قال أبوجعفر: وكان جميع من شهد بدراً من المهاجرين، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ثلاثةً وثمانين رجلاً في قول ابن إسحاق.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه: وجميع من شهد من الأوس معه ومن ضرب له بسهمه واحدٌ وستون رجلاً. وجميع من شهد معه من الخزرج مائة وسبعون رجلاً في قول ابن إسحاق، وجميع من استشهد من المسلمين يومئذ أربعةً عشر رجلاً، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. وكان المشركون -فيما زعم الواقدي -تسعمائة وخمسين مقاتلاً؛ وكانت خيلهم مائة فرس.

وغزوة بدر ستظل تؤرق قريش وكفارهم وبنى امية بالخصوص لان على بن ابى طالب وحمزة بن عبد المطلب قد قتلومن بنى امية فى هذة الغزوة الكثير والكثير ولنرى ما حدث بعد ذلك فى غزوة أحد .

وردت الإشارة إلى غزوة أحدٍ في القرآن الكريم في سورة آل عمران، حيث بدأ الحديث عنها بقول الله تعالى: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)،واستمرّ الحديث عنها لستّين آية بعدها، وقد اقتضت حكمة الله -تعالى- أن تشمل حياة رسول الله -ﷺ- الكثير من الأحداث، والأزمات، والصعوبات، والمشاكل، والانتصارات، والنكسات، لتكون تلك الأحداث العظيمة سبباً للتشريع، ودرساً تستفيد منه الأمة الإسلامية فيما بعد، وفي الحقيقة أنّ معركة أحد كانت نكسةً للمسلمين في عهد رسول الله ﷺ، وقد كان السبب في تلك الهزيمة مخالفة فريقٍ منهم لأوامر النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن على الرغم من تلك النكسة إلا إنّ قريش لم تحقّق مبتغاها، حيث كان الهدف من غزوة أحد استئصال المسلمين وتأمين طريق التجارة إلى الشام.

فبعد هزيمة قريش النكراء في معركة بدر وقتل الكثير من كبرائهم، سعى زعماء اليهود والمشركين جاهدين لإثارة الحميّة الجاهلية في نفوس أهل

مكة للانتقام لقتلاهم من رسول الله -ﷺ- والمسلمين، ولاستعادة هيبتهم ومكانتهم بعد أن تزعزعت في عيون العرب بسبب هزيمتهم في معركة بدر، ومن الأسباب التي جعلت القرشيّين يسارعون لاتخاذ القرار بغزوالمدينة المنورة؛ رغبتهم بتأمين طريق التجارة إلى الشام، وطموحهم باستئصال جماعة المسلمين قبل أن تتعاظم قوّتهم.التحضير للمعركة بعد عودة أبي سفيان سالمًا بالعير إلى مكة، ذهب إليه بعض من قُتل آباؤهم وإخوانهم وأقاربهم في معركة بدر، وطلبوا منه المعونة بتلك الأموال في حرب رسول الله -ﷺ- وغزوالمسلمين للأخذ بالثأر منهم، فوافق على طلبهم، وقد أنفق على جيش المشركين في أحد أربعين أوقية ذهبا، وكل أوقية اثنان وأربعون مثقالا، وقاد بنفسه جيش المشركين وبدأ كفّار قريش بالاستعداد للغزو، وفي السابع من شوال من العام الثالث للهجرة، خرج أبوسفيان بن حرب على رأس جيش تعداده ثلاثة آلاف مقاتل من قريش، وممّن أطاعهم من أهل تهامة وكنانة، وفي الطرف المقابل عقد رسَول الله -ﷺ- مجلسًا لمشاورة الصحابة -رضي الله عنهم- في لقاء العدو، فكان رأي بعضهم الخروج لقتال العدوخارج المدينة المنورة، وكان الرأي الآخر التحصّن والقتال داخل أسوار المدينة، وكان رسول الله -ﷺ- يرى ذلك، ولكن الغالبية كانوا متحمّسين للقتال ويريدون الخروج للقاء الكفار، فأذن النبي -عليه الصلاة والسلام- لأمّته وخرج بألف مقاتل للقاء العدوفي أحد.وفي الطريق غدر رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلوًل بالمسلمين ورجع بثلاثمئة مقاتل، ولما وصل المسلمون إلى موقع أحد، أخذ رسول الله -ﷺ- ينظّم الصفوف، فجعل ظهر الجيش لجبل أحد، ثمّ كلّف فرقةً من الرماة تعدادها خمسون مقاتلاً على رأسهم عبد الله بن جبير -رضي الله عنه- بحماية ظهر الجيش، وأمرهم بعدم ترك مواقعهم مهما كانت النتيجة، حيث قال لهم: (انضحوا الخيل عنَّا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت الدَّائرةُ لنا أوعلينا فالزموا أماكنكم، لا تُؤتينَّ من قبلكم).مجريات المعركة بدأت أحداث المعركة بعد اصطفاف المسلمين والمشركين في أرض أحد، حيث اشتعل القتال حول لواء الكفار، وكان من عادات قريش أن يحمل لواءهم بنوعبد الدار، وكانت الراية في بداية المعركة بيد طلحة بن أبي طلحة العبدري الذي كان أقوى وأعظم فرسان قريش، وكان يُلقّب بكبش الكتيبة،

فخرج على جمل يطلب القتال وهويحمل الراية، فلما رآه المسلمون أحجموا عن قتاله لما له منً الهيبة ورباطة الجأش، فانطلق نحوه الزبير بن العوام -رضي الله عنه- كالسهم، وقفز فوق جمله فأسقطه أرضـًا وبرك فوقه، ثمّ قتله، فلما رأى رسول الله -ﷺ- الزبير بن العوام يقتل كبش الكتيبة قال: (إنَّ لكل نبيٍّ حواريًّا وحواريَّ الزُّبير).التحمت الصفوف وحميَ وطيس المعركة، وأسرع عثمان بن أبي طلحة العبدري شقيق كبش الكتيبة نحولواء المشركين ورفَعه، فانبرى له حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- وقتله، فحمل اللواء أخوهم الثالث أبوسعدة، فأسرع نحوه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- وقضى عليه، ثمّ خرج مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فقُتل، ثمّ خرج كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقُتل، ثمّ الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقُتل أيضـًا، فكانت مأساةً بالنسبة لبيت أبي طلحة العبدري، حيث قُتل منهم ستّة الواحد تلوالآخر أصرّ بنوعبد الدار على رفع الراية على الرغم من كلّ ذلك، فكان كلّما قُتل أحدٌ أخذها الآخر، حتى قُتل عشرةٌ من بني عبد الدار، فخرج مولى حبشي لبني عبد الدار اسمه صواب ورفع الراية، وقاتل قتالاً أشدّ من السابقين جميعـًا، حتى قطعت يده، ثمّ قطعت الأخرى، ثم قُطع رأسه وسقطت راية المشركين ولم تُرفع بعدها، ولما شاهد المسلمون ما حلّ براية الكفار ارتفعت معنوياتهم، وخارت عزائم المشركين، وانتفض أبطال المسلمين ومنهم حمزة بن عبد المطلب، وأبودجانة، ومصعب بن عمير -رضي الله عنهم- جميعـًا، وأخذوا يخترقون صفوف الكفار، ويقتلونهم ذهابـًا وإيابـًا، وما هوإلا وقت قصير حتى بدأ جيش قريشٍ بالهروب، تاركـًا وراءه النساء، حتى قال الزبير بن العوام: «لقد رأيت خدمً هند بنت عتبة وصواحبها مشمّرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير».مخالفة الرماة لأمر النبي ظنّ الرماة أن المشركين لن يعودوا بعد أن عاينوا فرارهم، فنزل عددٌ منهم طلبـًا للغنيمة، وخالفوا أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- بعدم ترك أماكنهم، وعلى الرغم من تذكير أميرهم إلا إنّهم أصرّوا على ترك مواقعهم، وعندها لمح خالد بن الوليد تلك الثغرة، وكان في ذلك الوقت في صفوف المشركين، فالتفّ من خلف الجبل ومعه فرقةً من فرسان قريشٍ، وقتلوا من تبقّى من الرماة على الجبل، وانكشف ظهر جيش المسلمين لخالد فباغتهم من الخلف، فاضطربت صفوفهم، ووقع القتل

فيهم، ورجع جيش المشركين وأحاط بالمسلمين من جميع الاتجاهات، وأخذوا بالانسحاب من أرض المعركة، وانقلب النصر المحقّق إلى نكسةٍ عظيمةٍ.وصل المشركون إلى رسول الله ﷺ، ولكن الصحابة -رضي الله عنهم- استبسلوا بالدفاع عنه حتى قُتل عشرةٌ منهم، وتصدّى طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه- لهم حتى شُلّت يده، ثمّ اجتمع المسلمون حول النبي عليه الصلاة والسلام، وصعدوا به إلى شعبٍ في الجبل، ثمّ غسل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- الدم عن وجه رسول الله -ﷺ- وسكب الماء على رأسه، وسرعان ما حزم الكفار أمتعتهم وتوجّهوا تلقاء مكة مخلّفين وراءهم اثنان وعشرون قتيلاً، أمّا المسلمون فكان عدد قتلاهم سبعون شهيداً

وجاء أبوسفيان ليشمت في المسلمين، وقد عرف أن هناك مجموعة من المسلمين قد هربت في الجبل، فجاء هوومن معه من المشركين ليخاطب رسول الله ﷺ إن كان حيًّا أوليطمئن هل قتل أم لا؟ فنادى أبوسفيان وقال: «أفيكم محمد؟» فأشار النبي ﷺ إلى أصحابه لا تجيبوه لئلا يعرف مكانهم. فقال: «أفيكم ابن أبي قحافة؟» فأشار النبي ﷺ لا تجيبوه، فلم يجبه أحد. فقال: «أفيكم عمر بن الخطاب؟» فهويعرف أهم الشخصيات بين المسلمين، ومن هوالوزير الأول، ومن هوالوزير الثاني، فأشار النبي لا تجيبوه، فسَعِد أبوسفيان وقال: «أما هؤلاء الثلاثة فقد كفيتموهم، ولوكانوا أحياءً لأجابوا».

فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه، وقام فقال: «أيْ عدوالله، إن الذين ذكرت هم أحياء، وقد أبقى الله ما يسوءُك». وكانت نفس أبي سفيان قد مُلئت غيظًا، وأراد أن يغيظ المسلمين فقال: «قد كانت فيكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني». ثم قال: «أُعْلُ هُبَلْ». وسكت الصحابة، فقال النبي: «أَلاَ تُجِيبُونَه؟»

فقالوا: «ما نقول؟»

فقال: «قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ».

فقال الصحابة: «الله أعلى وأجل».

فقال أبوسفيان: «لنا العزى ولا عزَّى لكم».

فقال النبي: «أَلاَ تُجِيبُونَهُ؟» فقالوا: ما نقول يا رسول الله؟ فقال: «قُولُوا: اللهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ».

فقال أبوسفيان: «يوم بيوم بدر، والحرب سجال».

فأجاب عمر: «لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار». وفي روايةٍ أن الذي قال هذا الكلام هوالنبي.

فقال أبوسفيان: «هلُمَّ إليَّ يا عمر». فقال له النبي: «ائْتِهِ، فَانْظُرْ مَا شَأْنُهُ؟»

فقال له أبوسفيان: «أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدًا؟» فقال عمر: «اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن».

ففي هذا الحوار يُظهِر أبوسفيان الرضا بما حدث في الشهداء من تشويهٍ للأجساد، وتقطيعٍ للآذان، وبقرٍ للبطون! وهوما لم تألفه العرب أصلاً في جاهلية ولا في إسلام، وإنما يدل كل ذلك على شهوة إبادة حقيقية، وعلى رغبةٍ أكيدةٍ في الكيد لرسول الله ﷺ وللمسلمين.

وظهرت هذه الشهوة -أيضًا- عندما حضر أبوسفيان وشهد حادثة قتل زيد بن الدثنة رضي الله عنه، في إقرارٍ واضحٍ لمبدأ الغدر في التعامل مع المسلمين

وقد ظهرت هذه الشهوة بصورة أكبر في حصار الأحزاب في العام الخامس من الهجرة، وفي هذا الحصار حرص أبوسفيان -الذي كان على قيادة عشرة آلاف مشرك- والمشركون معه على التخلّص من كلِّ المسلمين بالمدينة المنورة..

لقد كانت جريمة كبرى عندما جمعوا الجموع؛ ليحاصروا المدينة الآمنة، ولِيُرَوِّعُوا الرجال والنساء والأطفال بعد ذلك بسنوات يسيرة

نزل النبي من فوق الجبل ليتفقد الشهداء وكان موقفًا مريعًا؛ فسبعون من أفاضل المسلمين على أرض المعركة، وكان فيهم حمزة بن عبد المطلب، وعمروبن الجموح، وعبد الله بن حرام، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وحنظلة بن أبي عامر، وخيثمة؛ كثيرٍ من المسلمين سقطوا شهداء في يوم أُحُد. ونظر النبي إلى الشهداء وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ، إِنَّهُ مَا

مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي اللهِ إِلاَّ وَيَبْعَثُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ».

وكان بعض الصحابة قد أخذوا بعض الشهداء ليدفنوهم في المدينة، فأمر النبي ﷺ بردهم ليدفنوا في أرض أُحُد، وألا يغسلوا وألا يكفنوا، بل يدفنوا في ثيابهم بعد أن تنزع الدروع والجلود من على أجسادهم، وكان ﷺ يدفن الاثنين والثلاثة في القبر الواحد، ويجمع بين الرجلين أحيانًا في ثوب واحد ويقول: «أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟» فيدفنه أولاً، وقال: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قالها مرة ثانية وقالها مرارًا في ذلك اليوم. وكان إذا علم أن بين اثنين محبة كبيرة دفنهما معًا، فقد دفن عبد الله بن عمروبن حرام مع عمروبن الجموح، رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين.

ولما رأيما فُعِل بحمزة اشتد حزنه، وبكى بكاءً شديدًا، وانتحب حتى نَشَع من البكاء.

ويقول ابن مسعود: «ما رأينا النبي باكيًا قَطُّ أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب».

بل وضعه النبي في القبلة، وصلى عليه مع كل شهيد، رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم.

وكان مصعب بن عمير ممن قتل شهيدًا في هذه المعركة، وكفن في ثياب بسيطة جدًّا، كما يقول عبد الرحمن بن عوف: «قتل مصعب بن عمير وهوخير مني، وكُفِّن في بردة إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غطِّي رجلاه بدا رأسه». وذكروا ذلك للرسول، فقال رسول الله: «غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخَرِ». كان هذا هوالحال مع الشهداء، وكان موقفًا مؤلمًا.

ورغم ما ألم بالمسلمين جمع النبي من معه وقال: «اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِي عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ». ففي كل مواقفه حمدٌ لله، ولا بد أن هناك خيرًا ما وراء هذه المصيبة، فصار المسلمون خلفه صفوفًا، فوقف ﷺ يدعووالمسلمون يؤمِّنون على دعائه:

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلاَ هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبْعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَوْنَ يَوْمَ الْعِيلَةِ وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ. اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ.

اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ. اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ».

دعاء فيه الشكر الدائم للهفي كل الظروف، حتى ولوكان بعد مصيبة أُحُد. هذا الدعاء فيه إعلان أن كل شيء بين يدي الله.

إن الله قادر على منع الهزيمة، لكنه أوقع المصيبة لحكم كثيرة يعلمها، قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦.

هذا الدعاء فيه معنى تعظيم الآخرة، وخاصةً في هذا الموقف؛ ليعلم الصحابة أن الجزاء الأوفى يوم القيامة، وذلك عندما قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ». حتى ولوضاعت كل الدنيا، وأخذنا الجنة فنحن الفائزون.

دعاء فيه وضوح الرؤية، حرب كل من صد عن سبيل الله، يدعواللهأن يمكِّنهم من حرب كل من صد عن سبيله، سواءٌ أكان من المشركين الكفرة أومن كفرة أهل الكتاب الذين قاتلوا المسلمين، فكان دعاءً جامعًا وشاملاً يعبِّر عن فهم دقيق للنبي.

رجع النبي إلى المدينة المنورة واستُقْبل في حزن شديد جدًّا، فكل بيت تقريبًا فيه شهيد، وقابلته في الطريق حَمْنَة بنت جحش رضي الله عنها، ونَعَى

إليها أخاها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له الله، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له الله، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت، فقال: «إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ».

ومرت به امرأة من بني دينار، وهذه المرأة أصيب زوجها وأخوها وأبوها في أُحُد نُعوا إليها جميعًا، فقالت: «ما فعل رسول الله؟» فقالوا: «خيرًا يا أم فلان، هوبحمد الله كما تحبين». قالت: «أرونيه حتى أنظر إليه». فأشاروا إليه، فقالت: «كل مصيبة بعدك جَلَلٌ»، أي صغيرة. فكانت مشاعر الحب للنبي ﷺ كبيرة رغم المصاب الفادح الذي أصيب به الجميع.

والان دعونا نشاهد فرد اخر من عائلة بنى امية وهى: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر زوجة العدوالاول وقائد عائلة بنى امية ضد عائلة بنى هاشم وزعيم المعارضة لالله ورسولة ابوسفيان بن حرب شهدت هند معركة أحد، مع المشركين، وكانت تحرضهم على قتال المسلمين، وهي تقرأ الأبيات التالية

نحن بنـــات طارق نمشي عَلَى النمارق
والمسك فِي المفارق والدر فِي المجانــق
إن تقبلـــوا نعانــق ونفـــرش النمارق
أَوْ تدبـــروا نفـــارق فراق غيـــر وامـــق

وقرأتْ أبياتا بعد المعركة بشأن انتقام أقاربها في معركة بدر؛ فإن أباها عتبة وعمها شيبة، وأخاها الوليد، قتلوا فيها، ومِن هنا كانت هند تدعوقريش بعد معركة بدر للثأر من المسلمين.

أمرت هند في معركة أحد غلامها وحشيا بقتل أحد الثلاثة: محمد،صلى الله عليه وآله وسلم علي،عليه السلام حمزة،عليه السلام فقتل وحشي حمزة، وبقرت هند صدره وبطنه، وأخرجت كبده فمضغتها بأسنانها، ثم ذهبت بأعضاء حمزة التي مثّلت بها إلى مكة

وأنشدت أبياتا في تمثيلها بجسد حمزة:

شفيت من حمزة نفسي بأحد حتى بقرت بطنـــه عـــن الكبد

أذهب عني ذاك ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد

وقد وصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآكلة الأكباد، وذلك عندما لاكت كبد حمزة في معركة أحد، وكان أبناؤها يدعون بأبناء آكلة الأكباد

وبعد أن مثلت هند ومَن معها من النساء المشركات بجثث شهداء معركة أحد غير حنظلة بن أبي عامر؛ لأن أباه كان في جيش المشركين، اتخذت هند من الآذان والأنوف قلائد وأساور.

جعلت هند بنت عتبة النساء معها يجدعن أنوف المسلمين ويبقرن بطونهم ويقطعن الآذان إلا حنظلة؛ فإن أباه كان من المشركين، وبقرت هند عن بطن حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها. ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها:

نحن جزينا كم بيـوم بـدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي مـــن صبر ولا أخي وعمه وبكـــري

وقد وردت قصة هند هذه فى أكثر من ٢٤ مصدر ومرجع نذكر منها هنا على سبيل المثال لا الحصر

ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري - الحديث الثاني : حديث البراء بن عازب في قصة الرماة

الجزء : (٧) - رقم الصفحة : ٣٥٢

- .... قال ابن اسحاق : حدثني : صالح بن كيسان ، قال : خرجت هند والنسوة منها يمثلن بالقتلى ، يجدعن الأذان والأنف ، حتى اتخذت هند من ذلك حزما وقلائد ، وأعطت حزمها وقلائدها أي اللائي كن عليها لوحشي جزاء له على قتل حمزة ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

-مسند الإمام أحمد بن حنبل مسند المكثرين من الصحابة - مسند عبد الله بن مسعود

الجزء : (٧) - رقم الصفحة : ٤١٨ - ٤١٩

- حدثنا : عفان ، حدثنا : حماد ، حدثنا : عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، عن ابن مسعود أن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر إنه ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُوفَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (آل عمران : ١٥٢ ﴾ فلما خالف أصحاب النبي ﷺ وعصوًا ما أمروا به أفرد رسول الله ﷺ في تسعة سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهوعاشرهم ، فلما رهقوه ، قال : رحم الله رجلا ردهم عنا ، قال : فقام رجل من الأنصار فقاتل : ساعة حتى قتل فلما رهقوه أيضا ، قال : يرحم الله رجلا ردهم عنا ، فلم يزل يقول : ذا حتى قتل السبعة ، فقال النبي ﷺ لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا فجاء أبوسفيان ، فقال : إعل هبل ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله أعلي وأجل ، فقالوا : الله أعلي وأجل ، فقال أبوسفيان : لنا عزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله مولانا والكافرون لا مولى لهم ، ثم قال أبوسفيان يوم بيوم بدر يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان وفلان بفلان ، فقال رسول الله ﷺ : لا سواء أما قتلانا فأحياء يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون ، قال أبوسفيان : قد كانت في القوم مثلة وإن كانت لعن غير ملأ منا ما أأمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرني ، قال : فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ أأكلت منه شيئا ،قالوا: لا ، قال : ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة النار ، فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة ، ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ، ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة.

الطبري – ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى

القسم الثاني : في ذكر مناقب القرابة على وجه التفصيل

ذكر بكاء النبي على حمزة وحزنه عليه وثنائه وذكر ما مثل به ومن مثل به وذكر نبذ من أخباره

الجزء : (١) – رقم الصفحة : (١٨٢ / ١٨٣)

وقال ابن جريج : مثل الكفار يوم أحد بقتلى المسلمين كلهم الا حنظلة بن الراهب لأن أبا عمر الراهب كان يومئذ مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك ، وقال : كثير بن زيد ، عن المطلب بن حنطب لما كان يوم أحد جعلت هند بنت عتبة والنساء معها يجدعن أنف المسلمين ويبقرون بطونم ويقطعن الأذان الا حنظلة فإن أباه كان مع المشركين ، وبقرت هند بطن حمزة وأخرجت كبده وجعلت تلوكها ، ثم لفظتها ، وقال النبي ﷺ : لودخلت بطنها لم تدخل النار، قال : ولم يمثل بأحد ما مثل بحمزة قطعت هند يده وجدعت أنفه وقطعت أذنيه وبقرت بطنه ، فلما رأى النبي ﷺ ، قال : لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم فأنزل الله تعالى : وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (النحل : ١٢٦).

قبل ان نذهب إلى واقعة الأحزاب التي تجمعت لإبادة المسلمين كلهم وحصار المدينة فى ما سمى بغزوة الخندق دعونا نرى نماذج أخرى مهمة من بنى أمية من من ناصبوا العدوالعداء وسوف يكون لهم دور كبير بعد ذلك هم ونسلهم فى مسار الإحداث وهوالحكم بن العاص

الحكم بْن أَبِي العاص بْن أمية بن عبد شمس بْن عبد مناف القرشي الأموي، أَبُومروان بْن الحكم يعد في أهل الحجاز، عم عثمان بْن عفان، رضي الله عنه، أسلم يَوْم الفتح.

روى مسلمة بْن علقمة، عن داود بْن أَبِي هند، عن الشعبي، عن قيس بْن حبتر، عن بنت الحكم بْن العاص، أنها قالت للحكم: ما رأيت قومًا كانوا أسوأ رأيًا وأعجز في أمر رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منكم يا بني أمية، فقال: لا

تلومينا يا بنية، إني لا أحدثك إلا ما رأيت بعيني هاتين، قلنا: والله ما نزال نسمع قريشًا تقول: يصلي هذا الصابئ في مسجدنا فتواعدوا له تأخذوه.

فتواعدنا إليه، فلما رأيناه سمعنا صوتًا ظننا أَنَّهُ ما بقي بتهامة جبل إلا تفتت علينا، فما عقلنا حتى قضى صلاته، ورجع إِلَى أهله.

ثم تواعدنا ليلة أخرى. فلما جاء نهضنا إليه فرأيت الصفا والمروة التقتا إحداهما بالأخرى، فحالتا بيننا وبينه، فوالله ما نفعنا ذلك.

قال أَبُوأحمد العسكري: بعضهم يقول: هوالحكم بْن أَبِي العاص، وقيل: إنه رجل آخر، يقال له: الحكم بْن أَبِي الحكم الأموي.

أخبرنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعَمَّرِ الْبَغْدَادِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَأخبرنا أَبُوالْقَاسِمِ هِبَةُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَرِيرِيُّ، أَخبرنا أَبُوإِسْحَاقَ الْبَرْمَكِيُّ، أخبرنا أَبُوبَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلَفِ بْنِ بُخَيْتٍ الدَّقَّاقُ، أخبرنا عَبْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الأَشْعَثِ أَبُوبَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ، أَخبرنا مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ الْعَسْقَلانِيُّ، أخبرنا مُعَاذُ بْنُ خَالِدٍ، أخبرنا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عن صَالِحِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، حَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عن أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَيْلٌ لأُمَّتِي مِمَّا فِي صُلْبِ هَذَا « وهوطريد رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفاه من المدينة إِلَى الطائف، وخرج معه ابنه مروان، وقيل: إن مروان ولد بالطائف، وقد اختلف في السبب الموجب لنفي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياه، فقيل: كان يتسمع سر رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويطلع عليه من باب بيته، وَإنه الذي أراد رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقفأ عينه بمدرى في يده لما اطلع عليه من الباب، وقيل: كان يحكي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مشيته وبعض حركاته، وكان النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكفأ في مشيته، فالتفت يومًا فرأه وهويتخلج في مشيته، فقال: « كن كذلك «، فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ، فذكره عبد الرحمن بْن حسان بْن ثابت في هجائه لعبد الرحمن بْن الحكم فقال:

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجًا مجنونًا

يمسي خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينًا وأما معنى قول عبد الرحمن: إن اللعين أبوك ... فروى عن عائشة رضي الله عنها، من طرق ذكرها ابن أَبِي خيثمة: أنها قالت لمروان بْن الحكم، حين قال لأخيها عبد الرحمن بْن أَبِي بكر، لما امتنع من البيعة ليزيد بْن معاوية بولاية العهد ما قال، والقصة مشهورة: أما أنت يا مروان فأشهد أن رَسُول اللهِ لعن أباك، وأنت في صلبه.

وقد روى في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة، لا حاجة إِلَى ذكرها، إلا أن الأمر المقطوع به أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع حلمه وَإِغضائه عَلَى ما يكره، ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم، ولم يزل منفيًا حياة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما ولي أَبُوبكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده إِلَى المدينة، فقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك عمر، فلما ولي عثمان رضي الله عنهما الخلافة رده، وقال: كنت قد شفعت فيه إِلَى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوعدني برده. وتوفي في خلافة عثمان، رضي الله عنه..

أسد الغابة في معرفة الصحابة – عز الدين ابن الأثير.

واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إياه، فقيل: كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كبار الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين، فكان يفشي ذلك [عنه حتى ظهر ذلك] عليه، وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته إلى أمور غيرها كرهت ذكرها، ذكروا أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كان إذا مشي ينكفأ، وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه، فالتفت النبيّ صلى الله عليه وَسَلَّمَ يوما فرآه يفعل ذلك، فقال صَلَّى الله عليه وسلم: فكذلك فلتكن، فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ، فعيّره عَبْد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوه:

إن اللعين أبوك فـــــارم عظامــه إن ترم تـــرم مخلجًا مجنونًا

يمسي خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا

فأما قول عَبْد الرحمن بن حسان: إن اللعين أبوك فروى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره أنها قالت لمروان، إذ قَالَ في أخيها عَبْد الرحمن ما قَالَ: أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه. وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا قَاسِمٌ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عبد الله بن عمروبن العاص، عن عبد الله بن عمروبن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ لَعِينٌ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَكُنْتُ قَدْ تَرَكْتُ عُمَرًا يَلْبَسُ ثِيَابَهُ لِيُقْبِلَ إلى رسول الله ﷺ، فَلَمْ أَزَلْ مُشْفِقًا أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ، فَدَخَلَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ

الاستيعاب في معرفة الأصحاب – أبوعمر يوسف بن عبد الله ابن عاصم النمري القرطبي.

هذا هوعميد الفرع المروانى من بنى امية التى ستحكم بعد ذلك رقاب المؤمنين لمائه عام وسيفعلون الافاعيل فى بنى هاشم انتقاما وحقدا

ولنرى ما حدث بعد ذلك من ابوسفيان ونشاهد فصل اخر اكثر فظاعة وفجور فى خصومة ابوسفيان للنبى ومحاولة قتلة واستئصال شئفة المسلمين باى طريقة وقتل الالف بدم بارد وبمحاولات مستميتة دعونا نرجع بالتاريخ قليلا فقط لنعلم كيف سيبداء الفصل الجديد من المواجهات بين النبى الكريم وبنى امية

لما رجع أبوسفيان إلى مكة من غزوة بدر نذر ألا يمس رأسَه ماءٌ من جنابة حتى يغزوالمدينة فخرج في مائتي راكب فنزل طرف العريض وبات ليلة واحدة في بني النضير عند سلام بن مشكم فسقاه ونطق له من خبر الناس ثم أصبح في اصحابه وأمر بقطع أصوار من النخل وقتل رجلا من الأنصار وحليفا له ثم كر راجعا ونذر به محمد رسول الله فخرج في طلبه والمسلمين فبلغ قرقرة الكدر وفاته أبوسفيان والمشركون وألقوا شيئا كثيرا من أزوادهم من السويق فسميت غزوة السويق وكانت في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة ثم رجع

إلى المدينة وقد كان استخلف عليها أبا لبابة الأنصاري. وكانوا بنوالنضير وغيرهم من يهود المدينة قد ابرموا عهودا مع النبى علية الصلاة والسلام الا ينصروا اعدائة ولا يساعدوا احدا ضد المسلمين على ان يعيشوا بسلام جنبا الى جنب مع المسلمين فى المدينة وحاكمها الفعلى هوالرسول محمد

إذ خرج الرسولُ في نفر من أصحابه عن طريق قباء إلى ديار بني النضير يستعينهم في دية القتيلين العامريين الهوازنيين، وهما رجلان من بني كلاب لقيا عمروبن أمية الضمري الكناني فقتلهما وهولا يعلم أنهما كانا عند الرسول محمد، وذلك في أول يوم من رجب، فقالت قريش: «قتلهما في الشهر الحرام». فخرج الرسولُ إلى ديار بني النضير يستعينهم في ديتيهما، وذلك تنفيذاً للعهد الذي كان بين النبي محمد وبين بني النضير حول أداء الديات، وإقرارًا لما كان يقوم بين بني النضير وبين بني عامر بن صعصعة من عقود وأحلاف. واستقبل بنوالنضير الرسولَ محمداً بكثير من البشاشة والكياسة، ثم خلا بعضهم إلى بعض يتشاورون في قتله والغدر به، ويبدوأنهم اتفقوا على إلقاء صخرة عليه، من فوق جدار كان يجلس بالقرب منه، ولكن الرسولَ أدرك مقاصد بني النضير، ويؤمن المسلمون أن الخبر جاءه من السماء بما عزم عليه بنوالنضير من شر، فنهض وانطلق بسرعة إلى المدينة، ثم تبعه أصحابه بعد قليل.

وردّاً على ذلك، صمم الرسولُ محمدٌ على محاربة بني النضير الذين نقضوا العهد والمواثيق معه، وأمر أصحابه بالتهيؤ لقتالهم والسير إليهم، وأنذر بني النضير بالجلاء خلال عشرة أيام، وأرسل محمداً بن مسلمة إليهم، وقال له: «اذهب إلى يهود بني النضير، وقل لهم: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي؛ لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم مما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشرًا، فمن رُئي بعد منكم ضربت عنقه»، ولم يجدوا جوابًا يردون به سوى أن قالوا لمحمد بن مسلمة: «يا محمد، ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس»، فقال محمد: «تغيرت القلوب، ومحا الإسلام العهود»، فقالوا: «نتحمل»، فمكثوا أياماً يعدون العدة للرحيل.

وفي تلك المدة أرسل إليهم عبد الله بن أبي بن سلول مَن يقول لهم: «اثبتوا

وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم،ولا تخرجوا فإن معي من العرب وممن انضوى إلى قومي ألفين، فأقيموا، فهم يدخلون معكم حصونكم، ويموتون عن آخرهم قبل أن يصلوا إليكم»، فعادت لليهود بعضُ ثقتهم، وتشجَّعَ كبيرُهم حيي بن أخطب وأرسل جدي بن أخطب إلى الرسولِ محمدٍ يقول له: «إنا لن نريم -أي لن نبرح- دارنا فاصنع ما بدا لك»، فكبَّر الرسولُ وكبَّر المسلمون معه، وقال: «حاربت يهود».

وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم، فتحركت جيوش المسلمين صوبهم، واستعمل النبي محمد على المدينة ابن أم مكتوم وسار إليهم، وعلي بن أبي طالب يحمل اللواء، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار. وضُرب عليهم الحصارُ لمدة خمس عشرة ليلة. والتجأ بنوالنضير إلى حصونهم، فأقاموا عليها يرمون بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عونـًا لهم في ذلك، فأمر الرسولُ بقطعها وتحريقها، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت: حريقٌ بالبويرة مستطيرُوهان على سراة بني لؤي

وأدرك بنوالنضير أن لا مفر من جلائهم، ودب اليأسُ والرعبُ في قلوبهم، وخاصة بعد أن أخلف عبد الله بن أبي بن سلول وعده بنصرهم، وعجز إخوانهم أن يسوقوا إليهم خيرًا أويدفعوا عنهم شرًا، فأرسلوا إلى الرسولِ محمد يلتمسون منه أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم، فوافقهم الرسولُ محمد على ذلك وقال لهم: «اخرجوا منها، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة»، والحلقة هي الدروع والسلاح، فرضوا بذلك.

ونقض اليهودُ سُقُفَ بيوتهم وعُمْدَها وجدرانَها لكي لا ينتفع منها المسلمون، وحملوا معهم كميات كبيرة من الذهب والفضة، حتى أن سلام بن أبي الحقيق وحده حمل جلد ثور مملوءًا ذهبًا وفضة، وكان يقول: «هذا الذي أعددناه لرفع الأرض وخفضها، وإن كنا تركنا نخلاً ففي خيبر النخل». وحملوا أمتعتهم على ستمئة بعير، وخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن من خلفهم، حتى لا يشمت بهم المسلمون، فقصد بعضهم خيبر وسار آخرون إلى أذرعات الشام. وأسلم منهم رجلان فقط: يامين بن عمرووأبوسعد بن

وهب، فأحرزا أموالهما.

وقد تولى عملية إخراجهم من المدينة محمد بن مسلمة بأمر من الرسولِ محمدٍ. وكان من أشرافهم الذين ساروا إلى خيبر: سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فلما نزلوها دان لهم أهلها.

ونزلت في غزوة بني النضير سورة الحشر بأكملها، فوصفت طرد اليهود، وفضحت مسلك المنافقين، وبينت أحكام الفيء، وأثنت على المهاجرين والأنصار، وبينت جواز القطع والحرق في أرض العدو للمصالح الحربية، وأن ذلك ليس من الفساد في الأرض، وأوصت المؤمنين بالتزام التقوى والاستعداد للآخرة، ثم خُتمت بالثناء على الله تعالى وبيان أسمائه وصفاته. وكان ابن عباس يقول عن سورة الحشر: «قل: سورة النضير»

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

بعد أن خرج يهود بني النضير من المدينة إلى خيبر، خرجوا وهم يحملون معهم أحقادهم على المسلمين، فما أن استقروا بخيبر حتى أخذوا يرسمون الخطط للانتقام من المسلمين، فاتفقت كلمتهم على التوجه إلى القبائل العربية المختلفة لتحريضها على حرب المسلمين، وكونوا لهذا الغرض وفدًا يتكون من: سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس، وأبي عمار.

وخرج الوفد الذي يتكون من عشرين رجلاً من زعماء اليهود وسادات

بني النضير إلى قريش بمكة، وبالطبع ذهبوا الى زعيم قريش ابوسفيان وجعلوا يحرضونهم على غزوالرسول محمدٍ، ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش التي قد أخلفت وعدها في الخروج إلى بدر، فرأت في ذلك إنقاذ سمعتها والبر بكلمتها. ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشـًا، فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك، فاستجاب له من استجاب، وهكذا نجح سادة اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب المشركين على الرسول محمدٍ ودعوته والمسلمين. وهكذا لما نزل أشراف بني النضير في خيبر يفكرون في الثأر من الأنصار وجعلوا يفكرون في الوسائل التي توصلهم إلى آطامهم وتردهم إلى مزارعهم في منطقة يثرب فعزم نفر من اليهود فيهم سلام بن أبي الحقيق وحييّ بن أخطب وكنانة بن الربيع أن يحزبوا الأحزاب على المسلمين. دعت اليهود قريشا لمحاربة النبي وقالوا لهم سنكون معكم حتى نستأصله ارتابوا في أمرهم لأن دين اليهود قريب في جوهره من الإسلام وبعيد عن عبادة الأصنام كل البعد وقريش عباد أصنام، ولذلك قالوا لهم: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟.

قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه، فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا واستعدوا للحرب، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غَطَفان ودعوهم إلى مشاركتهم في الحرب وذكروا لهم استعداد قريش فأجابوهم.

إن اليهود أجابوا قريشا بأن دين قريش (الوثني) خير من دين محمد مخالفين بذلك دينهم الداعي إلى عبادة الله الواحد توصلا إلى غرضهم وهومحاربة المسلمين وطردهم من المدينة وإعادة إخوانهم إلى ديارهم وكان خيرا لهم أن يعيشوا مع المسلمين في وفاق ويكفوا عن الدسائس والفتن والانضمام إلى الأعداء وقد وافقت قريش بزعامة ابوسفيان بن حرب على غزوالمدينة لأنها شعرت بمرارة الحصار الاقتصادي الذي ضربه عليها المسلمون، ووافقت غطفان طمعًا في خيرات المدينة وفي السلب والنهب. وقد قال وفد اليهود لمشركين مكة: «إن دينكم خيرٌ من دين محمد، وأنتم أولى بالحق

منه»، وفي ذلك نزلت الآيات: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾[آل عمران : ٢٦] .

وقد أبرم الوفد اليهودي مع زعماء أعراب غطفان اتفاقيةً ضد المسلمين، وكان أهم بنود هذا الاتفاق هو:أن تكون قوة غطفان في جيش الاتحاد هذا: ستة آلاف مقاتل.وأن يدفع اليهود لقبائل غطفان (مقابل ذلك) كل تمر خيبر لسنة واحدة.

كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة (فبراير سنة ٦٢٧ م) باتفاق المؤرخين لكن ابن خلدون يقول في تاريخه (والصحيح أنها في الرابعة ويقويه ابن عمر يقول: ردني رسول الله يوم أُحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فليس بينهما إلا سنة واحدة وهوالصحيح فهي قبل دومة الجندل بلا شك).

وفعلاً، خرجت من الجنوب قريش من كنانة في أربعة آلاف يقودهم أبوسفيان صخر بن حرب حتى نزلوا وادي العقيق، ووافاهم بنوسليم بمر الظهران وهم سبعمئة يقودهم سفيان بن عبد شمس، وخرجت من الشرق بنوأسد يقودهم طليحة بن خويلد، وقبائل غطفان:

بنوفزارة، يقودهم عيينة بن حصن، وبنومرة وهم أربعمئة يقودهم الحارث بن عوف، وبنوأشجع وهم أربعمئة يقودهم مسعر بن رخيلة، ونزلت غطفان بجانب أحد. ثم اتجهت هذه الأحزاب، وتحركت نحوالمدينة على ميعاد كانت قد تعاقدت عليه. وبعد أيام، تجمَّعَ حول المدينة جيش يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، أربعة آلاف من قريش وأحلافها كنانة، وستة آلاف من غطفان وأحلافها بني أسد وسليم.

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: «هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله»، فنزلت هذه الآية من سورة الأحزاب: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ

الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾

فلما سمع رسول الله بتحزبهم وخروجهم لمحاربته أمر بحفر الخندق حول المدينة في الجهات التي لم تكن حصينة لتعوق العدوالمهاجم، والذي أشار عليه بحفره سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقد كان الفرس يحفرون الخنادق للدفاع في الحرب، قال سلمان: يا رسول الله كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وعلى كل حال فإن كلمة خندق فارسية الأصل.

وأما المنافقون فقد انسحبوا من الجيش، وزاد خوفُهم، حتى قال معتب بن قشير الضبيعي الأوسي: «كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط»، وطلب البعضُ الآخرُ الإذنَ لهم بالرجوع إلى بيوتهم بحجة أنها عورة، فقد كان موقفهم يتسم بالجبن والإرجاف وتخذيل المؤمنين، وقد صور القرآنُ حالَ المنافقين في هذه الآيات: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾

اشتغل رسول الله بحفر الخندق بنفسه ليقتدي به المسلمون، وليشجعهم على العمل فاشتغل المسلمون معه، أما المنافقون فكانوا يتوانون وينصرفون

بدون إذن رسول الله ويستثقلون العمل ويثبطون العزائم وتباطأ رجال من المنافقين وصار الواحد منهم ينصرف إلى أهله من غير استئذان.

خط رسول الله الخندق ثم قطعه أربعين ذراعا بين كل عشرة فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقالت الأنصار: سلمان منا، وقالت المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله «سلمان منا أهل البيت».

بينما جماعة من المسلمين يعملون في حفر الخندق في الجزء المخصص لهم ومعهم سلمان الفارسي إذ ظهرت صخرة بيضاء مَرْوَة فكسرت حديد معاولهم وشقت عليهم، فقالوا: يا سلمان ارق إلى رسول الله فأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمر فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه، فرقي سلمان حتى أتى رسول الله وهوضارب عليه قبة تركية فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا، خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما نحيكُ فيها قليلا ولا كثيرا، فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله مع سلمان في الخندق وأخذ المعول من سلمان رضي الله عنه فقال: «باسم الله» ثم ضربها فنثر ثلثها وخرج منها نور أضاء ما بين لابتيها يعني لابتي المدينة، فقال: «الله أكبر أعطيتُ مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة من مكاني»، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها، فقال: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن فابشروا بالنصر»، فسُرَّ المسلمون، ثم ضرب الثالثة وقال: «باسم الله» فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليَمَن فأضاء ما بين لابتي المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم، فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة».

كان أهل الخندق ثلاثة آلاف، ولما فرغ رسول الله من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وأقبلت غَطَفَان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمَى بجانب أُحد.

زادت جيوش الأحزاب في تشديد الحصار على المسلمين بعد انضمام بني قريظة إليها، واشتد الكرب على المسلمين، وتأزم الموقف، وقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتدهور التي أصابت المسلمين، ووصف ما وصل إليه المسلمون من جزع وخوف وفزع في تلك المحنة الرهيبة، وذلك في هذه الآيات: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ . وكان ظن المسلمين بالله قويًا، وفي ذلك نزلت هذه الآيات: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾

كان كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة قد وادع النبي على قومه وعاقده على ذلك فذهب إليه حُيَيّ بن أخطب النضري وهو أحد الذين حزبوا الأحزاب فلما سمع كعب حُيَيّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فألح عليه ابن أخطب ففتح له وما زال يستميله ويغريه حتى نقض كعب عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله وصار هو وقومه وبنو قريظة مع الأحزاب على رسول الله وعلم بذلك رسول الله وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف.

اشتد الخوف من تحزب الأحزاب ولا سيما بعد أن نقض بنو قريظة العهد وانضموا إلى الأعداء وظن المؤمنون كل الظن وانتهز المنافقون هذه الفرصة لتثبيط العزائم وهمّ بالفشل بنو حارثة وبنو سلمة معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة ثم ثبتهم الله ودام الحصار على المسلمين قريبا من شهر ولم يكن بينهم غير الرمي بالنبال، وكان لدى المسلمين من المؤونة ما يكفيهم أكثر من عام.

خرجت فوارس من قريش على خيلهم بعد أن تهيأوا للقتال حتى وقفوا خارج الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم يمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم السبخة بين الخندق وسلع وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر من المسلمين

حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموها وخرج عمروبن عبد ود وطلب المبارزة وكان عمره تسعين سنة البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨/ ٤٣١)، وفي «الخلافيات» (٥/ ٢٣٣) : عن ابنِ إسحاقَ قال : خَرَجَ - يَعنِي يَومَ الخَندَقِ - عمرُوبنُ عبدِ وُدٍّ فنادَى : مَن يُبارِزُ ؟ فقامَ عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهومُقَنَّع فى الحَديدِ فقالَ : أنا لَها يا نَبِيَّ اللهِ. فقالَ: إنَّه عمرٌو، اجلِسْ .

ونادَى عمرٌو: ألا رَجُلٌ . وهويُؤَنبُهُم ويَقولُ : أينَ جَنَّتُكُمُ التى تَزعُمونَ أنَّه مَن قُتِلَ مِنكُم دَخَلَها ؟ أفَلا يَبرُزُ إلَيَّ رَجُل ؟

فقامَ عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقالَ : أنا يا رسولَ اللهِ . فقالَ : اجلِسْ .

ثُمَّ نادَى الثَّالِثَةَ وذَكَرَ شِعرًا، فقامَ عليٌّ فقالَ : يا رسولَ اللهِ أنا . فقالَ : إنَّه عمرٌو ، قال : وإن كان عَمرًا.

فأَذِنَ له رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فمَشَى إلَيه حَتَّى أتاه وذَكَرَ شِعرًا ، فقالَ له عمرٌو: مَن أنتَ؟

قال: أنا عليٌّ .

قال : ابنُ عبدِ مَنافٍ ؟

فقالَ : أنا عليُّ بنُ أبى طالِبٍ.

فقالَ : غَيرُكُ يا ابنَ أخِى مِن أعمامِكَ مَن هوأسَنُّ مِنكَ ، فإنِّى أكرَهُ أن أُهَريقَ دَمَكَ .

فقالَ عليٌّ - رضي الله عنه - : لَكِنَى واللهِ ما أكرَهُ أن أُهَريقَ دَمَكَ .

فغَضِبَ فنَزَلَ وسَلَّ سَيفَه كأنَهّ شُعلَةُ نارٍ ، ثُمَّ أقبَلَ نَحوَ عليٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مُغضبًا ، واستَقبَلَه عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بدَرَقَتِه ، فضَرَبَه عمرٌوفي الدَّرَقَةِ فقَدَّها ، وأَثبَتَ فيها السَّيفَ وأَصابَ رأسَه بشَجَّةٍ ، وضَرَبَه عليٌّ على حَبلِ العاتِقِ فسَقَطَ ، وثارَ العَجَاجُ ، وسَمِعَ رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - التَّكبيرَ، فعَرَفَ أن عَليًّا قَد قَتَلَه» .

وقد روى الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٣) رواية موصولة ، فيها : أن عليًّا

رضي الله عنه قتل عمروبن ود في غزوة الخندق ، وذلك من حديث مقسم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: « قُتِلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَطَلَبُوا أَنْ يُوَارُوهُ ، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَعْطَوْهُ الدِّيَةَ ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ عَمْرِوبْنِ عَبْدِ وُدٍّ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مُبَارَزَةً».

قال الحاكم : هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وَلَهُ شَاهِدٌ عَجِيبٌ .

وذكر ابن إسحاق أن المشركين بعثوا إلى رسول الله يشترون جيفة عمروبعشرة آلاف، فقال رسول الله: «هولكم ولا نأكل ثمن الموتى»، وخرجت خيله منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرورجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة، ومن بني مخزوم نوفل بن عبد الله بن المغيرة وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال: يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه عليّ فقتله، ومن الذين كانوا يناوشون المسلمين خالد بن الوليد وعمروبن العاص وذلك قبل إسلامهما.

ورُمِي سعد بن معاذ يومئذ بسهم رماه رجل يقال له ابن العَرِقة العامري فقال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال سعد: عرّق الله وجهك في النار فأصاب الأكحل منه فقطعه، فقال سعد: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني في (بني قريظة) وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية، ونقل سعد وهومجروح إلى خيمة رُفيدة وقد كانت امرأة تداوي الجرحى في المسجد.

وكانت صفية بنت عبد المطلب في فارع – حصن حسَّان بن ثابت – قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمرّ بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنوقريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله وليس بيننا وبينهم أحد يدافع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت، قالت: فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه فانزل إليه فاقتله، فقال:

يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت، فلما قال ذلك لي ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب، فكانت صفية أشجع من حسان.

استمر القتال في يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق إلى الليل ولم يصلّ ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون: ما صلينا، فيقول رسول الله «ولا أنا»، فلما انكشف القتال وجاء إلى قبته أمر بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى، ثم أقام لكل صلاة وصلى هووأصحابه.

وجاء في رواية جابر رضي الله عنه أنه أذن وأقام لكل صلاة، وجمع النووي بأنهما قضيتان جرتا في أيام الخندق فإنها كانت خمسة عشر يوما، وفي رواية: أن التي فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على أنه وقع في بعض تلك الأيام وجاء في بعض الروايات: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا».

جاء نُعيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف بن ثعلبة إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال له رسول الله «إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة»، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره فليسوا كهيئتكم إن رأوا نُهْزَة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن

يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه، فقالوا: لقد أشرت برأي ونصح، ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يا معشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمدا وقد بلغني أمر رأيت حقا عليّ أن أبلغكموه نصحا فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل ذلك، قال: فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعث إليكم يهود يلتسمون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليَّ ولا أراكم تتهمونني، قالوا: صدقت، قال: فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس، وكان ما صنع الله عز وجل لرسوله أرسل أبوسفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفرٍ من قريش وغطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت وهويوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنوقريظة قالت قريش وغطفان: تعلمون والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن أنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنوقريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها وإن كانوا غير ذلك تشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا، فأبوا عليهم وخَذل الله بينهم، وبذلك نجحت الخدعة.

وفي «طبقات ابن سعد»: حُصر رسول الله وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خلص إلى كل امرىء منهم الكرب فأراد رسول الله أن يعالج غطفان على أن يعطيهم ثلث الثمر ويخذلوا بين الناس وينصرفوا عنه فأبت ذلك الأنصار فترك ما كان من ذلك، وقد تبيَّن لنا أن نعيم بن مسعود قد قام بذلك خير قيام.

نجح نعيم بن مسعود في خدعته وأوقع الفشل بين بني قريظة وقريش، ثم جاءتهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم وأصيبوا بالبرد وماتت مواشيهم، فلما انتهى إلى رسول الله ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا، وكان حذيفة صاحب سر رسول الله في المنافقين لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله قال حذيفة: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناءً، قال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحا وَجُنُودا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرا﴾ (الأحزاب: ٩).

قام أبوسفيان بن حرب فقال: «يا معشر قريش لينظر امرؤ جليسه»، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبوسفيان: «يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنوقريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل» ثم قام إلى جمله وهومعقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهوقائم.

هذه خطبة أبي سفيان في الجيش، وكان قائدهم ولا بقاء للجند بعد رجوع القائد ونصيحته لهم بالعودة، ولا شك أنهم سئموا الإقامة ولم يروا فائدة من الانتظار أكثر مما انتظروا، وقد ساءت حالهم بسبب اشتداد البرد وهبوب الريح وعدم رغبة بني قريظة في القتال، وقد كانوا يؤملون دخول المدينة، فكان الخندق عقبة في سبيلهم بالرغم من كثرة عددهم، ولما سمعت غطفان بما فعلت قريش تشمروا راجعين إلى بلادهم تاركين ما استثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون، وانصرف المسلمون عن الخندق ورجعوا إلى المدينة

ووضعوا السلاح بعد أن حاصرهم المشركون خمسة عشر يوما، وانصرف من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة.

قال بعد انصراف الأحزاب: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا»، وقد كان كما أخبر وكانت هذه الغزوة آخر محاولة من جانب أشراف مكة للقضاء على الدين الجديد ألا وهوالإسلام.

ولما أيس أبوسفيان من غزوالمدينة، وقرر الرحيل، كتب كتابا إلى الرسول ﷺ يتوعده فيه قائلاً : «باسمك اللهم فإنى أحلف باللات والعزى.. لقد سرت إليك في جمع، وأنا أريد ألا أعود إليك أبدا حتى أستأصلكم.. فرأيتك قد كرهت لقاءنا، واعتصمت بالخندق، ولك مني يوم كيوم أحد، تبقر فيه النساء».

وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي، فقرأه على النبي ﷺ أبي بن كعب، وكتب رسول الله ﷺ :» أما بعد، فقد أتاني كتابك، وقديما غرّك بالله الغرور، وأما ما ذكرت من أنك سرت إلينا في جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل، حتى أذكرك ذلك يا سفيه بني غالب».

وألان لنقف وقفة تأملية فى ما حدث ،، عائلة يملاها الحقد والغل والطموح للأخذ بالثائر بالإضافة إلى الدموية الفظيعة التي تصل إلى التمثيل بالجثث وعمل حلى من أعضاء القتلى وها هوأبوسفيان زعيم الكفر وها هي اختة حمالة الحطب وها هى زوجته أكلة الأكباد انها حقا عائلة تستحق لقب الشجرة الملعونة

وفى الطرف الأخر اخذ محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم يتسيد ويتزعم مثل اجبائة واجدادة ويؤسس دولة ويكون رئيسها

ونصل الان الى صلح الحديبية وسبب التسمية عُقِد هذا الصُّلح في منطقة الحديبية في ذي القعدة من العام السادس للهجرة بين المسلمين، ومُشرِكي قريش مدّة عشر سنوات، وقد اختلف العلماء في تسمية حادثة الحديبية، حيث إنّ بعضهم سمّاه بالصلح وهم العلماء الذين اهتموا بتدوين السيرة النبوية،

وسمّاها بعض المحققين من أهل العلم بقصة الحديبية، وأمر الحديبية، وغزوة الحديبية، واستند كلّ فريق منهم لمُرجح توصل إليه، وكان سبب تسمية الحديبية بهذا الاسم هوالموقع الذي تمّ فيه الصلح، كما ذكر البخاري في صحيحه: (وسار النبيُّ -ﷺ- حتى إذا كان بالثَّنِيَّةِ التي يَهْبِطُ عليهم منها، برَكَتْ به راحلتُه، فقال الناس: حلْ حلْ، فألَحَّتْ، فقالوا خَلَأَتِ القَصْواءُ، خلَأَتِ القصواءُ، فقال النبيُّ ﷺ: ما خلَأَتِ القصواءُ، وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبَسَها حابسُ الفيل، ثمّ قال: والذي نفسي بيدِه، لا يَسْأَلُونَنِي خطةً يُعَظِّمون فيها حرماتِ اللهِ إلّا أَعْطَيْتُهم إيَّاها، ثمّ زجَرَها فوثَبَتْ، قال: فعَدَلَ عنهم حتى نزَلَ بأقصى الحديبيةِ على ثَمَدٍ قليلِ الماءِ، يَتبَرَّضُه الناسُ تَبَرُّضًا، فلم يَلْبَثْه الناسُ حتى نَزَحُوه). سبب حادثة صَلح الحديبية رأى رسول الله -ﷺ- في منامه أنّه دخل إلى مكة مع أصحابه، فبشّرهم بذلك، وفرحوا فرحًا شديداً، وخرجوا مع النبيّ وقد أحرموا للعمرة؛ كي تعلم قريش أنّهم لا ينوون دخول مكّة بهدف القتال، بل لعبادة الله -عزّ وجلّ- بزيارة بيته الحرام؛ فخرجوا جميعًا بلا سيوف، ولا سلاح، وعندما علمت قريش بنيّة دخول المسلمين إلى مكّة، حاولوا أن يصدّوهم، ويمنعوهم من دخول مكّة بالسلاح، والقوة، إلّا أنّ رسول الله -ﷺ- عدلَ عن طريق مواجهتهم؛ حَقنًا للدماء، وتَركًا للقتال، وليُثبتَ لهم أنّه لم يأتِ لحربهم، فأعلن السلم والتفاوض معهم، وإلّا لقاتلهم لومنعوه، وصدّوه بالقوة، فكان صُلح الحديبية، وبيان ذلك بشيء من التفصيل في ما يأتي: خروج النبيّ إلى عمرة الحديبية خرج النبيّ -ﷺ- إلى العمرة في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وخرجت معه زوجته أم سلمة -رضي الله عنها-، وقد كان عدد الخارجين معه ألفًا وأربعمئة، وقِيل ألفًا وخمسمئة، وولّى -عليه السلام- على المدينة ابن أمّ مكتوم -رضي الله عنه-، وقِيل نميلة الليثيّ. مفاوضات قريش والنبيّ انطلق المسلمون إلى مكّة المُكرَّمة، وعندما وصلوا إلى ذي الحليفة، أحرموا للعمرة، وفي أثناء ذلك كانت قريش قد سمعت بالخبر، فتجهّزت، وأعدّت لهم؛ لصَدّهم عن دخولها، وعلم المسلمون عند اقترابهم من مكّة بأنّ قريش أدركت الخبر، فأخذ -عليه الصلاة والسلام- طريقًا آخر غير الطريق الرئيسيّ المؤدّي إلى مكّة، وفي أثناء ذلك امتنعت راحلته -عليه السلام- عن السير، فقال الناس: «حل حل»، فألحت*،

فقالوا: «خلأت* القصواء، خلأت القصواء»، فقال النبيّ -ﷺ-: (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياه)، ثم جاء بديل بن ورقاء الخزاعي ليخبر رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أنّه إذا أراد الدخول، فإنّ قريش ستقاتله، وتصدّه عن البيت، فأجابه -عليه السلام-: (إنَّا لم نجِئْ لقتالِ أحدٍ ولكنَّا جِئْنا مُعتمرينَ)، وعلى الرغم من أنّ قريش استمرَّت بإرسال الرُّسل؛ لمحاولة إقناعه -عليه السلام- بالرجوع، إلّا أنّه ظلّ يجيبهم بما أجاب به بديل الخزاعي. عندما رأى الرسول -عليه السلام- هذا الإصرار من قريش، أراد أن يرسل سفيراً إليها، مُؤكِّداً لهم هدفه من دخول مكّة المُكرَّمة، فأرسل خراش بن أمية، وهمّت قريش بقتله، إلّا أنّ الأحابيش* منعتهم من ذلك، فعاد إلى الرسول -عليه السلام- الذي أشار على عمر بن الخطاب بالذهاب إلى قريش، ولكنَّ عمر طلب من الرسول أن يُرسل عثمان بن عفان؛ لأنّه ليس لديه في مكّة أحد من بني كعب ليحتمي به إن أصابه أذىً من قريش، أمّا عثمان فلديه عشيرته التي يحتمي بها في مكّة، فأرسل الرسول -عليه السلام- عثمان ليخبرهم أنّهم لم يأتوا للقتال، وإنّما لأداء مناسك العمرة، ودعوتهم إلى الإسلام، وليخبر المؤمنين الذين في مكّة بإظهار دينهم؛ فقد جاء وقت الفَتح، فانطلق عثمان -رضي الله عنه- إلى مكّة، وكان قد مرَّ بقوم من قريش، فأخبرهم بحاجته، فصحبه أبان بن سعيد إلى زعماء قريش، وأوصل إليهم رسالة الرسول -عليه السلام-، وعندما انتهى عرضوا عليه أن يطوف حول الكعبة، إلّا أنّه رفض، واحتجزته قريش فترة طويلة، فشاع بين المسلمين أنّ عثمان قد قُتِل. بيعة الرضوان عندما بلغ رسول الله -عليه الصلاة والسلام-أنّ عثمان قد قُتِل، دعا القوم إلى البَيعة، فبايعَه الصحابة تحت الشجرة، فكانت بيعة الرضوان، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه البيعة لم يتخلّف عنها أحد إلّا الجد بن قيس، ثمّ وصل إلى الرسول -عليه السلام- أنّ خبر مقتل عثمان غير صحيح. وبعد أن تمّت بيعة الرضوان، وقبل أن يعود عثمان، أخبر المسلمون النبيّ -عليه السلام- أنّ عثمان ربّما طاف في الكعبة، إلّا أنّ الرسول أصرَّ على أنّه لم يَطف بالبيت، مؤكِّداً على ضرورة إحسان الظنّ، وبعد أن عاد عثمان -رضي الله عنه-، أخبره القوم أنّه قد بلغ مُرادَه، وطاف حول البيت، ظانّين أنّه فعل ذلك دون أن يطوفوا معه، فأخبرهم عثمان -رضي

الله عنه- مُعاتبـًا أنّه لا يطوف أبداً قبل أن يطوف رسول الله -ﷺ-، فأجابه المسلمون مُؤكِّدين حُسن ظنّ الرسول فيه. وقد سُمِّيت بيعة الرضوان بهذا الاسم؛ لأنّ الله -سبحانه وتعالى- ذكرها في مُحكَم كتابه الكريم، وأثنى بالرضا على من بايع رسولَه الكريم، قال -تعالى-: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، وقِيل إنّها سُمِّيت ب(بيعة الشجرة)؛ لأنّها وقعت تحت الشجرة عند الحديبية. ويُشار إلى أنّه كان للمُبايعين فضل عظيم؛ فقد مدحهم الله في كتابه، حيث قال: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)؛ وفي هذه الآية تشريفٌ لمَن بايع رسولَ الله -عليه الصلاة والسلام-، فقد قال ابن القيِّم فيها إنّه لمّا كان المسلمون يبايعون رسول الله -ﷺ- بأيديهم، ويضع يده على أيديهم، كان وسيطـًا بين الله وبينهم؛ فإنّ مبايعتهم كانت لله -تعالى-، وإنّه -سبحانه- فوق السموات على عرشه، وفوق الخلائق كلّهم، كانت يده فوق أيديهم، كما أنّ الله شرّفهم بهذه البيعة، فقد رضي عنهم؛ إذ قال -تعالى-: (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) وهذا فضل عظيم من الله، وقد أثنى عليهم الرسول-ﷺ-؛ فوصفهم بأنّهم خير أهل الأرض، أخرج البخاري أن جابر بن عبد الله قال: (قالَ لَنَا رَسولُ اللهِ ﷺ يَومَ الحُدَيْبِيَةِ: أَنتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ وكُنَّا أَلْفًا وأَرْبَعَ مِئَةٍ، ولوكُنْتُ أُبْصِرُ اليومَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ). للمَزيد من التفاصيل عن بيعة الرضوان الاطّلاع على مقالة: ((ما هي بيعة الرضوان)).
أحداث صُلح الحديبية بنود وشروط صلح الحديبية كان التفاوض بين النبيّ -ﷺ- ورسول قريش سهيل بن عمرو؛ لعَقد هذا الصلح بعدما أرسلت قريش رُسُلها لصد

رسول الله -ﷺ- عن دخول البيت،وكانت بنود الصلح بين الرسول-عليه السلام-، وقريش على النحوالآتي: أن يعود عليه -الصلاة والسلام- ولا يدخل مكّة المُكرَّمة هذا العام، وإن أراد دخلَها العام المقبل. أن تُعقَد هُدنة بين فريقَي المسلمين، وقريش مدّة عشر سنوات لوَضع الحرب. أنّ من أراد أن يؤمن فله ذلك، ومن أراد أن ينضمّ إلى قريش فله ذلك، ويصبح ذلك الفرد أوالقبيلة جزءاً من الفريق، وأيّ اعتداءٍ يتعرّض له يُعتبَر اعتداءً على الفريق كلّه. أنّ من ذهب إلى محمد -ﷺ- من فريق قريش من غير إذن قائده فارّاً منهم فإنّه

يُعاد إليهم، ومن ذهب إلى قريش من غير إذن محمد -ﷺ- فارّاً منه، فإنّه لا يعود إليه. كتابة الصُّلح استدعى -عليه الصلاة والسلام- عليّاً بن أبي طالب؛ ليكتبَ، فقال: ((اكتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم)، فقال سُهيلُ بنُ عمرو: لا نعرِفُ الرَّحمنَ الرَّحيمَ، اكتُبْ باسمِك اللَّهمَّ، فقالَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لِعليٍّ: (اكتُبْ هذا ما صالَح عليه محمَّدٌ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)، فقال سُهيلُ بنُ عمرٍو: لونعلَمُ أنَّك رسولُ اللهِ لاتَّبَعْناك ولم نُكذِّبْك اكتُبْ بنَسَبِك مِن أبيك، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لِعليٍّ: (اكتُبْ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ) فكتَب: مَن أتى منكم ردَدْناه عليكم ومَن أتى منَّا ترَكْناه عليكم، فقالوا: يا رسولَ اللهِ نُعطيهم هذا؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (مَن أتاهم منَّا فأبعَده اللهُ، ومَن أتانا منهم فردَدْناه جعَل اللهُ له فرَجًا ومخرَجًا)).وأثناء كتابة الصُّلح جاء أبوجندل بن سهيل فارّاً من مكّة؛ من ظلم قريش وبطشها بالمسلمين، فقال سهيل لرسول الله -عليه الصلاة والسلام أنّ هذا أوّل من سينقض العهد بينهم وبينه، فلا بُدّ من إعادته وإلّا فإنّ الصُّلح لن يكتمل، فأخبرَه رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أنّ هذا ليس من ضمن الاتّفاق؛ فالكتاب لم ينتهِ بعد، إلّا أنّه رفض، وأصرَّ على عودته إلى قريش، فوافق الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وأمر أبا جندل أن يرجع، وأوصاه بالصبر هووجميع المؤمنين الذين في مكّة المُكرَّمة، وأن يخبرهم بأمر الصُّلح؛ ليفرحوا، ويطمئنّوا على دينهم، وأنّ عليهم الأمن، والأمان، وذهب عمر -رضي الله عنه- خلفه يُصبِّره، ويَشدُّ على قلبه بأنّه من أهل الحقّ. وعندما انتهت كتابة الصُّلح، ذهب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى رسول الله مذكّراً إيّاه بأنّه هوالرسول، وأنّهم المسلمون وهم أصحاب الحقّ، وأنّ المشركين أهل الباطل، فأجابه الرسول -ﷺ- بالقبول، إلّا أنّ عمر -رضي الله عنه- لم يكن مُؤيّداً لهذا الصلح؛ فقال -عليه السلام-: (إنِّي رَسولُ اللهِ، ولَسْتُ أعْصِيهِ)، فذكر عمر أنهم أتوا لأداء مناسك العمرة؛ فأجابه الرسول -عليه الصلاة والسلام - بأنّهم سيطوفون في العام المقبل، فذهب إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، وكرَّرَ عليه الكلام، فأجابه بما أجابه الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وقال: (أيُّها الرَّجُلُ إنَّه لَرَسولُ اللهِ ﷺ، وليسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وهونَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إنَّه علَى الحَقِّ) سبب تسمية الصُّلح بالفتح المبين ظهر الهمّ والحزن على وجوه

الكثير من الصحابة، وظنّوا أنّهم الطرف الخاسر فيما حصل، وتجلّت حكمة رسول الله وعلمه ببواطن الأمور، وما ستؤول إليه في المستقبل من الفتح ودخول أفواجٍ كبيرةٍ من قريشٍ في الإسلام، وأمر رسول الله أصحابه بالتحلّل من الإحرام، فلم يبادروا إلى فعل ما أمرهم به، حتّى أعاد ذلك عليهم ثلاث مرّاتٍ، فلم يبادروا حتّى رأوا رسول الله قد حلق وذبح هديه، وأنزل الله تعالى على رسوله سورة الفتح أثناء عودته إلى المدينة المنوّرة والمسلمون في همٍّ وحزن، فانقلب حزنهم إلى سعادةٍ، وأدركوا أنّ الخير كلّه في التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وفرّج الله عنهم في هذه السورة كلّ همٍّ بما احتوت من البشارة لهم بالفتح والنصر والرضا عنهم، حتّى قال رسول الله: (لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي ممّا طلعت عليه الشمس، ثمّ قرأ: إنّا فتحنا لك فتحا مبينًا). نتائج الصُّلح أمر رسول الله -ﷺ- أصحابه أن ينحروا، ويحلقوا رؤوسهم، إلّا أنّهم ظلّوا واجمين صامتين، فذهب إلى أم سلمة حائراً لا يدري ماذا يصنع مع القوم، فأشارت عليه أن يبدأ هوبالنحر، وأن يحلق شعره، ففعل ما أشارت به عليه، فقام القوم يُنفِّذون ما أمرهم به، وعندما عادوا إلى المدينة، جاءت نسوة مهاجرات بدينهنّ إلى رسول الله -ﷺ- فلم يرددهنّ الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ تلبيةً لأمر الله -سبحانه وتعالى-، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾. وقد تخلّت قريش بعد مدّة عن شروطها القاسية، وذلّت بعد عزّتها، ومن أهمّ النتائج التي تحقّقت إثر هذا الصُّلح: توقيع قريش على المعاهدة، والإقرار بوجود الدولة الإسلاميّة، وقد تأثّرت بذلك القبائل المُؤيّدة لقريش. كَسر شوكة المشركين، والمنافقين، وكِبرهم. إدراك المشركين، ومعرفتهم بعِزّة الإسلام. انتشار الدعوة وتوسُّعها، ممّا أدّى إلى دخول الكثير في الإسلام. انشغال المسلمون باليهود بعدما أَمنوا جانب قريش، الأمر الذي أدّى إلى حدوث غزوة خيبر بعد الصُّلح. إدراك حلفاء قريش لما أراده المسلمون أثناء المفاوضات؛ بأنّهم أرادوا الاعتمار لا الاعتداء. تمهيد هذا الصلح للدعوة خارج الجزيرة العربية؛ حيث جهّز -عليه الصلاة والسلام- لغزوة مؤتة. استغلال الرسول فترة الصلح؛ وذلك بإرسال الرسائل إلى ملوك الفرس، والروم، والقِبط؛ لدعوتهم إلى الإسلام .

الفَتح المُبين؛ فَتح مكّة المُكرَّمة، وهويُعَدّ أهمّ نتائج الصُّلح. عمرة القضاء كانت عمرة القضاء في العام السابع من الهجرة بناءً على الاتِّفاق الذي تمّ بين الرسول -ﷺ-، وقريش في صُلح الحديبية، وكان الرسول الله -ﷺ- قد أخذ معه ألفَين من الصحابة، وحملوا معهم سلاحاً يُقدَّر بعدّة حَرب، على الرغم من أنّهم كانوا سيدخلون مكّة بسلاح المسافر فقط؛ احتياطاً من غَدر قريش، فلمّا رأت قريش هذه العدّة، والقوّة الإسلامية، وكانوا في فترة انهزام وضعف، فزعوا، وأرسلوا وفداً إلى الرسول -عليه السلام- برئاسة مِكرز بن حفص، فلقيهم -عليه السلام- في بطن يأجج بمر الظهران، فقالوا له: «يا محمد؛ والله ما عرفناك صغيرًا ولا كبيرًا بالغدر.. تدخل بالسلاح الحرم على قومك، وقد شرطتَ ألاَّ تدخل إلاَّ على العهد، وأنه لن يدخل الحرم غير السيوف في أغمادها؟»، فأجابه رسول الله مُؤكِّداً على ما اتّفقوا عليه: «لا ندخلها إلا كذلك». وعلى الرغم من أنّ رسول الله كان قد تأذّى من قريش أشدّ الأذيّة، وكان باستطاعته أن يستغلّ ضعفهم، وينتقم لما فعلوه به وبالمسلمين والدعوة، إلّا أنّه ظلّ عند عهده؛ فالإسلام يوصي بحفظ العهود، فوضعوا السلاح خارج مكّة، وبقي معه مئتا فارس؛ لحمايته، ودخلوا البيت لأداء مناسك العمرة بسلاح المسافر فقط، وكان العهد أن تكون مكّة المُكرَّمة خالية من قوم قريش، وظلّوا فيها مدّة ثلاثة أيام كاملة، وأدّوا مناسك العمرة، وكان المشركون على رؤوس الجبال يشاهدونهم، وعندما فرغوا من أداء مناسك العمرة امتلأت قلوبهم فرحاً، وراحةً برؤية الكعبة المُشرَّفة، والطواف بها.

ثم كانت بين قبيلتي خزاعة وبني الدئل بن بكر عداوة وثارات في الجاهلية، سببها أن رجلاً من حضرموت اسمه مالك بن عباد الحضرمي كان يحالف الأسود بن رزن بن يعمر بن نفاثة الدؤلي، فخرج الحضرمي تاجراً، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فعدت بنوالدئل على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قُبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن (وهم ذؤيب وأخواه كلثوم وسلمى، وكانوا منخر بني كنانة وأشرافهم) فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم. فبينما بنوالدئل بن بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به، فلما كان صلح الحديبية، دخلت خزاعة في حلف الرسول محمد ودخلت بنوالدئل بن بكر في حلف قريش،

فلما كانت الهدنة اغتنمها بنوالدئل بن بكر، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأر أولئك النفر، فخرج نوفل بن معاوية بن عروة الديلي في جماعة من بني الدئل بن بكر في شهر شعبان سنة ٨هـ، فأغاروا على خزاعة ليلاً، وهم على ماء يقال له «الوتير» جنوب غربي مكة، فأصابوا منهم رجالاً، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت قريشٌ بني الدئل بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيـًا، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنوالدئل بن بكر: «يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك»، فقال: «لا إله اليوم، يا بني بكر، أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟»، ولما دخلت خزاعة مكة لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي، وإلى دار مولى لهم يقال له رافع.

ونتيجةً لذلك الغدر والنقض في العهد، خرج عمروبن سالم الخزاعي في أربعين من خزاعة حتى قدموا على الرسول محمد في المدينة المنورة، وأخبروه بما كان من بني الدئل بن بكر، وبمن أصيب منهم، وبمناصرة قريش لبني الدئل بن بكر عليهم، ووقف عمروبن سالم على الرسول وهوجالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال:

حلف أبينا وأبيه الأتلـــدا ... يـا رب إني نـاشـــــدٌ محمدًا
ثُمت أسلمنا فلم ننزع يداً ... قد كنتم وُلدًا، وكنـــا والـــدًا
وادع عباد الله يأتوا مـــــدداً ... فانصر -هداك الله- نصرًا أعتداً
إن سيم خسفـًا وجهه تـربدا ... فيهـم رسـول الله قـــد تـجـردا
إن قريشًا أخلفوك الموعـدا ... في فيلق كالبحر يجـــري مزبدًا

فقال الرسول محمدٌ: «نُصرت يا عمروبن سالم» ولما عرض السحاب من السماء قال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»، وبنوكعب هم خزاعة. ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، حتى قدموا على الرسولِ محمد المدينةَ، فأخبروه بمن أصيب منهم، وبمظاهرة قريش لبني الدئل بن بكر عليهم، ثم رجعوا إلى مكة. وجاء في رواية: إن الرسول محمداً

بعد أن سمع وتأكد من الخبر أرسل إلى قريش فقال لهم: «أما بعد، فإنكم إن تبرؤوا من حلف بني بكر، أتُدوا خزاعة، وإلا أوذنكم بحرب»، (ومعنى أتُدوا خزاعة: أي تدفعوا دية قتلاهم)، فقال قرظة بن عبد عمروبن نوفل بن عبد مناف صهر معاوية: «إن بني بكر قوم مشائيم، فلا ندى ما قتلوا لنا سبد، ولا لبد (السبد: الشعر، واللبد: الصوف، يعني إن فعلنا ذلك لم يبق لنا شيء)، ولا نبرأ من حلفهم، فلم يبق على ديننا أحد غيرهم، ولكن نؤذنه بحرب». ولم يكن من بني بكر بن عبد مناة محالفاً لقريش على دينهم إلا بنوالدئل بن بكر. أما بنوليث بن بكر وبنوضمرة بن بكر فكانوا من المسلمين وفي جيش الفتح مع الرسول محمد.

أحست قريش بغدرها، وخافت وشعرت بعواقبه الوخيمة، فعقدت مجلساً استشارياً، وقررت أن تبعث قائدها أبا سفيان ممثلاً لها، ليقوم بتجديد الصلح. وقد أخبر الرسولُ محمد أصحابَه بما ستفعله قريش إزاء غدرتهم، قال: «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد، ويزيد في المدة».

وخرج أبوسفيان فلقي بديل بن ورقاء بعسفان وهوراجع من المدينة إلى مكة فقال: «من أين أقبلت يا بديل؟»، وظن أنه أتى الرسولَ محمداً، فقال: «سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي»، قال: «أوما جئت محمداً؟»، قال: «لا»، فلما راح بديل إلى مكة قال أبوسفيان: «لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى»، فأتى مبرك راحلته، فأخذ من بعرها ففته، فرأى فيها النوى، فقال: «أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً». وعند نزول أبي سفيان في المدينة دخل على ابنته أمِّ حبيبة زوج الرسول محمدٍ، وأراد أن يجلس على فراش الرسول فطوته عنه، فقال: «يَا بنية، ما أدري، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟»، قالت: «بل هذا فراش رسول الله، وأنت مشرك نجس»، قال: «والله لقد أصابك بعدي شر.

ثم خرج أبوسفيان حتى أتى الرسولَ محمداً فكلمه، فلم يرد عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم الرسولَ، فقال: «ما أن بفاعل»، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: «أأنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟ فوالله لولم أجد إلا الذر لجاهدتكم به»، ثم جاء فدخل على علي بن أبي طالب،

وعنده فاطمة، والحسن غلام يدب بين يديهما، فقال: «يا علي، إنك أمس القوم بي رحمـًا، وإني قد جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائبـًا، اشفع لي إلى محمد»، فقال: «ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه»، فالتفت أبوسفيان إلى فاطمة، فقال: «هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟»، قالت: «والله ما يبلغ ابني ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله »، فقال لعلي بن أبي طالب: «يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت علي، فانصحني»، قال: «والله ما أعلم لك شيئـًا يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك»، قال: «أوترى ذلك مغنيـًا عني شيئـًا؟»، قال: «لا والله ما أظنه، ولكني لم أجد لك غير ذلك»، فقام أبوسفيان في المسجد، فقال: «أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس»، ثم ركب بعيره وانطلق .

ولما قدم أبوسفيان على قريش قالوا: «ما وراءك؟»، قال: «جئت محمداً فكلمته، فوالله ما رد علي شيئـًا، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت عمر بن الخطاب، فوجدته أدنى العدو، ثم جئت عليـًا فوجدته ألين القوم، قد أشار علي بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني عني شيئـًا أم لا؟»، قالوا: «وبم أمرك؟»، قال: «أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت»، قالوا: «فهل أجاز ذلك محمداً؟»، قال: «لا»، قالوا: «ويلك، إن زاد الرجل على أن لعب بك»، قال: «لا والله ما وجدت غير ذلك».

عندما قرر الرسول محمدٌ السير لفتح مكة، حرص على كتمان هذا الأمر؛ حتى لا يصل الخبر إلى قريش فتعد العدة لمجابهته، فقد كَتَمَ أمرَه حتى عن أقرب الناس إليه، فكَتَمَه عن صاحبه أبي بكر الصديق، وزوجته عائشة، فلم يعرف أحدٌ شيئًا عن أهدافه الحقيقية، ولا باتجاه حركته، ولا بالعدوالذي ينوي قتالَه، وكان الرسولُ محمد قد أمر عائشة قبل أن يأتي إليه خبر نقض الميثاق بثلاثة أيام أن تجهزه، ولا يعلم أحد، فدخل عليها أبوها أبوبكر الصديق، فقال: «يا بنية ما هذا الجهاز؟»، قالت: «والله ما أدري»، فقال: «والله ما هذا زمان غزوبني الأصفر، فأين يريد رسول الله؟»، قالت: «والله لا علم لي».

كما بعث الرسول محمد قبلَ مسيرة مكة سريةً مكونةً من ثمانية رجال إلى

إضم، وذلك لإسدال الستار على نياته الحقيقية، وفي ذلك يقول ابن سعد: «لما همَّ رسول الله بغزوأهل مكة بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم (وهووادي المدينة الذي يجتمع فيه الوديان الثلاثة: بطحان، وقناة، والعقيق)، ليظن الظان أن رسول الله توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار، فمضوا ولم يلقوا جمعًا، فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خُشُب (وهوموضع على مرحلة من المدينة إلى الشام يبعد عن المدينة ٣٥ ميلاً، أي ٥٦ كيلومتراً تقريبـًا)، فبلغهم أن رسول الله قد توجه إلى مكة، فأخذوا على «بيبين» حتى لقوا النبي بالسُّقيا (وهي موضع يقع في وادي القرى).

وأعد الرسولُ محمدٌ جيشًا وصلت عدته إلى عشرة آلاف رجل، وبث رجالَ العسس بالدولة الإسلامية داخل المدينة وخارجها حتى لا تنتقل أخباره إلى قريش، ثم دعا الله تعالى فقال: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعوا بنا إلا فجأة». وعندما أكمل الرسولُ محمد استعدَاده للسير إلى فتح مكة، كتب الصحابيُّ حاطب بن أبي بلتعة اللخمي كتابًا إلى أهل مكة يخبرهم فيه نبأ تحرك الرسول إليهم، وأرسله مع امرأة مسافرة إلى مكة، ويؤمن المسلمون أن الله تعالى أطلع الرسولَ عن طريق الوحي على هذه الرسالة فقضى على هذه المحاولة وهي في مهدها، فأرسل عليًّا والزبيرَ والمق دادَ فأمسكوا بالمرأة في «روضة خاخ» على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة، وهددوها أن يفتشوها إن لم تُخرج الكتابَ فسلمته لهم، ثم استدعي حاطب للتحقيق، فقال: «يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقًا (أي حليفـًا) في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني ولا رضـًا بالكفر بعد الإسلام»، فقال الرسول محمد: «أما إنه قد صدقكم»، فقال عمر: «يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق»، فقال الرسول محمد: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فنزلت الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ

أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

خرج الرسولُ محمدٌ قاصدًا مكة في العاشر من رمضان في العام الثامن للهجرة، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثومَ بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري الكناني،وكان عددُ الجيش عشرةَ آلافٍ فيهم المهاجرون والأنصار الذين لم يتخلف منهم أحد، فسار هوومن معه إلى مكة يصومُ ويصومون، فلما وصل الجيشُ منطقةَ الكديد (الماء الذي بين قديد وعسفان) أفطر وأفطر الناس معه، وفي منطقة الجحفة لقيه عمُّه العباسُ بن عبد المطلب وقد خرج مهاجرًا بعياله، فسُرَّ الرسول محمدٌ بة أيما سرور.

وتابع الرسولُ محمد سيرَه حتى أتى مر الظهران، وهووادٍ شمال مكة بـ ٢٢ كيلومتراً، فنزل فيه عشاءً، فأمر الجيش فأوقدوا النيران، فأوقدت عشرة آلاف نار، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب

كانَ فتْحُ مَكَّةَ فتْحًا مُباركًا للمسلمِينَ، وفي هذا الحديثِ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لَمَّا دخَلَ مَكَّةَ دخَلَها في تَواضُع، شاكِرًا ربَّه على هذا الفتحِ العظيم، ثم خَطَب يَومَها،فكَبَّرَ ثلاثًا، ثم قال : لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه ، صدَقَ وعدَه ، ونصَرَ عبدَه ، وهزمَ الأحزابَ وحدَه ، ألا إن كلَّ مَأْثُرَةٍ كانت في الجاهليةِ تُذْكَرُ وتُدْعَى مِن دَم ، أومالٍ ، تحتَ قدميَّ ، إلا ما كان مِن سِقايَةِ الحاجِّ ، وسِدَانَةِ البيتِ . ثم قال :ألا إن دِيَةَ الخطأِ شبهِ العَمْدِ ما كان بالسَّوْطِ والعصا؛ مائةٌ مِن الإبلِ : منها أربعون في بطونِها أولادُها.

إلى أن قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ .

الراوي : عبدالله بن عمرو ـ المحدث : الألباني ـ المصدر : صحيح أبي داود

الصفحة أوالرقم: ٤٥٤٧ ـ خلاصة حكم المحدث : حسن

وما يهمنا فى قصة فتح مكة هوقصة اسلام ابوسفيان :

لم يكن إسلام أبي سفيان عن رغبة واختيار، بل عن رهبة واضطرار وهذا ما تثبته لنا قصة إسلامه فقد أصابت أبا سفيان حالة من الرعب والهلع، ووجد أمامه أحد أصدقائه القدامى الذين آمنوا وانضموا إلى الصف المسلم وهوالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، عم رسول الله ﷺ، فاستغاثه واستنجد به قائلاً: ما الحيلة؟ فداك أبي وأمي! ولنرى ما حدث

بعد أن نزل الرسولُ محمد مر الظهران، وأوقد الجيشُ عشرةَ آلاف نار، رأى الصحابيُّ العباس بن عبد المطلب ذلك، وهذه قصة ماحدث يرويها العباسُ بنفسه

اصباح قريش! والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر»، وركب بغلة رسول الله وخرج يلتمس من يوصل الخبر إلى مكة ليخرجوا إلى رسول الله فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، وكان أبوسفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد خرجوا يلتمسون الأخبار، فلما رأوا النيران قال أبوسفيان: «ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا»، فقال بديل: «هذه والله خزاعة حمشتها الحرب»، فقال أبوسفيان: «خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها»، وسمع العباسُ أصواتَهم فعرفهم فقال: «يا أبا حنظلة»، فقال: «أبوالفضل؟»، قلت: «نعم»، قال: «ما لك، فداك أبي وأمي؟»، قال العباس: قلت: «ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله في الناس، واصباح قريش والله!»، قال: «فما الحيلة فداك أبي وأمي؟»، قال: قلت: «والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك»، قال: فركب خلفي ورجع صاحباه، فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: «من هذا؟»، فإذا رأوا بغلة رسول الله وأنا عليها قالوا: «عمُّ رسول الله على بغلته»، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: «من هذا؟»، وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: «أبوسفيان عدوالله، الحمد لله الذي أمكن منك بغَير عقد ولا عهد»، ثم خرج يشتد نحورسول الله ، ودخل عليه عمر فقال: «يا رسول الله، هذا أبوسفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه»، قال: قلت: «يا رسول الله،

إني قد أجرته»، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: «مهلاً يا عمر، فوالله أن لوكان من بني عدي ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف»، فقال: «مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لوأسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب لوأسلم»، فقال : «اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به»، فلما أصبح غدوت به، فلما رآه رسول الله قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟»، قال: «بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لوكان مع الله إله غيره لقد أغنى عني بعد»، قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟»، قال: «بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئًا»، فقال له العباس: «ويحك أسلم قبل أن نضرب عنقك»، قال: فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس: قلت: «يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا»، قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهوآمن، ومن أغلق بابه فهوآمن، ومن دخل المسجد فهوآمن»، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله: «يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها»، قال: فخرجت حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ، ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: «يا عباس من هذه؟»، فأقول: «غفار»، فيقول: «ما لي ولغفار»، ثم تمر به القبيلة فيقول: «يا عباس من هؤلاء؟»، فأقول: «سليم»، فيقول: «ما لي ولسليم»، ثم تمر به القبيلة فيقول: «يا عباس من هؤلاء؟»، فأقول: «مزينة»، فيقول: «يا أبا الفضل ما لي ولمزينة قد جاءتني تقعقع من شواهقها»، ثم تمر به القبيلة فيقول: «يا عباس من هؤلاء؟»، فأقول: «جهينة»، فيقول: «ما لي ولجهينة»، ثم تمر به القبيلة فيقول: «يا عباس من هؤلاء؟»، فأقول: «كنانة: بنوليث بن بكر وبنوضمرة بن بكر»، فيقول: «نعم، أهل شؤم والله، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم، أما والله ما شُوورت فيهم ولا علمته، ولكنه أمر حُتِم»، ثم تمر به القبيلة فيقول: «يا عباس من هؤلاء؟»، فأقول: «أشجع»، فيقول: «هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد»، حتى مر به رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: «سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟»،

قال: قلت: «هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار»، قال: «ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة»، ثم قال: «والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيمًا»، قال: قلت: «يا أبا سفيان: إنها النبوة»، قال: «فنعم إذن»، قال: قلت: «النجاء إلى قومك»

لقد تعمد الرسول محمد شن الحرب النفسية على أعدائه أثناء سيره لفتح مكة،[١٦] حيث أمر الرسول بإيقاد النيران، فأوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق، فكان لمعسكرهم منظر مهيب كادت تنخلع قلوب القرشيين من شدة هوله،وقد قصد الرسولُ محمد من ذلك تحطيمَ نفسيات أعدائه والقضاءَ على معنوياتهم حتى لا يفكروا في أية مقاومة، وإجبارَهم على الاستسلام لكي يتم له تحقيقُ هدفه دون إراقة دماء.

روا هذه القصة الطبراني، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٤٢، وانظر المطالب العالية ٤٣٦٢، وقال ابن حجر: هذا حديث صحيح. وأخرجه البخاري من مرسل عروة في المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ٤٠٣٠، وابن سعد في الطبقات ٢/ ١٣٤، ١٣٥، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٣٣-٣٥، وفيه مراجعة أبي سفيان لبديل بن ورقاء في كثرة النيران، والقبض على أبي سفيان، وورود الكتائب عليه. وانظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٣٩٩-٤٠٥.

لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ في هذا الموقف مثلاً من أروع أمثلة المروءة والشهامة، وكذلك من أروع أمثلة التجرُّد لله والحرص على الدعوة.

لقد وقف ﷺ يتحاور مع أبي سفيان بن حرب بطريقة إقناعية فيها البحث عن الحجة والدليل، مع أن السيف كان الحلَّ الأمثل عند عامة القواد والزعماء.

وقد أجاب أبوسفيان بن حرب إجابة غير شافية لا تدل عن قناعة كاملة بتوحيد الله، ولكنه على كل حال لم يرفض، لكن عندما سأله رسول الله ﷺ عن إيمانه بنبوُّته صرَّح أبوسفيان أنه ما زال يشك في هذا الأمر!!

وهنا هدَّده العباس رضي الله عنه بأن قتله أصبح وشيكًا، ولا يحفظ دمه إلا الإسلام، فأسلم عندئذ أبوسفيان بن حرب رضي الله عنه.

وجاء فعل ابوسفيان مصداقا لقولة تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) ﴾ صدق الله العظيم سورة غافر

إن الذي فعله العباس رضي الله عنه ليس إكراهًا في الدين، بل هورحمة بأبي سفيان، ورحمة بكل قريش، إن قتل أبي سفيان في هذا الموقف لا يستنكره أحد، ولا ترفضه أعراف الدول لا في القديم ولا في الحديث؛ فهويُصَنَّفُ في القانون الدولي الحديث على أنه مجرم حرب؛ لأنه دبَّر منذ سنتين محاولة «قتل جماعي» لأهل المدينة المنورة، ونَقَضَ منذ أيام قليلةٍ عهدًا بينه وبين المسلمين راحَ ضحيَّة نقْضِهِ عددٌ من الرجال والنساء قتلى.

بل إن الذي يمكن أن يتوقعه أي متابع للأحداث أن يرفض رسول الله إسلام أبي سفيان في هذا الموقف، ويظنَّ -ظنًّا أشبه باليقين- أنه ما فعل ذلك إلا تَقِيَّةً، وخوفًا من القتل.

لكن الرسول ﷺ لم يُظهِر شكًّا في إيمان أبي سفيان، بل قَبِل منه ببساطة، ولم يناقشه أويستوثق منه، بل عفا عنه في لحظة واحدة!!

لقد تناسى رسول الله ﷺ في لحظة واحدة كل الذكريات المؤلمة، والجراح العميقة؛ فقلبه ﷺ لا تغزوه الأحقاد، ولا سبيل للشيطان عليه.

ودخل أبوسفيان إلى مكة مسرعًا ونادى بأعلى صوته: «يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهوآمن»، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: «اقتلوا الحميث الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم»، قال: «ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم؛ فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهوآمن»، قالوا: «قاتلك الله، وما تغني عنا دارك؟»، قال: «ومن أغلق عليه بابه فهوآمن، ومن دخل المسجد فهوآمن»، وتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

وعندما حانت الصلاة وبعد دخول النبى لمكة هووجيشة ولنرى ايضا ان ابوسفيان انما اعلن اسلامة عن عدم اقتناع، فأن الرسولُ امر بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبوسفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: «لقد أكرم الله أسيداً ألايكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه»، فقال الحارث: «أما والله لوأعلم أنه حق لاتبعته»، فقال أبوسفيان: «أما والله لا أقول شيئًا، لوتكلمات لأخبرت عني هذه الحصباء»، فخرج عليهم الرسولُ محمد فقال لهم: «قد علمت الذي قلتم»، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: «نشهد أنك رسولُ الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك».

وهنا يجب ان نسال هل انتهت بذلك هذة العداوة وهذا الغل وهذا الحقد باسلام زعيم الكفر وزعيم بنى امية هوورلدة معاوية واخوتة وابناء عمة كلهم العاص ومروان وكل بنى امية فى هذا اليوم العظيم والذين انتطبقت عليهم مقولة النبى العظيم اذهبوا فانتم الطلقاء ، للاسف لا فلم يكن إسلام ابوسفيان عن اطمئنان وقناعة. قال ابن عبد البر بعد أن أورد قوله أبي سفيان: ما أدري ما جنة ولا نار، وله أخبار من نحوه هذا رديئة ذكرها أهل الأخبار، ولم أذكرها، وفي بعضها يدل على أنه لم يكن إسلامه سالما « .

وقد قال علقمة فيه :

إن أبا سفيان من قبله لم يك مثل العصبة المسلمة
لكنه نافق في دينه من خشية القتل على المرغمة
بعدا لصخر مع أشياعه في جاحم النار لدى المضرمة

ولما هم أبوسفيان أن يسلم كتب ابنه معاوية إليه شعرا ينهاه عن ذلك، وقال:

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
خالي وعمي وعم الأم ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر يكلفنا والراقصات به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حرب عن العزي إذا فرقا

وذكر الطبرى إن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية فإنما هوالملك ولا أدري ما جنة ولا نار. فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل « الاستيعاب « ٢: ٦٩٠. وفي تاريخ الطبري ١١ ص ٣٥٧: يا بني عبد مناف! تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار.

وفي لفظ المسعودي: يا بني أمية! تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبوسفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة. (مروج الذهب ١: ٤٤٠م).

وأخرج ابن عساكر في تاريخه ٦: ٤٠٧ عن أنس: إن أبا سفيان دخل على عثمان بعد ما عمي فقال: هل هنا أحد؟ فقالوا: لا. فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية

وقال ابن حجر: كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب، وقال ابن سعد في إسلامه: لما رأى الناس يطؤن عقب رسول الله حسده فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل. فضرب رسول الله في صدره ثم قال: إذا يخزيك الله: وفي رواية: قال في نفسه: ما أدري لم يغلبنا محمد؟ فضرب في ظهره وقال: بالله يغلبك. الإصابة ٢: ١٧٩. ويقول الطبري في- تاريخ الطبري-سنه اربع وثمانين ومائتين .

ذكر كتاب المعتضد في شان بني أمية الجزء : (١٠) - رقم الصفحة : (٥٧ / ٥٨)

.... أبوسفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية،الملعونين في كتاب الله،ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن ،وعدة مواضع ،لما ضيع لم الله فيهم وفي أمرهم ،ونفاقهم وكفر أحلامهم ،فحارب مجاهدا،ودافع مكابدا،وأقام من السيف،وعلا أمرالله وهم كارهون ،فتقول بالإسلام غير منطوعليه ،وأسر الكفر غير مقلع عنه،فعرفه بذلك رسول الله ﷺ

والمسلمون،وميزله المؤلفة قلوبهم،فقبل هوولده على علم منه،فممالعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ ،وأنزل به كتابا قوله : ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (الإسراء : ٦٠) ﴾ ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية ....

لكى نعلم بعد ذلك الفرق بين من يقال لهم الطلقاء والمؤلفة قلوبهم دعونا نرى ان تسمية الذين خلى عنهم رسول الله ﷺ يوم الفتح : « الطلقاء »، ثابت في السنة .

فروى البخاري (٤٣٣٣) ، ومسلم (١٠٥٩)، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، التَقَى هَوَازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَالطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ . قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ . فَانْهَزَمَ المُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا ....

وروى الإمام أحمد (١٩٢١٥) عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وصححه محققوالمسند.

قال في «البداية والنهاية» (٣/ ١٣٦):

« الطلقاءُ: همُ الَّذين خَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ فَتْح مَكَّةَ ، وأَطْلَقَهُم ، فَلَمْ يَسْتَرِقَّهم.

واحدُهم: طَلِيق، فَعِيل بِمَعْنَى مَفْعول ، وَهُوَ الْأَسِيرُ إِذَا أُطْلِقَ سَبيله .

ومنه الحديث : (الطُّلَقَاء من قُرَيش) « انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٤٨):

« الطُّلَقَاءِ: جَمْعُ طَلِيقٍ: مَنْ حَصَلَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَنُّ عَلَيْهِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعُهُمْ « انتهى.

والقران ايضا يتحدث ويبلغنا أن لا نساوى بين كل المسلمين فيقول الله فى كتابة العزيز فى قولة تعالى فى سورة الحديد بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾

وقوله : لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أي : لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله ، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا ، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصد يقون ، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورا عظيما ، ودخل الناس في دين الله أفواجا والجمهور على أن المراد بالفتح ها هنا فتح مكة . وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ها هنا : صلح الحديبية ، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا زهير ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي - ﷺ - فقال : « دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده ، لوأنفقتم مثل أحد - أومثل الجبال - ذهبا ، ما بلغتم أعمالهم « ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة

عزيزى القراء لتعلم ان اسلام الطلقاء وعلى رائسهم ابوسفيان كان شكلى ولم يؤمنون حقا فتعالى نرى ما حدث فى غزوة حُنَيْن، هي غزوة وقعت في الثالث عشر من شهر شوال في السّنة الثامنة للهجرة بين المسلمين وق بيلتي هوازن وثقيف في واد يسمّى حنين بين مدينة مكّة والطائف.وكان لفتح مكة رد فعل معاكس لدى القبائل العربية الكبيرة القريبة من مكة، وفي مقدمتها قبيلتا: هوزان، وثقيف. فقد اجتمع رؤساء هذه القبائل، وسلموا قياد أمرهم، إلى مالك بن عوف سيد هوزان. وأجمعوا أمرهم على المسير لقتال المسلمين، قبل أن تتوطد دعائم نصرهم، وتنتشر طلائع فتحهم. وقالوا: «لقد فرغ محمّد لقتالنا، فلنغزه قبل أن يغزونا».

قائد المعركة وسببها رجلا يسمّى مالك بن عوف ألنصري من قبيلة هوازن وقد سيّر جيشه حتى وصل بالقرب من مكة، وعندما وصلت الأخبار للمسلمين وجّه المسلمون جيشًا كبيرًا وكان يضم الكثير ممّن أسلموا بعد فتح مكّة وقد أعجبت كثرة الجيش وعدّته وعتاده المسلمين ووصلوا بثقتهم بالجيش إلى حد الغرور وقد قال بعض المسلمين لن نغلب اليوم من قلّة. إن غزوة حنين هي من الأحداث التي تلت صلح الحديبية، وغزوة خيبر، وغزوة مؤتة، وفتح مكة، وقد جرت هذه الغزوة في فترة ازدهار وانتشار الإسلام في داخل الجزيرة العربية وخارجها

في اليوم العاشر من شوال، وقيل في السنة الثامنة من الهجرة، وصل المسلمون إلى وادي حنين، ويقع وادي حنين إلى جانب وادي ذي المجاز قرب الطائف، ويبعد عن مكة مسافة ثلاث ليالٍ وكان عددهم اثني عشر ألفًا، أمّا المشركون بقيادة مالك بن عوف النصريّ فكانوا يفوقونهم بضعفين اوأكثر، حيث كان المشركون متربصّين بقدوم المسلمين إلى حنين، إذ كان مالك بن عوف مدركًا لطبيعة أرض المعركة ومستعدًا لها، فوضع الكمائن ووزع الجيش في شعاب الوادي وبين أشجاره ومنعطفاته، فقد كانت تتركز خطته على مباغتة المسلمين وبث الرعب في نفوسهم. عزم الرسول على القتال لمّا كان عدد المسلمين كبيرًا في هذه الغزوة، اغترّ بعضهم ببعضٍ وأعجبتهم كثرتهم، وقالوا: لن نُغلب اليوم من قلّة، حيث خرج معهم الكثير من الشبّان بدافع الحماس والتسرّع دون تسليح، وكان بعضهم ممن لم يثبت الإيمان في قلبه ممن أسلموا حديثًا حين الفتح، أمّا رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- فقد كان عازمًا على كسر شوكة المشركين، فقد أمّن الجيش بالعتاد من الرماح والدروع، وقد اعتنى -عليه الصلاة السلام- بكل التفاصيل العسكرية للمعركة، واجتهد في تحصيل الأخبار وأوفاها، حيث أرسل عبد الله الأسلمي ليقتنص أحوال المشركين وخططهم ومواقع كمائنهم، فذهب إليهم ومكث بينهم يومين، ثم عاد وأخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- بما رأى. اختباء المقاتلين حين أرسل الرسول- عليه الصلاة والسلام- عبد الله الأسلمي للاستطلاع عن أخبار المشركين والكمائن التي صنعوها، لم يختلط عبد الله جيدًا بالجيش

وبالتالي لم يعرف تفاصيل خططهم بدقة، ولمّا استعدّ المشركون للمعركة، حيث تجهزوا عامًا كاملًا لهذه الحرب، ونصبوا كمائنهم وانتشروا في أرجاء الوادي وفوق المنحدر، حيث نصبوا الرماة ليمطروا المسلمين بالسهام من كل جهة على طرفي الوادي، وقام مالك بن عوف بتحفيز الجيش وتسليحه، حيث قال لهم:»إذا أنتم رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم، وشدّوا شدّة رجلٍ واحدٍ عليهم»، فحطمّوا غمد سيوفهم حتى يظلّ القتال حاميًا ولا رجوعً. هجوم مقاتلي قبيلة هوازن على المسلمين سبق المشركون إلى أرض المعركة وحضّروا لها، ونصبوا الكمائن والرماة، تنبّه مالك بن عوف إلى طريقة ترغم جيشه على القتال بضراوة، فكان من رأيه أن يخرج نساء المقاتلين وأموالهم معهم حتى لا يفرّوا، بحيث يضع وراء كل مقاتل مالَه وعرضه، فيقاتل عنهم، ثم لما التقى الجمعان في أرض المعركة، ونزّل وابل السهام على المسلمين، وتبيّن أن الأخبار التي نقلها عبد الله الأسلمي كانت خاطئة، حيث لم يختلط بهم بشكلٍ صحيح ليتتبع اخبارهم بدقة، إذ تفاجأ المسلمون بمباغتة المشركين لهم، ونَجحت خطة مالك لبعض الوقت في بث الرعب في نفوس المسلمين. تفرق المسلمين وخوفهم لمّا حميَ الوطيس، ولّى الكثير من المسلمين الأدبار، حيث كل رجل يتّقي الحرب ويهرب بنفسه، أمّا رسول الله-ﷺ- فقد أقبل على المشركين وبقيَ معه نفرٌ قليل، يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾. خطاب النبي للمقاتلين حين تزعزعت صفوف المسلمين، وتظافرت هجمات المشركين عليهم، ولاذوا بالفرار، قال رسول الله -ﷺ-: للعباس: «نادِ أصحاب السمرة»، والسمرة هي الشجرة التي بايع المسلمون رسول الله تحتها في الحديبية، وقيل هم أهل بيعة الرضوان، وكان صوت العباس -رضي الله عنه- قويًا عاليًا، فنادى: « يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة وآل عمران» وانطلق رسول الله-عليه السلام- ببغلته نحوالعدوّ وهويقول: « أنا نبيّ الله لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، وحين نظر المسلمون إلى عزيمته وشجاعته -ﷺ- تشجعوا وهمّت عزائمهم، وتجمعوا حوله، وعاد الهاربون أدراجهم إلى أرض المعركة، وانقلبت الصورة، وأخذ المسلمون زمام الحرب. قتال المسلمين وانضمام الملائكة إليهم لمّا تجمّع

المسلمون حول رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-، وتأدبوا وعلموا أن الله هوالناصر لهم، لا بكثرتهم ولا بسلاحهم، وإنّما بقدرته وحده سبحانه، وأيّد قلّتهم على إيمانهم الصادق وثبات العقيدة في قلوبهم، بالملائكة لتبث في قلوب المشركين الرعب، حيث قال -سبحانه- في كتابه: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾، حيث نزلت الملائكة على هيئة نمل أسود يسيل في وادي حنين، تأييدًا من الله، وظهرت للكافرين على هيئة رجالٍ بيض يركبون الخيل ويلبسون عمائم حمر، تبث الرعب في قلوب المشركينوقد أيّد الله تعالى رسولَه الكريم- صلى الله عليه وسلّم- بسلاحٍ ماديّ، من الحصى والتراب في قبضتيه -عليه السلام- حيث نال الحصى والترابُ من أعينهم جميعًا حين رماها في وجوه المشركين، وقال:»شاهت الوجوه» ثم قال:»اللّهم نصرك، انهزِموا وربّ محمّد»، فأصابهم كلهم وتفرّق أمر المشركين وزعزع صفوفهم. بعد أن استجمع المسلمون قواهم ورتبوا صفوفهم وصارت الغلبة لهم، أخذ المشركون يفرّون من أرض حنين إلى الطائف ليحتموا بحصن ثقيف، وتبعهم المسلمون إليها، وحاصروها مع رسول الله ﷺ، حيث استعمل المسلمون أسلحةً جديدة لأول مرة، مثل: المنجنيق والدبابة الخشبية التي تحمي المقاتلين من السهام، ثم اختار -عليه السلام- مكانًا مناسبًا يستقر فيه جيش المسلمين، يكون قريبا من الحصن، ثم أصابهم وابل السهام، فأشارالحباب بن منذر أن ينتقلوا إلى مكان غير مكشوف، فقبل -عليه الصلاة والسلام- مشورته. واستعمل النبي الحرب النفسية والدعاية أيضًا، حيث حرّق بساتين العنب والنخل على الأطراف، فناشده أهل ثقيف بالله والرحم أن لا يحرّقه، فقبل -عليه السلام- ثم نادى فيهم أن من يخرج إلى الحصن ويقدم إلينا من العبيد فهوحر، ثم لمّا تبيّن انكسار المشركين وهزيمتهم، أشار عليه نوفل بن معاوية الديلي: «إن هوثعلب في جحرٍ إن أقمتَ عليه أخذته، وإن تركته لم يضرّك»، يقصد بأن المنطقة قد نزلت تحت حكم المسلمين وبقي الحصن بمن فيه لا يضرون ولا ينفعون، وتجدر الإشارة إلى أن البعض قالوا: يا رسول الله ادع على ثقيف، فقال -عليه الصلاة والسلام- :»اللّهم اهدِ ثقيفًا وائتِ بهم». حيث كان النبي-ﷺ- قائدًا عظيمًا يقبل الشورى، ويناور في المعارك ويستخدم أساليبَ جديدة، ولكنه

يظلّ صاحب قلبٍ رقيق، يدعو لأعدائه بالهداية

في هذا الموقف الصعب تباينت مواقف الطلقاء، فمنهم من صرّح بكفره بعد أن كان متظاهرًا بالإسلام، مثل كَلَدَة بن الحنبل، ولكنه أسلم بعد ذلك وله صحبة، فهذا الرجل قال في ذلك الوقت: ألا بطل السِّحْر اليوم. فهويتهم الرسول بالسحر، مع أنه خارج مع المسلمين على أنه مسلم. ومنهم من لم يكتفِ بالكفر، بل حاول قتل الرسول مثل شيبة بن عثمان، وبفضل الله أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. ومنهم من أظهر الشماتة دون أن يظهر الكفر كأبي سفيان زعيم مكة الذي قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر.

يقول ابن هشام فى كتابة السيرة النبوية قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبوسفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وإن الأزلام لمعه في كنانته . وصرخ جبلة بن الحنبل قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل وهو [ص: ٤٤٤] مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن

ولنعلم من هم ابوسفيان وابنة معاوية المؤسس الاول لخلافة بنى امية وهى ليست خلافة ولكنها ملك عضوض كما قال الرسول وهم ليسوا من الطلقاء فقط بل ايضا من المؤلفة قلوبهم باجماع العلماء ان المؤلفة قلوبهم هم أحد الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم وهم الذين تُدفعُ لهم زكاة الأموال في الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

ويمكن تعريف مصطلح المؤلفة قلوبهم على أنَّهم الرجال الذين دخلوا في الإسلام دون أن يَثبُتَ الإسلام في قلوبهم ونفوسهم، أي أسلموا ولكنَّ إسلامهم ما يزالُ هشًّا ضعيفًا، وهم أصحاب تأثير ونفوذ في أقوامهم، فيعطَون

من أموال الزكاة حتى يتمَّ استمالتهم

ولذلك دعونا نرى كيف قسمت غنائم حنين

رأى محمد أن يتألف الطلقاء والأعراب بالغنائم تأليفًا لقلوبهم لحداثة عهدهم بالإسلام، فأعطى لزعماء قريش وغطفان وتميم عطاء عظيمًا، إذ كانت عطية الواحد منهم مائة من الإبل، ومن هؤلاء: أبوسفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس، ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان، وقيس ابن عدي. كما ذكر كتاب الفضائل، مسلم، باب ما سئل رسول الله شيئًا قط، (٤/ ١٨٠٦) رقم ٢٣١٢. وكان الهدف من هذا العطاء المجزي هوتحويل قلوبهم من حب الدنيا إلى حب الإسلام، أوكما قال أنس بن مالك: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها.وعبر عن هذا صفوان بن أمية بقوله: «لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ».

أخرج الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه عن رافع بن خديج - رضي الله عنه - في تقسيم غنائم غزوة حنين- قال: أعطى رسول الله -ﷺ- أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نَهْبي ونهب العُبَيْد ... بين عُيينة والأقرع فما كان بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع فأتمّ له رسول الله ﷺ مئة

ولتكتمل الصورة فلنرى ما فعل ابوسفيان ايضا في حرب اليرموك .

وقد شهد ابوسفيان بن حرب بن أمية اليرموك تحت قيادة ابنه يزيد، وفيها فقد عينه الثانية. وكان قاضي الجماعة يوم اليرموك يسير فيهم ويقول: الله الله، عباد الله، انصروا الله ينصركم، اللهم هذا يوم من أيامك،اللهم أنزل نصرك على عبادك.

حدّثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجعد قالا حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد اللّه بن الزبير قال:

لمّا كان يوم اليرموك خلّفني أبي، فأخذت فرسا له وخرجت، فرأيت جماعة من الخلفاء فيهم أبوسفيان بن حرب فوقفت معهم، فكانت الرّوم إذا هزمت المسلمين قال أبوسفيان: إيه بني الأصفر، فإذا كشفهم المسلمون قال أبوسفيان:

/ وبنوالأصفر الكرام ملوك الرّوم لم يبق منهم مذكور فلما فتح اللّه على المسلمين حدّثت أبي فقال: قاتله اللّه! يأبى إلّا نفاقا؛ أ ولسنا خيرا له من بني الأصفر! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: حدّثهم، فأحدّثهم فيعجبون من نفاقه.

طلب أبوسفيان من الرسول جعل معاوية كاتبًا بين يديه ولبى الرسول طلبه فالحكم الجديد يعاني من نقص شديد في الكتّاب والكوادر وهكذا نجح في وضع معاوية قريبًا من مركز صنع القرار ، ويدخل هذا ضمن تهيئة معاوية الصغير وجعل وجهه مألوفًا لدى الشيوخ .

يعاني أبوسفيان من عقدة العظمة فهويعتبر نفسه ونسله من بعده وبني أمية الثابت الوحيد أما الباقي من أمثال عشائر عبد مناف وتيم وعدي، عابرون يمرون مرور الكرام على التاريخ . وهذه هي الفكرة الأساس التي أوصلها لابنه معاوية وعمل الاثنان معًا بدهاء وبصبر عجيب من أجل استعادة ما فقدوه وإعادة العائلة إلى الواجهة.

وعندما تم لمعاوية ذلك أصر على توريث الملك ليزيد وإبقائه في العائلة المالكة كما فكر وخطط لها داهية الدهاة المفكر الاستراتيجي أبوسفيان

هناك حادثة مهمة جدا يجب ان نمر عليها لان بها دلالة عظيمة وأنت عزيزي القراء الذي سيحكم وهى حادثة محاولة قتل النبي : وقد تطرقنا بشكل موجز إلى معاداة بني أمية وعلى رئسهم أبوسفيان للنبي علية الصلاة والسلام وهم حين أذن كفار ومشركين ويظن السذج والذين لا علم لهم أن العداوة

والحرب انتهت بفتح مكة ودخول كل أهل مكة الكفار إلى الإسلام ولكن هذا بعيد كل البعد عن الحقيقة وهنا دعنا نرى كيف تعرض النبي لمحاولة قتل عن طريق من حوله من من يسموا صحابة على المعنى الاصطلاحي اى أنهم اسلموا وحضروا النبي في حياته وهي باختصار ما حدث في العقبة في رجوعه من آخر غزواته تبوك في السنة التاسعة للهجرة إي قبل وفاته بعام أوأكثر بقليل فلمَّا رجع رسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قافلا من تبوك إلى المدينة، قال لأصحابه :من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنَّه أوسع لكم وأخذ هوالعقبة، حتَّى إذا كان ببعض الطريق، مكر به ناس من أصحابه (العدول)؟ ، وتآمروا أن يطرحوه في العقبة وأرادوا أن يسلكوها معه لهذه الغاية، فلما غَشِيَهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أُخْبرَ خبرهم اواخبرهم خبرهم.

وأخذ الناسُ بطن الوادي إلاَّ النفر الذين أرادوا المكر به، فقد استعدوا وتلثموا، وأمر رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حذيفة بن اليمان وعمَّار بن ياسر فمشيا معه مشيـًا، وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام الناقة، وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسيرون، إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم، قد غشوهم فغضب رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمر حذيفة أن يراهم، ويتعرَّف عليهم، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، وضربها بالمحجن، وأبصر القومَ وهم متلثمون، فأُرعبوا حين أبصروا حذيفة، وايقنوا أنَّ مكرهم قد ظهر، فأسرعوا حتَّى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتَّى أدرك رسول الله، فلمَّا أدركه، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إضرب الناقة يا حذيفة، وامش أنت يا عمَّار، فأسرعوا وخرجوا من العقبة، ينتظرون الناس.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله) :يا حذيفة هل عرفت أحداً منهم؟ فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان ، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم.

اخبر النبي (صلى الله عليه واله) عن قصد القوم إنهم فكَّروا أن يسيروا معه، حتَّى إذا صار في العقبة طرحوه فيها! وهذا ما ذكرهنقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ١٩)، عن المصنف، وقد روى الخبر الإمام أحمد عن

أبي الطفيل، وفي كتاب أبان بن عثمان بن عفان، قال الأعمش: وكانوا اثني عشر، سبعة من قريش.

وقال الإمام الحسن بن علي (عليه السلام): « يوم أوقفوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة ليستنفروا ناقته كانوا اثني عشر رجلا منهم أبوسفيان ». وهوكما ذكر ابن عبد البر الأندلسي في كتابه الاستيعاب: كان أبوسفيان كهفاً للمنافقين منذ أسلم.

وروى مسلم في صحيحة عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل: قال: وفي مسند حذيفة بن اليمان عن أبي الطفيل «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك الله، كم كان أصحاب العقبة؟ فقال له القوم أخبره إذ سألك؟

فقال حذيفة : كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر.

قال حذيفة: لوحدَّثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم. يعني كلكم

وهذا يدل على مدى المكر والتخطيط المحكم وقوة الإعلام بحيث لايصدق احد من المسلمين ان الانقلابيين يفعلون مثل هذا الأمر الشنيع وان من يتكلم به يكذب بالتأكيد من الجميع...

ففطن له شاب، فقال: من يصدّقك إذا كذبك ثلاثة أثلاثنا! فقال: إنَّ أصحاب محمد ص كانوا يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر.

فقيل له: ما حملك على ذلك؟

قال حذيفة: إنَّه من عرف الشر، وقع في الخير.

وذكر البيهقي عن عروة بن الزبير نفس الخبر المتقدم بالتمام والكمال..

والمقطع الصحيح ذكره اليعقوبي أنّ حذيفة قال: إنّي لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم والظاهر أنّ الناسخ هوالذي محا أسماءهم لأنّ القضية كانت شائعة إلى درجة إقدام ابن حزم الناصبي على ذكر أسمائهم

وقالوا: أفلا تأمرُ بهم يا رسول الله إذا جاءَك الناس فَتَضْرب أعناقهم؟

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أكره أن يتحدّث الناس ويقولوا إن محمداً قد وضع يده في أصحابه، فسماهم لهما، وقال: أُكتماهم . نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ١٩)، عن المصنف، وقد روى الخبر الإمام أحمد عن أبي الطفيل، وابن سعد عن جبير بن مطعم

وكان ص قد قال نفس هذا القول لهم عندما قيل له اضرب عنق المنافق عبدالله بن أبي بن سلول!!

ولابد ان وراء هذا الأمر ماوراءه إذ قد يشك بأمر الرسول اذا ما أخذنا بقول حذيفة انه سيكذبه الجميع!!

ولا يستبعد انه ص كان يخشى على آله من هذا الحزب الملعون ان يفتك بهم لوتمكن من الحكم فهم يبغضونهم في حياة الرسول وكم اشتكى الإمام علي منهم لرسول الله وكم اشتكى اله منهم انهم يسكتون اذا مر بهم بعض اهل البيت وهم يتناجون فيما بينهم لأن كلامهم وقوع في اهل البيت ع!! وكانوا يعبسون في وجوههم وكان الرسول ص يغضب أشد الغضب من ذلك ويتوجس منه وقد حدث ذلك بعد أن استلموا الحكم فكانوا يظهرون محبتهم نفاقا لكن يحاربونهم أشد الحرب كما كانوا يفعلون مع الرسول ص نفسه!!!

إذن كان حذيفة وعمار يعرفان أسماء المنافقين.

وقد قال علي (عليه السلام) عن حذيفة: ذاك امرؤ علم المعضلات والمفصّلات، وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالمـاً.

وحذيفة لم يخبر أحداً بأسماء المنافقين، لكنه لم يصلِّ عليهم ! والمقصود بهم هنا مجموعة المهاجمين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة.

قال حذيفة: مرَّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي:

إذ كاد أن يخرج من المسجد، التفت إليَّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليَّ فقال: يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا؟

قلت: اللهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك.

فروى ابن عساكر: « دخل عبدالرحمن بن عوف على أمِّ سلمة رضي الله عنها، فقالت:

سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول : إنَّ من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبداً، فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً، حتى دخل على عمر، فقال له : اسمع ما تقول أمُّك، فقام عمر حتى دخل عليها، فسألها، ثمَّ قال أنشدِك الله أمنهم أنا ؟

قالت: لا ولن أُبرئ بعدك أحداً.

قولها هذا يعني أن عبد الرحمن بن عوف الذي جاء مع عمر منهم!!!

وكان ابن عوف وعمر من رجال العقبة، لذلك ذعرا من قول أُم سلمة وتركا شغلهما وجاءا اليها يسألانها.

والظاهر أنَّ عمر كان خائفاً جداً من هذا الموضوع بحيث سأل عنه حذيفة وأمَّ سلمة! ولقد وقع حذيفة وأمُّ سلمة في حرج شديد من سؤال عمر الخطير لهما وأنّ هذا الحرج يتضح من قولهما له : لن أبرئ بعدك أحداً.

وقال نافع بن جبير بن مطعم بن نوفل القرشي (وأبوه كان من اعداء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)): « لم يخبر رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسماء المنافقين، الذين بخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة، وهم اثنا عشر رجلا ».

وقال حذيفة: لوكنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغرف منه، فحدَّثتكم بكل ما أعلم، ما وصلت يدي إلى فمي حتى أُقتل. وقد ذكر هذا فى مختصر تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٥٩

أي لوأخبر حذيفة بأسماء المنافقين الأحياء منهم والأموات، لقتلوه بسرعة، لذلك لم يخبر بأسمائهم في زمن حكم أبي بكر وعمر ولكنه كان لا يصلي عليهم وهذه إشارة لذلك، وفي زمن حكم عثمان وعلي (عليه السلام) صرح بأسمائهم فقتلوه، كما توقع هو! وعن حذيفة أنه قال: خذوا عنا فإنا لكم ثقة،

ثم خذوا عن الذين يأخذون عنا، فأنهم لكم ثقة، ولا تأخذوا عن الذين يلونهم. قالوا: لم؟ قال: لأنهم يأخذون حلوالحديث ويدعون مره، ولا يصلح حلوه إلا بمره وايضا هذة رواية مختصر تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٥٩.. وقال حذيفة: لقد حدثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما يكون حتى تقوم الساعة، غير أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها.

وتجدر الإشارة إلى انهم يحاولون الطعن في حديث حذيفة بسبب انه روى عن الوليد بن جميع بالرغم من ان عمر يقول انه حافظ سر رسول الله ص وانه صحابي عاصر الجميع..

والوليد بن جميع هوالوليد بن عبد الله بن جميع. جاء في كتاب ميزان الاعتدال للذهبي:الوليد بن جميع وثقه ابن معين، والعجلي، وقال أحمد، وأبوزرعة ليس به بأس، وقال أبوحاتم: صالح الحديث.

وجاء في كتاب الجرح والتعديل للرازي: عن إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين، أنه قال: الوليد بن جميع ثقة.

هل منهم ابوسفيان ؟؟ يعلم الله وحدة هذا ولكننا تعلمنا من التاريخ ان لا نتعجل الحكم ولكن سياق الاحداث هوالذى يحكم ونظن ان سياق قصتنا الماضى كلة يوضح والاتى سوف يوضح اكثر ، ولكى لا نذهب فى اتجاه واحد فقط وهواتجاه بنى امية ووصف ما فعلوا إثناء حياة النبي هم وزعيمهم ابوسفيان بسبب استكبارهم وحقدهم وغلهم على بنى هاشم وعلى رائسهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ولكن دعونا نعطى لمحة ايضا عن بنى هاشم وكيف هي أحوالهم ونرى الى اين وصل هذا الفرع الطاهر بشكل مختصر ، رائينا عائلة بنى هاشم إليإن وصلنا إلى الجد عبد المطلب وابنائة عبدا لله وابوطالب والعباس وحمزة وبالطبع أعقب عبد الله الرسول الكريم وأعقب ابوطالب الإمام على وأعقب العباس عبد الله بن عباس ويصلح كل منهم إن نفرد لة مجلدات بحيالها وطبعا فصلنا القادم سوف يكون عن سيدنا على بن ابى طالب ومعاوية ابن ابى سفيان وامتداد العداوة والحرب بين فرعى العائلة بل واحتدام الصراع إلى اشد صورة فجاجة ودموية ، ودعونا لا نستبق

الإحداث فى خلال حياة النبي علية الصلاة والسلام نزلت اية مهمة جدا وهى قولة تعالى بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (الأحزاب : ٣٣) وهنا لنعلم فيمن نزلت هذهالآية

عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي (صلَّى الله عليه وآله) قال : لما نزلت هذه الآية على النبي (صلَّى الله عليه وآله) : ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ في بيت أم سلمة ، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً ، وعلي خلف ظهره ، فجللهم بكساء ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » .

قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : « أنت على مكانك وأنت على خير » .

عن أم سلمة قالت : في بيتي نزلت ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ... ﴾ فأرسل رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال : « هؤلاء أهل بيتي » . . في صحيح مسلم بالإسناد إلى صفية بنت شيبة قالت : خرج النبي (صلَّى الله عليه وآله) غداة وعليه مِرْط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

هذا هوحديث الكساء المشهور الذي ورد فى جميع المصادر السنية والشيعية والذي جاء لتوضيح الآية والتي لا تحتاج أصلاإلى توضيح ولكن النبى أحبأن يميز هولاء النفر من بني هاشم حتى لا يحدث اى التباس فيهم اوعليهم وبرغم ذلك حدث ما خشية النبي واختلف الناس والصحابة وانقسمت الأمة ولكن يظل النسل الطاهر من بنى هاشم هم الدماء النقية الذى ميزة الله دون غيرهم كما ورد فى الآية والحديث السابقين،

الحادثة القادمة مهمة أيضا ولا يقل أهمية عن سابقتها

في صحيح البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص ، أنّ رسول الله(صلى

الله عليه وآله وسلم) خرج إلى تبوك واستخلف عليـاً فقال اتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم):

«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي».

صحيح البخاري / ج٦ ص٣ /

بالطبع لا يخفى المعنى عن اى عاقل وهوان الرسول يضع الإمام على فى مكانة الأخ من اخية بل ومكانة النبوة فما كان هارون الا نبى مثل اخية موسى انبياء بنى اسرائيل هولاء هم بنى هاشم وسوف نفصل فى الفصل القادم لهم والواقعة الاخيرة والاهم هى ما ورد فى صحيح مسلم

حدثنا أحمد بن شعيب قال: أخبرنا محمد بن المثنى قال: حدثنا يحيى بن حماد قال: حدثنا أبوعوانة، عن سليمان يعني الأعمش قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي، وأنا ولي كل مؤمن» ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» فقلت لزيد سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه. قال أبوجعفر (الطحاوي): فهذا الحديث صحيح الإسناد، لا طعن لأحد في أحد من رواته، فيه إن كان ذلك القول كان من رسول الله ﷺ لعلي بغدير خم في رجوعه من حجه إلى المدينة لا في خروجه لحجه من المدينة

يقول ابن تيمية، مع شدة معارضته للشيعة: « وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بغدير يدعى « خم « بين مكة والمدينة... « ابن تيمية: حقوق آل البيت ص ١٣.

ويقول ابن حجر : « إن حديث الغدير صحيح لا مرية فيه . . . ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده . . . ويقول كذلك « إن حديث الغدير صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه

جماعة – كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جدا ، ومن ثم رواه ستة عشر صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته . . . وكثير من أسانيدها صحاح وحسان

هذه القصة أيضا واضحة ليس فيها التباس اين هولا العترة المتمثلة في الإمام على وفي نسله من بني هاشم من أعداء الأمة من بني أمية والمتمثلين في أبوسفيان ونسله ،

لنعود ألان الى قصتنا والتى توشك ان تبدءا واحدة من اخطر فصولها على الإطلاق بين الإمام على علية السلام ومعاوية ابن ابى سفيان كما سنرى وألان نحن فى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوّل، في العام الحادي عشر للهجرة، أي ما يوافق العام ٦٣٣ ميلادي من شهر حزيران، وفى يوم من أتعس أيام البشرية جمعاء يحتضر النبي الكريم ويموت

وبدأ احتضار النبيّ حين اشتداد ضحى يوم الاثنين، وكان بجوار عائشة –رضي الله عنها– فأسندته إليها، وكان موته في بيتها، وفي حِجرها، وعند اشتداد سكرات الموت عليه أقرّ أنّ للموت سكراتٍ، فرفع إصبعه وشَخِص بصره للأعلى، وسمعت عائشة منه كلماتٍ فأصغت إليه، وإذ به يقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْنِي وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ)، وقد كرّرها ثلاثًا قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى.

رواه الألباني، في صحيح أبي داود، عن عائشة أمّ المؤمنين، الصفحة أوالرقم: ٣١٤١، حسن .

غسّل النبيَّ –ﷺ– بعد وفاته أهلُ بيته، وعُصبته من بني هاشم، وهم: ابن عمّه علي بن أبي طالب، وعمّه العبّاس مع ابنَيه: الفضل، وقثم، وأسامة بن زيد، وشقران مولى النبيّ –رضي الله عنهم جميعًا–، وتمّ تغسيله، وثيابه عليه، ولم تُنزَع عنه، فقد رُوِي عن السيّدة عائشة –رضي الله عنها– أنّها قالت:

(لمَّا أرادوا غسلَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قالوا: واللهِ ما ندري أنُجرِّدُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ من ثيابِهِ كما نجرِّدُ مَوتانا، أم نَغسلُهُ وعلَيهِ ثيابُهُ؟ فلمَّا اختَلفوا ألقى اللهُ عليهمُ النَّومَ حتَّى ما منهم رجلٌ إلَّا وذقنُهُ في صَدرِهِ، ثمَّ كلَّمَهُم مُكَلِّمٌ من ناحيةِ البيتِ لا يَدرونَ من هوَ: أن اغسِلوا النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ وعلَيهِ ثيابُهُ). وباشر عليّ غسلَ النبيّ -ﷺ- وحده، وأسنده إلى صدره، وكان يقول وهويُغسّله: «ما أطيبك يا رسول الله حيّاً وميتاً»، أمّا العبّاس وابناه: الفضل، وقثم فكانوا يُقلّبون النبيّ -ﷺ-، وكان أسامة وشقران يصبّان الماء، وشَهد الغسل أوس بن خولي من بني عمروبن عوف من الخزرج؛ فقد طلب ذلك من عليّ فأذن له، وتمّ تكفين النبيّ -صلّى الله عله وسلّم- بثلاثة أثوابٍ من القطن دون نزع ثيابه عنه -كما سبق الذِّكر- وإثناء هذا تحدث واحدةً من اهم اللحظات وأكثرها مفصلية فى تاريخ هذه الأمة بل وفى تاريخ البشرية كلها وهوحادث السقيفة والذي حدث بدون حضور الإمام على لأنة كان يغسل النبي ويكفنه كما أوردنا ولنرى ابوسفيان أيضا وما فعلة ، باختصار

لا توفر لنا الروايات التاريخية حصرًا بأسماء جميع الحضور في اجتماع السقيفة، وإن كانت قد حفظت لنا أسماء عدد من قادة الأنصار الموجودين في ذلك الاجتماع المهم، ومنهم سعد بن عبادة الخزرجي وبشير بن سعد والحباب بن المنذر.

يبدوأن قادة الأنصار قصدوا أن يتموا أمر السقيفة في معزل عن إخوانهم من المهاجرين، الذين كانوا في ذلك الوقت مشغولين بتجهيز جثمان الرسول. إذ تؤكد الروايات التاريخية أن المهاجرين لم يعرفوا بأمر اجتماع الأنصار في السقيفة إلا عن طريق المصادفة، عندما أخبر أحد المسلمين عمر بن الخطاب بالأمر، فأرسل في طلب أبي بكر وانطلقا، ومعهما أبوعبيدة بن الجراح، إلى السقيفة مسرعين.

ورد في صحيح البخاري، رواية طويلة يشرح فيها عمر بن الخطاب تفاصيل ما جرى بين المهاجرين والأنصار. فقد جاء على لسان عمر أنه لما وصل مع أبي بكر إلى السقيفة، وجد الأنصار اجتمعوا حول رجل مريض هوسعد بن

عبادة، وبدأوا في استعراض مناقبهم وفضائلهم، فلما أراد عمر أن يرد عليهم، أسكته أبوبكر، ثم قال: «ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش. هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (يقصد عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح)، فبايعوا أيهما شئتم».

بعدما انتهى أبوبكر من كلامه كثر اللغط وعلت الأصوات، وطالب بعضهم بانتخاب أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار. فلما خاف عمر الخلاف قال: «قلت لأبي بكر: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار».

رغم الخلافات التي تعتري التفاصيل الدقيقة لما جرى من أحداث في سقيفة بني ساعده، فإننا نستطيع أن نلمس اتفاقًا كبيرًا على الخطوط العريضة لتلك الأحداث، في كثير من الروايات السنية والشيعية

كذلك رُوي عن عمر بن الخطاب في صحيح البخاري، رأي مشابه، عندما قال: فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت.

ولا شك ان بيعة أبي بكر في السقيفة تمت «من دون تشاور مع الصحابة، ومن دون حضور العِترة الطاهرة من بني هاشم».

في الوقت الذي كان البعض يتناقشون في السقيفة لملئ الفراغ الناتج عن فقدان النبي، كان علي بن أبي طالب مهتمـًا بتجهيز الرسول، ولا يرى ما يستدعي التأخير، وهذا ما يفهم من خلال الروايات:

من قوله رضي الله عنه: «أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟» وقول فاطمة: ما صنع أبوالحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[٧] فبما أن الاعتقاد السائد على أنه لا رغبة لبني هاشم بمن يمثلهم علي عليه السلام في التصدي لأمر الخلافة كان يطغى على المجتمع المدني حينذاك بحسب القرائن، فبعد احتجاج علي رضي الله عنه على ما جرى، قال له بعض من الأنصار: لوكان هذا الكلام سمعَته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لـأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان، فأجاب: أكنت أترك رسول

الله ميتـًا في بيته لا أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟

وقد كان أبوسفيان جاء إلى باب رسول الله (صلى الله عليه واله) وعلي والعباس متوافران على النظر في أمره فنادي :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة أوعدي

فما الأمر إلا فيكم واليكم * وليس لها إلا أبوحسن علي

ثم نادى بأعلى صوته يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبوفصيل . . . أما والله لوشئتم لأملأنها عليهم خيلا ورجلا فناداه أمير المؤمنين ارجع يا أبا سفيان فوالله ما تريد الله بما تقول وما زلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول الله وعلى كل امرئ ما اكتسب وهوولي ما احتقب فانصرف أبوسفيان إلى المسجد فوجد بني أمية مجتمعين فيه فحرضهم على الأمر فلم ينهضوا له (اه) ؛ والظاهر أن هذا كان من أبي سفيان في أول الأمر قبل البيعة لأبي بكر أراد أبوسفيان أن يستغل الموقف وقد علم أن أبا بكر التيمي وعمر العدوي قد طلبا الأمر وحزبهما قوي فجاء إلى بني هاشم يحرضهم ويعدهم النصرة لعلهم يقومون لمعارضة حزب الشيخين لأنه علم أن أقرب الأحزاب إلى معارضة حزب الشيخين هوحزب بني هاشم فإذا عارضوهم وقعت فتنة في الاسلام وذلك ما يريد لأنه لم يدخل فيه الا كارها مرغما وحقده عليه لم تنطف جمرته بعد ولن تنطفي فإذا تطاحن الحزبان ولم يغلب أحدهما الآخر أوجب ذلك وهن المسلمين فيرجوأن تقوى شوكة الشرك الذي خرج منه كارها فيعود إليه وإن غلب أحدهما الآخر كان هومع الغالب وإن لم يعارضوهم استفاد هومن هذا التحريض والتهويش امارة أونحوها كما يفعله اليوم وقبل اليوم من يريد منصبا في الدولة فيهيج الناس عليها ويلقي الفتن ليرضوه بمال أومنصب ويدل على ذلك أنه لما سمع الخليفة تهويشه ولي ابنه فرضي وسكت وقال وصلته رحم .

روي الطبري بسنده قال لما استخلف أبوبكر قال أبوسفيان ما لنا ولأبي فصيل إنما هي بنوعبد مناف فقيل له أنه قد ولى ابنك قال وصلته رحم (اه) وقد علم علي (عليه السلام) أن أبا سفيان لم يرد بما قاله الخير لبني هاشم ولا للمسلمين

وعلم مراده فلذلك اجابه بما اجابه

والطبري أيضا يروي لنا بعض الروايات عن موقف ابي سفيان حين سمع بمبايعة ابي بكر بالخلافة منها:

١. حدثني محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي قال: حدثنا ابوقتيبة ، قال : حدثنا مالك -يعني ابن مغول-عن ابن الحرقال: قال ابوسفيان لعلي: مابال هذا الامر في اقل حي من قريش ! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا! فقال علي : يا ابا سفيان ،لطالما عاديت الاسلام واهله فلم تضره بذاك شيئا ! انا وجدنا ابابكر لها اهلا.

٢. حدثني محمد بن عثمان الثقفي قال حدثنا أمية بن خالد قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت قال لما استخلف أبوبكر قال أبوسفيان مالنا ولأبي فصيل إنما هي بنوعبد مناف قال فقيل له إنه قد ولى ابنك قال وصلته رحم .

٣. حُدثت عن هشام ، قال حدثني عوانة ، قال: لما اجتمع الناس على بيعة ابي بكر ، اقبل ابوسفيان وهويقول: والله اني لأرى عجاجة لا يطفئها الاّ دم ! يا آل عبد مناف فيم ابوبكر من اموركم ! اين المستضعفان! اين الاذلاّن علي والعباس!وقال ابا حسن ! ابسط يدك حتى ابايعك فأبى علي عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسفٍ يُراد بــه الاّ الأذلاّن عيرُ الحيّ والوتدُ

هذا على الخسف معكوس برمّته وذا يُشج فلا يبكي له احدُ

وقال: فزجره علي وقال: انك والله ما اردت بهذا الاّ الفتنة ، وانك والله طالما بغيت الإسلام شرا . لا حاجة لنا في نصيحتك

وقد غضب الإمام على من ما حدث ورفض البيعة يقال ستة أشهر ويقال اقل من ذلك ولكن هناك اتفاق على رفض الإمام على هذه البيعة لأنة راءى انة الأحق اوعلى الأقل لم يؤخذ رائية و لنرى قصة مبايعة سيدنا على والتى وردت فى الصحاح

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أن أباها أبا بكر رضي الله عنه دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن دعاه :

فتشهد عَلِيٌّ فَقَالَ : إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللهُ ، وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ ، وَكُنَّا نَرَى لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصيبًا .

حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُوبَكْرٍ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي ، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ : فَلَمْ آلُ فِيهَا عَنْ الْخَيْرِ ، وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ .

فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي بَكْرٍ : مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ ، فَلَمَّا صَلَّى أَبُوبَكْرٍ الظُّهْرَ رَقِيَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَهُ عَنْ الْبَيْعَةِ وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ ، وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَدَّثَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهِ ، وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ نَصِيبًا ، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا ، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا ، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ ، وَقَالُوا : أَصَبْتَ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ رَاجَعَ الْأَمْرَ الْمَعْرُوفَ) رواه البخاري (٣٩٩٨) ومسلم ١٧٥٩

مات النبى علية الصلاة والسلام وانتقلت زعامة قريش بل والامة الاسلامية كلها الى نسل اخر الان وهم قبيلة تيم المتمثلة فى ابوبكر الصديق وهوأبوبَكر الصِّدِّيق عبد الله بن أبي قُحافة التَّيمي القُرَشيّ (٥٠ ق هـ - ١٣هـ/ ٥٧٣م - ٦٣٤م) هوأولُ الخُلفاء الراشدين، وأحد العشرة المُبشرين بالجنَّة، وهووزيرُ الرسول مُحمد وصاحبهُ، ورفيقهُ عند هجرته إلى المدينة المنورة. يَعدُّه أهل السنة والجماعة خيرَ الناس بعد الأنبياء والرسل، وأكثرَ الصَّحابة إيمانًا وزهدًا، وأحبَّ الناس إلى النبي مُحمد بعد زوجته عائشة. عادة ما يُلحَق اسمُ أبي بكرٍ

بلقب الصّدِّيق، وهولقبٌ لقَّبه إياه النبي مُحمد لكثرةِ تصديقه إياه. ورائينا كيف تولى فبدأ بإدارة شؤون الدولة الإسلامية من تعيين الولاة والقضاء وتسيير الجيوش، وارتدت كثير من القبائل العربية عن الإسلام، فأخذ يقاتلها ويُرسل الجيوش لمحاربتها حتى أخضع الجزيرة العربية بأكملها تحت الحُكم الإسلامي، ولما انتهت حروب الرِّدة، بدأ أبوبكر بتوجيه الجيوش الإسلامية لفتح العراق وبلاد الشَّام، ففتح مُعظم العراق وجزءًا كبيرًا من أرض الشَّام. توفي أبوبكر يوم الإثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، فخلفه من بعده عمر بن الخطَّاب.

وقبيلة عدى المتمثلة فى عمر بن الخطاب أبوحفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، المُلقب بالفاروق، هوثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا. هوأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابةوزهّادهم. تولّى الخلافة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديقفي ٢٣ أغسطسسنة ٦٣٤م، الموافق للثاني والعشرين من جمادى الآخرةسنة ١٣ هـ.

كان ابن الخطّاب قاضيًا خبيرًا وقد اشتهر بعدله وإنصافه الناس من المظالم، سواء كانوا مسلمين أوغير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحق والباطل.

هومؤسس التقويم الهجري، وفي عهده بلغ الإسلام مبلغًا عظيمًا، وتوسع نطاق الدولة الإسلامية حتى شمل كامل العراقومصروليبياوالشاموفارسوخر اسانوشرق الأناضولوجنوب أرمينيةوسجستان، وهوالذي أدخل القدستحت حكم المسلمين لأول مرة وهي ثالث أقدس المدن في الإسلام، وبهذا استوعبت الدولة الإسلامية كامل أراضي الإمبراطورية الفارسية الساسانيةوحوالي ثلثيّ أراضي الإمبراطورية البيزنطية.

تجلّت عبقرية عمر بن الخطاب العسكرية في حملاته المنظمة المتعددة التي وجهها لإخضاع الفرسالذين فاقوا المسلمين قوة، فتمكن من فتح كامل إمبراطوريتهم خلال أقل من سنتين، كما تجلّت قدرته وحنكته السياسية والإدارية عبر حفاظه على تماسك ووحدة دولة كان حجمها يتنامى يومًا بعد يوم ويزداد عدد سكانها وتتنوع أعراقها.

الفصل السادس

عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثم تأتى اللحظة الفارقة وهي مقتل عمر بن الخطاب فلما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يعهد بالخلافة إلى شخص بعينه، ولكنه جعلها شورى بين ستة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين، وقال: يحضركم عبد الله يعني ابنه، وليس له من الأمر شيء، بل يحضر ليشير بالنصح، وبعد اجتماع هؤلاء فوض سعد ما له في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف، والزبير إلى علي، وطلحة إلى عثمان فقال عبد الرحمن بن عوف لعلي وعثمان: أيكما يبرأ من هذا الأمر، فنفوض الأمر إليه ليولي أفضل الرجلين الباقيين، فسكت عثمان وعلي فقال عبد الرحمن: إني أترك حقي في ذلك، وسأجتهد فأولي أولاكما بالحق، فقالا: نعم، ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل، وأخذ عليه العهد والميثاق، لئن ولاه ليعدلن، ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن، فقال كل منهما: نعم، ثم تفرقوا، ثم نهض عبد الرحمن يستشير الناس فيهما، ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس الناس وأقيادهم جميعا وأشتاتا، مثنى وفرادى ومجتمعين، سرا وجهرا، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن، وحتى سأل الولدان في المكاتب، وحتى سأل من الركبان والأعراب إلى المدينة في مدة ثلاثة أيام بلياليها، فلم يجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان بن عفان، إلا من نقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب، فلما كانت الليلة التي يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن أخته المسور بن مخرمة وعثمان فقال المسور: فقلت: بأيهما أبدأ؟ فقال: بأيهما شئت، فذهب المسور إلى علي ثم إلى عثمان ، فأحضرهما، ثم خرج بهما عبد الرحمن إلى المسجد، ونودي في الناس: الصلاة عامة، ثم صعد المنبر فوقف وقوفا طويلا، ودعا دعاء طويلا، لم يسمعه الناس، ثم تكلم فقال: أيها الناس إني سألتكم سرا وجهرا بأمانيكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين، إما علي وإما عثمان، فقم يا علي فقام إليه، فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبينه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسل يده، وقال: إلي يا عثمان، فأخذ بيده، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب

الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم، قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، فقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر، وبهذا تمت خلافة عثمان على المسلمين برضا واختيار منهم هذا ملخصما ورد في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير رحمه الله تعالى وهكذا رائينا أن على يأبى أن يقول إلا الحق وما يرضى ضميره ولوعلى حساب السياسة اوحتى تولى السلطان وأن أوصلة قول الحق إلى الموت .

وكانت هذه لحظة فارقة في تاريخ المواجهات بين بني هاشم المتمثلة في على بن أبى طالب وبني أمية المتمثلة فى عثمان بن عفان بالطبع فان عثمان حالة متفردة في بني أمية فهوصحابي جليل ومشهود لة بالصلاح من الجميع ولكننا رائينا كيف تولى وسوف نرى كيف ستؤدى بة عائلته من بني أمية إلى التهلكة .

وهكذا تولى عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

كان عثمان غنيـًا شريفـًا في الجاهلية، ومن أحكم قريش عقلاً وأفضلهم رأيـًا، كما كان محبوبـًا من قبلهم. وهولم يسجد لأي صنم طوال حياته، كما أنه لم يشرب الخمر لا في الجاهلية ولا في الإسلام. كما أنه قد كان على علم بمعارف العرب في الجاهلية من الأنساب والأمثال وأخبار الأيام، وقد رحل إلى الشام والحبشة، وعاشر أقوامـًا غير العرب فعرف من أحوالهم وأطوارهم ما ليس يعرفه غيره من قومه. واهتم بالتجارة التي ورثها عن والده، ونمت ثرواته، وأصبح يعد من رجالات بني أمية الذين لهم مكانة في قريش كلها، فكان كريمـًا جواداً وكان من كبار الأثرياء وقد نال مكانة مرموقة في قومه، ومحبة كبيرة. وقد كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما جاء له عبد اللهمن رقية بنت النبي محمد، كناه المسلمون أبا عبد الله. وكان عثمان يلقب بذي النورين لزواجه من رقية ومن ثم أم كلثوم بنتي النبي محمد.ولة افضال كبيرة جدا فى حياة النبى منها :

دورة فى بيعة الرضوان : لما نزل النبي محمد الحديبية في العام السادس للهجرة، رأى أنه من الضروري إرسال مبعوث إلى قريش يبلغهم فيها نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال، وحرصه على احترام المقدسات، ومن ثم أداء مناسك العمرة، والعودة إلى المدينة، فوقع الاختيار على أن يكون المبعوث إلى قريش خراش بن أمية الخزاعي، فلما دخل مكة أرادت قريش قتله فمنعهم الأحابيش، فلما عاد أخبر الرسول بما صنعت قريش، فأراد رسول الله أن يرسل سفيرا آخر فوقع الاختيار في بداية الأمر على عمر بن الخطاب، فاعتذر عن الذهاب إليهم، وأشار على رسول الله أن يبعث عثمان مكانه، لأن له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلغ رسالة رسول الله، وقال لرسول الله: إني أخاف قريشا على نفسي، قد عرفت عداوتي لها، وليس بها من بني عديمن يمنعني، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم، فلم يقل رسول الله شيئا، قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة وأمنع، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله عثمان فقال: «اذْهَبْ إِلَى قُرَيْشٍ فَخَبِّرْهُم أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا جِئْنَا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي، ننحره وننصرف» فخرج عثمان بن عفّان حتى أتى بَلْدَح (مكان قريب من مكة). فوجد قريشا هناك، فقالوا: أين تريد؟ قال: «بعثني رسول الله إليكم، يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، تدخلون في دين الله كافة، فإن الله مظهر دينه ومعز نبيه، وأخرى تكفون ويَلِي هذا منه غيركم، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أوتقاتلوا وأنتم وافرون جامون، إن الحرب قد نهكتكم، وأذهبت بالأماثل منكم، فجعل عثمان يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون» قالوا: «قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا»، فقام إليه أبان بن سعيد بن العاص فرحب به وأجاره وقال: «لا تقصر عن حاجتك»، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل عثمان على السرج وردفه وراءه، فدخل عثمان مكة فأتى أشرافهم؛ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وغيرهما من لقي ببلدح، ومنهم من لقي بمكة، فجعلوا يردون عليه: «إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً». وعرض المشركون على عثمان أن يطوف بالبيت فأبى، وقام عثمان بتبليغ رسالة الرسول محمد إلى المستضعفين بمكة

وبشرهم بقرب الفرج والمخرج، وأخذ منهم رسالة شفهية إلى رسول الله جاء فيها: «اقرأ على رسول الله منا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية لقادر على أن يدخله بطن مكة» وتسربت شائعة إلى المسلمين مفادها أن عثمان قتل، فدعا رسول الله أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجزتهم، فاستجاب الصحابة وبايعوه على الموت سوى الجد بن قيس وذلك لنفاقه. وقال النبي بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده. وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول المبايعة تحت الشجرة ألف وأربعمائة صحابي.

دورة فى تجهيز جيش العثرة : يقال لغزوة تبوك غزوة العُسرة، مأخوذة من قول الله في القرآن: ﴿**لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةَ**﴾ (سورة التوبة، آية: ١١٧)

ندب رسول الله الناس إلى الخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث إلى مكةوإلى قبائل العرب يستنفرهم وأمر الناس بالصدقة، وحثهم على النفقة والحملان، فجاؤوا بصدقات كثيرة فجهَّز عثمان ثلث الجيش جهزهم بتسعمائة وأربعين بعيرًا وبستين فرسًا. قال ابن إسحاق: «أنفق عثمان في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها».

وقيل جاء عثمان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العُسرة فنثرها في حجر رسول الله فقبلها وهويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم». وقال رسول الله: «من جهز جيش العُسرة فله الجنة».

يقول ابن شهاب الزهري: «قدم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتم بها الألف، وجاء عثمان إلى رسول الله في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبها بين يديه، فجعل الرسول يقلبها بيده ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين».كما تحدث عبد الرحمن بن حباب عن نفقة عثمان حيث قال: «شَهِدْتُ النَّبِيَّ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ مِائَة بَعِيرٍ وَأَقْتَابهَا فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَيَّ ثَلَاثمائة بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ الله، فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله يَنْزِلُ عَلَى المِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا عَلَى عُثْمَان مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِه، مَا عَلَى عُثْمَان مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِه»». وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: «جاء عثمان بن عفان إلى النبي بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي جيش العسرة، قال: فجعل النبي يقلبها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددها مراراً».

دورة فى شراء بئر رومة : عندما قدم النبي محمد إلى المدينة المنورةوجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله: «من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة». وقال: «من حفر بئر رومة فله الجنة». وقد كانت رومة قبل قدوم النبي لا يشرب منها أحد إلا بثمن، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بِمُدّ، فقال النبي: «تبيعها بعين في الجنة؟» فقال: «يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها». فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي فقال: «أتجعل لي فيها ما جعلت له؟» قال: «نعم» قال: «قد جعلتها للمسلمين». وقيل كانت رومة ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها، فاشتراها عثمان بن عفان من اليهودي بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل. وهذه البئر في عقيق المدينة، روي عن النبي أنه قال: «نعم القليب قليب المُزَني»، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها. وروي عن موسى بن طلحة عن رسول الله أنه قال: «نعم الحفير حفير المزني»، يعني رومة. فلما سمع عثمان ذلك ابتاع نصفها بمائة بكرة وتصدق بها على المسلمين فجعل الناس يستقون منها. فلما رأى صاحبها أنه امتنع منه ما كان يصيب منها باعها من عثمان بشيء يسير فتصدق بها كلها.

جمع القرآن : اتسعت رقعة الأمصار الإسلامية في عهد عثمان بن عفان، وتفرق الصحابة في الأمصار يُقرِئون الناس القرآن، وأخذ كل بلدٍ عن الصحابي الذي وفد إليهم قراءته، وظهرت قراءات متعددة منشؤها اختلاف لهجات العرب. ولما اجتمع أهل العراقوأهل الشاملغزوثغور أرمينيةوأذربيجان، ظهر

الخلاف بينهم في قراءة القرآن، وأنكر بعضهم على بعض ما يقرأون. شهد ذلك حذيفة بن اليمان، فركب إلى عثمان وبلّغه بالأمر. فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر، يطلب المصحف لنسخه، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها، وجعلوا كتابته على لهجة قريش. ثم أرسل عثمان النسخ إلى مكة والشام والبصرة والكوفة واليمن والبحرين، وأبقى عنده في المدينة مصحفًا واحدًا، فقضى على الاختلاف بين بعض المسلمين. وقد درج العلماء على تسمية المصحف المكتوب بأمر عثمان بمصحف عثمان أوالمصحف الإمام.

بويع عثمان بالخلافة بعد الشورى التي تمت بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م)، وقد استمرت خلافته نحواثني عشر عامـًا

بعد تولي عثمان حكم المسلمين بحيلة الشورى العمرية قام وحاله حال أي حاكم جديد بتغيير ولاة الامور على الامصار ، بطبيعة الحال تغييره الولاة يدل على احد اثنين اما عدم رضاه عن الولاة السابقين (ولاة عمر)- وهذا القول مزعج لاصحاب نظرية عدالة الصحابة- ، أوتثبيتا لحكمه وحكم عشيرته متأملا دوام حكمه ليمتد فيما بعد الى عشيرته (بنوأمية) وهوما تحقق !

لقد كان من سوء التدبير عند عثمان تقديمه بني أميّة ـ الذين لسوء حظّهم ـ كانوا من أواخر المعترفين بالإسلام ، ومع ذلك شملهم بعطفه مع أنّهم الأوائل الذين قاوموه وحاربوه ، والناس على ذُكر ممّا قاله نبي الإسلام فيهم حين قال لهم : « الطلقاء » ، وجعلهم من المؤلّفة قلوبهم ، وحذّر منهم المسلمين ، وقال أبوبرزة الأسلمي : «كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بنواُميّة وبنوحنيفة وثقيف » (وهذا ذكر فى مستدرك الحاكم ٤ / ٤٨٠ وصحّحه مع الذهبي على شرط الشيخين.) ، ولكن عثمان بسوء تقديره وتدبيره خضع لأسباب القرابة حتّى أورثه ذلك نقمة الصحابة والمسلمين ، فأسمعوه الكلمات الجارحة في وجهه ، والنقد المرير في غيبته ، لأنّهم لم يكونوا قد عرفوا مثل ذلك من قبل أيّام عمر.

قال الشيباني : « أوّل من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفان »

روى ابن شَبَّةَ قال:

[حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفُضَيْلِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُوبْنُ مُرَّةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: دَعَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ وَفِيهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكُمْ، أَنْشُدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ كَانَ يُؤْثِرُ قُرَيْشًا عَلَى سَائِرِ النَّاسِ وَيُؤْثِرُ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى سَائِرِ قُرَيْشٍ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: » لَوْ أَنَّ مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ فِي يَدِي لأَعْطَيْتُهَا بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى يَدْخُلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ، وَاللهِ لأُعْطِيَنَّهُمْ وَلأَسْتَعْمِلَنَّهُمْ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ مَنْ رَغِمَ «. فَقَالَ عَمَّارٌ: عَلَى رَغْمِ أَنْفِي؟ » قَالَ: عَلَى رَغْمِ أَنْفِكَ «. قَالَ: » وَأَنْفِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ » فَغَضِبَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَوَطِئَهُ وَطْأً شَدِيدًا، فَأَجْفَلَهُ النَّاسُ عَنْهُ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ: » أَيَا أَخَابِثَ خَلْقِ اللهِ أَغْضَبْتُمُونِي عَلَى هَذَا الرَّجُلِ حَتَّى أُرَانِي قَدْ أَهْلَكْتُهُ وَهَلَكْتُ «، فَبَعَثَ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَقَالَ: مَا كَانَ نَوَالِيَ إِذْ قَالَ لِي مَا قَالَ إِلا أَنْ أَقُولَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ، وَمَا كَانَ لِي عَلَى قَسْرِهِ مِنْ سَبِيلٍ، اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَخَيِّرَاهُ بَيْنَ ثَلاثٍ، بَيْنَ أَنْ يَقْتَصَّ أَوْ يَأْخُذَ أَرْشًا أَوْ يَعْفُوَ. فَقَالَ: » وَاللهِ لا أَقْبَلُ مِنْهَا وَاحِدَةً حَتَّى أَلْقَى رَسُولَ اللهِ فَأَشْكُوَهُ إِلَيْهِ «. فَأَتَوْا عُثْمَانَ. فَقَالَ: سَأُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ آخِذًا بِيَدِي بِالْبَطْحَاءِ فَأَتَى عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَعَلَيْهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ أَبُوهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكُلَّ الدَّهْرِ هَكَذَا؟ قَالَ: قَالَ: » اصْبِرْ يَاسِرُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ » وَقَدْ فَعَلْتُ] .

تاريخ المدينة للإمام عُمر بن شبة ج٣ ص١٠٩٨ .

قال الْبَلَاذُرِيُّ:

[ويقال إن المقداد بْن عَمْرووعمار بْن ياسر وطلحة والزبير فِي عدة مِنْ أَصْحَاب رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتبوا كتابًا عددوا فِيهِ أحداث عُثْمَان وَخَوَّفُوهُ رَبَّهُ وأعلموه أنهم مواثبوه إن لَمْ يقلع، فأخذ عمار الكتاب وأتاه بِهِ، فقرأ صدرًا منه فَقَالَ لَهُ عُثْمَان: أعلي تقدم من بينهم؟ فَقَالَ عمار: لأني أنصحُهم لَك، فَقَالَ: كذبت يا ابن سُمَيَّة، فقال: أنا والله ابْن سمية وابن ياسر،

فأمر غلمانا لَهُ فمدوا بيديه ورجليه ثُمَّ ضربه عُثْمَان برجليه وَهِيَ فِي الخفين عَلَى مذاكيره فأصابه الفتق، وَكَانَ ضعيفًا كبيرًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ]

أنساب الأشراف للإمام أحمد بن يحيى البلاذري ج٦ ص١٦٢ ،

وإلى القارئ أسماء بعضهم ممّن حباهم بالمال والولايات ، حتّى افسدوا علية الامر وبجوار كل اسم المصادر حتى لا يطعن احد ويقول لم يحدث اويشكك :

١ ـ الحكم بن أبي العاص وهوعمّ عثمان ، قال الحلبي في سيرته : «كان قال له طريد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولعينه ، وقد كان صلّى الله عليه وآله وسلّم طرده إلى الطائف ومكث به مدّة رسول الله ومدّة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في إدخاله المدينة فأبى فقال له عثمان : عمّي. فقال : عمّك إلى النار ، هيهات هيهات أن أغيّر شيئًا فعله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والله لا رددته أبداً. فلمّا توفّي أبوبكر وولى عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له : ويحك يا عثمان تتكلّم في لعين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وطريده وعدوّ الله وعدوّ رسوله ؟.

فلمّا ولي عثمان ردّه إلى المدينة فاشتدّ ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة ، فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه ... اهـ » (السيرة الحلبية ٢ / ٨٥).

وروت عائشة : « إنّ قوله تعالى : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) (٤) الآية نزلت فيه » (٥) ، وقالت لمروان بن الحكم : « سمعت رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لأبيك وجدّك ـ أبي العاص بن أميّة ـ انّكم الشجرة الملعونة في القرآن » (٦) ، وقالت أيضاً لمروان في كلام بينهما : « ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعن أبا مروان ومروان في صلبه ، فمروان فضض من لعنة الله » (فسير القرطبي ١٦ / ١٩٧ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ١٥٩ ،.

ولمّا ردّ عثمان عمّه الحكم بن أبي العاص طريد النبيّ صلّى الله عليه وآله

وسلّم وطريد أبي بكر وعمر إلى المدينة تكلّم الناس في ذلك فقال عثمان : « ما ينقم الناس منّي ؟ إنّي وصلت رحماً وقرّبت قرابة » (٨) ، ولقد رآه بعضهم يوم قدم المدينة عليه فزر (٩) خلق وهويسوق تيساً حتّى دخل دار عثمان والناس ينظرون إلى سوء حاله وحال من معه ، ثمّ خرج وعليه جبة خزّ وطيلسان (تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤١) ولم يكتف بارجاعه بل ولاه صدقات قضاعة فبلغت ثلثمائة ألف درهم فوهبها له حين أتاه بها (أنساب الأشراف ق ٤ / ٥١٥.). وقال عبد الرحمن بن يسار : « رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاها عثمان فقال له ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص » (تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٥.) ، ولمّا مات صلّى عليه وضرب على قبره فسطاطاً (أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٤).

٢ ـ أبوسفيان بن حرب ، وهذا هورأس المنافقين والقائل حين قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « تلقّفوها الآن تلقّف الكرة فما من جنّة ولا نار(أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٤).

ولم يزل على تلك المقولة حتّى قالها وهوأعمى البصر والبصيرة حين دخل على عثمان يوم بويع بالخلافة فقال : « تلقفوها يا بني أميّة تلقف الكرة فوالّذي يحلف به أبوسفيان مازلت ارجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة » (مروج الذهب ١ / ٤٤٠) ، وفي لفظ الطبري : « تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنّة ولا نار » (تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٧).

وروى ابن عساكر في تاريخه عن أنس أن أبا سفيان دخل على عثمان بعد ما عمي فقال : « هل هنا أحد ؟ فقالوا لا : فقال : اللّهمّ اجعل الأمر أمر جاهلية ، والملك ملك غاصبية ، واجعل أوتاد الأرض لبني أميّة » (تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ٦ / ٤٠٧). وفي رواية ابن عبد البر عن الحسن : أنّه قال لعثمان : « صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة ، واجعل أوتادها بني أُميّة فإنّما هوالملك ؟ ولا أدري ما جنّة ولا نار » (الاستيعاب ٢ / ٦٩٠) ، فهذا شيخ بني أمية المائن أعطاه عثمان مائتي ألف من بيت المال في اليوم الّذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال أيضاً (شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٧ ط الأولى).

ـ مروان بن الحكم ، طريد رسول الله وابن طريده ولعينه وابن لعينه كما روت ذلك عائشة وقد مرّ آنفـًا ، زوّجه عثمان ابنته أُم أبان وأعطاه مائة ألف يوم أعطى أبا سفيان مائتي ألف وذلك كلّه من بيت المال. فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى. فقال عثمان : أتبكي أن وصلت رحمي ؟ قال : لا ولكن أبكي لأنّي أظنّك أنّك أخذت هذا المال عوضـًا عمّا كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والله لوأعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً. فقال : ألق المفاتيح يا بن أرقم فإنّا سنجد غيرك (شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٧ ط الأولى).

روى البلاذري بسنده عن خالد مولى أبان بن عثمان قال : « كان مروان قد ازدرع بالمدينة في خلافة عثمان على ثلاثين جملاً فكان يأمر بالنوى أن يشترى له فيُنادى : انّ أمير المؤمنين يريده ، وعثمان لا يشعر بذلك ، فدخل عليه طلحة وكلّمه في أمر النوى فحلف أنّه لم يأمر بذلك ، فقال طلحة : هذا أعجب أن يُفتات عليك بمثل هذا ، فهلّا صنعت كما صنع ابن حنتمة ـ يعني عمر بن الخطاب ـ خرج يرفأ بدرهم يشتري به لحمـًا فقال للحّام : إنّي أريده لعمر. فبلغ ذلك عمر فأرسل إلى يرفأ فأتي به وقد برك عمر على ركبتيه وهويفتل شاربه ، فلم أزل أكلّمه فيه حتّى سكّنته فقال له : والله لئن عُدت لأجعلنّك نكالاً ، أتشتري السلعة ثمّ تقول هي لأمير المؤمنين ؟ » (أنساب الأشراف ق ٤ / ٥١٦).

وروى المؤرّخون أنّ عثمان أعطى مروان خمس غنائم افريقيّة بعد أن فرّقها كلّها في آل الحكم وخصّ مروان بخمسها (أنظر تاريخ الطبري ٥ / ٥٠) وتاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٨ ،، ثمّ زاده فدكـًا.

قال أبوالفداء في تاريخه : « وأقطع مروان بن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الّتي طلبتها فاطمة ميراثـًا فروى أبوبكر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة. ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة » (تاريخ أبي الفداء ١ / ١٦٨ لابن قتيبة / ١٩٥ ، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٣ ، وسنن البيهقي ٦ / ٣٠١.).

٤ـ سعيد بن العاص ، زوجه ابنته أم عمرو فهلكت عنده فتزوّج أختها مريم الكبرى (أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٦٠١.) ، وأعطاه عثمان مائة ألف درهم ، فأنكر الناس ذلك عليه ، فكلّمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف ـ وهم أهل الشورى ـ في ذلك ، فقال : « إنّ له قرابة ورحماً ، قالوا : أفما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذورحم ؟ فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا احتسب في إعطاء قرابتي ، قالوا : فهديهما والله أحبّ إلينا من هديك. فقال : لا حول ولا قوّة إلّا باللهثمّ ولّاه الكوفة بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

٥ـ الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، صهر عثمان على ابنته عائشة ، أعطاه ثلثمائة ألف درهم وقدمت عليه إبل الصدقة فوهبها له ، وزاده بأن أقطعه سوق المدينة يعرف بمهزور وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تصدق به على المسلمين

قال الحلبي في سيرته : « أعطى الحارث عشر ما يباع في السوق.

٦ـ عبد الله بن خالد بن أسيد ، طلب منه صلة فأعطاه أربعمائة ألف درهم (المعارف لابن قتيبة / ١٩٥ ط محقّقة) وزوجه ابنته أمّ سعيد وأمر له بستمائة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٥، وقدم عليه مرّة وناس غزاة معه فأمر لعبد الله بثلثمائة ألف درهم ، ولكلّ رجل من القوم بمائة ألف درهم ، وصكّ بذلك إلى ابن أرقم ـ خازن بيت المال ـ فاستكثره ورد الصكّ له ـ ويقال انّه سأل عثمان أن يكتب عليه به ذكر حقّ فأبى ذلك ـ فامتنع ابن الأرقم من أن يدفع المال إلى القوم ، فقال له عثمان إنّما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت ؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازناً للمسلمين ، وإنّما خازنك غلامك والله لا ألي لك بيت المال أبداً ، وجاء بالمفاتيح فعلّقها على المنبر ـ ويقال بل ألقاها إلى عثمان ـ فدفعها عثمان إلى نافل مولاه ، ثمّ ولى زيد بن ثابت الأنصاري بيت المال وأعطاه المفاتيح ـ ويقال : انّه ولى بيت المال معيقيب بن أبي فاطمة ـ وبعث إلى عبد الله ابن الأرقم ثلاثمائة ألف درهم فلم يقبلها انساب الاشراف ١ ق ٤ / ٥٤٨، وقال ـ فيما رواه الواقدي ـ : ما لي إليه حاجة ، وما عملت لأن

يثيبني عثمان ، والله لئن كان هذا من مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن أعطى ثلاثمائة ألف درهم ، ولئن كان من مال عثمان ما أحبّ أن آخذ من ماله شيئاً

٧ ـ عبد الله بن سعد بن أبي سرح ـ أخوه من الرضاعة ـ المرتدّ عن الإسلام وقد أهدر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دمه يوم فتح مكّة وان وجد متعلّقاً بأستار الكعبة ، فغيبّه عثمان عنده ثمّ أتى به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مستأمناً له ، فصمت صلّى الله عليه وآله وسلّم طويلاً رجاء أن يقوم إليه من المسلمين من يقتله اُنظر سنن أبي داود ٢ / ٢٢٠ ، ومستدرك الحاكم ٣ / ١٠٠.

فهذا المرتد أعطاه عثمان جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقيّة بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحدٌ من المسلمين كما يقول ابن أبي الحديد المعتزلي. قال ابن الأثير : « أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية الّتي افتتحت فيها جميع أفريقيّة » (تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٨).

لئن كان هؤلاء هم القرابة المحظيين بالعطاء والاقطاع فدع عنك حديث الآخرين من بني أميّة الذين تملكوا البلاد فساسوا العباد فأكثروا فيها الفساد ، أمثال معاوية وعبدالله بن عامر ويعلى بن أميّة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وأضرابهم ممّن هدموا بناء الإسلام ، وبثوا التفرقة بين المسلمين فمزّقوا وحدتهم بسوء أعمالهم ، إذ كانوا يحكمون الناس كأمويين حاقدين على الإسلام ونبيّه ، فهيّج ذلك حقد الصدور ، وهيّأ أسباب الثورة على عثمان ، ثمّ هم لم يغنوا عنه شيئاً في حياته ، بل استغلّوا دمه وقميصه بعد وفاته.

وحسبنا حديث استنصاره بهم وهومحصور في حصره الأوّل ، فلم يغثه منهم أحد ، وهاك حديث معاوية وهوأهمّهم أمراً ، وأعظمهم قطراً ، وأكبرهم عمراً.

روى الذهبي في سير أعلام النبلاء نقلاً عن ابن سعد بأسانيده الثلاثة إلى المسور بن مخرمة وابن الزبير وابن عبّاس قالوا : « بعث عثمان المسور بن مخرمة إلى معاوية يُعلمه أنّه محصور ، ويأمره أن يجهّز إليه جيشاً سريعاً ،

فلمّا قدم على معاوية ، ركب معاوية لوقته هوومسلم بن عتبة وابن حديج فساروا من دمشق إلى عثمان عشراً. فدخل معاوية نصف الليل ، وقبّل رأس عثمان فقال : أين الجيش ؟ قال : ما جئت إلّا في ثلاثة رهط. فقال عثمان : لا وصل الله رحمك ، ولا أعزّ نصرك ، ولا جزاك خيراً ، فوالله لا أقتل إلّا فيك، ولا ينقم عليَّ إلّا من أجلك. فقال : بأبي أنت وأمّي لوبعثت إليك جيشاً فسمعوا به عاجلوك فقتلوك. ولكن معي نجائب فاخرج معي فما يشعر بي أحد ، فوالله ما هي إلّا ثلاث حتّى نرى معالم الشام ، فقال : بئس ما أشرت به ، وأبى أن يجيبه. فأسرع معاوية راجعاً. وورد المسور يريد المدينة بذي المروة راجعاً وقدم على عثمان وهوذامّ لمعاوية غير عاذرٍ له. فلمّا كان حصره الآخر، بعث المسور ثانياً إلى معاوية ليُنجده. فقال : ان عثمان أحسن أحسن الله به، ثمّ غيّر فغيّر الله به ، فشددت عليه. فقال : تركتم عثمان حتى إذا كانت نفسه في حنجرته قلتم : اذهب فادفع عنه الموت. وليس ذلك بيدي ، ثمّ انزلني في مشربة على رأسه ، فما دخل عليّ داخل حتّى قتل عثمان » (سير أعلام النبلاء ١ ـ ٢ / ٦٠٦).

فهؤلاء هم بنوأمية الذين تمنّى عثمان لوأنّ بيده مفاتيح الجنّة لأعطاها بني أميّة حتّى يدخلوا من عند آخرهم ، وقد أخرج ذلك أحمد في مسنده (مسند أحمد ١ / ٦٢).

ولقد صدق فيهم قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إنّ فساد أُمّتي على يدي غلمة سفهاء من قريش » كما أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « هلاك أمّتي على يدي أغيلمة سفهاء » (صحيح البخاري ٩ / ٤٦).

وصدق ظنّ عمر بعثمان حين قال لابن عبّاس : « لووليها عثمان لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولوفعلها لقتلوه » (أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٠٢).

وقال طه حسين في الفتنة الكبرى : « والسياسة المالية الّتي اصطنعها عثمان منذ نهض بالخلافة كلّها موضوع النقمة والإنكار من أكثر الذين عاصروا عثمان

ومن أكثر الرواة والمؤرّخين.الفتنة الكبرى ١ / ١٩٠ و١٩٧.

وقال أيضـًا : وكذلك دفعت سياسة عثمان المالية هؤلاء الثائرين إلى أن يلحّوا على عثمان في تغيير سياسة عمر نفسها ، وما دام عثمان قد ذهب إلى سياسة تنحرف عن سياسة عمر حتّى أبعد ، وأنشأ طبقة الرأسماليين الذين أسرفوا على أنفسهم في الملك والتوسّع فيه. فليس ما يمنع الثائرين من أن يكفّوا يد عثمان وعماله عن هذه السياسة وإن اقتضى ذلك الانحراف عن سيرة عمر ...

وقال أيضـًا : ولوقد سار عثمان في الأموال العامة سيرة عمر فلم ينفق المال إلّا بحقّه ، لجنّب نفسه وجنّب المسلمين شرّاً عظيمـًا ، ولكان من الممكن أن ينشيء الإسلام للإنسانيّة نظامـًا سياسيّـًا واجتماعيّـًا صالحـًا يجنبها كثيراً من الإضطراب الّذي اضطرت إليه ، والفساد الّذي تورطت فيه ».

أمّا مخالفته للشريعة في الأموال ومخالفته في المحاباة بالولايات فتلك هي الّتي أثارت عليه الزوابع من هنا وهناك ، فتعالى النكير وكثر النفير ، حتّى انتهى به إلى سوء المصير. وكانت عمدة الحجّة عليه مخالفته للشريعة في تلك الهبات والمحاباة مضافـًا إلى مخالفته لسيرة من كان قبله وقد أخذ عليه عبد الرحمن شرط العمل بسيرة الشيخين.

ولابدّ لنا من عرض نصوص تدلّ على ما قلناه :

١ ـ قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج : « لمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء وضع طعامـًا كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن ، فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال : يابن عفّان لقد صدّقنا عليك ما كنا نكذّب فيك ، وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك ، فغضب عثمان وقال : أخرجه عنّي يا غلام ، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلّا ابن عبّاس كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض (١) ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتّى مات.

ـ قال ابن عبد ربه في العقد الفريد : « لمّا أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة من أصحاب محمّد قيل لعبد الرحمن

هذا عملك قال : ما ظننت هذا ، ثمّ مضى ودخل عليه وعاتبه وقال إنّما قدّمتك على ان تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين. فقال : انّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله. قال عبد الرحمن : لله عليَّ أن لا أكلّمك أبداً ، فلم يكلّمه حتّى مات وهو مهاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه » (العقد الفريد ٢ / ٢٨٠ ط

٣ ـ روى البلاذري في أنساب الأشراف ، وقال أبومخنف والواقدي في روايتيهما : « أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مائة ألف درهم.

وكلّمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك ، فقال : إنّ له قرابة ورَحماً قالوا أما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم ؟ فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي. قالوا : فهديهما والله أحبّ إلينا من هديك ، فقال : لا حول ولا قوة إلّا بالله » (أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٥).

٤ـ روى البلاذري في كتابه أنساب الأشراف بإسناده عن محمّد بن سهل ابن سعد الساعدي قال : « تنازع عليّ وطلحة في شِرب فكان عليّ يحبّ إقرارَه، وكان طلحة يُحبّ إبطاله ، فاختصما إلى عثمان ، فركب معهما إلى الشِرب ، ووافاهم معاوية قادماً من الشام فأدركته المنافية فقال : إن كان هذا الشِرب مُقرّاً في خلافة عمر فمن ذا يغيّر شيئاً أقرّه عمر ؟ فلقنها عثمان فقال : هذا شِرب لم يغيّره عمر ولسنا بمغيّري ما أقره عمر.

فقال طلحة : وما الّذي أنت عليه من أمر عمر ؟ اهـ ... » (أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٩٩.

فماذا تعني كلمة طلحة : « وما الّذي أنت عليه من أمر عمر » ؟ إن هي إلّا نقد لاذع لعثمان في وجهه بأنّه تخلّف عما اشترطه عليه عبد الرحمن بن عوف من السير بسيرة الشيخين فأنعم له فبايعه وتابعه الناس على ذلك ، ومقارنة بسيطة بين السيرتين نجد البون شاسعاً وحسبنا عرضاً عابراً في موضوع الإدارة والمال ولهذه الأسباب وغيرها حدثت اعتراضات وثورة كبيرة على

سيدنا عثمان فيما سمى بإحداث فتنة مقتل عثمان أوالفتنة الكبرى وتُعرف كذلك بالفتنة الأولى هي مجموعة من القلاقل والاضطرابات والنزاعات أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفانفي سنة ٣٥ هـ، ثم تسببت في حدوث نزاعات وحروب طوال خلافة علي بن أبي طالب.

كان للفتنة الكبرى أثر كبير في تحويل المسار في التاريخ الإسلامي، فتسببت لأول مرة بتوقف الفتوحات وانشغال المسلمين بقتال بعضهم البعض، كما تسببت ببداية النزاع المذهبي بين المسلمين، فبرز الخوارج لأول مرة كجماعة تطالب بالإصلاح وردع الحاكم الجائر والخروج عليه، كما كان من آثار الفتنة مقتل عددٍ مهول من الصحابة على رأسهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

كما كانت من أبرز تحولات المسار، انتهاء عصر دولة الخلافة الراشدة والخلافة الشوريَّة، وقيام الدولة الأموية وبروز الخلافة الوراثيَّة

وكانت المعارضة تشتد في الولايات وتصل أصداؤها إلى المدينة، وتشتد في المدينة فيصل أصداؤها إلى الولايات البعيدة فتزداد جرأة، حتى كتب أصحاب الرسول المقيمين في المدينة إلى أصحابهم خارج المدينة بالقدوم إليها لتصحيح ما اعوج من أمور الخلافة. فتكاثر الناس واجتمعوا في المدينة سنة ٣٤ هـ، ولاموا عثمان على سياسته، ثم كلفوا الإمام علي بن أبي طالب أن يدخل على عثمان فيكلمه كما ورد فى انساب الأشراف للبلاذري«الجزء السادس»مسير أهل الاصار إلى عثمان ص ١٧٥ فدخل عليه وقال له بعد أن مدحه كلامـًا منه: «تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدي وهَدى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة متروكة، فوالله إنَّ كُلًّا لبَيِّن، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن البدع لقائمة لها أعلام، وان شر الناس عند الله إمام جائر، ضَلَّ وضُلَّ به، فأمات سنة معلومة، وأحيا بدعةً متروكة».

خطب بعد هذه المقابلة عثمان في الناس ينذرهم ويحذرهم ثم ذهب إلى بعض من اللين، ولكنه بقى على موقفه، ورغم أن علي بن أبي طالب لم يكن راضيـًا على ما كان يفعله عثمان، إلا أنه وضع في ذلك اليوم ولديه الحسن

والحسين أمام بيت عثمان ليقوموا بحمايته. أرسل بعدها عثمان يطلب قدوم معاوية وعبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص إلى المدينة للاجتماع بهم.

فاستشارهم عثمان عند قدومهم في كيفية التعامل مع المعارضة، فأشار له معاوية بأن يترك التعامل مع المعارضة على عاتق العمال (حكام الأقاليم) وأشار له سعيد بقتل قادة المعارضة وأشار له عبد الله بن أبي سرح بأن يرشوهم من المال ليسكتوا، وأشار إليه عبد الله بن عامر أن يشغل المسلمين في الحرب والفتوحات الإسلامية. فعمل عثمان براي عبد الله بن عامر.

وما إن دخل عام ٣٥ هـ ثار أهل الكوفة على حاكمهم سعيد (كما ذكرنا) وطلبوا أن يولى عليهم أبوموسى الاشعري. وظهر للناس بأن الثورة هي الطريق الوحيد لتنفيذ مطالبهم.

ولم يكن للمصريين حل سوى أن يرسلوا وفداً إلى المدينة يطلبون فيه من عثمان كف عماله عن التسلط على رقاب المسلمين ومُقدّراتهم. فخرجوا ب ٣٥ وفداً ضخماً في رجب من عام ٣٥هـ يظهرون أنهم يريدون العمرة. فأرسل لهم عثمان جماعة من المهاجرين والأنصار على رأسهم علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري ليلتقوا بهم في قريةٍ خارج المدينة. فخرج لهم علي ومن معه فوعدهم على لسان عثمان أن ينفذ مطالبهم، وقدم وفد منهم إلى عثمان في داخل المدينة، فخطب بهم وأثنى عليهم وأعطى التوبة واستغفر الله، وبكى وبكى الناس ورضوا بما قطعه عثمان على نفسه من عهود. وغادر وفد المصريين المدينة عائدين إلى ديارهم.

وما إن عادت وفود المصريين إلى مصر حتى تلقاهم عبد الله بن أبي سرح بعد أن عرف بأمرهم، فضرب رجلا منهم فقتله (كما قدمنا)كما ورد فى أنساب الأشراف\\ البلاذري \\ الجزء السادس\\ذكر مانكروا من سيرة عثمان ص ١٣٤ ومرت الأيام بدون أن يعزل عبد الله بن أبي سرح فتواعد المصريون مع أهل الكوفة والبصرة للقدوم إلى المدينة بعد أن استيأسوا من وفاء الخليفة بعهوده. فتحركوا في شوال من نفس السنة صوب المدينة. وما إن وصلت وفود

المعارضين إلى ضواحي المدينة، طلب عثمان من علي أن يخرج لهم فأبى، وأبى كذلك محمد بن مسلمة وقال: لا أكذب الله في السنة مرتين.

وانتهى الأمر بعزل ابن أبي سرح، وتولية محمد بن أبي بكر، فأرسله إلى مصر، ومعه جمع من الصحابة، وعندما كان محمد بن أبي بكر ومن معه في الطريق إلى مصر. فأزعجهم رجل يركب بعيراً فأوقفوه بعد أن شكّوا فيه، وظهر أنه مبعوث من عثمان إلى والي مصر، ويحمل معه كتاباً له، ففتحوا الكتاب المختوم، وفي الكتاب أمراً من الخليفة إلى عبد الله بن أبي سرح يدعوه فيه إلى قتل المعارضين الذين قدموا إلى المدينة كما ورد فى كتاب تاريخ المدينة المنورة\\عمر بن شبه\\الجزء الرابع ص ٣، وقيل ان حامل الرسالة هذه هوأبوالأعور السلمي.

فأرسل المصريون إلى أهل العراق الذين تفرقوا عنهم يرجعوهم إلى المدينة، ودخلوا المدينة بسرعة حتى فاجئوا من فيها، فذهبوا إلى عثمان وقالوا له: هل هذا غلامك (يقصدون حامل الكتاب)؟ فقال: نعم إنه غلامي انطلق بغير علمي. قالوا: هل هذا جملك؟ قال: أخذه من الدار بغير أمري. قالوا: هل هذا خاتمك؟ فقال: نقش عليه. فقالوا له إن لم تكتب أنت الكتاب فسلمنا من كتبه.

وهنا ارتفعت مطالب المعارضين الذين تحولوا إلى ثوار فطالبوا بأن يعزل عثمان نفسه، وأن يولي كبارُ صحابة المسلمين خليفةً جديداً بدلاً عنه. فرفض عثمان ذلك، وما كان من الثوار إلا الاعتصام في المدينة حتى تنفذ مطالبهم، وكانوا خلال ذلك لا يضايقون عثمان وكانوا يصلون وراءه.

حتى كتب عثمان إلى عماله كتاباً يدعوهم فيه إلى إرسال مقاتلين حتى ينصروه على الثوار، فعلم الثوار بأمر الكتاب، فبدأ الحصار، وتغيرت معه سيرتهم مع عثمان. فخرج عثمان على المنبر يلعن الثوار، فتشاجر القوم بالأيدي، حتى ضُرِب عثمان، فسقط مغشياً عليه، وحمل إلى بيته، وضرب الثوار حصاراً على بيته ومنعوه من الخروج منه.

ثم أخذت الأمور تصل إلى حدتها بالتأزم عندما قُتل أحد الثوار وهو«نيار

بن عياض الأسلمي» عندما رمى أحدُ المحاصَرين من داخل دار عثمان سهماً نحوه. فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به، فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي. حتى بلغ الأمر ذروته فاقتحم الثائرون الدار، وتشابكوا مع أهله، فأصابوا عبد الله بن الزبير بجراحات كثيرة، وصُرع مروان بن الحكم حتى اعتقدوا أنه مات، ودخلوا على عثمان فقتلوه. في يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، ودفن بالبقيع.

الفصل السابع

على بن أبى طالب عليه السلام

ومعاوية بن أبى سفيان

من هوعلى بن ابى طالب ؟

وهوعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كِلاب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ابن عمّ النبي -عليه الصلاة والسلام-. أمّا والدة علي فهي فاطمة بنت أسد بن عبد مناف من بني هاشم، بنت عمّ أبي طالب.

وفى صحيح مسلم - من الإيمان - الدليل على أن حب الأنصار وعلي رقم الحديث : (١١٣)

أخبرنا : أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن عدي بن ثابت ، عن زر قال: قال علي : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أن لا يحبني إلاّ مؤمن ، ولا يبغضني إلاّ منافق.

رُوي عن ابن إسحاق أنّ على بن ابى طالب وُلد قبل البعثة بعشر سنواتٍ، وهوما رجّحه ابن حجر العسقلاني.

وفقًا لروايات تقول أن موضعًا بأحد جدران الكعبة يسمى المستجار قبل الركن اليماني قد انشق لفاطمة بنت أسد حين ضربها الطلق فدخلت الكعبة وولدت علي.وذُكر ذلك في أحد المصادر السنية وهو المست درك للحاكم النيسابوري فجاء فيه:

«تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فى جوف الكعبة»

كان لعليّ بن أبي طالب -ﷺ- العديد من الإخوة، أشهرهم ثلاثة، وهم: عَقيل، وطالب، وجعفر والذى كان من الصحابة الأجلّاء السابقين في الإسلام ويكنى بجعفر الطيار؛ حيث هاجر إلى الحبشة مرّتَين، وتزامنت عودته في المرة الثانية مع انتصار المسلمين في غزوة خيبر، وقد أَمَّرَه النبيّ على جيش غزوة مؤتة، فأبلى فيها بلاءً حسنًا، وقُطِعت يداه، واستُشهد في مؤتة عن عُمرٍ يناهز الثالثة والثلاثين.، وكان علي أصغرهم، وكانت له أختان،

وهما: أم هانىء، وجمانة، حين كان علي ما بين الخامسة والسادسة من عمره مرت بمكة سنين عسرة وضيق أثّرت على الأحوال الاقتصادية في مكة وما حولها، وكان لأبي طالب ثلاثة أبناء: علي وعقيل وجعفر، فذهب إليه الرسول محمد وعمه العباس بن عبد المطلب وعرضا عليه أن يأخذ كل منهما ولدا من أبنائه يربيه ويكفله تخفيفا للعبء الذي عليه، فأخذ العباس جعفر وأخذ محمد عليا، فتربى في بيته وكان ملازما له أينما ذهب، وتذكر بعض المصادر أنه كان يذهب معه إلى غار حراء للتعبد والصلاة، كما يُذكر أنه كان قبل الإسلام حنفيا ولم يسجد لصنم قط طيلة حياته، ولهذا يقول المسلمون «كرم الله وجهه» بعد ذكر اسمه، وقيل لأنه لم ينظر لعورة أحد قط.

إسلام الإمام على ﷺ :

ما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، دعاني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عليُّ، إنَّ الله أمَرَنِي أنْ أُنْذِرْ عَشِيرَتِي الأقْرَبِ»، فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ حتى جاء جبرئيل فقال: «يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسا من لبن؛ ثم اجمع لي بنى عبد المطلب حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به»، ففعلت ما أمرني به. ثم دعوتهم له؛ وهم يومئذ أربعون رجلا، يزيدون رجلا أوينقصونه؛ فيهم أعمامه:أبوطالب وحمزة والعباس وأبولهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله حذية من اللحم، فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة. ثم قال: «خذوا بسم الله»، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وايم الله الذي نفس علي بيده؛ وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: «اسق القوم»، فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه حتى رووا منه جميعا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبولهب إلى الكلام، فقال: «لهد ما سحركم صاحبكم!» فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ، فقال: «الغد يا علي؛ إن هذا

الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم لي». قال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة. ثم قال: «اسقهم»، فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعا، ثم تكلم رسول الله ﷺ، فقال: «يا بني عبد المطلب؛ إنى والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به؛ إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيتي وخلفتي فيكم؟» قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقلت: «وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحمشهم ساقا؛ أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي»، ثم قال: «إن هذا أخي ووصي ووخليفتي فيكم، فاسمعوا لهوأطيعوا». قال: «فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع».وقد وردت هذة القصة فى كتاب تاريخ الملوك والرسل للطبرى ، وفي رواية أخرى حول إسلام علي ذكر ابن الأثير في أسد الغابة .

قال ابن إسحاق قال: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك اليوم- يعني بعد إسلام خديجة وصلاتها معه- قال: فوجدهما يصليان، فقال علي: يا محمد، ما هذا؟ فقال رسول الله : «دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وإلى عبادته وكفر باللات والعزى».فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب. فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا عليّ، إن لم تسلم فاكتم. فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام، فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد». ففعل عليّ وأسلم، ومكث عليّ يأتيه سرًا خوفًا من أبي طالب، وكتم عليّ إسلامه.

في اليوم الذي عزم فيه الرسول على الهجرة إلى يثرب، اجتمع سادات قريش في دار الندوة واتفقوا على قتله، فجمعوا من كل قبيلة شاب قوي

وأمروهم بانتظاره أمام باب بيته ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل. حسب اعتقاد كافة المسلمين جاء المَلَك جبريل إلى النبي محمد وحذره من تآمر القريشيين لقتله، فطلب النبي محمد من علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه بدلا منه ويتغطى ببرده الأخضر ليظن الناس أن النائم هومحمد وبهذا غطي على هجرة النبي وأحبط مؤامرة أهل قريش. وفي بعض الروايات أنه سأل أصحابه من يبيت على فراشه فلم يجبه إلا عليا ثلاثًا، ويعتبر علي أول فدائي في الإسلام بموقفه في تلك الليلة التي عرفت فيما بعد «بليلة المبيت»؛ ويروى المفسرين الشيعة في تفسير الآية القرآنية: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَاد** ﴿٢٠٧﴾ ﴾ سورة البقرة أنها نزلت في علي بن أبي طالب حين نام في فراش الرسولَ. كان محمدا قد أمره أن يؤدي الأمانات إلى أهلها ففعل، حيث كان أهل قريش يضعون أماناتهم عند النبي محمد. وكانوا في مكة يعلمون أن عليا يتبع محمدا أينما ذهب، لذا فإن بقاءه في مكة بمثابة تمويه لجعل الناس يشكون في هجرة النبي لاعتقادهم بأنه لوهاجر لأخذ عليا معه. بقي علي في مكة ثلاثة أيام حتى وصلته رسالة النبي محمد عبر رسوله أبي واقد الليثي يأمره فيها بالهجرة للمدينة.

خرج علي للهجرة إلى المدينة وهوفي الثانية والعشرين من عمره، وحسب رواية ابن الأثير في أسد الغابة فقد خرج علي وحيدا يمشي الليل ويكمن النهاربعد وصوله بيومين نزل علي مع الرسول إلى المدينة. حين وصل الرسول إلى المدينة قام بما عرف بمؤاخاة المهاجرين والأنصار اى جعل لكل واحد هاجر من مكة الى المدينة اخ لة من المدينة يتولى شئونة ويستيضفة فى بيتة ويقسم معومالة ولذلك سمى الانصار الا سيدنا على علية السلام فقد آخى بين علي وبين نفسه وقال له: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

واهم حدث ولا شك ان كل حياة الامام مهمة ولكن هذة لحظة فارقة فان السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي الأكرم، وكان قد خطبها قبله كل من أبي بكر و عمر و عبد الرحمن بن عوف فردّهم قائلاً: إن أمرها إلى ربّها إن شاء أن يزوّجها زوّجها.

في تاريخ الطبري ونقلا عن الإمام الباقر ورد أن الإمام علي تزوج السيدة فاطمة في السنة الثاني للهجرة وقبل أن ينتهي شهر صفر بعدة أيام،وفي خبر آخر عن الطبري أن الزواج كان في شهر رجب، وقال زُفت السيدة فاطمة إلى علي بعد غزوة بدر،وأضاف أن عمرها كان ١٨ سنة،

كان الإمام علي ابن أربع وعشرين سنة، ، وكان علي قد همّ بالتزوج من فاطمة نظراً لفضائلها، إلا أنه لم يتجرأ أن يذكر ذلك للنبي. ونقل أن سعد بن معاذ قد توسّط لعلي عند النبي، وعندما سأله سعد عن السبب الذي منعه أن يخطب من رسول الله ابنته، أجابه مستنكرا: «أنا أجترئ أن أخطب إلى رسول الله»؟ والله لوكانت أمة له ما اجترئت عليه. فحكى سعد مقالته لرسول الله فقال له رسول الله : قل له يفعل فإني سأفعل.

ونقلاً عنه أنه أتى الرسولَ فطلب يد بنته فاطمة، فقال له النبي بأن رجالاً قد أقدموا على خطبتها، كما أخبره عن الكراهة التي شاهدها في وجه فاطمة عند إطلاعها بطلبهم، ثم طرح عليها الخطبة التي قدمها ابن عمه قائلاً لها : إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه وإني قد سألت ربّي أن يزوجك خير خلقه وأحبّهم إليه، فسكتت ولم تولِّ وجهها، كما لم يرَ رسول الله فيها كراهة فقام وكبّر

وأنجبت له: الحسن بن علي بن أبي طالب الحسين بن علي بن أبي طالب مُحسن بن علي بن أبي طالب زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، وفي البخاري عن أسامة كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسني والحسن بن علي فيقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما. وعند أحمد من طريق زهير بن الأقمر بينما الحسن بن علي يخطب بعدما قتل علي إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبوته يقول: من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال عن الحسن والحسين: هما ريحانتاي من الدنيا. رضي الله عنهما وأرضاهما.

حدثنا محمد بن موسى الواسطي حدثنا المعلى بن عبد الرحمن حدثنا ابن

أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما .

روى الترمذي (٣٧٧٥) وابن ماجه (١٤٤) وأحمد (١٧١١١) عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ) والحديث حسنه الترمذي والألباني الطبراني – المعجم الكبير – الجزء : (٣) – رقم الصفحة : (٤٣) .

٢٥٦٤ – حدثنا : محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، ثنا : عبادة بن زياد الأسدي ، ثنا : يحيى بن العلاء الرازي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : قال رسول الله: إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب

السيوطي – الجامع الصغير – الجزء : (١) – رقم الصفحة : (٢٦٢)

١٧١٧ – إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب

شهد علي جميع المعارك مع الرسول محمد إلا غزوة تبوك، التي خلفه فيها على المدينة وعلى عياله بعده وقال له:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» ، وسلم له الراية في الكثير من المعارك. عرف علي بن أبي طالب ببراعته وقوته في القتال، وقد تجلى هذا في غزوات الرسول؛

ففي غزوة بدر، وهي المعركة الأولى التي خاضها المسلمون ضد المشركين يوم الجمعة الموافق للسابع عشر من شهر رمضان من السنّة الثانية للهجرة عند آبار بدر والتي هزم فيها المشركون بعد أن قتل منهم سبعون رجلاً على رأسهم رؤساء القوم وقادتهم كـأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية.

وكان التقليد المتَّبع عند العرب في الحروب أن يبدأ القتال بالمبارزات الفرديّة ثم تقع بعدها الحملاتُ الجماعية، وانطلاقـًا من هذه العادة خرج ثلاثة

من الفرسان -من معسكر قريش - المعروفين من صفوف الجيش المكي ودعوا إلى المبارزة، وهم: عتبة وشيبة وهما ابنا ربيعة بن عبد شمس، والوليد بن عتبة بن ربيعة، فأخذوا يجولون في ميدان القتال ويدعون إلى المبارزة، ثم نادى مناديهم: يا محمّد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول اللّهﷺ: « قم يا عبيدَةَ بن الحارث وقم يا حمزة، وقم يا عليّ».

فقاموا، وخرجوا للمبارزة، فبارز عليٌّ ﷺ الوليدَ، وبارز حمزة عتبة، وبارز عبيدة شيبة، فقتل علي وحمزة خصميهما في الحال، ثمّ ساعدا عبيدة على قتل خصمه ، وكان لعلي ﷺ الدور الرئيسي في هذه المعركة حيث قتل على يديه ما يقرب من عشرين من جيش المشركين منهم: حنظلة بن أبي سفيان والعاص بن سعيد وطعيمة بن عدى كما جاء فى كتاب ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٠٨-٧١٣.

ونلاحظ هنا معلومة مهمة جدا وهى قتل سيدنا على بن ابى طالب لحنظلة ابن ابى سفيان بن حرب بن امية وهوما عمق الحقد والغل اكثر فاكثر من طرف الاب ابوسفيان وبالطبع الاخ معاوية بن ابى سفيان كما سنرى لاحقا

وفي غزوة الأحزاب قتل عمروبن ود العامري أحد فرسان العرب، المستدرك على الصحيحين »كتاب المغازي والسرايا »قتل علي عمروبن عبد ود رأس الكفار .

٤٣٨٥ - حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق لم يدع المنافقون والمتقاعسون تثبيط العمل برغم الهمّة والحماس الذي أبداه المسلمون، لقد استطاعت مجموعة من العدوعبور الخندق، وكان من بينهم عمروبن عبد ودٍّ، فراح يصول ويجول، ويتوعَّد ويتفاخر ببطولته، وينادي: هل من مبارز؟ فلم يجبه أحد حتّى قال: ولَقَدْ بُحِحْتُ من النداء ... بجمعكم هَلْ مِنْ مُبارزْ... وَوَقفْتُ إذ جَبنَ المُشَجَّعُ... مَوقفَ البَطَل المناجِزْ... إنّي كذلك لم أزلْ... متسرّعاً نحوالهزاهز... إنّ السماحة والشجاعة... في الفتى خيْرُ الغرائز!!

فقام الإمام عليّ وقال: أنا له يارسول الله، فقال له النبي «ﷺ»، اجلس

إنه عمرو، فقال الإمام علي، رضي الله عنه وأرضاه، وإن كان عمروًا، فأذن له النبي «ﷺ»، وأعطى له سيفه الشهير (ذا الفقار)، وألبسه درعه، وعممه بعمامته.. ثمّ قال «ﷺ»، إلهي أخذت عبيدة منّي يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، وهذا أخي، وابن عمّي، فلا تَذَرني فردًا، وأنت خير الوارثين.. ونزل عليَّ الميدان، ويمتلكه الثقة بالله، والنصر المبين، وقال كلامه الشهير ردًا على عمروبن عبد ود:

لا تعجلنَّ فقــد أتاك ... مجيبُ صوتكَ غير عاجزْ

ذُونيـــة وَبصيـــرة ... والصدقُ مُنجي كلّ فائــز

إنّي لأرجوأن أُقيـــمَ ... عليكَ نائحـــة الجنائــزْ

مِنْ ضَرْبَة نَجلاء يَبقى ... ذكرُها عِنـــدَ الهَزاهِـــزْ

ثمّ خاطب ابن عبد ودٍّ بقوله: (يا عمرو، إنّك كنت تقول لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلاّ قبلتها).

قال عمرو: أجل.

فقال عليَّ، (فإنّي أدعوك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وتسلم لربّ العالمين).

فقال : يا ابن أخي أخّر عنّي هذه.

فقال له: (أما أنّها خير لك لوأخذتها).

ثمّ قال عليَّ: (وأُخرى ترجع إلى بلادك، فإن يك محمّد صادقًا كنت أسعد الناس به، وإن يك كاذبًا كان الذي تريد).

قال: هذا ما لا تتحدّث به نساء قريش أبدًا.

ثمّ قال عليَّ، فالثالثة، أدعوكَ إلى البراز).

فقال عمرو: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظنّ أن أحدًا من العرب يرومني عليها، ولم يا ابن أخي؟ إنّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان

أبوك لي نديمًا.

فردَّ عليـًا: لكني أحب أن أقتلك.

فاقتحم عن فرسه فعقره، وسلّ سيفه كأنّه شعلة نار، وأقبل عمرومهاجمًا عليًا، فصدَّه برباطة جأش، وأرداه قتيلاً، فعلا التكبير والتهليل في صفوف المسلمين.

وحينما قتل عليَّ عمرواً أقبل نحورسول الله «ﷺ» ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطّاب: هلاّ سلبته يا علي درعه، فإنّه ليس في العرب درع مثلها؟ فقال عليّ: (إنّي استحييت أن أكشف سوءة ابن عمّي).

وقال عليّ أبياتـًا في قتل عمرو، منها:

لا تحسبنّ الله خاذل دينه ... ونبيّه يا معشر الأحزابِ

ولمَّا رجع سيدنا عليّ ظافرًا، استقبله رسول الله «ﷺ» وهويقول: (لَمُبَارَزَة عَليّ بن أبي طالب لِعَمروبن عبد ودٍّ أفضلُ من عَمل أُمَّتي إلى يوم القيامة).

وفي رواية: (ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين).

فلولا الموقف البطولي لسيدنا علي، لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين بذلك العدد الهائل، وهكذا كانت بطولته في غزوة الخندق، فكانت أهمّ عناصر النصر لمعسكر الإيمان على معسكر الكفر والضلال، أقام المشركون بضعًا وعشرين ليلة لم يكن بينهم وبين المسلمين حرب إلاّ الرمي بالنبل والحصى، ولكن بعد عبور أحد صناديد الشرك والكفر، وهوعمروبن عبد ودٍّ العامري الخندق، ومبارزة عليَّ بن أبي طالب، وقتله لعمرو، تحقّق النصر للإسلام والمسلمين في الثالث من شوال ٥ هـ.

وفي غزوة خيبر، هزم فارس اليهود مرحب، في جمادى الأولى من السنة السابعة للهجرة أصدر النبي أوامره بالتوجه نحوحصون اليهود وبعد أن حاصر جيش المسلمين تلك القلاع بعث النبي أبا بكر برايته إلى بعض الحصون فرجع ولم يك فتح، ثم بعث في الغد عمر بن الخطاب ولم يك فتح، فقال رسول الله: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله،

فقال: ادعوا لي علياً ودفع الراية إليه ففتح الله عليه». كما فى صحيح مسلم، ، ج ١٥، ص ١٧٨-١٧٩.

قال الشيخ المفيد: فمضى أمير المؤمنين بالراية حتى أتى الحصن وقد خرج مرحب وعليه مغفر وحجر يتعرض للحرب فبرز له علي. وعن هذه الواقعة يقول : اختلفنا ضربتين فبدرته وضربته فقددت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه فخر صريعاً. ويقول أيضا: لما عالجت باب خيبر جعلته مجنا - أي درعاً - لي فقاتلتهم به كما فى كتاب ، الإرشاد، ص ٥٩٠.

وكان ممن ثبت مع سيدنا محمد علية الصلاة والسلام في غزوة حنين.

وقعت المعركة في السنة الثامنة للهجرة، وكان سبب الواقعة أنه لمّا فتح الله على رسوله مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض فاشفقوا- أي: خافوا أن يغزوهم رسول الله -وقالوا: قد فرغ لنا فلاناهية- أي: لا مانع له دوننا- والرأي أن نغزوه فحشدوا وبغوا وكان لعلي الدور المحوري في هذه المعركة أيضا وكما يقول الواقدي: ووضع الألوية والرايات في أهلها، مع المهاجرين لواء يحمله عليّوالتحمت المعركة التحاماً مروّعاً، ندرت فيها الرؤوس، وهوت الفوارس، وطاحت الأيدي، فقال النبي: الآن حمي الوطيس، وعليٌّ بين يديه يذود الكتائب، ويزلزل الفرسان حتى قتل أربعين فارساً من القوم، فشلت حركتهم..

وكان لعلي سيف شهير أعطاه له محمد في غزوة أحد عرف باسم ذوالفقار، كما أهداه محمد درعا عرفت بالحطمية ويقال أنها سميت بهذا الاسم لكثرة السيوف التي تحطمت عليها. كان على عالم وقاضى كبير فى مستدرك الحاكم - كتاب معرفة الصحابة حديث رقم : (٤٦٣٩) عن عبد الله بن عثمان بن خثيم : سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ : يقول : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب.

الامام على بن ابى طالب هوحالة متفردة لم ولن يكون لها مثيل فى التاريخ فهوالوحيد الذى ولد من اب وام هاشميين ليس هذا فقط بل هواكثر الصحابة

كلهم على الاطلاق مصاحبة للنبى بل هوربيبة اصلا فقد تبناة النبى وهوطفل وتكفل بة واخذة ليعيش فى بيتة منذ كان طفل كما رائينا واسلم وهوابن تسعة اواقل فلم يسجد لصنم ولم يشرب خمر ولم يرى عورة اى ولد نقيا وعاش نقيا من قبل ان يبلغ الحلم والتكليف اصلا هذا الشخص المتفرد كتب عنة عدد لا حصر لة من المؤلفات والابحاث وشهادات الدكتوراة التى تحكى قصتة وتروى عبقريتة وتعدد صفاتة التى لا مثيل لها وناهيك عن الشيعة الذين يقدسونة فقد اعترف بفضلة غير المسلمين اصلا والمسلمين السنة قبل الشيعة فمثلا هناك

أعلان منظمةُ الأُمَـم المتحدة في عام ٢٠٠٢، عن اختيار الإمَـام عَلِيٍّ بن أبي طالب -عَلَيْهِ السَّـلَامُ- أعدل حاكم في تأريخ البشرية، فيما دعتَ الحكام والملوك إلى الاقتداء بنهجه الإنْسَاني السليم في الحُكمِ المتجلي بروح العدالة الاجتماعية والسلام.

ففي عام ٢٠٠٢ أصدرت سكرتارية الأُمَـم المتحدة، لجنة حقوق الإنْسَان، في نيويورك عام ٢٠٠٢ برئاسة أمينها العام السابق كوفي عنان، اصدرت هذا القرار التأريخي باختيار أمير المؤمنين الإمَـام عَلِيٍّ بن أبي طالب -عَلَيْهِ السَّـلَامُ- أعدل حاكم في تأريخ البشرية، الذي نصهَ:

وقالت الأُمَـم المتحدة في نص القرار إن «خليفة المسلمين علي بن أبي طالب يعتبر اعدل حاكم ظهر في تأريخ البشر»، مستندة بوثائق شملت ١٦٠ صفحة باللغة الإنكليزية.

حقا كان الأمام علي في ادارته لشؤون الدولة الاسلامية متحليا بمكارم الأخلاق ،

ولهذا دعت المنظمة العالمية لحقوق الأنسان حكام ممالك الأرض بالأقتداء بنهجه الأنساني السليم في الحكم المتجلي بروح العدالة الأجتماعية والسلام . يمكن متابعة التفاصيل باللغة الأنكليزية على الرابط:

http://www.human-ights-in-islam.co.uk/index.php?option=com_content&view=a&id=200:united-nations-on-imam-ali-ibn-abi-talib&catid=35:political&Itemid=53

وهناك الكاتب المسيحى المؤرخ العملاق جورج جرداق الذى ولد في قرية جديدة بقضاء مرجعيون جنوبي لبنان عام ١٩٣١م ودرس في الكلية البطريركية وتخرج منها. فعمل مدرّسا للأدب العربي والفلسفة العربية في عدد من كليات بيروت. عمل كاتبـًا في عدد من الصحف والمجلات العربية.

كان شقيق جورج الأكبر ـ فؤاد ـ علّامة لغوية متميّز، فأهداه في صغره نسخة من كتاب «نهج البلاغة» لعلي بن أبي طالب فبعد ما قرأ نهج البلاغة أعجب به، حيث حفظ أكثر من ٧٠ بالمئة منه على ظهر قلب، وبدأ يفكر في مشروع عالمي حول علي بن أبي طالب يقدم من خلاله شخصيته بطريقة مختلفة، لذا أعاد قراءة نهج البلاغة أكثر من أربعين مرة،

وهكذا الف موسوعة كاملة عن الإمام عليّ بن أبي طالب ، تقع هذه الموسوعة في خمسة أجزاء وملحق، تناول من خلالها الكاتب محطات ومواقف مهمة من حياة علي بن أبي طالب ليبين فيها بأن الإمام علي هوأفضل نموذج تجلت فيه القيم الإنسانية كالعدالة والحكمة والإنصاف والشجاعة والقيادة والعلم على مر التاريخ.

صدرت من الموسوعة أربع طبعات عن ثلاث دور مختلفة خلال سنة واحدة. أما عدد نسخها فتخطى خمسة ملايين نسخة. وترجمت إلى الفارسية والأوردية، والإسبانية والفرنسية والإنجليزية. وفي تعليق له، قال جرداق: «لم أجن قرشـًا واحداً من هذه المطبوعات وعندما أحتاج إلى مجموعة عربية أوأجنبية أشتريها على حسابي، فيما لم تكلّف دار واحدة نفسها أن ترسل لي نسخة هديّة من باب رفع العتب».

وقال الأديب اللبنانى الشهير ميخائيل نعيمة: «يقيني أنّ مؤلف هذا السفر النفيس، بما في قلمه من لباقة، وما في قلبه من حرارة، وما في وجدانه من إنصاف، قد نجح إلى حد بعيد فى رسم صورة لابن أبي طالب، لا تستطيع أمامها، إلا أن تشهد بأنّها الصورة الحيّة لأعظم رجل عربي بعد النبي».

وقد حاز هذا الكتاب جائزة «أحسن من كتب عن الإمام عليه السلام» ورشحته لهذه

الجائزة لجنة كان ضمنها الفيلسوف الشهيد محمد باقر الصدر.

ومن اقوالة فى الكتاب :

هل سمعت عن حاكم لم يُشبع نفسه برغيف خبز؟ لأنّ في بلاده من ينام وهوغير شبعان، وهل سمعت عن حاكم لم يلبس الملابس الناعمة؟ لأنّ في شعبه مَن يلبس الملابس الخشنة، فهولم يكنز لنفسه حتّى درهمـًا واحداً؟! وأوصى أبنائه وأصحابه أن لا يتّبعوا سوى هذه الطريقة. فحاسب أخاه لأخذه ديناراً واحداً غير حقّه من بيت المال، وهدّد وأمر بمحاكمة حكّامه بسبب رغيف خبز أخذوه من غني وأكلوه رشوةً؟

أما العدل في الرعية، العدل الذي هوأساس الملك، فهوينعكس من الجالس على العرش. وقد عرفت أرباب العروش الأموية وفيهم العاجز والسفيه والخليع والسكير والظالم، ولا نغفل عن أسلوب بني أمية المستهجن في شتم علي بن أبي طالب وبنيه على منابر الأمصار.

وايضا لا شك ان كلنا قرائنا فى عبقرية الامام على للاديب الكبير عباس محمود العقاد الاديب والمفكر والصحفي وشاعر مصري، ولد في أسوان عام ١٨٨٩م، وهوعضوسابق في مجلس النواب المصري، وعضوفي مجمع اللغة العربية، ومن عمالقة الفكر والادب على مدار تاريخ مصر الثقافى كلة

بَرَع «عباس محمود العقاد» في تناول شخصية الإمام «علي بن أبي طالب»، فقد جعل محور العرض هومناحي النفس الإنسانية، إذ استخلص من سيرة الإمام ما يلتقي وخصائص هذه النفس الإنسانية عنده. ففي سيرته مُلتقى بالعواطف الجيَّاشة والأحاسيس المتطلعة إلى الرحمة والإكبار؛ لأنه الشهيد أبوالشهداء، ومُلتقى بالفكر؛ فهوصاحب آراء فريدة لم يسبقه إليها أحد في التصوف والشريعة والأخلاق، ومُلتقى مع كل رغبة في التجديد والإصلاح، فصار اسمه عَلمًا على الثورة. كما عَرض الكاتب لطهارة نشأته، ونقاء سريرته، وعلوِّ هِمته، وقوة إرادته، وغزارة علمه وثقافته، وروعة زهده وحكمته، وصدق إيمانه وشجاعته، وثباته على الحق ونصرته، وتضحيته في سبيله بروحه، فقدم عَرضًا وافيًا كافيًا يجمع بين دَفَّتَيْ هذا العمل سيرة رجل

من أعظم من أنجبت المدرسة المُحمَّدية.

وهناك كتاب على امام المتقين لعبد الرحمن الشرقاوي شاعر وأديب وصحافي ومؤلف مسرحي ومفكر إسلامي مصري من الطراز الفريد الذى ولد في ١٠ نوفمبر ١٩٢٠م

يتناول عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه هذا شخصية الإمام علي (عليه السلام) ، تلك الشخصية التي تعرضت للظلم والتجريح في الوقت الذي يشهد فيه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف طهارة ونقاوة هذه الشخضية الإسلامية، ورقتها وعلومنزلتها. وقد أعطى المؤلف شخصية الإمام علي (عليه السلام) حقها في كتابه هذا الذي جاء صفحات عن إنسان عظيم له من المآثر ما له، ومن الأفعال والأقوال ما حفظ عنه، ومن الفضائل الراقية ما يجعل الإنسان قادراً على أن يدافع عن الحق والحرية والعدل، ومهما تكن المعاناة، ومهما تكن صولة الباطل. وهدف المؤلف من وراء عمله هذا اصطناع شيء فني أقرب إلى الفن القصصي يعتمد فيه على حقائق التاريخ الثابتة، ليعرض مبادئ الإسلام وقيمه، وذلك من خلال تصوير فني للإمام علي (عليه السلام).

ليس هذا الكتاب بحثًا تاريخيـًا، ولا هوكتاب سيرة، ولا هومفاضلة بين الصحابة، ولا هوبدفاع عن حق أحد في الخلافة قبل الآخر، بل أصطنع فيه المؤلف شكلاً فنيـًا أقرب إلى الفن القصصي أعتمد فيه على حقائق التاريخ الثابتة، ليعرض مبادئ الإسلام وقيمه، من خلال تصوير فني للإمام علي عليه السلام، حيث تم نشر هذا الكتاب في جريدة الأهرام كل أربعاء من شهر رمضان المبارك.

وقد ألف العالم الكبير النسائي كتاب في فضائل علي بن أبي طالب فقال له الشاميون لماذا لا تؤلف كتاب في فضائل معاوية؟!

قال لا فضائل له ، لا اعلم له فضيلة الا قول النبي فيه (لا اشبع الله بطنه) !!

فسحقوا العالم النسائي ثم مات بسبب علته !!

وغيرها وغيرها الكثير من الكتب والابحاث التى تناولت سيرة الامام على

لنعرف مكانة الامام على من النبى محمد علية الصلاة والسلام تعالوا نسمع هذة القصة

وهى قصة المباهلة وهى التى تحكيها الآية فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)

قال السيوطي: «أخرج ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وأبونعيم عن الشعبي قال: كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى قولاً في عيسى بن مريم، فكانوا يجادلون النبي فيه. فأنزل الله هذه الآيات في سورة آل عمران: (إن مثل عيسى عند الله) إلى قوله: (فنجعل لعنة الله على الكاذبين). فأمر بملاعنتهم، فواعدوه لغدٍ، فغدا النبي ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة، فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية. فقال النبي: لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر لوتّموا على الملاعنة» عند نزول الوحي بالآية: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ وحسب صحيح مسلم وسنن الترمذيومسند أحمد بن حنبل أخذ النبي محمد معه للقاء نصارى نجران أهل بيته وهم علي وفاطمة والحسن والحسين

قال الزمخشري أيضا: فان قلت: ما كان دعاؤه الى المباهلة الّا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه، وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضمّ الابناء والنساء؟.

قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله، واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزّته وأفلاذ كبده وأحبّ الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الاستئصال ان تمّت المباهلة، وخصّ الابناء والنساء لانّهم أعزّ الاهل والصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمّت كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من

الهرب.

وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدّمون على الانفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء (عليهم السّلام).

هذة الاية توضح من هوالامام على ومن هم الحسن والحسين

والان لنذهب لنعرف من هومعاوية ابن ابى سفيان

معاوية بن أبي سفيان

هو : معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ووأمّه : هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ولد قبل البعثة بخمس سنين ، وقيل بسبع ، وقيل : بثلاث عشرة ، والأول أشهر

ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٤٠١ ان معاوية اسلم يوم فتح مكة فهومن الطلقاء وقال البلاذري – فتوح البلدان – أمر الخطفلما كان عام الفتح أسلم معاوية

وسُئلَ الشيخ ابن تيمية رَحمَهُ الله عن إسلام معاوية بن أبي سفيان، متى كان؟ وهل كان إيمانه كإيمان غيره أم لا ؟ وما قيل فيه غير ذلك؟

فاجاب إيمان معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه ثابت بالنقل المتواتر، وإجماع أهل العلم على ذلك، كإيمان أمثاله ممن آمن عام فتح مكة، مثل أخيه يزيد بن أبي سفيان، ومثل سُهَيْل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعِكْرِمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وأبي أسد بن أبي العاص بن أمية، وأمثَال هؤلاء. فإن هؤلاء يسمون: الطلقاء، فإنهم آمنوا عام فتح النبي ﷺ مكة قهرًا، وأطلقهم ومنَّ عليهم، وأعطاهم وتألفهم، وقد روى أن معاوية بن أبي سفيان أسلم قبل ذلك وهاجر، كما أسلم خالد بن الوليد، وعمروبن العاص، وعثمان بن طلحة الحَجَبِيّ قبل فتح مكة وهاجروا إلى المدينة، فإن كان هذا صحيحًا فهذا من المهاجرين. وأما إسلامه عام الفتح مع من ذكر، فمتفق عليه بين العلماء، سواء كان أسلم قبل ذلك أولم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة،

أنَّ الطلقاء قالوا قبل فتح مكة: «اتركوا محمد مع قومه، فإذا هزمهم اعتنقنا الإسلام، وإذا انتصروا على محمد سينقذنا قومه منه».وبعد فتح مكة دخل مشركيها في الإسلام على سبيل الخضوع للأمر الواقع بعد تفوق المسلمين عليهم. جاء في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٢): حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ... إلى أن قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ.

ذكر المؤرخ أحمد بن يحيى البلاذري، من مؤرخي القرن الثالث الهجري في كتاب أنساب الأشراف، أنَّ عمر بن الخطاب قال: إنَّ أمر الخلافة لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطُّلَقَاءِ.

روى الإمام أحمد (١٩٢١٥) عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» والحديث صححه جمع من العلماء

ومعناه الطلقاء والعتقاء- في منزلة واحدة، بعضُهم أولياء بعض، وكلّ واحد منهم أحقُّ بالآخر، فهم لم يحصِّلوا منزلة المهاجرين والأنصار في الفضل، بل جاءوا بعدَهم، وشتان ما بين هؤلاء وهؤلاء في الفضل والمكانة والإيمان، وقد جاء التصريح في القرآن الكريم بإثبات ولاية المهاجرين والأنصار خاصّة، كما جاء بإثبات ولاية المؤمنين عامة، ولا تنافي بين المعنيين. روى البخاري (٤٣٣٣)، ومسلم (١٠٥٩)، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، التَقَى هَوَازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَالطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ. قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا...الحديث.

روى البخاري (٤٣٣٣)، ومسلم (١٠٥٩): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

قَالَ: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، التَقَى هَوَازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَالطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ. قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا... « الحديث. وروى الإمام أحمد (١٩٢١٥) «عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قال ابن كثير في «النهاية» (٣/ ١٣٦):

« الطلقاءُ: همُ الَّذين خَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ فَتْح مَكَّةَ، وأَطْلَقَهُم، فَلَمْ يَسْتَرِقَّهم .

واحدُهم: طَلِيق، فَعِيل بِمَعْنَى مَفْعول، وَهُوَ الْأَسِيرُ إِذَا أُطْلِقَ سَبيله .

ومنه الحديث: (الطُّلَقَاء من قُرَيش) »

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٤٨):

« الطُّلَقَاءِ: جَمْعُ طَلِيقٍ: مَنْ حَصَلَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَنُّ عَلَيْهِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعُهُمْ «

عاش معاوية خلال حياة النبى كلها يناصبة العداء ويحارب ضدة مع ابة زعيم الكفار ابوسفيان الى ان اسلموا يوم الفتح كما رائينا ثم عاش تحت حكم النبى علية الصلاة والسلام ويقال ان النبى استفاد منة فى كتابة الرسائل ويقال ايضا من بعض علماء السنة انة كتب الوحى مع كتاب الوحى الكثيرين فانة كان متعلم القرائة والكتابة ولهذا قصة توضح استهزائة وضعف ايمانة ان كان مؤمن اصلا فقد اورد الالبانى فى سلسلة الصحاح - أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بعث إلى معاويةَ لِيكتُبَ له فقال إنه يأكلُ ثم بعث إليه فقال إنه يأكلُ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم لا أشبعَ اللهُ بطنَه

وروى مسلم في صحيحه في باب «باب من لعنه النبى -- أوسبه أودعا عليه.» عن ابن عباس قال «كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله --

فتواريت خلف باب - قال - فجاء فحطأني حطأة وقال « اذهب وادع لي معاوية ». قال فجئت فقلت هويأكل - قال - ثم قال لي « اذهب وادع لي معاوية ». قال فجئت فقلت هويأكل فقال «لا أشبع الله بطنه». قال ابن المثنى قلت لأمية ما حطأني قال قفدني قفدة.» وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٥٦) «

يروي ابن كثير تلك الحادثة في كتابه «البداية والنهاية» قائلًا إن دعوة الرسول ﷺ تحققت في معاوية رضي الله عنه، فما شبع بعدها، فيقول ابن كثير: وقد كان معاوية رضي الله عنه لا يشبع بعدها، ووافقته هذه الدعوة في أيام إمارته فيقال: إنه كان يأكل في اليوم سبع مرات طعاما بلحم وكان يقول: والله لا أشبع وإنما أعيى.

كيف كانت سيرة معاوية ابن ابى سفيان ايام النبى هل كان من سادة القوم كما يريد البعض ان يوهمنا من انة سيد بالفطرة وانة مهاب الطلعة وخال المؤمنين وغيرها من الاوصاف التى ابى السلفيون الا ان يتجرعها الناس بالاكراة حتى لوكانت مغلوطة ، دعونا نسمع هذا الحديث لنرى ونحكم

حدثنا : يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك ، عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمروبن حفص طلقها البتة وهوغائب ، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال : والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال : ليس لك عليه نفقة فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال : تلك إمرأة يغشاها أصحابي إعتدي عند إبن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فآذنيني قالت : فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني ، فقال رسول الله ﷺ : أما أبوجهم فلا يضع عصاه ، عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، إنكحي أسامة بن زيد فكرهته ، ثم قال : إنكحي أسامة فنكحته فجعل الله فيه خيراً وإغتبطت.

صحيح مسلم - الطلاق - المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها - رقم الحديث : (٢٧٠٩).

مسند أحمد - من مسند القبائل - ومن حديث فاطمة بنت قيس - رقم

الحديث (٢٦٠٦٣)

وقد حدد الدكتور شوقي ضيف في كتابه العصر الجاهلي معنى الصعلوك لغة بأنه الفقير الذي لايملك المال الذي يساعده على العيش وتحمل أعباء الحياة، مؤكداً أن هذه اللفظة تجاوزت دلالاتها اللغوية وأخذت معاني أخرى كقطاع الطرق الذين يقومون بعمليات السلب والنهب.

تعريف الصعلوك فى معجم المعانى الجامع

الصعاليك اسم جمع ومفرده صعلوك، يُطلق على جماعة من العرب في عصر ما قبل الإسلام، عاشوا وأطلقوا حركتهم في الجزيرة العربية؛ وينتمون لقبائل مختلفة، عُرفوا بعدم انتمائهم لسلطة قبائلهم وواجباتها، حيث انشقوا عنها أوطُردوا منها.

ويقول السلفيون لتبرير الحديث انة يقصد فقير ولا يقدر على نفقات الزواج ولكننا رائينا من هوالصعلوك بالاضافة ان الرسول قال صعلوك ثم قال لا مال لة اى ان صفة الصعلكة غير صفة الفقر وهذة احاديث صحيحة ومسندة فى كتب السنة المعتمدة

وبالطبع هناك احديث فى لعن معاوية منها على سبيل المثال لا الحصر

ما اوردة الطبري – تاريخ الطبري – الجزء : (٨) – رقم الصفحة : (١٨٥)

أن النبي ﷺ كان جالسـًا فاذا أبا سفيان مقبلاً ومعاوية يقوده ويزيد أخومعاوية يسوق به على بعير وبين يديه قائد وخلفه سائق ، فقال : لعن الله القائد والسائق والراكب

ما رواه ابن البزار في مسنده البحر الزخار في مسند سفينة مولى رسول الله ﷺ: قال حدثنا السكن بن سعيد قال: أنا عبد الصمد قال: نا أبي، وحدثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان عن سفينة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ كان جالسـًا فمر رجل على بعير وبين يديه قائد وخلفه سائق فقال:

(لعن الله القائد والسائق والراكب) (البحر الزخار ٩: ١٨٢ (٣٢٤٦).

وكفانا مؤنة تخريجه الهيثمي في مجمع الزوائد قال:

قال رواه البزار ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ١: ١١٣) إلا أن البلاذري رواها بسنده في أنساب الأشراف مع التصريح بأسمائهم قال: حدثنا خلف، حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن سعيد بن جمهان عن سفينة ـ مولى أم سلمة ـ: أن النبي ﷺ كان جالساً فمر أبوسفيان على بعير ومعاوية وأخ له، أحدهما يقود البعير والآخر يسوقه فقال رسول الله ﷺ: ـ لعن الله الحامل والمحمول والقائد والسائق (أنساب الأشراف، القسم الرابع،الجزء الأول).

وهناك الكثير والكثير فى توضيح مثالب معاوية ومصائبة ومنها ما رواه الإمامُ الطبري في تاريخه:

قَالَ الإمامُ الطبري:

[قَالَ أَبُومخنف: عن الصقعب بن زهير، عن الْحَسَن، قَالَ: أربع خصال كن فِي مُعَاوِيَة، لولَمْ يَكُنْ فِيهِ منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه عَلَى هَذِهِ الأمة بالسفهاء حَتَّى ابتزَّها أمرها بغير مشورة مِنْهُمْ وفيهم بقايا الصحابة وذوالفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وقتله حُجراً، ويلاً لَهُ من حُجر! مرتين..] وهنا نري موبقات معاوية ومصائبة وبالطبع هناك اهم حديث وهوحديث الفئة الباغية ولكن هذا سياتى فى حينة عند ذكر موقعة صفين وحربة مع الامام على وقتلة لسيدنا عمار بن ياسر وهذا حديث لا خلاف علية متواتر رواة معاوية نفسة

ومن اراد الاستزادة فعلية الرجوع الى كتاب العالم الجليل الدكتور حسن بن فرحان المالكى وهوعالم سنى من المملكة العربية السعودية وله كتاب ضخم يحتوى على العديد من الاحاديث الصحيحة المسندة من عدة طرق للبرهنة على صحتها وهوكتاب (مثالب معاوية بن ابى سفيان بالاسانيد الصحيحة)

ومعاوية ايضا ليس من الطلقاء فقط بل هومن المؤلفة قلوبهم كما اوردنا فى اخبار غزوحنين فقد قال قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله ﷺ

المؤلفة قلوبهم ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مئة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مئة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مئة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة ، أخا بني عبد الدار مئة بعير . قال ابن هشام نصير بن الحارث بن كلدة ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضا .

وهكذا عاش معاوية سنين تحت حكم النبى ثم ما الرسول محمد وتولى الخلافة ابوبكر

ركز نشاط الأمويين في الفتوح على جبهة الشام يشاركهم في ذلك كثير من الفاتحين من أهل مكة عمومـًا، ويبدوأن ذلك كان أمراً مقصوداً من الخليفة الصديق الذي أدرك وجود صلات عميقة الجذور بين بني أمية والمكيين والقبائل العربية المقيمة ببلاد الشام تحت الحكم البيزنطي، تلك الصلات التي تعمقت من خلال النشاط التجاري المتواصل بين مكة والشام في الجاهليـة، الذي كان بنوأمية أبرز قواده ورواده.

كان أول لواء عقده أبوبكر في حروب الشام لخالد بن سعيد بن العاص الأموي، ثم عزله وولى بدله يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي أيضـًا، وأما جيش يزيد بن أبي سفيان، فكان أول جيش كبير يوجهه أبوبكر إلى الشام ويودعه ماشيـًا، ثم أتبعه بثلاثة جيوش أخرى يقودها عمروبن العاص وشرحبيل بن حسنة وأبوعبيدة بن الجراح، يقول الذهبي عن يزيد بن أبي سفيان: وهوأحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبوبكر لغزوالروم ، عقد له أبوبكر، ومشى تحت ركابه يسايره ويودعه ويوصيه، وما ذلك إلا لشرفه، وكمال دينه.

ثم أتبع الصديق بأناس آخرين يرغبون في الجهاد وألحقهم بجيش يزيد، وجعل عليهم أميراً معاوية بن أبي سفيان.. وخرج أبوسفيان بن حرب ـ وهويومئذ شيخ كبير، كما اشترك في الجهاد في الشام أيضـًا خالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، وعمروبن سعيد، وقاتلوا جميعـًا هناك وقتلوا، حتى قيل: ما فتحت بالشام كورة من كورها إلا وجد عندها رجل من بني سعيد بن العاص شهيداً.

تولى معاوية بن أبي سفيان ولاية الأردنفي الشامسنة ٢١ هـ حيثنُصب

معاوية بعد وفاة أخيه في عهد عمر واليـًا على الشام، وهذا الأمر تسبب استغراب بعض المؤرخين من تسامح عمر لمعاوية. كما قال ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ٢٤. يقول الحسن البصري: كان معاوية ومنذ خلافةعمر يمهد للخلافة،وهذا ايضا ورد فى عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ص ٥٩٣. وقد فوّض عمر أمر جميع الشامات إلى معاوية، ويقول معاوية: أنّ مكانته عند عمر جعلته يتمكن من رقاب الناس،كما ورد فى ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ١٥.وعندما احتج جمهور المسلمينفيما يتعلق بمعاوية على عثمان، كان عثمان يقول: كيف أقوم بعزله وقد نصبه عمر

كان أهل الشام ربائب معاوية، الأمر الذي كان في غاية الوضوح خلال الحكم الأموي، وقيل: إن رموز بني أميةشهدوا عند السفاح العباسي بأنّهم لا يعرفون قرابة للنبي الأعظمسوى بني أمية ، كما قال المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ثم عندما تولى عثمان بن عفان الخلافة جمع لة ولاية الشامات كلها اى سوريا والاردن وفلسطين واقرة عليها حيث كان قائد وملك متسيد ثمّ استمرت ولاية معاوية على الشام عشرين عامـًا، ونورد هنا اقوال بعض العلماء والمؤرخين فى معاوية فى هذة الفترة بالذات اى فترة ولايتة على الشام حيث كانت الاحوال مستقرة فى الشام وقد احكم سيطرتة عليها وتالف اهلها وجعلهم تحت طوعة ولا يعرفون من الاسلام احد غير معاوية

يقول ابن الطقطقا: وأما معاويةكان عاقلاً في دنياه، لبيبًا عالمًا حاكمًا ملكًا قويًّا جيد السياسة، حسن التدبير لأمور الدنيا عاقلاً حكيمًا فصيحًا بليغًا، يحلم في موضع الحلم، ويشتد في موضع الشدة إلا أن الحلم كان أغلب عليه، وكان كريمًا باذلاً للمال محبًّا للرياسة شغوفًا بها إلى أن يقول: واعلم أن معاويةكان مربي دول وسائس أمم، راعي ممالك، ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه إليها أحد.

وأما اليعقوبي والمسعودي فقالا: «وكان لمعاوية حلم ودهاء ومكر ورأي وحزم في أمر دنياه، وجود بالمال».

وأما إعجاب ابن خلدون به فيتمثل في قوله: «وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة، التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدًا، من أهل الترشيح من وَلَدِ فاطمة وبني هاشم، وآل الزبير وأمثالهم».

ويقول ابن تيمية: «فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خيرًا من معاوية، إذا نُسِبَتْ أيامه إلى أيام من بعده، أما إذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل».

من هى زوجة معاوية بن ابى سفيان والتى انجب منها ابنة يزيد الذى ولاة على رقاب المسلمين بعد ذلك

هى ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبيةكانت من قبيلة بدوبنوكلب، وتنتمي إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وهي أبنة زعيم القبيلة بحدل بن أنيفبن دلجة بن قنافة بن زهير بن حارثة بن جناب. تزوجت من معاوية في عام ٦٤٥ بدوافع سياسية، فهي ابنة زعيم قبيلة بني كلب التي ظلت محايدة إلى حد كبير عند دخول المسلمين إلى الشام. وعندما أودى الطاعون بحياة الكثيرين من جيش المسلمين في دمشق، استطاع معاوية بزواجه من ميسون أن يجند المسيحيين السريان الأرثوذكس ضد الرومان. وأنجبت طفلها الوحيد يزيد في عام ٦٤٦.

أعجب معاوية ابن أبي سفيان بميسون بنت بحدل الكلبية وكانت ذات جمال باهر وحسن غامر،فتزوجها وبنى لها قصراً مشرفـًا على الغوطة زين بأنواع الزخارف، وزود بأواني الفضة والذهب والديباج الرومي والموشى ، ثم أسكنها مع وصائف لها ، فلبست يومـًا أفخر ثيابها وتزينت وتطيبت بما أعدّ لها من الحلي والجوهر ، ثم جلستء في روشنها وحولها الوصائف، فنظرت إلى الغوطة وأشجارها، وسمعت تجاوب الطير في أوكارها، وشمت نسيم الأزهار ورائح الرياحين والنّوار، فتذكرت باديتها وحنت إلى أترابها وأناسها وتذكرت مسقط رأسها، فبكت وتنهدت، فقالت لها بعض حظاياها ما يبكيك وأنت في ملك يضاهيه ملك بلقيس. فتنفست الصعداء ثم أنشدت:القصيدة.

وتعد هذه القصيدة الشعرية واحدة من أشهر القصائد النسائية في التعبير

عن الحنين إلى العودة للعيش في الصحراء عن مجتمع المدن متزايد التحضر.

طلق معاوية (ميسون) ثلاثا رغم حملها فى ابنه يزيد، وقال: ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجا عنوفا ؟ لقولها:

لبيتٌ تخفق الأرواحُ فيه * أحبُ إلـــيّ من قصرٍ منيـــفِ
ولبسُ عباءةٍ وتقـرّ عيني * أحبُ إليّ مـــن لبس الشفـــوفِ
كسيرة فـي كسرِ بيتـي * أحبُ إلـــيّ من أكل الرغيـــفِ
وأصواتُ الرياحِ بكـلِ فـجٍ * أحـــبُ إليّ من نقـــــرِ الدفوفِ
وكلب ينبـحُ الطـراقَ دونـي * أحبُ إليّ من قـــــطٍ أليـــــفِ
لأَمْرَدُ مِنْ شَبَابِ بَنِي كلابٍ * أَحَبُّ إِليّ مِـــنْ شيْخ عَنيـــــفِ
وبكر يتبعُ الأظعـانَ صعـبٌ * أحبُ إليّ من بعـلٍ (بغلٍ) زفـــوفِ
وخرق من بني عمي نحيـــف * أحبُ إليّ من علـجٍ عنـوفِ (علوفِ)
خشونة عيشتي في البدوِ أشهى * إلي نفسي من العيـــشِ الطريـــفِ
فما أبغي سوى وطني بديـلاً * وما أبهاهُ مـــــن وطـــنٍ شريـفِ

فلما دخل معاويه عرفته احدى الوصيفات بما قالت ميسون؛ فقال: ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجا عنوفا؟ هي طالق ثلاثا...العلج هوذكر الحمار الوحشى لاستعلاج وغلظ أخلاقه....ثم سيرها الى أهلها في نجد وكانت حاملا بابنه يزيد فولدته في البادية وأرضعته سنتين ثم أرسلته الى أبيه غير نادمة.

* ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية.... زوجة الخليفة الأموي الأول ومؤسس الخلافة الأموية معاوية بن أبي سفيان، ووالدة الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية، وبهذا كان لها دور كبير في الحياة السياسية في الخلافة الأموية. كانت قبل زواجها من معاوية متزوجة من ابن عمها واسمه زامل بن عبد الاعلى ثم مات زامل مقتولا بيد أخيه الذي كان طامعا بالزواج من ميسون!وهى من

أقدم الشاعرات العربيات ذوات السمعة الطيبة. إلا أنه قد يبدوأن هذه الشهرة تعود إلى امرأة أخرى لها الاسم ذاته، هى ميسون بنت جندل الفزارية.

ذهبت ميسون عند اهلها وعاشت مع قبيلتها المسيحية التى لم تدخل الاسلام وربيت ابنها يزيد عند اهلها واخوتها فنشاء يزيد فى بيئة مسيحية صرفة لا يعرف من الاسلام الا الاسم فقط وان ابوة هوالملك المتوج على قوم يسمون المسلمين .

واليك عزيزى القارئ بعض المصادر التى اوردت القصة والمعلومة.

إذن زواج معاوية من ميسون لم يطول ، فما أن حملت بيزيد حتى طلقها معاوية وهي في حملها!

قال ابن كثير : طلق معاوية ميسون الكلبية وهي حامل فولدت يزيداً وأبوها بحدل أوبجدل البداية والنهاية ج٨، ص ١٥٥ .

وقال كذلك في يزيد : وكان أبوه قد طلق أمه وهي حامل به ، وكان يزيد في حداثته صاحب شراب.. البداية والنهاية ج٨ ص ٢٤٨ .

إن الملك الذي ينتظر ولادة وريثه الشرعي الوحيد يبتهج فرحًا إذا علم بحبل زوجته ، لكن معاوية طلق ميسون بعد حملها وهذا يرجح وجود شك في أصل النطفة .

ولدت ميسون المطلقة ولدها في قومها في قرية حوارين ، فنشأ يزيد عند أخواله النصارى من بني كلب تقول ميسون وخرق من بني عمي نحيف أحب إلي من علج عليف.

تاريخ دمشق لابن عساكر ج٧٠ ص١٣٤٤وقولها علج عليف تعني به معاوية كثير الاكل ،فوصفته بوصف الحيوان الذي لايفتأ عن علف الطعام، ويروي ابن عساكر أن معاوية لما سمع أشعار ميسون قال : جعلتني علجًا ! فطلقها وألحقها بأهلها تاريخ دمشق ج٧٠ ص١٣٤ .

وقال معاوية كذلك طالق ثلاثًا، روها فلتأخذ جميع ما في القصر فهولها ثم سيَّرها إلى أهلها حياة الحيوان للدميري ص ٩٩٤. ويروى أن ميسون كان

لها أبناء غير يزيد .

قال الطبري : من نسائه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدي ابن زهير بن حارثة بن جناب الكلبي، ولدت له يزيد بن معاوية. قال علي: ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة فماتت صغيرة، ولم يذكرها هشام في أولاد معاوية. تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٢٣

الان اخذنا صورة سريعة عن خلفية كل طرف من الاطراف فعرفنا من هوعلى بن ابى طالب الهاشمى وكيف انة غلب على امرة فى تنافس الخلافة وكيف كانت حياتة نقية طاهرة مستقيمة ومن هى زوجتة سيدة نساء العالمين بنت سيد الخلق اجمعين السيدة فاطمة عليها ومن هم اولادة وكيف تربوا وايضا عرفنا من هومعاوية بن ابى سفيان الاموى فهوابن زعيم الكفار ابوسفيان وامة هى هند اكلة الاكباد واسلم مع الطلقاء والمؤلفة قلوبهم ومن هى زوجتة النصرانية المطلقة التى لم تدخل هى وقومها الاسلام وكيف تربى ابنة فى كنف النصارى منذ ان ولد ،

كانت هذة مقدمة مهمة وحتمية لان القصة والفصل الذى سنروية الان هوالمفصلى فى تاريخ الامة الاسلامية كلها والذى سيحدد مصيرها ويرسم سياستها الى الابد وهوالذى يبداء بمقتل عثمان وتولى الامام على ابن ابى طالب الخلافة ومن ثم معاندة ومحاربة معاوية ابن ابى سفيان لة فهيا بنا نرى هذا الفصل الدموى من الصراع بين الهاشميين والامويين

بويع علي ﷺ بالخلافة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة علي رواية الطبري سنة ٣٥ وكان قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة فكان بين قتله وبيعة علي سبعة ايام، وروي الحاكم في المستدرك بسنده انه استخلف علي بن ابي طالب سنة خمس وثلاثين وهوابن ثمان وخمسين سنة واشهر.قال الحاكم في المستدرك:اختلفت الروايات في وقته فقيل انه بويع بعد اربعة ايام من قتل عثمان وقيل بعد خمس وقيل بعد ثلاث وقيل بويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة، قال: واصح الروايات انه امتنع عن البيعة الي ان دفن عثمان ثم بويع علي منبر

رسول الله«ص»ظاهرا، وكان اول من بايعه طلحة فقال هذه بيعة نكث. روي الحاكم في المستدرك بسنده انه لما بويع علي بن ابي طالب علي منبر رسول الله«ﷺ»قال خزيمة بن ثابت وهوواقف بين يدي المنبر:

اذا نحن بايعنا عليا فحسبنا ابوحسن مما نخاف من الفتن

رجوناه اولي الناس بالناس انه اطب قريش بالكتاب وبالسنن

وان قريشا ما تشق غباره اذا ما جري يوما علي الضمر البدن

وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم كل الذي فيه من حسن

وروي فيه بسنده انها لما جاءت بيعة علي الي حذيفة قال:لا ابايع بعده الا اصعر أوابتر.

قال الطبري. اختلف السلف من أهل السير في بيعة من بايعه والوقت الذي بويع فيه، وقال ابن الاثير: اختلفوا في كيفية بيعته.

اقول:ونحن نذكر ذلك مقتبسا من مجموع ما رواه الطبري وذكره ابن الاثير، وهوانه لما قتل عثمان اجتمع اصحاب رسول الله«ص»من المهاجرين والانصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا: انه لا بد للناس من امام،قال: لا حاجة لي في امركم فمن اخترتم رضيت به. قالوا: ما نختار غيرك وترددوا اليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك: انا لا نجد اليوم احدا احق بهذا الامر منك لا اقدم سابقة ولا اقرب قرابة من رسول الله«ص» .فقال: «لا تفعلوا فاني اكون وزيرا خير من ان اكون أميرا « فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتي نبايعك.قال: «ففي المسجد،فان بيعتي لا تكون خفيا ولاتكون الا عن رضا المسلمين»،وكان في بيته،وقيل في بعض حيطان المدينة (وفي رواية) فغشي الناس عليا فقالوا: نبايعك فقد تري ما نزل بالاسلام. فقال : «دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول». فقالوا: ننشدك الله الا تري ما نحن فيه الا تري الاسلام الا تري الفتنة؟!! فقال: « قد اجبتكم واني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم «. فلما دخل المسجد دخل المهاجرون والانصار فبايعوه ثم بايعه الناس فكان

أول من بايعه طلحة والزبير فنظر حبيب بن أبي ذؤيب الي طلحة حين بايع فقال: اول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر!!. وجاؤوا بسعد (بن ابي وقاص) فقال علي: «بايع « .قال : «لا ابايع حتي يبايع الناس « وجاؤوا بابن عمر،فقال مثل ذلك، فقال: « ائتني بكفيل» قال: «لا أري كفيلا»،قال الاشتر دعني اضرب عنقه، قال علي: «دعوه،انا كفيله،انك ما علمت لسيء الخلق صغيرا وكبيرا». (أقول) وادعي بعضهم ان طلحة والزبير بايعا مكرهين، ولكن النظر الصحيح ينفي ذلك فمن لم يقبل أول الامر بالبيعة حتي الحوا عليه الحاحا شديدا لا يمكن ان يبدأ بيعته بالاكراه!! ومن لم يكره سعدا وابن عمر عليها وليسا بدون طلحة والزبير مكانة في الناس لا سيما سعد لا يمكن ان يكره طلحة والزبير علي البيعة.

وقال ابن الاثير: وهرب بنوامية فلحقوا بمكة وجيء بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع علي اقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم، ثم قام العامة فبايعوا.

وفي مروج الذهب واتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني امية منهم سعيد ابن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن أبي عقبة بن أبي معيط فجري بينه وبينهم خطب طويل،وقال له الوليد: انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا علي نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح: اما أنا فقتلت أبي صبرا وضربتني حدا، وقال سعيد ابن العاص كلاما كثيرا، وقال له الوليد: اما سعيد فقتلت اباه صبرا واهنت مثواه، واما مروان فانك شتمت اباه وعبت عثمان في صنعه اياه. قال: وقد ذكر أبومخنف لوط بن يحيي ان حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير (قبل نفوذه بالقميص) اتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك: يا امير المؤمنين ليس مسيئا من اعتب وخير كفر ما محاه عذر (في كلام كثير) ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا،قال: وانصلت بيعته بالكوفة وغيرها من الامصار وكان اهل الكوفة اسرع اجابة الي بيعته واخذ له البيعة علي اهلها ابوموسي الاشعري حتي تكاثر الناس عليه«اه» ولم يتخلف عنه سوي اهل الشام مع معوية فلم يبايعوه.

وفي ارشاد المفيد:روي الشعبي انه لما اعتزل سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد ابن مسلمة وحسان بن ثابت واسامة بن زيد امير المؤمنين وتوقفوا عن بيعته، حمد الله واثني عليه ثم قال: « ايها الناس انكم بايعتموني علي ما بويع عليه من كان قبلي وانما الخيار للناس قبل ان يبايعوا، فاذا بايعوا فلا خيار لهم، وان علي الامام الاستقامة وعلي الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة من رغب عنها رغب عن دين الاسلام ، واتبع غير سبيل اهله ولم تكن بيعتكم اياي فلتة، وليس امري وامركم واحد، واني اريدكم لله، وانتم تريدونني لانفسكم، وايم الله لانصحن للخصم، ولانصفن المظلوم، وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة واسامة وعبد الله وحسان بن ثابت امور كرهتها، والحق بيني وبينهم».

يقول الطبري: ولما دخلت سنة ست وثلاثين فرق علي عماله على الأمصاروكان طلحة والزبير قد طمعا قبل ذلك بالخلافةوبعد إجتماع الناس على أمير المؤمنين ومبايعته حاولا الحصول على منصب من المناصب المهمة في الدولة، وقد أشار الطبري إلى هذه القضية قائلاً: وسأل طلحة والزبير أن يؤمرهما على الكوفةوالبصرةفلم يستجب لهما الإمام لكونهما من المتهمين بقتل عثمان – بل كان من أشد المؤلبين عليه والمتهمين بقتله في المدينة– من جهة وهناك من هوأكفأ منهما من جهة أخرى،من هنا قررا الالتحاق بعائشة التي هي الأخرى من أشد المؤلبين والمحرضين على قتل عثمان، وكانت ترى الثوار المحاصرين لعثمان طالبي حق وقد إسترجعت – كما يقول الطبري – حينما بلغها قتل عثمان للمصريين، لكنها– والقول للطبري أيضـاً– لما بلغها قتل عثمان واجتماع الناس على علي، قالت: ردوني إن عثمان قتل مظلومـاً، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام

وكانت عائشة شديدة الكره والضغن لعلي، ومن هنا سايرت طلحة والزبير في حربهما لعلي فجهّزوا جيشـاً مؤلّفـاً من ثلاثة آلاف مقاتل كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين، وساروا به نحوالبصرةوحمل عائشة على جمل يقال له عسكر. وتحرَّك موكب الناكثين بقيادة عائشة وطلحة والزبير وبلغوا البصرة، وعامل الإمام عليها الصحابي عثمان بن حنيف الأنصاري، فمنعهم

من الدخول، ثُمَّ توادعوا الا يحدثوا حدثـًا حتى يقدم عليٌّالطبري، ج ٤، ص ٤٥١، ٥٤٤ وج ٥، ص

ولما نزل أمير المؤمنين عليه السلام حاول حقن الدماء من خلال الحوار مع قادة الناكثين، وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله: فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح، فقيل لعلي عليه السلام: هذا الزبير...وطلحة، فخرج إليهما علي عليه السلام، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال علي عليه السلام: لعمري لقد أعددتما سلاحـًا وخيلا ورجالاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه، ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوه أنكاثـًا، ألم أكن أخاكما في دينكما، تحرمان دمي وأحرم دماءكما! فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟...

الا أن مساعي الإمامي لم تنجح في إيقاف الحرب حيث نشبت الحرب بعد أن قتل أصحاب الجملأحد جنود الإمام. الطبري، ج ٤، ص ٥١١؛ شهيدي، علي از زبان علي، ص ١٠٤. وقال اليعقوبيفي تاريخه مشيراً إلى هذه القضية: وخرج طلحة والزبير فيمن معهما، فوقفوا على مصافهم، فأرسل إليهم علي: ما تطلبون وما تريدون؟ قالوا: نطلب بدم عثمان! قال علي: لعن الله قتلة عثمان! واصطف أصحاب علي ، فقال لهم: لا ترموا بسهم، ولا تطعنوا برمح، ولا تضربوا بسيف... أعذروا. فرمى رجل من عسكر القوم بسهم، فقتل رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين ، فأتي به إليه، فقال: اللهم اشهد، ثم رمى آخر، فقتل رجلاً من أصحاب علي ، فقال: اللهم اشهد، ثم رمى رجل آخر، فأصاب عبد الله بن بديل ابن ورقاء الخزاعي فقتله، فأتى به أخوه عبد الرحمن يحمله، فقال علي عليه السلام: اللهم اشهد، ثم كانت الحرب.

وكان الزبير قد انسحب من المعركة قبل ذلك بعدما ذكّره الإمام بحديث رسول اللهإلاّ أنّه قتل بعد انسحابه على يد عمروبن جرموز

وكانت الحرب أربع ساعات من النهار، روي أنه قتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفـًا. ثم نادى منادي علي: ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مولّ، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهوآمن، ومن أغلق بابه فهوآمن. ثم أمّن الأسود والأحمر. اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٣.

ولما وضعت الحرب أوزارها جاء علي لعائشة، فقال: ألم تنهي عن هذا المسير؟ فقالت: يا ابن أبي طالب! قدرت فاسجح! فقال: أخرجي إلى المدينة، وارجعي إلى بيتك الذي أمرك رسول اللهأن تقرّي فيه. قالت: أفعل. فوجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال، حتى وافوا بها المدينة

وقد اورد ابن كثير فى كتابة – البداية والنهاية

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين – ما ورد في الخوارج من الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ الجزء : (١٠) – رقم الصفحة : (٦٣٢)

فأما الحديث الذي قال الحافظ أبي يعلى : حدثنا : إسماعيل بن موسى، ثنا : الربيع بن سهل ، عن سعيد بن عبيد ، عن علي بن ربيعة ، قال : سمعت عليا على منبركم هذا يقول : عهد إلى النبي ﷺ : أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، والمراد بالناكثين يعني : (أهل الجمل) ، وبالقاسطين : (أهل الشام) ، وأما المارقون : (فالخوارج) لأنهم مرقوا من الدين.

– .... وقد رواه الحافظ أبوأحمد بن عدي في (كامله) : عن أحمد بن حفص البغدادي ، عن سليمان بن يوسف ، عن عبيد الله بن موسى ، عن فطر، عن حكيم بن جبير ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن علي ، قال : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

فقد علمنا الان من هم الناكثين اى الذين نكثوا بيعة الامام على بعد ان بايعوة كخليفة واميرا للمؤمنين ثم عادوا فكعوا عن بيعتة وخرجوا لقتالة كما تقدم .

ثم ان هناك حدث مهم جدا فى هذة القصة وهوان طلحة قد قتل فى هذة الاثناء كما رائينا فكيف قتل ومن قتلة ؟

قتلة ايضا بنى امية بل من اخبث بنى امية وهومروان بن الحكم بن أبي العاصبن أمية بن عبد شمسبن عبد مناف وقد كان فى عهد خلافة عثمان ابن عفان يعمل كاتبا لعثمان وقد روينا من مروان بن الحكم ومن هوابية الملعون وكيف لعنة الرسول وهوفى صلب ابية وقد كان من اهم اسباب سخط الامة

على عثمان ويعتبر هوسبب رئيسى فى مقتل عثمان لتزويرة للخكاب الذى وجدة الثوار مرسل الى والى عثمان على مصر يامرة فية بقتل محمد ابن ابى بكر الذى اختارة الثوار ليكون والى مصر وقد كان الثوار قد اعادوا ادراجهم الى بلادهم ولكن هذا الخطاب المكذوب المختوم بختم عثمان قد ارجعهم مرة اخرى الى المدينة لقتل عثمان والسوال بعد ان انكر عثمان كتابتة للخطاب فمن يكون الراسل والذى لدية ختم عثمان .

لنعود الى موقعة الجمل ونرى ماذا قال المؤرخين الثقات

ذُكِر في عدة روايات تاريخية أن قاتل طلحة هومروان بن الحكم، ومن هذه الروايات ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاءفقال: «حدثنا إسماعيل بن أبي خالدعن قيس قال: رأيت مروان بن الحكمحين رمى طلحة يومئذ بسهم، فوقع في ركبته، فما زال ينسح حتى مات.» وقال: «أن مروانرمى طلحة بسهم فقتله، ثم التفت إلى أبان بن عثمان وقد كان معة ، فقال: قد كفيناك بعض قتلة أبيك.»

ابنُ سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٦٠ رقم١٢٢١٢)، عن أبي أُسَامَةَ حمَّاد بن أُسامة، عن إسْمَاعِيلُ بن أبي خالِد، أَخْبَرَنَا قَيْس بن أبي حازم، قَالَ: «رَمَى مَرْوانُ بنُ الحكم يومَ الجَمل طلحةَ بسهم في ركبته، قال: فجعل الدمُ يغدويسيلُ، قال: فإذا أمسكوه استمسك، وإذا ترَكوه سال، قال: فقال: دعوه، قال: وجعلوا إذا أمسكوا فم الجرْح انتفختْ رُكبتُه، فقال: دعوه، فإنَّما هوسهمٌ أرسله الله، قال: فمات، قال: فدفناه على شاطِئ الكلاء، فرأى بعضُ أهله أنَّه قال: ألا تُريحونني من الماء، فإني قد غرقتُ - ثلاثَ مِرار يقولها - قال: فنبشوه فإذا هوأخضرُ كالسلق، فنَزفوا عنه الماءَ ثم استخرجوه، فإذَا ما يلي الأرض مِن لحيته ووجهه قد أكلتْه الأرض فاشتروا له دارًا من دور آل أبي بكر بعشرة آلاف فدفنوه فيها. وأخْرَجه ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٩٠ رقم٣١٠٩٦)، (٧/ ٥٤٢ رقم٣٨٧٩٩)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١/ ٣١١ - ٣١٢)، والخلاَّل في «السنة» (٣ / ٥١٧ - ٥١٨ رقم٨٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١١٣ رقم٢٠١)، والحاكم في «المستدرك ط الهنديَّة» (٣/ ٣٧٠)،

وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١١٢) مِن طريق إِسْمَاعِيلَ بنِ أبي خالِد، به.

وقال الحافظُ ابنُ حجر في «الإصابة» (٣/ ٥٣٢): أخْرَجه يعقوبُ بن سفيان بسندٍ صحيح عن قيس بن أبي حازم، بِه.

وأخْرَجه البخاريُّ في «التاريخ الكبير» (٧/ ٨٩) عن حِبَّان بن هلال، عن شَريك بن الخَطَّاب، به مُعلَّقًا.

وهكذا نرى ان الغدر فى بنى امية فقد قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله وهويحارب معة فنفس الجبهة ضد الامام على وعندما ندم على قتالة لعلى بن ابى طالب وعرف انة الحق واراد الرجوع فخاف ان يفتن بة الناس ويعودوا عن قتال على وهوما يريدة مروان وبنى امية ان لا يستتب الامر لعلى بن ابى طالب ابدا فهوسوف يسحب مميزات التى اعطيت لهم على مدار حكم عثمان حيث اصبحوا من الطبقة الغنية فاحشة الثراء بل ايضا زوى سلطة على رقاب المسلمين فى كل الامصار فان تولى على بن ابى طالب سوف تسحب كل هذة المميزات ولكن دعونا لا نستبق الاحداث ولنتاكد ان الحق فى موقعة الجمل كان مع الامام على لنرى هذا الحديث الخطير

روى الإمام أحمد (٢٤٦٥٤) ، وابن حبان (٦٧٣٢) ، والحاكم (٤٦١٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٦) - واللفظ له - عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: « لَمَّا بَلَغَتْ عَائِشَةُ بَعْضَ مِيَاهِ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا نَبَحَتِ الْكِلَابُ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الْحَوْأَبِ ، فَوَقَفَتْ فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً ، فَقَالَ لَهَا طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ: مَهْلًا رَحِمَكِ اللهُ ، بَلْ تَقْدَمِينَ ، فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ ، فَيُصْلِحُ اللهُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ ، قَالَتْ : مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: (كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ) «.

والحديث : صححه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٢١٢) على شرط الشيخين، وكذا صححه محققوالمسند ، والألباني في «الصحيحة» (٤٧٤) على شرط الشيخين.

وصححه الذهبي في «السير» (٣/ ٤٥٣) ، والحافظ ابن حجر في «الفتح»

(١٣/ ٥٥) وقال : »

وقد ثبت عنها رضي الله عنها بعد ذلك أنها ندمت على هذا الخروج . قال الذهبي رحمه الله :

« روى إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا أَنْ تُدْفَنَ فِي بَيْتِهَا ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَحْدَثْتُ بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَثًا، ادْفِنُوْنِي مَعَ أَزْوَاجِهِ فَدُفِنَتْ بِالبَقِيْعِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. قُلْتُ: تَعْنِي بِالحَدَثِ: مَسِيْرَهَا يَوْمَ الجَمَلِ؛ فَإِنَّهَا نَدِمَتْ نَدَامَةً كُلِّيَّةً وَتَابَتْ مِنْ ذَلِكَ، عَلَى أَنَّهَا مَا فَعَلَتْ ذَلِكَ إِلَّا مُتَأَوِّلَةً قَاصِدَةً لِلْخَيْرِ، كَمَا اجْتَهَدَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الكِبَارِ رَضِيَ اللهُ عَنِ الجَمِيْعِ » .

انتهى من «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٦٢) .

وقال الزيلعي رحمه الله :

« وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُصِيبًا فِي قِتَالِ أَهْلِ الْجَمَلِ، وَهُمْ طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَائِشَةُ، وَمَنْ مَعَهُمْ ، وَأَهْلُ صِفِّينَ، وَهُمْ مُعَاوِيَةُ ، وَعَسْكَرُهُ ، وَقَدْ أَظْهَرَتْ عَائِشَةُ النَّدَمَ ، كَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الِاسْتِيعَابِ عَنْ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ لِابْنِ عُمَرَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنْهَانِي عَنْ مَسِيرِي؟! قَالَ: رَأَيْت رَجُلًا غَلَبَ عَلَيْك - يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ- فَقَالَتْ: أَمَا وَاَللهِ لَوْ نَهَيْتَنِي مَا خَرَجْت » . انتهى من « نصب الراية « (٤/ ٦٩) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ وَهُوَ قَوْلُهُ لَهَا: (تُقَاتِلِينَ عَلِيًّا وَأَنْتِ ظَالِمَةٌ لَهُ) فَهَذَا لَا يُعْرَفُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ الْمُعْتَمَدَةِ ، وَلَا لَهُ إِسْنَادٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ بِالْمَوْضُوعَاتِ الْمَكْذُوبَاتِ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، بَلْ هُوَ كَذِبٌ قَطْعًا، فَإِنَّ عَائِشَةَ لَمْ تُقَاتِلْ وَلَمْ تَخْرُجْ لِقِتَالٍ ، وَإِنَّمَا خَرَجَتْ لِقَصْدِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَظَنَّتْ أَنَّ فِي خُرُوجِهَا مَصْلَحَةً لِلْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهَا فِيمَا بَعْدُ أَنْ تَرْكَ الْخُرُوجِ كَانَ أَوْلَى ، فَكَانَتْ إِذَا ذَكَرَتْ خُرُوجَهَا تَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ خِمَارَهَا.

وَهَكَذَا عَامَّةُ السَّابِقِينَ نَدِمُوا عَلَى مَا دَخَلُوا فِيهِ مِنَ الْقِتَالِ ،فَنَدِمَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَلِيٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - أَجْمَعِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَ الْجَمَلِ لِهَؤُلَاءِ قَصْدٌ فِي الِاقْتِتَالِ . « . انتهى من «منهاج السنة» (٤/ ٣١٦-٣١٧) .

ثم ان موقعة الجمل قد انتهت بهزيمة جيش طلحة والزبير وعائشة وانصرفوا عائدين ومن ثم اقام سيدنا على فى الكوفة فقد اتخذها مقر لحكمة فاهلها نصروة وساندوة فحين خذلة اهل المدينة وبالطبع اهل الشام والان نعود لمعاوية بن ابى سفيان الذى تباطاء فى مساندة عثمان عندما تكاثر علية المحاصرون وقد استمر الحصار اربعين يوم لم يرسل فيهم معاوية جيش الشام لمناصرة عثمان وفك الحصار عن بيتة بل تركة ليقتلة الثوار فى حين ساند جيش عائشة ودعمة بالمال والعتاد حينما علم مواجهتهم للامام على فهوبالطبع رافض لخلافة على كليا لانة يعلم ان اول قرار سيتخذة على هوعزل كل ولاة عثمان لانهم من اهم اسباب الثورة على عثمان وقد صدق حدسة

يقول ابن الأثير، فى الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٦١

لما نزل علي ع الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة كتب إلى معاوية كتابا يدعوه إلى البيعة أرسل فيه جرير بن عبد الله البجلي فقدم عليه به الشام فقرأه واغتم بما فيه وذهبت به أفكاره كل مذهب وطاول جريرا بالجواب عن الكتاب حتى كلم قوما من أهل الشام في الطلب بدم عثمان فأجابوه ووثقوا له وأحب الزيادة في الاستظهار فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان فقال له استعن بعمروبن العاص فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان في حياته وهولأمرك أشد اعتزالا إلا أن يثمن له دينه فسيبيعك فإنه صاحب دنيا . فكتب إليه معاوية أما بعد فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي وقد حبست نفسي عليك فأقبل أذاكرك أمورا لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله

بعد أحداث الجمل بايع أهل البصرة جميعًا عليًّا رضى الله عنه، سواءً من كانوا معه، أومن كانوا عليه، وتمكن رضى الله عنه من الأمور، وولّى على

البصرة بعد أن تم له الأمر فيها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم ترك البصرة، وتوجّه إلى الكوفة التي كان أغلب جيشه منها، ونزل في بيت متواضع، ورفض أن ينزل في قصرها الذي كان يُسمّى القصر الأبيض؛ لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يكره هذا القصر لفخامته، ومكث رضى الله عنه في الكوفة ليسيطر على الأمور، ودانت له البصرة والكوفة، وهي مناطق كبيرة، وبها من الجنود الكثير، ولا زال بعض من أهل الفتنة في جيش علي رضى الله عنه إلى هذا الوقت، منهم من قُتل في معركة البصرة الأولى التي قُتل فيها ستمائة، وكثير منهم قُتل في معركة الجمل.

أما مصر فقد كان على إمرتها أثناء خلافة عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقد خرج بجيشه من مصر متوجهًا لنجدة عثمان رضى الله عنه، ولكنه لمّا علم بمقتله توجه إلى الشام، وكان ممن يرى رأي معاوية بن أبي سفيان، وطلحة، وعائشة، والزبير رضوان الله عليهم جميعًا مِن أخذ الثأر لعثمان رضى الله عنه من قَتَلَتِه قبل البيعة.

وهذا ما رفضة الامام على كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ـ ينتظر حتى يستتبّ له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حدّ القصاص عليهم؛ اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق، لأنَّ الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى اختيار أهون الشَّرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم ـ قتلة عثمان ـ وهوخير من شر منه ـ القتال والفرقة. لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه، فأَخَّر القصاص من أجل هذا،

كان أمير المؤمنين علي ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن، وتجتمع الكلمة، ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البيّنة ويجري القضاء في مجلس الحكم. ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدّى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : بل لم يكن عليّ مع تفرق الناس عليه متمكنـًا من قتل قتلة عثمان إلا بفتنة تزيد الأمر شراً وبلاء ، ودفع أفسد الفاسدين بالتزام أدناهما أولى من العكس ، لأنهم كانوا عسكراً ، وكان لهم قبائل تغضب لهم .

وتولّى الأمور في مصر، وسيطر عليها محمد بن أبي حذيفة الذي كان أحد أقطاب الفتنة مع كونه تربى في كنف عثمان بن عفان رضى الله عنه، وأحد أبناء المجاهدين البررة حذيفة بن عتبة الذي استشهد في اليمامة، ولما لم يعطه عثمان رضى الله عنه الإمارة لعدم رؤيته لكفاءته نقم عليه، وتقلّد الأمور بعد ذلك في مصر، وكان معاوية في الشام على مقربةٍ من مصر، وهي أقرب إليه من المدينة، ومن العراق، فلما حدثت الفتنة، وحدثت معارك البصرة أرسل معاوية عنه جيشًا صغيرًا لمحاربة أهل الفتنة في مصر، فخرج له محمد بن أبي حذيفة في العريش بسيناء، وتقاتلا، وقُتل محمد بن أبي حذيفة، ومعه ثلاثون آخرون من أهل الفتنة، وقبل أن يتمكن جيش معاوية من مصر أرسل علي بن أبي طالب رضى الله عنه قيس بن سعد أحد رجالاته إلى مصر للسيطرة على الأمور، فذهب، ومعه سبعة من الرجال، فأسرع إليها قبل جيش معاوية، وسيطر عليها، وصعد المنبر، وأعلن أنه يبايع عليًّا رضى الله عنه، فبايعه أهل مصر جميعًا إلا فئة قليلة جدًّا انحازوا إلى قرية (خربته) بمنطقة البُحَيْرة بمصر، وتركهم قيس بن سعد درءًا للحرب في ذلك الوقت، وتمكّن لعليٍّ رضى الله عنه الأمر في مصر في ذلك الوقت، ولم يعجب هذا الأمر معاوية، فأرسل رسالة إلى قيس بن سعد والي مصر من قِبَل علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وأقام معاوية الحجة على قيس بن سعد، وأن معاوية يتتبع قتلة عثمان، ويأخذ بثأره ممن قتلوه.

كان قيس بن سعد بعيدًا عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه فهوفي مصر بينما علي رضى الله عنه في العراق، وبينهما معاوية في الشام.

لم يردّ قيس بن سعد على رسالة معاوية بن أبي سفيان ردًّا حازمًا صريحًا، بل كان في رسالته تردد في الأمر، وأُشيع في الشام أن لقيس بن سعد علاقة في السرّ مع معاوية، وخشي علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن تنقلب الأمور

في مصر، ويتكرر ما حدث في البصرة، فعالج الأمر بأن عزل قيسًا، وولّى مكانه محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وذكرنا قبل ذلك أن محمد بن أبي بكر كان الصحابي الوحيد الذي شارك ابتداءً في أمر الفتنة، ولكنه رضى الله عنه تاب على يد عثمان رضى الله عنه، ورجع عن ما كان عليه، بل ودافع بسيفه عن عثمان رضى الله عنه، ولكنه لم يستطع أن يثنيهم عن قتل عثمان رضى الله عنه، وشهدت له بذلك السيدة نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان رضي الله عنهما، وبعد ذلك بايع عليًّا رضى الله عنه، وحسن عمله، ونحسبه على خير، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا.

دانت السيطرة لعلي بن أبي طالب تمامًا على مصر، وبعدما عُزل قيس بن سعد رضى الله عنه رجع إلى علي بن أبي طالب، واعتذر له عن كون ردّه على معاوية كان فيه شيءٌ من التردد مما أثار الشكوك حوله، فقبل منه علي بن أبي طالب رضى الله عنه، واشترك قيس بن سعد في جيش علي رضى الله عنه.

أرسل علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وهوفي الكوفة رسالتين إحداهما إلى جرير بن عبد الله أمير من قِبَل عثمان بن عفان رضى الله عنه على (همذان) في أرض فارس، وطلب منه المبايعة، فبايع جرير رضى الله عنه كل أهل (همذان)، وأتى بالمبايعة إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

والرسالة الأخرى إلى الأشعث بن قيس في (أذربيجان) فأخذ له البيعة من أهلها، فتمت لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه البيعة في كل منطقة شرق العراق، وأصبحت كل مناطق الكوفة، والبصرة، وما يليها من البلاد تحت إمرة علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وكذلك المدينة المنورة، ومكة، واليمن، ومصر، ولم يتبق إلا منطقة الشام فقط لم تبايع عليًّا رضى الله عنه، والدولة الإسلامية كلها قد اتفقت على أمير واحد هوعلي بن أبي طالب رضى الله عنه وأرضاه، ولم يخالف إلا إمارة واحدة هي إمارة الشام، وإن كانت إمارة كبيرة.

وكانت مشكلة كبيرة تحتاج إلى وقفة حازمة من علي رضى الله عنه، فأرسل جرير بن عبد الله البجلي أحد صحابة النبي ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان ؛ لكي يتحاور معه من أجل الوصول إلى حل لتلك المشكلة دون الدخول في

حرب بين المسلمين، خاصة بعد موقعة الجمل المُرّة، والتي راح ضحيتها عشرة آلاف من المسلمين، وذهب جرير بن عبد الله رضى فقدم عليه به الشام فقرأه واغتم بما فيه وذهبت به أفكاره كل مذهب وطاول جريرا بالجواب عن الكتاب حتى كلم قوما من أهل الشام في الطلب بدم عثمان فأجابوه ووثقوا له وأحب الزيادة في الاستظهار فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان فقال له استعن بعمروبن العاص فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان في حياته وهولأمرك أشد اعتزالا إلا أن يثمن له دنياة فسيتبعك فإنه صاحب دنيا . فكتب إليه معاوية أما بعد فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي وقد حبست نفسي عليك فأقبل أذاكرك أمورا لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله

فلما قدم الكتاب على عمرواستشار ابنيه عبد الله بن عمروومحمد بن عمروفقال لهما ما تريان فقال عبد الله أرى أن رسول الله ص قبض وهوعنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقر في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشكتما أن تهلكا فتستويا في عقابها وقال محمد أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها وأن تصرم هذا الأمر وأنت فيه غافل تصاغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام وكن يدا من أيديها طالبا بدم عثمان فإنه سيقوم بذلك بنوأمية . فقال عمروأما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هوخير لي في ديني وأنت يا محمد فأمرتني بما هوخير لي في دنياي

فسار حتى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من نفسه وكايد كل واحد منهما صاحبه . فقال له معاوية يوم دخل عليه أبا عبد الله طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر قال وما ذاك قال منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر فخرج هووأصحابه وهومن آفات هذا الدين ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها أن عليا نزل الكوفة وتهيأ للمسير إلينا . فقال عمروليس كل ما ذكرت عظيما أما ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلا يقتله

أويأتيك به وإن قاتل لم يضرك وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة وسله الموادعة فإنه إليها سريع وأما علي فلا والله يا معاوية ما يسوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء وإن له في الحرب لحظا ما هولأحد من قريش وإنه لصاحب ما هوفيه إلا أن تظلمه هكذا في رواية نصر بن مزاحم عن محمد بن عبيد الله . وروى نصر أيضا عن عمر بن سعد قال قال معاوية لعمرويا أبا عبد الله إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرقالجماعة وقطع الرحم فقال عمرومن هوقال علي قال والله يا معاوية ما أنت وعلي بحملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه ووالله إن له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لأحد غيره ولكني قد تعودت من الله تعالى إحسانا وبلاء جميلا فما تجعل لي إن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال حكمك فقال مصر طعمة فتلكأ عليه معاوية . قال نصر وفي حديث غير عمر بن سعد فقال له معاوية يا أبا عبد الله إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا قال عمرودعني عنك فقال معاوية إني لوشئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت قال عمرولا لعمر الله ما مثلي يخدع لأنا أكيس من ذلك قال معاوية ادن مني أسارك فدنا منه عمروليساره فعض معاوية أذنه وقال هذه خدعة هل ترى في البيت أحدا ليس غيري وغيرك .قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ كانت مصر في نفس عمروبن العاص لأنه هوالذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا لا يستعظم أن يجعلها ثمنا من دينه وهذا معنى قوله

وكان معاوية يرى أنه ولي دم عثمان، وأنه لا بدّ من الأخذ بثأره من هؤلاء القتلة، وأنه لا يجوز له بحال أن يقصّر في هذا الأمر، وتأوّل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

والآية تشير أن لولي المقتول الحق أن يعفو، أوأن يأخذ له الأمير القصاص، ولا يُحكَّم طالب الدم، ومن ثَم كان لا بدّ أولاً من وجود حاكم قد بايعه الناس

أولاً، ويذهب طالب الدم إلى الحاكم بعد أن يبايعه أولاً، ثم يطالبه بالقصاص، لا أن يمتنع عن البيعة، ويطالب بالقصاص، ولكن معاوية رفض الاستجابة لجرير بن عبد الله، بل أرسل هورسلاً إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه لا يبايعه إلا بعد أن يسلّمه قتلة عثمان بن عفان، أويقتلهم هو، وبعدها يبايعه.

ويرى علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن هذه الفئة هي الوحيدة الخارجة عليه من كل الدولة الإسلامية، ومن ثَم تجب محاربتها لردها إلى الحق، وإلى جماعة المسلمين، ولكنه قبل أن يبدأهم بحربٍ يحاول أن يقرّب وجهات النظر، وأن يسلك مع أهل الشام مسلك التهديد بقتالهم، إن لم يبايعوا، ويعودوا إلى جماعة المسلمين، فأمر بتجميع الجيوش، واستشار الناس، فأشار الجميع بأن تخرج الجيوش، وأن يخرج علي رضى الله عنه بنفسه مع الجيش، وكان ممن عارض خروجه ابنه الحسن، ورأى أن قتال أهل الشام سوف يأتي بفتنة عظيمة، لكن علي رضى الله عنه كان يريد أن يقمع الفتنة من جذورها، وأن يحسم الأمر من بدايته.

استهلت هذه السنة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه، متحفز هو ومعاوية بن أبي سفيان ، ، كل منهما في جنوده بمكان يقال له: صفين بالقرب من الفرات ، شرقي بلاد الشام ، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، وجرت بينهم حروب يطول ذكرها . والمقصود أنه لما دخل شهر المحرم تحاجزوا عن القتال ، طلبا للصلح ورجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يئول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم ، فذكر ابن جرير ، من طريق هشام عن أبي مخنف قال : حدثني سعد أبوالمجاهد الطائي ، عن محل بن خليفة أن عليا بعث عدي بن حاتم ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وشبث بن ربعي ، وزياد بن خصفة إلى معاوية ، فلما دخلوا عليه – وعمر بن العاص إلى جانبه – قال عدي بعد حمد الله والثناء عليه – : أما بعد ، يا معاوية فإنا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا ، وتحقن به دماؤنا ، ويأمن به السبيل ويصلح به ذات البين : إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها في الإسلام أثرا ، وقد استجمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فلم يبق

أحد غيرك وغير من معك ، فانته يا معاوية لا يصبك الله وأصحابك مثل ما أصاب الناس يوم الجمل . فقال له معاوية : كأنك إنما جئت متهددا ولم تأت مصلحا ، هيهات يا عدي ، كلا والله إني لابن حرب ، لا يقعقع لي بالشنان ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وإنك لمن قتلته ، وإني لأرجوأن تكون ممن يقتله الله به . وتكلم شبث بن ربعي ، وزياد بن خصفة فذكرا من فضل علي ، وقالا : اتق الله يا معاوية ولا تخالفه ، فإنا والله ما رأينا رجلا قط أعمل بالتقوى ، ولا أزهد في الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه . فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم دعوتموني إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فنعما هي ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلا أعان على قتل عثمان وهويزعم أنه لم يقتله ؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به ، ولكنه أوى قتلته : فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شبث بن ربعي : أنشدك الله يا معاوية، لوتمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان ؟ فقال معاوية : والله لوتمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان ، ولكني كنت أقتله بغلام عثمان . فقال له شبث بن ربعي : وإله الأرض والسماء لا تصل إلى قتل عمار حتى تندر الرءوس عن كواهلها، ويضيق فضاء الأرض ورحبها عليك . فقال له معاوية : لوقد كان ذلك كانت عليك أضيق . وخرج القوم من بين يديه فذهبوا إلى علي فأخبروه الخبر. وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وشرحبيل بن السمط ، ومعن بن يزيد بن الأخنس إلى علي ، فدخلوا عليه ، فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهديا ، عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله ، فاستثقلتم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عثمان – إن زعمت أنك لم تقتله – ثم اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، فيولي الناس أمرهم من أجمعوا عليه رأيهم . فقال له علي : وما أنت ، لا أم لك وهذا الأمر وهذا العزل ، فاسكت فإنك لست هناك ولا بأهل لذاك . فقال له حبيب : أما والله لتريني حيث تكره . فقال له علي : وما أنت ولوأجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت ، اذهب فصعد وصوب ما بدا لك . ثم ذكر أهل السير كلاما طويلا جرى بينهم وبين علي ، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر ، فإن في مطاوي ذلك الكلام من

كلام علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه ، وإنهم إنما دخلوا في الإسلام كرها ولم يزالا في تردد فيه، وغير ذلك ، وأنه قال في غبون ذلك : لا أقول إن عثمان قتل مظلوما ولا ظالما . فقالوا : نحن نبرأ ممن لم يقل : إن عثمان قتل مظلوما . وخرجوا من عنده ، فقال علي : إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون وإذا وقع [النمل : ٨٠ ، ٨١] . ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالتهم منكم بالجد في حقكم وطاعة نبيكم . وقد روى ابن ديزيل ، من طريق عمر بن سعد بإسناده ، أن قراء أهل العراق، وقراء أهل الشام عسكروا ناحية ، وكانوا قريبا من ثلاثين ألفا ، وأن جماعة من قراء العراق : منهم عبيدة السلماني ، وعلقمة بن قيس ، وعامر بن عبد قيس، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم جاءوا إلى معاوية فقالوا له : ما تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان . قالوا : لمن تطلب به ؟ قال : عليا . قالوا : أهوقتله ؟ قال : نعم ، وأوى قتلته . فانصرفوا إلى علي فذكروا له ما قال ، فقال : كذب ، لم أقتله وأنتم تعلمون أني لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه ، فقال : إن لم يكن قتله بيده فقد أمر بقتله ومالأ عليه. فرجعوا إلى علي فأخبروه ، فقال : والله لا قتلت ولا أمرت ولا مالأت، فرجعوا إلى معاوية فأخبروه ، فقال معاوية : إن كان صادقا فليقدنا من قتلة عثمان، فإنهم في عسكره وجنده . فرجعوا إلى علي فقال علي : تأول القوم عليه القرآن في فتنة ووقعت الفرقة لأجلها ، وقتلوه في سلطانه وليس لي عليهم سبيل . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه ، فقال : إن كان الأمر على ما يقول، فما له انتهز الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن هاهنا ؟ فرجعوا إلى علي، فقال : إنما الناس تبع المهاجرين والأنصار ، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم ، وقد رضوا وبايعوني ، ولست أستحل أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عصاها . فرجعوا إلى معاوية ، فقال: ما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ؟ فرجعوا إلى علي ، فقال: إنما هذا للبدريين دون غيرهم ، وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي، وقد تابعني وبايعني ورضي بي ، فلا يغرنكم من دينكم وأنفسكم . قال : فأقاموا يتراسلون في ذلك مدة شهر ربيع الآخر وجماديين، ويفزعون في غبون ذلك

الفزعة بعد الفزعة ، ويزحف بعضهم على بعض ، ويحجز بينهم القراء، فلا يكون في ذلك قتال . قال : ففزعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين فزعة . قال : وخرج أبو الدرداء وأبوأمامة ، فدخلا على معاوية، فقالا له : يا معاوية ، علام تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه لأقدم منك ومن أبيك سلما ، وأقرب منك إلى رسول الله ، ﷺ ، وأحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان ، وأنه أوى قتلته ، فاذهبا إليه فقولا له فليقدنا من قتلة عثمان ، ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام . فذهبا إلى علي ، فقالا له ذلك ، فقال : هؤلاء الذين ترون . فخرج خلق كثير فقالوا : كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليرمنا وليكدنا . قال : فرجع أبوالدرداء وأبوأمامة فلم يشهدا لهم قتالا ، بل لزما بيوتهما . وقال عمر بن سعد بإسناده : حتى إذا كان رجب وخشي معاوية أن تبايع القراء كلهم عليا ، كتب في سهم : من عبد الله الناصح ، يا معشر أهل العراق ، إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليغرقكم ، فخذوا حذركم . ورمى به في جيش أهل العراق . فأخذه الناس فقرأوه وتحدثوا به ، وذكروه لعلي ، فقال : إن هذا ما لا يكون ولا يقع . وشاع ذلك فيهم ، وبعث معاوية مائتي فاعل يحفرون في جنب الفرات وبلغ الناس ذلك ، فخاف أهل العراق من ذلك وفزعوا إلى علي ، فقال : ويحكم إنه يريد أن يخدعكم ويوهن كيدكم ، ليزيلكم عن مكانكم هذا وينزل فيه : لأنه خشي من مكانه . فقالوا : لا بد أن نرتحل عن هذا المكان . فارتحلوا منه – وجاء معاوية فنزله بجيشه – وكان علي آخر من ارتحل ، فنزل بهم وهويقول : فلوأني أطعت عصمت قومي إلى ركن اليمامة أوشمام ولكني إذا أبرمت أمرا يخالفه الطغام بنوالطغام

قال : فأقاموا إلى شهر ذي الحجة ثم شرعوا في القتال ، فجعل علي يؤمر على الحرب كل يوم رجلا ، وأكثر من كان يؤمر الأشتر . وكذلك معاوية كان يؤمر كل يوم أميرا ، فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكماله ، وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين .

قال ابن جرير ، رحمه الله : ثم لم تزل الرسل تتردد بين علي ومعاوية ، والناس كافون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة ، ولم يقع بينهم صلح ، فأمر علي بن أبي طالب مرثد بن الحارث الجشمي ، فنادى

أهل الشام عند غروب الشمس : ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد استدمتكم لتراجعوا الحق ، وأقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا ، وإني قد أعذرت إليكم ونبذت إليكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين . ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي ينادي به ، فنهض عند ذلك معاوية وعمرو، فعبيا الجيش ميمنة وميسرة ، وبات علي يعبي جيشه من ليلته ، فجعل على خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي ، وعلى رجالتهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ، وعلى قرائهم مسعر بن فدكي التميمي ، وتقدم علي إلى الناس أن لا يبدأوا أحدا بقتال حتى يبدأهم ويعتدي عليهم ، وأنه لا يذفف على جريح ، ولا يتبع مدبر ، ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان وإن شتمت أمراء الناس وصلحاءهم . ولما بلغ معاوية مسير علي إليه ، سار معاوية نحو علي واستعمل على مقدمته سفيان بن عمروأبا الأعور السلمي ، وعلى الساقة بسر بن أرطاة حتى توافوا جميعا بقناصرين إلى جانب صفين . ، وقام معاوية في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ، ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ، ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف ، وقد تهيأتم وسرتم لتمنعوا ا لشام وتأخذوا العراق ، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمر ي ما للشام رجاء في العراق ولا أموالها ، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرها ، مع أن للقوم أعدادهم ، وليس بعدكم غيركم ، فإن غلبتموهم فليس تغلبوهم إلا من أناتكم وصبركم ، وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم ، والقوم لاقوكم بكيد أهل العراق ، ورقة أهل اليمن ، وبصائر أهل الحجاز ، وقسوة أهل مصر ، وإنما ينصر غدا من ينصر اليوم ، فاستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين . فلما بلغ عليا خطبة معاوية ، قام في أصحابه أيضا خطيبا وحضهم على الجهاد ، ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام .

قال جابر الجعفي ، عن أبي جعفر الباقر ، وزيد بن الحسن ، وغيرهما قالوا : سار علي إلى الشام في مائة وخمسين ألفا من أهل العراق ، وأقبل معاوية في نحومنهم من أهل الشام . وقال غيرهم : أقبل علي في مائة ألف

أويزيدون ، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفا ، وكان أمير الحرب يومئذ للعراقيين الأشتر النخعي ، وأمير الحرب يومئذ للشاميين حبيب بن مسلمة ، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالا شديدا ، ثم تراجعوا من آخر يومهم ، وقد انتصف بعضهم من بعض ، وتكافئوا في القتال ، ثم أصبحوا من الغد ، فاقتتلوا قتالا شديدا : تحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، ثم تراجعوا من آخر يومهم ، وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافئوا ، ثم خرج - عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق ، وخرج إليه عمروبن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتالا شديدا ، وحمل عمار على عمروبن العاص ، فأزاله عن موقفه ، وقد صبر كل فريق لصاحبه ، وخرج في اليوم الرابع - وهويوم السبت - محمد بن علي ، وهوابن الحنفية ، ومعه جمع عظيم ، فخرج إليه في جحفل كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر ، فاقتتل الناس قتالا شديدا ،- فيما ذكره أبومخنف - ويقول : قتلتم خليفتكم ولم تنالوا ما طلبتم ، ووالله إن الله ناصرنا عليكم . فقال له ابن عباس : فابرز إلي . فأبى عليه . ويقال : إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالا شديدا بنفسه ، رضي الله عنه ، ولم يغلب أحد أحدا في هذه الأيام كلها .

قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أعين الجهني ، عن زيد بن وهب ، أن عليا قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم قام في الناس عشية بعد العصر ، فقال : الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض ، وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، لوشاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار ، فلفت بيننا في هذا المكان ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع ، فلوشاء لعجل النقمة ، وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى [النجم : ٣١] . ألا وإنكم لاقوا القوم غدا فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، وأسألوا الله النصر والصبر ، والقوهم بالجد والحزم ، وكونوا صادقين . قال : فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها . قال : ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جعيل التغلبي ، فرأى ما يصنعون فجعل يقول :

أصبحت الأمة في أمر عجب والملك مجموع غدا لمن غلب
فقلت قولا صادقا غير كذب إن غدا تهلك أعلام العرب.

قال : ثم أصبح علي في جنوده قد عبأهم كما أراد ، وركب معاوية في جيشه قد عبأهم كما أراد ، وقد أمر علي كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام ، ثم زحف الناس بعضهم إلى بعض ، فتقاتلوا قتالا عظيما لا يفر أحد من أحد ولا يغلب أحد أحدا ، ثم تحاجزوا عند العشي وأصبح علي فصلى الفجر بغلس وباكر القتال ، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم ، فقال علي فيما رواه أبومخنف ، عن مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب : اللهم رب السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت فيه سبطا من الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام والهوام والأنعام ، وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى من خلقك العظيم ، ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا وللخلق متاعا ، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي والفساد وسددنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة ، وجنب بقية أصحابي من الفتنة . ثم تقدم علي وهوفي القلب في أهل المدينة وعلى ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل ، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد ، والناس على راياتهم ، فزحف بهم إلى القوم . وأقبل معاوية - وقد بايعه أهل الشام على الموت - فتواقف الناس في موطن مهول وأمر عظيم ، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة علي على ميسرة أهل الشام وعليها حبيب بن مسلمة ، فاضطره حتى ألجأه إلى القلب ، وفيه معاوية ، وقام عبد الله بن بديل في الناس خطيبا ، فحرضهم على القتال ، وقام كل أمير في أصحابه يحرضهم على القتال ، ويحثهم على الصبر والثبات والجهاد ، ويتلوعليهم آيات القتال ، وحرض أمير المؤمنين علي الناس على الثبات والصبر ، وحثهم على قتال أهل الشام وتلا عليهم آيات القتال من أماكن متفرقة من القرآن : فمن ذلك قوله تعالى : إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص . ثم قال : قدموا

المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام ، والتووا في أطراف الرماح ، فإنه أصون للأسنة ، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلب ، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل ، وأولى بالوقار ، راياتكم لا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم .
وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن عليا ، رضي الله عنه ، بارز في يوم صفين وقاتل وقتل خلقا ، حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة ، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق مبارزة ، ثم وضعهم تحت قدميه ونادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه علي فتجاولا ساعة ثم ضربه علي فقتله ، ثم قال علي : هل من مبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله ، ثم برز إليه رود بن الحارث الكلاعي فقتله ، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيني فقتله . ثم تلا علي قوله تعالى : والحرمات قصاص [البقرة : ١٩٤] ثم نادى : ويحك يا معاوية ! ابرز إلي ولا تفن العرب بيني وبينك . فقال له عمرو يا معاوية اغتنمه فإنه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعة . فقال له معاوية : والله لقد علمت أن عليا لم يقهر قط ، وإنما أردت قتلي لتصيب الخلافة من بعدي ، اذهب إليك ! فليس مثلي يخدع .
وذكروا أن عليا حمل على عمرو بن العاص يوما فضربه بالرمح ، فألقاه إلى الأرض فبدت سوءته فرجع علي عنه ، فقال له أصحابه : مالك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : أتدرون من هو؟ قالوا : لا . قال : هو عمرو بن العاص ، وإنه تلقاني بسوءته فذكرني بالرحم فرجعت عنه . فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله ، واحمد استك .
وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى بن نصر ، ثنا عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي ، عن نمير الأنصاري قال : والله لكأني أسمع عليا وهو يقول لأصحابه يوم صفين ، أما تخافون مقت الله حتى متى . ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال : والله ما سمعنا برئيس أصاب بيده من القتل ما أصاب علي يومئذ ، إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة رجل يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحني ، ثم يجيء فيقول : معذرة إلى الله وإليكم ، والله لقد هممت أن أقلعه ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي قال : فيأخذه فيصلحه ثم يرجع به ..

ثم أن عبد الله بن بديل كسر الميسرة التي فيها حبيب بن مسلمة حتى أدخلها في القلب ، فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيبا على الكرة ، وبعث إليه معاوية يأمره بالحملة والكرة على ابن بديل ، فحمل حبيب بمن معه من الشجعان على ميمنة أهل العراق ، فأزالوهم عن أماكنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلاثمائة وانجفل بقية أهل العراق ، ولم يبق مع علي من تلك القبائل إلا أهل المدينة وعليهم سهل بن حنيف ، وثبت ربيعة مع علي ، رضي الله عنه ، واقترب أهل الشام منه حتى جعلت نبالهم تصل إليه ، وتقدم إليه مولى لبني أمية فاعترضه مولى لعلي فقتله الأموي ، وأقبل يريد عليا ، وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، فلما وصل إلى علي ، أخذه علي بيده ، فرفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضده ومنكبه وابتدره الحسين ومحمد بأسيافهما فقتلاه ، فقال علي للحسن ابنه ، وهوواقف معه : ما منعك أن تصنع كما صنعا ؟ فقال : كفياني أمره يا أمير المؤمنين . وأسرع إلى علي أهل الشام فجعل علي لا يزيده قربهم منه سرعة في مشيته ، بل هوسائر على هينته ، فقال له ابنه الحسن : يا أبه ، لوسعيت أكثر من هذا ! فقال : يا بني إن لأبيك يوما لن يعدوه ، ولا يبطئ به عنه السعي ، ولا يعجل به إليه المشي ، إن أباك والله ما يبالي أوقع على الموت أووقع عليه الموت . ثم إن عليا أمر الأشتر النخعي أن يلحق المنهزمين فيردهم ، فساق بأسرع سوق حتى استقبل المنهزمين من العراقيين من بين أيديهم ، فجعل يؤنبهم ويوبخهم ويحرض القبائل والشجعان منهم على الكرة ، فتابعه طائفة واستمر آخرون في هزيمتهم ، فلم يزل ذلك دأبه حتى اجتمع عليه منهم جمع عظيم ، فرجع بهم إلى أهل الشام فجعل لا يلقى قبيلة من الشاميين إلا كشفها ، ولا طائفة إلا ردها حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بديل ، ومعه نحومن ثلاثمائة قد ثبتوا في مكانهم فسألوه عن أمير المؤمنين فقال : حي صالح فالتفوا عليه ، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس ، وذلك ما بين صلاة العصر إلى الغروب ، وأراد ابن بديل أن يتقدم إلى أهل الشام ، فأمره الأشتر أن يثبت مكانه فإنه خير له ، فأبى عليه ابن بديل ، وحمل نحو معاوية ، فلما انتهى إليه وجده واقفا أمام أصحابه وفي يده سيفان وحوله كتائب أمثال الجبال ، فلما اقترب ابن بديل حمل عليه

جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى الأرض قتيلا ، وفر أصحابه منهزمين وأكثرهم مجروح ، فلما انهزموا قال معاوية لأصحابه : انظروا إلى أميرهم ؟ فجاءوا إليه فلم يعرفوه ، فتقدم معاوية إليه فإذا هو عبد الله بن بديل فقال معاوية : هذا والله كما قال الشاعر - وهو حاتم الطائي - :

أخوالحرب إن عضت به الحرب عضها

وإن شمرت يوما به الحـــرب شمـرا

ويحمي إذا ما المـــوت حان لقـــاؤه

كذلك ذوالأشبال يحمـــي إذا فـــرا

كليث هزبر كـان يحمـــي ذمـــــاره

رمته المنايا قصدهـــــا فتقطـــــرا

ثم حمل الأشتر النخعي بمن رجع معه من المنهزمين ، فصدق الحملة حتى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقدوا وتعاهدوا على الموت أن لا يفروا وهم حول معاوية ، فخرق منهم أربعة ، وبقي بينه وبين معاوية صف واحد ، قال الأشتر : فرأيت هولا عظيما ، وكدت أن أفر فما ثبتني إلا قول ابن الإطنابة - وهي أمه من بلقين ، وكان هومن الأنصار وهوجاهلي :

أبت لي عفتي وأبـى بلائـــي وإقدامي على البطل المشيح

وإعطائى على المكروه مالـي وضربي هامة الرجل السميح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أوتستريحي

قال : هذا هوالذي ثبتني في ذلك الموقف . والعجب أن ابن ديزيل روى في كتابه أن أهل العراق حملوا حملة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه ، حتى أفضوا إلى معاوية ، فدعا بفرسه لينجوعليه ، قال معاوية : فلما وضعت رجلي في آلة الركاب تمثلت بأبيات عمروبن الإطنابة :

أبت لي عفتي وأبى بلائـــي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإعطائي على المكروه مالي وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أوتستريحي

قال : فثبت . ونظر معاوية إلى عمروبن العاص يوم صفين ، فقال :

اليوم صبر وغدا فخر . فقال له عمرو : صدقت . قال معاوية : فأصبت خيرا في الدنيا ، وأنا أرجوأن أصيب خيرا في الآخرة .

ورواه محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الرحمن بن حاطب ، عن معاوية . وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر - وهوأمير الخيالة لعلي - فقال له : اتبعني على ما أنت عليه ولك إمرة العراق . فطمع فيها ، فلما ولي معاوية العراق لم يعطه شيئا . ثم إن عليا لما رأى الميمنة قد اجتمعت ، رجع إلى الناس فأنب بعضهم وعذر بعضهم وحرض الناس وثبتهم ، ثم تراجع أهل العراق فاجتمع شملهم ودارت رحى الحرب لهم وجالوا في الشاميين وصالوا ، وتبارز الشجعان فقتل خلق كثير من الأعيان من الفريقين - فإنا لله وإنا إليه راجعون - ، و وزاد غيره فيها :

ثم جاء مقتل عمار بن ياسر ، رضي الله عنه ، مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه قتله أهل الشام وبان بذلك وظهر سر ما أخبر به الرسول ، ﷺ ، من أنه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك أن عليا محق وأن معاوية باغ وما في ذلك من دلائل النبوة . ذكر ابن جرير ، من طريق أبي مخنف : حدثني مالك بن أعين الجهني ، عن زيد بن وهب الجهني أن عمارا قال يومئذ : أين من يبتغي رضوان الله ولا يلوي إلى مال ولا ولد ؟ قال : فأتته عصابة من الناس فقال : أيها الناس ، اقصدوا بنا نحوهؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوما ، والله ما قصدهم الأخذ بدمه ولا القيام بثأره ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلوها واستمرءوها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة الناس لهم والولاية عليهم ، ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التي

تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات ، وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلوفيها ، وتحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله ، فخدعوا أتباعهم بقولهم : إمامنا قتل مظلوما . ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا ، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون ، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان ، ولكانوا أذل وأخس وأقل ، ولكن قول الباطل له حلاوة في أسماع الغافلين ، فسيروا إلى الله سيرا جميلا ، واذكروه ذكرا كثيرا . ثم تقدم فلقيه عمروبن العاص وعبيد الله بن عمر فلامهما وانتهرهما ووعظهما ، وذكروا من كلامه لهما ما فيه غلظة. وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن عمروبن مرة ، سمعت عبد الله بن سلمة يقول :

رأيت عمارا يوم صفين شيخا كبيرا آدم طوالا ، آخذ الحربة بيده ويده ترعد ، فقال : والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ، ﷺ ، ثلاث مرات ، وهذه الرابعة ، والذي نفسي بيده لوضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر ، لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة . ..، عن الأحنف بن قيس قال : ثم حمل عمار بن ياسر عليهم ، فحمل عليه ابن جون السكوني ، وأبوالغادية الفزاري ، فأما أبوالغادية فط عنه ، وأما ابن جون فاحتز رأسه . وقد كان ذوالكلاع سمع قول عمروبن العاص قال رسول الله ، ﷺ ، لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها صاع لبن . فكان ذوالكلاع يقول لعمرو : ويحك ما هذا يا عمرو ؟ فيقول له عمرو : إنه سيرجع إلينا . قال : فلما أصيب عمار بعد ذي الكلاع ، قال عمرو لمعاوية : ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحا : بقتل عمار أو ذي الكلاع ، والله لوبقي ذوالكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة أهل الشام إلى علي ، ولأفسد علينا جندنا . قال : وكان لا يزال يجيء رجل فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت عمارا . فيقول له عمرو : فما سمعته يقول ؟ فيخلطون فيما يخبرون ، حتى جاء ابن جون فقال : أنا سمعته

اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبـــــه

فقال له عمرو : صدقت أنت ، إنك صاحبه . ثم قال له : رويدا ، أما والله ما ظفرت بذاك ، ولقد أسخطت ربك .

وقد روى ، عن أبي الزبير ، عن حذيفة مرفوعا : « ما خير عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما » . وبه عن عمروبن شمر ، عن السدي ، عن يعقوب بن الأوسط ، قال : اختصم رجلان في سلب عمار وفي قتله ، فأتيا عبد الله بن عمروبن العاص ليتحاكما إليه ، فقال لهما : ويحكما ، اخرجا عني ، فإن رسول الله ، ﷺ ، قال : ولعت قريش بعمار ، ما لهم ولعمار ؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، قاتله وسالبه في النار . قال : فبلغني أن معاوية قال : إنما قتله من أخرجه . يخدع بذلك أهل الشام .

وهنا يجب أن نقف اهم وقفة فى هذا الصراع المحموم من بنى أمية لبنى هاشم ومنازعتهم حقهم وهى مقتل عمار الذى قال فيه رسول الله عمار تقتلة الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونة إلى النار ... إذن فقد اتضح لنا من هم البغاة دعاة النار وسوف نورد اقوال العلماء فى هذا الحديث لاحقا ..

قال إبراهيم بن الحسين : حدثنا يحيى ، ثنا عيسى بن عمر ، ثنا هشيم ، ثنا العوام بن حوشب عن الأسود بن مسعود ، عن حنظلة بن خويلد – وكان يأتي من عند علي ومعاوية – قال : بينا هوعند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار ، فقال لهما عبد الله بن عمرو : ليطب كل واحد منكما نفسا لصاحبه بقتل عمار ، فإني سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : تقتله الفئة الباغية . فقال معاوية لعمرو : ألا تنهى عنا مجنونك هذا ؟ ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له : فلم تقاتل معنا ؟ فقال له : إن رسول الله ، ﷺ ، أمرني بطاعة والدي ما كان حيا ، وأنا معكم ولست أقاتل .

ثم أن عبد الله بن عمرو قال لأبيه : لولا أن رسول الله ، ﷺ ، أمرني بطاعتك ما سرت معك هذا المسير ، أما سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية ؟

وحدثنا يحيى ، ثنا عبدالرحمن بن زياد ، ثنا هشيم ، عن مجالد ، عن الش عبي قال : جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمروبن العاص ، فقال : ائذن له وبشره بالنار . فقال الرجل : أما تسمع ما يقول عمرو؟ فقال معاوية : صدق إنما قتله الذين جاءوا به .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن محمد ، ثنا الوليد بن صالح ، ثنا عطاء بن مسلم ، عن الأعمش قال : قال أبوعبد الرحمن السلمي : كنا مع علي بصفين وكنا قد وكلنا بفرسه نفسين يحفظانه ويمنعانه أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلة ، حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم ، وقال : لولا أنه انثنى ما رجعت . قال : ورأيت عمارا لا يأخذ واديا من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ، ﷺ ، ورأيته جاء إلى المرقال ، هاشم بن عتبة ، وهوصاحب راية علي ، فقال : يا هاشم تقدم ، الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسل ، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين :اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه ثم حملا هو وهاشم فقتلا ، رحمهما الله تعالى ، قال : وحمل حينئذ علي وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد كأنهما كانا - يعني عمارا وهاشما - علما لهم ، قال : فلما كان الليل قلت : لأدخلن الليلة إلى عسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ؟ وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم ، فركبت فرسي وقد هدأت الرجل ، ثم دخلت عسكرهم فإذا أنا بأربعة يتسامرون : معاوية ، وأبوالأعور السلمي ، وعمروبن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو - وهوخير الأربعة - فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول بعضهم لبعض ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبت قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا ، وقد قال فيه رسول الله ، ﷺ ، ما قال ! قال : وما قال ؟ قال ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجرا حجرا ، ولبنة لبنة ، وعمار ينقل حجرين حجرين ، ولبنتين لبنتين ، فأتاه رسول الله ، ﷺ ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يا ابن سمية ، الناس ينقلون حجرا حجرا ، ولبنة لبنة ، وأنت تنقل حجرين حجرين ، ولبنتين لبنتين : رغبة منك في الأجر ! وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية « ؟ قال : فدفع عمرو صدر فرسه ، ثم جذب معاوية إليه ، فقال : يا معاوية ، أما تسمع ما يقول عبد الله؟ قال : وما يقول ؟ فأخبره الخبر . فقال معاوية : إنك شيخ أخرق ، ولا تزال تحدث بالحديث ، وأنت تدحض في بولك ، أونحن قتلنا عمارا ؟ إنما قتل عمارا من جاء به . قال : فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم

يقولون : إنما قتل عمارا من جاء به . فلا أدرى من كان أعجب هوأوهم ؟ . وهذا التأويل الذي سلكه معاوية بعيد بل فاسد وخبيث ، ثم لم ينفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث ، بل قد روي من وجوه أخر : فقد روى البخاري في « صحيحه » ، من حديث عبد العزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله ، ﷺ ، قال لعمار : يا ويح عمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار قال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن . وفي الفتن من صحيحه أيضا : يا ويح عمار ، تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار. وروى البيهقي ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصنعاني ، عن أبي الجواب ، عن عمار بن زريق ، عن عمار الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في « سيرة علي » : ثنا يحيى بن عبيد الله الكرابيسي ، ثنا أبوكريب ، ثنا أبومعاوية ، عن عمار بن زريق ، عن عمار الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى ابن مسعود ، فقال : إن الله قد أمننا أن يظلمنا ولم يؤمنا أن يفتننا ، أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله . قلت : أرأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق . قال ابن جرير : وقد ذكر أن عمارا لما قتل قال علي لربيعة وهمدان : أنتم درعي ورمحي . فانتدب له نحومن اثني عشر ألفا ، وتقدمهم على بغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ، وقتلوا كل من انتهوا إليه ، حتى بلغوا معاوية ، وعلي يقاتل ويقول :

أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية

قال ثم دعا على معاوية إلى أن يبارزه ، فأشار عليه عمروبن العاص أن يبرز إليه ، فقال له معاوية : إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله ، ولكنك طمعت فيها بعدي . ثم قدم علي ابنه محمدا في عصابة كثيرة من الناس ، فقاتلوه قتالا شديدا ، ثم أتبعه علي في عصابة أخرى فحمل بهم ،

فقتل في هذا الموطن خلقا كثيرا أيضا ، وقتل من العراقيين خلق كثير أيضا ، وطارت أكف ومعاصم ورءوس عن كواهلها - رحمهم الله - ثم حانت صلاة المغرب ، فما صلى بالناس إلا إيماء : صلاتي العشاء ، واستمر القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شرا بين المسلمين ، وتسمى هذه الليلة ليلة الهرير . وكانت ليلة الجمعة تقصفت فيها الرماح ونفدت النبال ، وصار الناس إلى السيوف وعلي ، رضي الله عنه يحرض القبائل ، ويتقدم إليهم ، يأمر بالصبر والثبات وهوأمام الناس في قلب الجيش ، ، وذلك لما قتل عمار ، عرف أهل العراق أن أهل الشام بغاة ليس معهم حق . وذكر غير واحد من علماء السير ، أنهم اقتتلوا بالرماح حتى تقصفت ، وبالنبال حتى فنيت ، وبالسيوف حتى تحطمت ، ثم صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي ، والرمي بالحجارة ، والتراب يعفرونه في الوجوه ، ثم تعاضوا بالأسنان ، فكان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان ، وكل واحد منهما يهمز على الآخر ويهر عليه ، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا ، لا يمكن أحدهما الفرار من الآخر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك ، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحى النهار وأقبل النصر ، وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام : وذلك أن الأشتر النخعي صارت إليه إمرة الميمنة - وكان من الشجعان الأبطال الذين يعرفون الحروب ولا يهابون القتل - فحمل بمن فيها على أهل الشام ، وتبعه علي فانفضت غالب صفوف أهل الشام ، ولم يبق إلا الهزيمة والكسرة والفرار .

فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح ، وقالوا : هذا بيننا وبينكم ، قد فني الناس فمن للثغور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار ؟ وذكر ابن جرير وغيره من أهل التاريخ ، أن الذي أشار برفع المصاحف هو عمروبن العاص ، وذلك لما رأى أن أهل العراق قد ظهروا وانتصروا ، أحب أن ينفصل الحال ، وأن يتأخر الأمر ، فإن كلا من الفريقين صابر للآخر ، والناس يتفانون ، فقال لمعاوية : إني قد رأيت أمرا لا يزيدنا إلا اجتماعا ، ولا يزيد أهل العراق إلا تفرقا واختلافا ، أرى أن نرفع المصاحف وندعوهم إليها ، فإن أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال هذه الساعة ، وإن اختلفوا فيما بينهم - بأن

يقول بعضهم : نجيبهم . وبعضهم : لا نجيبهم . فشلوا وذهبت ريحهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعلى بن عبيد ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان ، فيم استجابوا له وفيم فارقوه ، وفيم استحل قتالهم ؟ فقال : كنا بصفين ، فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل ، فقال عمروبن العاص لمعاوية : أرسل إلى علي بمصحف فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك . فجاء به رجل فقال : بيننا وبينكم كتاب الله ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون [آل عمران فقال علي : نعم ، أنا أولى بذلك ، بيننا وبينكم كتاب الله . قال فجاءته الخوارج - ونحن ندعوهم يومئذ القراء - وسيوفهم على عواتقهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تنتظر بهؤلاء القوم الذين على التل ، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فتكلم سهل بن حنيف ، فقال : يا أيها الناس اتهموا أنفسكم ، فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يوم الصلح الذي كان بين رسول الله ، ﷺ ، وبين المشركين - ولونرى قتالا لقاتلنا ، فجاء عمر إلى رسول الله ، ﷺ ، فقال : يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على باطل ؟ وذكر تمام الحديث كما تقدم في موضعه . فلما رفعت المصاحف ، قال أهل العراق : نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه . قال أبومخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي ، عن أبيه أن عليا قال : عباد الله ، امضوا إلى حقكم وصدقكم وقتال عدوكم : فإن معاوية وعمروبن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، وقد صحبتهم أطفالا ، وصحبتهم رجالا ، فكانوا شر أطفال ، وشر رجال ، ويحكم ! والله إنهم ما رفعوها رفع من يقرأها ويعمل بما فيها وإنما رفعوها خديعة ودهاء ومكيدة ومكرا وتخذيلا لكم ، وكسرا لحدتكم وقتالكم ، ولم يبق إلا هزيمتهم وفرارهم ونصركم عليهم . فقالوا له : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ونجيب إليه . فقال لهم : إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب : فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم به ، وتركوا عهده ، ونبذوا كتابه . فقال له مسعر بن فدكي التميمي ، وزيد بن حصن الطائي ثم السنبسي في عصابة معهما من القراء الذين

صاروا بعد ذلك خوارج : يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم ، أونفعل بك ما فعلنا بابن عفان ، إنه لما ترك العمل بكتاب الله قتلناه ، والله لتفعلنها أولنفعلنها بك . قال : فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا مقالتكم لي ، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم . قالوا : فابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال . فبعث إليه علي ليكف عن القتال .

وقد ذكر الهيثم بن عدي في كتابه الذي صنفه في الخوارج ، فقال : قال ابن عباس : فحدثني محمد بن المنتشر الهمداني ، عن من شهد صفين ، وعن ناس من رءوس الخوارج ممن لا يتهم على كذب ، أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى ، وقال في علي بعض ما أكره ذكره ، ثم قال عمار : من رائح إلى الله قبل أن يبتغي غير الله حكما ؟ فحمل فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه . وكان ممن دعا إلى ذلك في ذلك اليوم من سادات الشاميين عبد الله بن عمروبن العاص : قام في أهل العراق فدعاهم إلى الموادعة والكف وترك القتال والائتمار بما في القرآن ، وذلك عن أمر معاوية له في ذلك ، وكان ممن أشار على علي بالقبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكندي ، فروى أبومخنف من وجه آخر أن عليا لما بعث إلى الأشتر قال : قل له : إن هذه ساعة ليس ينبغي أن تزيلني عن موقفي فيها ، إني قد رجوت أن يفتح الله علي فلا تعجلني . فرجع الرسول - وهو يزيد بن هانئ - إلى علي فأخبره بما قال الأشتر ، وصمم الأشتر على القتال لينتهز الفرصة ، فارتفع الهرج وعلت الأصوات ، فقال أولئك القوم لعلي : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل . فقال علي : أرأيتموني سررت الرسول ، ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك . فقال علي ليزيد بن هانئ : ويحك ! قل له : أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت . فلما رجع إليه يزيد بن هانئ وأبلغه ما قال علي أنه يقبل إليه ، جعل الأشتر يتململ ويقول : ويحك ! ألا ترى ما نحن فيه من النصر ، ولم يبق إلا القليل ؟ فقلت : أيما أحب إليك : أن ترجع أويقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا تغني عنك نصرتك هاهنا ؟ قال : فأقبل الأشتر إلى علي وترك القتال ، فقال الأشتر : يا أهل العراق ، يا أهل الذل والوهن ، أحين علوتم القوم ، وظهرتم وظنوا أنكم لهم قاهرون : رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا

ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزل عليه القرآن ، فلا تجيبوهم ، أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح . قالوا : لا . قال : أمهلوني عدوالفرس فإني قد طمعت في النصر . قالوا : إذا ندخل معك في خطيئتك . ثم أخذ الأشتر يناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام بما حاصله : إن كان أول قتالكم لهؤلاء حقا فاستمروا عليه ، وإن كان باطلا فاشهدوا لقتلاكم بالنار . فقالوا : دعنا منك فإنا لا نطيعك ولا صاحبك أبدا ، ونحن قاتلنا هؤلاء في الله وتركنا قتالهم لله . فقال لهم الأشتر : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب السوء ، كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، يا أشباه النيب الجلالة ، ما أنتم بربانيين بعدها ، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون . فسبوه وسبهم فضربوا وجه دابته بسياطهم ، وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقيين والشاميين بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة لعلهم يتفقون على أمر يكون فيه مصلحة لحقن دماء المسلمين ، فإن الناس قد تفانوا في هذه المدة ، ولا سيما في هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التي كان آخرها ليلة الجمعة ، وهي ليلة الهرير . وقد صبر كل من الجيشين للآخر صبرا لم ير مثله لما كان فيهم من الشجعان والأبطال ما ليس يوجد مثلهم في الدنيا ، ولهذا لم يفر أحد عن أحد بل صبروا حتى قتل من الفريقين – فيما ذكره غير واحد – سبعون ألفا : خمسة وأربعون ألفا من أهل الشام وخمسة وعشرون ألفا من أهل العراق . قاله غير واحد : منهم محمد بن سيرين ، وسيف وغيره . وزاد أبوالحسن بن البراء : وكان في أهل العراق خمسة وعشرون بدريا . قال : وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفا . واختلفا في مدة المقام بصفين : فقال سيف : سبعة أشهر أوتسعة أشهر . وقال الزهري : بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفسا . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير ، وابن الجوزي في كتابه « المنتظم » .

وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ، عن أبي اليمان ، عن صفوان بن عمرو قال : كان أهل الشام ستين ألفا فقتل منهم عشرون ألفا ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفا فقتل منهم أربعون ألفا . وحمل البيهقي هذه الوقعة على الحديث الذي أخرجاه في « الصحيحين » « عن أبي هريرة . ورواه البخاري من طريق أخرى ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، ﷺ ، أنه

قال : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة . ورواه مجالد ، عن أبي الحواري ، عن أبي سعيد مرفوعا مثله . ورواه الثوري ، عن ابن جدعان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ، ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة : فبينما هم كذلك إذ مرقت منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق . وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد ، عن ابن مهدي وإسحاق ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي بن حراش ، عن البراء بن ناجية الكاهلي ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ، ﷺ ، إن رحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثين أوست وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما . فقال عمر : يا رسول الله أمما مضى أم مما بقي ؟ : قال : بل مما بقي . عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : قال لنا رسول الله ، ﷺ : إن رحى الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة : فإن يصطلحوا فيما بينهم يأكلوا الدنيا سبعين عاما رغدا ، وإن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم . . .

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم وهوأن يحكم كل واحد من الأميرين – علي ومعاوية – رجلا من جهته ، ثم يتفق الحكمان على ما فيه المصلحة للمسلمين . فوكل معاوية عمروبن العاص وأراد علي أن يوكل عبد الله بن عباس – وليته فعل – ولكنه منعه القراء الخوارج ممن ذكرنا ، وقالوا : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري .

وذكر الهيثم بن عدي في كتاب « الخوارج » له أن أول من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس ، وتابعه أهل اليمن ، ووصفوه بأنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال ، وكان أبوموسى قد اعتزل في بعض أرض الحجاز ، قال علي : فإني أجعل الأشتر حكما . فقالوا : وهل سعر ، الأرض إلا الأشتر ؟ قال : فاصنعوا ما شئتم . فقال الأحنف لعلي : والله لقد رميت بحجر ، إنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل منهم يدنومنهم حتى يصير في أكفهم . فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعري – وكان قد اعتزل – فلما قيل له : إن الناس قد اصطلحوا . قال : الحمد لله . قيل له : وقد جعلت حكما . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي ، رضي الله

عنه وكتبوا بينهم كتابا هذه صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين . فقال عمروبن العاص اكتب اسمه واسم أبيه هوأميركم وليس بأميرنا . فقال الأحنف : لا تكتب إلا أمير المؤمنين . فقال علي : امحه ، واكتب : هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ، ثم استشهد علي بقصة الحديبية حين امتنع أهل مكة من قوله : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فامتنع المشركون من ذلك ، وقالوا : اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . فكتب الكاتب : هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان : قاضى علي على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ، ونحيي ما أحيا الله ، عز وجل ، ونميت ما أمات الله ، فما وجد الحكمان في كتاب الله – وهما أبوموسى الأشعري وعمروبن العاص – عملا به وما لم يجدا في كتاب الله ، فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة . ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق على أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ويتفقان ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهم على ما في هذه الصحيفة ، وأجلا القضاء إلى رمضان ، وكان ذلك في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين .

وقال الواقدي : اجتمعوا في شعبان . وذلك أن عليا ، ﷺ، لما كان مجيء رمضان ، بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ ، ومعهم أبوموسى ، وعبد الله بن عباس ، وإليه الصلاة ، وبعث معاوية عمروبن العاص في أربعمائة من أهل الشام ومعه عبد الله بن عمرو ، ابنه فتوافوا بدومة : الجندل بأذرح – وهي نصف بين الشام والكوفة ، بينها وبين كل مصلى الله ع. وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبوبكر الحنفي عبد الكبير بن عبد المجيد ، ثنا بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجا من المدينة ، فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما أتاه قال : يا أبه ، أرضيت أن تكون أعرابيا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟

فضرب سعد صدر عمر وقال : اسكت فإني سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي . وهكذا رواه مسلم في « صحيحه » .

فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين بعلم ونظر في تقدير أمور ، ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية ، ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أومن غيرهما ، وقد أشار أبوموسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال له عمروبن العاص : فول ابني عبد الله ، فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد . فقال له أبوموسى : إنك قد غمست ابنك في الفتن والدنيا معك ، وهومع ذلك رجل صدق . قال أبومخنف : فحدثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال عمروبن العاص : إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم . وكان ابن عمر فيه غفلة ، فقال له ابن الزبير : يا عبد الله افطن وانتبه . فقال ابن عمر : لا والله لا أرشوعليها شيئا أبدا . ثم قال : يا ابن العاص ، إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيوف وتشاكت بالرماح ، فلا تردنهم في فتنة مثلها أوأشد منها . ثم إن عمروبن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه ، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هوالخليفة ، فأبى أيضا ، وطلب أبوموسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأبى عمرو أيضا ، ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعليا ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم ، ثم جاءا إلى المجمع الذي فيه الناس – وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى بل يقدمه في كل الأمور أدبا وإجلالا – فقال له : يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه . فخطب أبوموسى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله صلى لله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمرا أصلح لها ولا ألم لشعثها من رأي قد اتفقت أنا وعمرو عليه ، وهوأنا نخلع عليا ومعاوية ونترك الأمر شورى ، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه واختاروه ، وإني قد خلعت عليا ومعاوية . ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذا قال ما قد سمعتم ، وإنه قد خلع صاحبه ، وإني قد خلعته أيضا كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه

ولي عثمان بن عفان ، والطالب بدمه ، وهوأحق الناس بمقامه . فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية ، فسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأما أبوموسى فاستحيى من علي فذهب إلى مكة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى علي ، فأخبراه بما فعل أبوموسى وعمرو، فاستضعفوا رأي أبي موسى ، وعرفوا أنه لا يوازن عمرا . فذكر أبومخنف ، عن أبي جناب الكلبي أن عليا لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية ، وعمروبن العاص ، وأبا الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة ، والضحاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والوليد بن عتبة ، فلما بلغ ذلك معاوية أيضا ، كان يلعن في قنوته عليا وحسنا وحسينا وابن عباس والأشتر النخعي . وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين ، فرجع علي إلى الكوفة ، ورجع معاوية إلى الش ام بأصحابه ، فلما دخل علي الكوفة سمع رجلا يقول : ذهب علي ورجع في غير شيء . فقال علي : للذين فارقناهم آنفا خير من هؤلاء . ثم أنشأ يقول :

أخوك الذي إن أجرضتك ملمة من الدهر لم يبرح لبثك واجما

وليس أخوك بالذي إن تشعبت عليك الأمور ظل يلحاك لائما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الإمارة من الكوفة ، ولما كان قد قرب من دخول الكوفة انخزل من جيشه قريب من اثني عشر ألفا وهم الخوارج ، وأبوا أن يساكنوه في بلده ، ونزلوا بمكان يقال له : حروراء . وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها ، فبعث إليهم علي ، رضي الله عنه ، عبد الله بن عباس فناظرهم ، فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم ، فقاتلهم علي وأصحابه . والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق عليه أن رسول الله ، ﷺ ، قال : تمرق مارقة على حين فرقة من الناس – وفي رواية : « من المسلمين » . وفي رواية : « من أمتي » – « فيقتلها أولى الطائفتين بالحق » وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة .

وهولاء هم الذين يسمون فى التاريخ بالخوارج ولهم قصة أخرى فسيدنا قد جادلهم وناقشهم ثم حاربهم وافناهم جميعا عن بكرة ابيهم ولكن هذا ليس مقام الحديث عن الخوارج بل حديثنا عن الفئة الباغية الذين يدعون الى النار

كما سمعنا فى حديث النبي عن عمار وألان هل هناك اى التباس فى من هم الفئة الباغية هناك إجماع ا ن اهل الشام وهلى رائسهم معاوية وعمروبن العاص هم البغاة ولنسمع أراء العلماء ليتأكد لدينا الظن

حديث عمار فهوفي الصحيحين وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية معنى الحديث وما حدث بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وأي الطائفتين أولى بالحق، وموقف المسلم من ذلك ومما قال: وكان الْمُؤْمِنُون قدْ افْترقُوا فِرْقتيْن : فِرْقةٍ مع علِيٍّ ، وفِرْقةٍ مع مُعاوِية ، فقاتل هؤُلاءِ علِيًّا وأصْحابهُ ، فوقع الْأمْرُ كما أخْبر بهْ النّبِيُّ ﷺ ،

وأمّا الْحدِيثُ الّذِي فِيهِ (إنّ عمّارًا تقْتُلُهُ الْفِئةُ الْباغِيةُ) فهذا الْحدِيثُ قدْ طعن فِيهِ طائِفةٌ مِنْ أهْلِ الْعِلْمِ: لكِنْ رواهُ مُسْلِمٌ فِي صحِيحِهِ، وهُوفِي بعْضِ نُسخِ الْبُخارِيِّ: قدْ تأوّلهُ بعْضُهُمْ على أنّ الْمُراد بِالْباغِيةِ الطّالِبةُ بدم عُثْمان، كما قالُوا: نبْغِي ابْن عفان بأطْرافِ الأسل، وليْس بِشيْءٍ: بلْ يُقالُ ما قالهُ رسُولُ اللّهِ ﷺ ، فهُوحقٌّ كما قالهُ ،

ثُمّ (إنّ عمّارًا تقْتُلُهُ الْفِئةُ الْباغِيةُ) ليْس نصًّا فِي أنّ هذا اللّفْظ لمعاوية وأصْحابِهِ: بلْ يُمْكِنُ أنّهُ أُرِيد بهْ تِلْك الْعِصابةُ الّتِي حملتْ علىْهِ حتّى قتلتْهُ، وهِي طائِفةٌ مِنْ الْعسْكرِ، ومنْ رضِي بِقتْلِ عمّارٍ كان حُكْمُهُ حُكْمها، ومِنْ الْمعْلُوم أنّهُ كان فِي الْعسْكرِ منْ لمْ يرْض بِقتْلِ عمّارٍ، كعبْدِ اللّهِ بْنِ عمْروبْنِ العاصِ، وغيْرِهِ: بلْ كُلُّ النّاسِ كانُوا مُنْكرِين لِقتْلِ عمّارٍ، حتّى مُعاوِيةُ، وعمْرٌو، ويُرْوى أنّ مُعاوِية تأوّل أنّ الّذِي قتلهُ هُوالّذِي جاء بِهِ: دُون مُقاتِليهِ، وأنّ علِيًّا ردّ هذا التّأْوِيل بِقوْلِهِ: فنحْنُ إذًا قتلْنا حمْزة، ولا ريْب أنّ ما قالهُ علِيٌّ هُوالصّوابُ: لكِنْ منْ نظر فِي كلامِ الْمُتناظِرِين مِنْ الْعُلماءِ الّذِين ليْس بيْنهُمْ قِتالٌ ولا مُلْكٌ، وأنّ لهُمْ فِي النّصُوصِ مِنْ التّأْوِيلاتِ ما هُوأضْعفُ مِنْ مُعاوِية بِكثِيرٍ، ومنْ تأوّل هذا التّأْوِيل لمْ ير أنّهُ قتل عمّارًا، فلمْ يعْتقِدْ أنّهُ باغٍ، ومنْ لمْ يعْتقِدْ أنّهُ باغٍ وهُوفِي نفْسِ الْأمْرِ باغٍ، فهُومُتأوِّلٌ مُخْطِئٌ، والْفُقهاءُ ليْس فِيهِمْ مِنْ رأْيِهِ الْقِتالُ مع منْ قتل عمّارًا: لكِنْ لهُمْ قوْلانِ مشْهُورانِ كما كان علىْهِما أكابِرُ الصّحابةِ: مِنْهُمْ منْ يرى الْقِتال مع عمّارٍ وطائِفتِهِ، ومِنْهُمْ منْ يرى الْإِمْساكَ عنْ الْقِتالِ مُطْلقًا، وفِي كُلٍّ مِنْ الطّائِفتيْنِ طوائِفُ مِنْ السّابِقِين الْأوّلِين

فثبت بِالْكِتابِ والسُّنّةِ وإِجْماعِ السّلفِ على أَنّهُمْ مُؤْمِنُون مُسْلِمُون وأنّ عليّ بْن أَبِي طالِبٍ والّذِين معهُ كانُوا أَوْلى بِالْحقِّ مِنْ الطّائِفةِ الْمُقاتِلةِ لهُ. والله أعلم هذا هوكلام ابن تيمية شيخ الاسلام فى أن أهل الشام هم البغاة

وللنتقل الى كلام البخارى نفسة فى هذا الموضع

روى البخاري (٤٤٧) عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري في ذكر بِنَاءِ المَسْجِدِ، قَالَ: « كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: (وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ) قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: « أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ « . فالمراد بالدعاء إلى الجنة في هذا الحديث : الدعاء إلى سببها وهوطاعة أمير المؤمنين ، والمراد بالدعاء إلى النار : الدعاء إلى سببها ، وهومشاقة أمير المؤمنين ، والخروج عليه .

قال الإمام النووي في « شرحه على صحيح مسلم » (١٨/ ٤٠): « قال العلماء هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليـًا - رضي الله عنه - كان محقـًا مصيبـًا والطائفة الأخرى بغاة وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه منها أن عماراً يموت قتيلاً وأنه يقتله مسلمون وأنهم بغاة وأن الصحابة يتقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها وكل هذا قد وقع مثل فلق الصبح صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هوإلا وحي يوحى ».

وهذا القول مجمَع عليه بين فقهاءِ الإسلام؛ يقول ابن الوزير: «قال فقهاء الإسلام فيما حكاه الإمام عبد القاهر في كتاب (الإمامة) تأليفه: وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المتكلمين: أن عليًّا مصيب في قتاله لأهل صِفِّين، كما قالوا بإصابته في قتل أصحاب الجمل، وقالوا أيضًا بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له

لم ينازع معاوية فى جدارة على بالخلافة، ولم يزعم أنه أسبق منه فى الإسلام، أوأكثر منه علما وتقوى، ولكنه ركز كل حججه فى القصاص لعثمان. إنه قميص عثمان المضرج بالدماء الذى انتهى فى يد معاوية، فجعل منه رمزا

لموقف مبدئى ولقضية كبرى، وأداة لتحريض المناصرين عندما تفتر العزائم. درس سياسى نتعلمه من معاوية: ليس مهما للسياسى أن يكون على حق؛ يكفى أن يكون لديه شعار جذاب يلهب به الحماس ويؤسس للشرعية.

ثم يقتل الامام علي ﷺ

يقول كتاب البداية والنهاية لـ الحافظ ابن الكثير تحت عنوان «ذكر مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب.. وما ورد من الأحاديث النبوية من الأخبار بمقتله وكيفيته» وقد حدص هذا بعد احداث صفين بحوالى ثلاث سنين فى سنة ٤٠ هـ

كان أمير المؤمنين رضى الله عنه قد تنغصت عليه الأمور، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه.

واستفحل أمر أهل الشام، وصالوا وجالوا يمينا وشمالا، زاعمين أن الإمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكمين فى خلعهما عليا وتولية عمروبن العاص معاوية عند خلوالإمرة عن أحد، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير.

وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق، هذا وأميرهم على بن أبى طالب خير أهل الأرض فى ذلك الزمان، أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم لله عز وجل، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتمنى الموت، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن، فكان يكثر أن يقول: ما يحبس أشقاها، أى ما ينتظر؟ ماله لا يقتل؟ ثم يقول: والله لتخضبن هذه ويشير إلى لحيته من هذه ويشير إلى هامته.

كما قال البيهقى: عن الحاكم، عن الأصم، عن محمد بن إسحاق الصنعاني، ثنا أبوالحراب الأحوص بن جواب، ثنا عمار بن زريق، عن الأعمش، عن حبيب بن أبى ثابت، عن ثعلبة بن يزيد قال:

قال على: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها؟

فقال عبد الله بن سبع: والله يا أمير المؤمنين لوأن رجلا فعل ذلك لأبدنا عترته.

فقال: أنشدكم بالله أن يقتل بى غير قاتلى.

فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا تستخلف؟

فقال: لا ولكن أترككم كما تركككم رسول الله.

قالوا: فما تقول لربك إذا لقيته وقد تركتنا هملا؟.

أقول: اللهم استخلفتنى فيهم ما بدا لك، ثم قبضتنى وتركتك فيهم فإن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم.

ذكر ابن جرير، وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس: أن ثلاثة من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن عمروالمعروف: بابن ملجم الحميرى ثم الكندي، حليف بنى حنيفة من كندة المصري، وكان أسمر حسن الوجه، أبلح شعره مع شحمة أذنيه، وفى وجهه أثر السجود.

والبرك بن عبد الله التميمي، وعمروبن بكر التميمى أيضا - اجتمعوا فتذاكروا قتل على إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم.

وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم، فلوشرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا؟

فقال ابن ملجم: أما أنا فأكفيكم على بن أبى طالب.

وقال البرك: وأنا أكفيكم معاوية.

وقال عمروبن بكر: وأنا أكفيكم عمروبن العاص.

فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أويموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسمّوها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه فى بلده الذى هوفيه.

فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها، فبينما هوجالس فى قوم من بنى الرباب يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال: قطام بنت الشجنة.

قد قتل على يوم النهروان أباها وأخاها، وكانت فائقة الجمال مشهورة به، وكانت قد انقطعت فى المسجد الجامع تتعبد فيه.

فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسى حاجته التى جاء لها، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة، وأن يقتل لها على بن أبى طالب.

قال: فهولك ووالله ما جاء بى إلى هذه البلدة إلا قتل علي، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلا من قومها، من تيم الرباب يقال له: وردان، ليكون معه ردءا، واستمال عبد الرحمن بن ملجم رجلا آخر يقال له: شبيب بن نجدة الأشجعى الحرورى قال له ابن ملجم: هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟

فقال: وما ذاك: قال؟ قتل علي.

فقال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئا إذا كيف تقدر عليه؟

قال: أكمن له فى المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا.

فقال: ويحك لوغير على كان أهون عليّ؟ قد عرفت سابقته فى الإسلام وقرابته من رسول الله ، فما أجدنى أنشرح صدرا لقتله.

فقال: أما تعلم أنه قتل أهل النهروان؟

فقال: بلى.

قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا.

فأجابه إلى ذلك بعد لأى ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت.

وقال: هذه الليلة التى واعدت أصحابى فيها أن يثأروا بمعاوية وعمروبن العاص فجاء هؤلاء الثلاثة - وهم: ابن ملجم، ووردان، وشبيب، وهم مشتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها علي، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة.

ويقول: الصلاة الصلاة فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع فى الطاق، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضى الله عنه.

ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حكم إلا لله ليس لك يا على ولا لأصحابك، وجعل يتلوقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] .

ونادى علي: عليكم به، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس، وُمسك ابن ملجم وقدم على جعدة بن هبيرة بن أبى وهب فصلى بالناس صلاة الفجر، وحمل على إلى منزله، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهومكتوف - قبحه الله - فقال له: أى عدوالله ألم أحسن إليك؟

قال: بلى.

قال: فما حملك على هذا؟

قال: شحذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه.

فقال له علي: لا أراك إلا مقتولا به، ولا أراك إلا من شر خلق الله.

ثم قال: إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به.

فقال جندب بن عبد الله: يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن؟

فقال: لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر.

ولما احتضر على جعل يكثر من قول لا إله إلا الله، لا يتلفظ بغيرها.

وقد قيل: إن آخر ما تكلم به: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرا يَرَهُ * وَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧] .

وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة، والزكاة، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه فى الدين، والتثبت فى الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واجتناب الفواحش.

ووصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية، ووصاه بما وصاهما به، وأن يعظمهما ولا يقطع أمرا دونهما وكتب ذلك كله فى كتاب وصيته رضى الله عنه وأرضاه.

هكذا انتهت سيرة هذا الامام العظيم الاستثنائي وعاش عدوة الذي كدر عيشة وصفوة ولم يجعله يهنئ ليلة واحدة والسؤال هنا هل كان معاوية بن ابى سفيان يحب الإمام على بعد كل ما رائيناة من حرب وقتل ومناكدة وخروج على الحاكم الشرعي ثم الأمر بسب الإمام على على المنابر والتى ستصبح سنة لبنى امية كما سياتى لن تقف الا فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذين سيقتلوة بنى امية لانة لا يسير على منهجهم ، الإجابة من الواضح انة يكرهه بل يبغضه جدا جدا اذن لماذا لم يصدق فية حديث رسول الله قالَ عَلِيٌّ: والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، إنَّه لَعَهْدُ النبيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلَيَّ: أنْ لا يُحِبَّنِي إلَّا مُؤْمِنٌ، ولا يُبْغِضَنِي إلَّا مُنافِقٌ.

الراوي : علي بن أبي طالب (المحدث : مسلم) المصدر : صحيح مسلم

والاجابة لان بنى امية تحكموا فى حركة العلماء والتدوين والمؤرخين وفرضوا سطوتهم على جميع الامصار واستخدموا القوة والذهب للسيطرة على كل شئ كما سنرى ،

قبل ان ننتقتل لنرى ما حدث بعد ذلك واستمرار الرحلة بين الفرع الهاشمى والفرع الاموى وهى ما تزال طويلة وممتدة ومليئة بالدماء الذكية التى ستجرى كالانهار على يد بنى امية الذين اتت لهم فرصتهم للانتقام من بنى هاشم فهم اخيرا تسيدوا على رقاب الجميع بعد مائتين عام من الحرمان من السلطة والطموح لها بدون وجهة حق ولكن دعنا نؤكد على كرهة معاوية

للامام على بقرائة بسيطة فى كتب التراث وكتب الصحاح من السنة فمثلا فى كتاب المستطرف جاء ما نصة

في المدينة فقد جرب معاوية عندما دخلها في سنة الصلح فنال من علي (عليه السلام) في خطبته، فتصدى له الإمام الحسن (عليه السلام) وأجابه بذلك الجواب المفحم ورد اللعنة عليه وعلى أسرته فقال: (إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا جعل له عدوا من المجرمين، فأنا ابن علي وأنت ابن صخر، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتك قتيلة وجدتي خديجة، فلعن الله ألأمنا حسبا، وأخملنا ذكرا، وأعظمنا كفرا، وأشدنا نفاقا! فصاح أهل المسجد: آمين آمين. فقطع معاوية خطبته ودخل منزله). (المستطرف: ١ / ١٥٧ و٢٨٩، والإتحاف / ١٠، ونزهة الناظر / ٧٤) ويظهر أن معاوية لم يعد إلى ذلك في المدينة، ويدل عليه ما رواه في العقد الفريد: ٥ / ١٠٨ قال: (ولما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة، وأراد أن يلعن عليا على منبر رسول الله ﷺ فقيل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص وهنا نصل الى حديث وارد فى صحيح البخارى وهوحادثة سب معاوية لعلى ابن ابى طالب وأخرجه مسلم في صحيحه «باب فضائل علي» عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسُبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله ﷺ ، فلن أسُبّهُ ، لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمر النَّعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وخلّفه في مغازيه فقال له عليّ: يا رسول الله، خلَّفْتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوّة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعْطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليًا، فأُتي به أرْمَد فبصق في عَيْنه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿قل تعالوْا ندعُ أبْناءنا وأبْناءَكم...﴾، دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحُسينًا فقال: اللهم، هؤلاء أهلي». صحيح مسلم(٤/ ١٨٧١).

روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى أبي زرعة الرازي قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك

أن رسولَ الله ﷺ عندنا حقٌّ، والقرآنَ حقٌّ، وإنما أَدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسّنّة، والجرحُ بهم أولى، وهم زنادقةٌ».(انظر الكفاية ص٤٩(. وقال الميموني: «قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام

يقول إبن تيمية – منهاج السنة النبوية – الجزء : (٥) – رقم الصفحة : (٤٢)

وأما حديث سعد لما أمره معاوية بالسب فأبى فقال : ما منعك أن تسب علي بن أبي طالب فقال : ثلاث قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي : من حمر النعم ، الحديث ، فهذا حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه.

والان هذا اختصار ما حدث بين على ومعاوية وهواختصار نرجوان لا يكون مخل فهذة الفتنة قد سطرت فيها مجلدات فهناك افعال كثيرة فعلها معاوية وعمروبن العاص فى هذة الحرب وفرية قميص عثمان الذين افتروها واتخذوها زريعة لغصب الخلافة المستحقة من صاحبها الشرعى الذى تصالح علية كل المهاجرين والانصار والامة الاسلامية كلها الا اهل الشام وهم الفئة الباغية كما اوردنا

ثم كيف نسوغ خلافة معاوية ونقول انة من الصحابة رضى الله عنهم وقد تنباء رسول الله بتولية السلطة حين اخبر فى الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُودَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جهمان عَنْ سَفِينَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا» وَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الثَّلَاثُونَ سَنَةً عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ الْفَارُوقِ وَعُثْمَانَ الشَّهِيدِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الشهيد أيضـًا، وكان ختامها وتمامها بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ وَلِيَهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ أَبِيهِ، وَعِنْدَ تَمَامِ الثَّلَاثِينَ نَزَلَ عَنِ الْأَمْرِ لمعاوية بن أبي سفيان سنة أربعين

وفى كتاب البداية والنهاية لابن كثير

عن سَفِينَةُ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: الْخِلاَفَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ. ثُمّ قَالَ سَفِينَةُ: امْسِكْ عَلَيْكَ خِلاَفَةَ أَبي بَكْرٍ، ثُمّ قَالَ: وَخِلاَفَةَ عُمَرَ وَخِلاَفَةَ عُثْمانَ، ثُمّ قَالَ لي: امسِكْ خِلاَفَةَ عَلِيّ قالَ: فَوَجَدْنَاهَا ثَلاَثِينَ سَنَةً. رواه أحمد وحسنه الأرناؤوط. وروى الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة. وصححه الأرناؤوط. أما عن معنى الحديث: فالخلافة على منهاج النبوة هي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، كما هوظاهر الروايات. أما الملك العضوض، فالمراد به التعسف والظلم. قال ابن الأثير في النهاية: (ثم يكون ملك عضوض) أي يصيب الرعية فيه عسْفٌ وظُلْم، كأنَّهم يُعَضُّون فيه عَضًّا. والعَضُوضُ: من أبْنية المُبالغة. وفي رواية (ثم يكون مُلك عُضُوض) وهوجمع عِضٍّ بالكسر، وهوالخَبيثُ الشَّرِسُ. ومن الأول حديث أبي بكر (وستَرَون بَعْدي مُلْكا عَضُوضاً). اهـ وأما الملك الجبري، فالمراد به الملك بالقهر والجبر. قال ابن الأثير في النهاية: ثم يكون مُلك وجَبَرُوت أي عُتُوّ وقَهْر. يقال: جَبَّار بَيّن الجَبَرُوّة، والجَبريَّة، والْجَبَرُوت

فهل الملك العضوض هذا شئ جيد ؟ لماذا لم نتعلم من رسول الله ونستمع إلى كلامه عندما اخبرنا أن هذا سيكون ملك عضوض وأنها ستصبح ملكية كسروية ولكن الكل سكت وتقبل بل ويبرر له ملكة ولكن لا لم يسكت الكل ولم يرضى الكل بالظلم بل ظل بني هاشم يدافعون عن الحق ويثورا على الطغيان حتى اخر رمق كما سياتى

وقد تحدث العلماء عن معاوية ونورد من كلامهم عندما سؤل ابن الجوزى عن معاوية بن ابى سفيان ؟ أَوْرَدَ بن الْجَوْزِيِّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرُوهَا ثُمَّ سَاقَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ أَنَّهُ قَالَ لَمْ يَصِحَّ فِي فَضَائِلِ مُعَاوِيَةَ شَيْءٌ فَهَذِهِ النُّكْتَةُ فِي عُدُولِ الْبُخَارِيِّ عَنِ التَّصْرِيحِ بِلَفْظِ مَنْقَبَةٍ اعْتِمَادًا عَلَى قَوْلِ شَيْخِهِ لَكِنْ بدقيق نظره استنبط مَا يدْفع بِهِ رُؤُوس الرَّوَافِضِ وَقِصَّةُ النَّسَائِيِّ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ قتل الإمام أحمد بن شعيب النسائي رواها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية حيث قال بعد الثناء الكثير قالوا ودخل إلى

دمشق فسأله أهلها أن يحدثهم بشيء من فضائل معاوية فقال: أما يكفي معاوية أن يذهب رأسا برأس حتى يروى له فضائل، فقاموا إليه فجعلوا يطعنون في خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع فسار من عندهم إلى مكة فمات بها في هذه السنة وقبره بها هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهاني عن مشايخه. وقال الدارقطني: كان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه في الجامع فقال: أخرجوني إلى مكة فأخرجوه وهوعليل فتوفي بمكة مقتولا شهيدا مع ما رزق من الفضائل رزق الشهادة في آخر عمره مات مكة سنة ثلاث وثلاثمائة.

ثم يكمل ابن الجوزى كلامة فيقول وَكَأَنَّهُ اعْتَمَدَ أَيْضًا عَلَى قَوْلِ شَيْخِهِ إِسْحَاقَ وَكَذَلِكَ فِي قِصَّةِ الْحَاكِمِ واخرج بن الْجَوْزِيِّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ سَأَلْتُ أَبِي مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ فَأَطْرَقَ ثُمَّ قَالَ اعْلَمْ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ كَثِيرَ الْأَعْدَاءِ فَفَتَّشَ أَعْدَاؤُهُ لَهُ عَيْبًا فَلَمْ يَجِدُوا فَعَمَدُوا إِلَى رَجُلٍ قَدْ حَارَبَهُ فَأَطْرَوْهُ كِيَادًا مِنْهُمْ لِعَلِيٍّ فَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى مَا اخْتَلَقُوهُ لِمُعَاوِيَةَ مِنَ الْفَضَائِلِ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضَائِلِ مُعَاوِيَةَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَكِنْ لَيْسَ فِيهَا مَا يَصِحُّ مِنْ طَرِيقِ الْإِسْنَادِ وَبِذَلِكَ جَزَمَ إِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وَالنَّسَائِيّ وَغَيرهمَا وَالله اعْلَم

الحسن البصري وموبقات معاوية :

روى الطبري وابن الأثير وابن الجوزي وأبي الفداء وابن كثير وغيرهم « عن الحسن البصري : أنه قال : أربع خصال كنّ في معاوية لولم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة ، انتزاؤهُ على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذووالفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤهُ زياداً وقد قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجراً ، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر ، مرتين » .

تاريخ الطبري ج٤ ص٢٠٨ ، الكامِل في التاريخ لابن الاثير ج٣ ص٤٨٧

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: حدثني احمد بن زكير الحضرمي ، حدثنا محمد بن اسحاق بن يزيد البصري ، سمعت مخلدا الشعيري يقول : كنت عند عبد الرزاق فذكر رجل معاوية ، فقال : لا تقذر مجلسنا بذكر ولد ابي سفيان ميزان الاعتدال ج٢ ص٦١٠ بترجمة عبد الرزاق .

روى البلاذري في انساب الاشراف بسند صحيح قال :

« وحدثني عبد الله بن صالح العجلي عن عبيد الله بن موسى قال ذكر معاوية عند الاعمش فقالوا : كان حليما ، فقال الاعمش :

كيف يكون حليما وقد قاتل عليا وطلب - زعم - بدم عثمان من لم يقتله ، وما هوودم عثمان ، وغيره كان اولى بعثمان منه .

وحدثت عن شريك عن الاعمش انه قال : كيف يُعَدُّ معاوية حليما وقد قاتل علي بن ابي طالب .

روى البلاذري في انساب الاشراف :

وحدثنا يوسف واسحاق قالا : جرير عن الاعمش عن ابي وائل قال : كنت مع مسروق بالسلسلة فمرت به سفائن فيه اصنام صفر تماثيل الرجال ، فسألهم عنها فقالوا : بعث بها معاوية الى ارض السند والهند تباع له فقال مسروق : لواعلم انهم يقتلونني لغرقتها ، ولكني اخاف ان يعذبوني ثم يفتنوني ، والله ما ادري اي الرجلين معاوية ، أرجل يئس من الاخرة فهويتمتع من الدنيا ، ام رجل زين له سوء عمله . أنساب الأشراف ج٥ ص١٣٧ بتحقيق الدكتور سهيل زكار.

الكاتب والاديب الشهير الجاحظ : فإنه شديد الطعن على معاوية قال : فعندما استوى معاوية على الملك ، واستبد على بقية الشورى ، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه عام الجماعة ،وماكان عام جماعة بل كان عام فرقةٍ وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكـًا كسرويا ، والخلافة منصبـًا قيصريـًا ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفساق

ثم مازالت معاصيه من جنس ما حكينا ، وعلى منازل ما رتبنا حتى ردّ قضية رسول الله ﷺ رداً مكشوفـًا ، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش ومايجب للعاهر من إجماع الأمة على أنّ سمية لم تكن لأبي سفيان فراشـًا ، وأنه إنما كان بها عاهراً ، فخرج بذلك من حكم الفجار إالى حكم الكفار . رسائل الجاحظ ص٢٤١ (الرسائل الكلامية) تقديم وشرح الدكتور علي أبوملحم ، رسائل الجاحظ ص٨ (القسم الثاني) فصل : معاوية وعام الجماعة ، شرح وتقديم عبد الأمير مهنا

وقال أيضـًا : كان عليٌّ لايستعمل في حربه إلا ماعدّله ووافق فيه الكتاب والسنة ، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة ، ويستعمل جميع المكايد ، وجميع الخدع ، حلالها وحرامها ، ويسير في الحرب سيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى ، وخاقان إذا لاقى زنبيل ، وفنغور إذا لاقى المهراج ، وعليّ يقول : لاتبدؤوهم بقتل حتى يبدؤوكم ، ولاتتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا بابـًا مغلقـًا .

وفي الصحيح وغيره مما تواتر تواترا مقطوعا به :من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده ، وهذا الحديث قد جمع اسانيده ابن جرير الطبري في مجلدين لكثرتها .... والمقصود من هذه الاحاديث الصحيحة المتفق عليها مع ما تواتر من لعن معاوية لعلي على المنبر طول حياته ، وحياة دولته الى عمر بن عبد العزيز وقتاله وبغضه ، يطلع منه انه منافق كافر ، فهي مؤيدة لتلك الاحاديث الاخرى ويزعم النواصب ان ذلك (أعني لعن معاية لعلي) كان اجتهادا ، مع ان النبي ﷺ يقول في مطلق الناس : « لعن المؤمن كقتله « فإذا كان الاجتهاد يدخل اللعن وارتكاب الكبائر فكل سارق وزان وشارب وقاتل يجوز ان يكون مجتهدا ، فلا حد في الدنيا ولا عقابَ في الاخرة .

هناك اكثر من حادثة مهمة جدا تعرف بها من هومعاوية بن ابى سفيان وكيف كانت سيرتة وكيف سيكون اثرة فى الامة الاسلامية بل والعالم كلة كما اوردنا فى اكثر من موضع هوبالذات وبنى امية كلهم كما رائينا وسنرى ولعل من اهمها على الاطلاق ما سنوردة فى فصل بحيالة وهونقض عهدة مع الحسين

على عدم تولية احد من بعدة وترك الامر شورى للمسلمين لاختيار حاكمهم كما علمهم الرسول وامرهم القران وفعل كل الخلفاء الراشدين ولكنة خان العهد وحول نظام الحكم الاسلامى الى الابد الى وراثة وملك كسروى وهذا ما لم يكن يعرفة العرب ولا المسلمين ولم يامر بة الله ولا الرسول بل امر بعكسة ولكنة استحدث نظام تولية العهد الذى ستبتلى بة الامة حتى وقتنا هذا والحدث الاخر الذى سيصبح سنة الملوك والطغاة

وهى قتل المعارضين السياسين وفى اقل الاحيان نفيهم ومنع عطائهم حتى لا يعارض احد السلطان ولا يرد طغيانة وهذا ما لم يفعلة الخلفاء الراشدين من قبلة ولم يامر بة كتاب الله ولا سنة الرسول بل امروا بعكسة وضدة على طول الخط وكلنا نحفظ خطبة ابى بكر عند تولية الخلافة حين قال أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، بل كلنا نعرف حديث الرسول علية الصلاة والسلام عَنْ أبي سعيدٍ الخدري – رضي الله عنه– عنِ النَّبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سلطان جائرٍ» رواه أبوداود، والترمذي

والان لنرى قصتين يوضحوا معاندة معاوية للحق ولكل معايير الاسلام ، الاولى قصة ابوذر الغفارى وقد حدثت عندما كان معاوية ما يزال والى على الشام فى خلافة عثمان

وفي الماضي لمن بقي اعتبار. هكذا قال أبوالطيب، وما أجمل ما رواه المخزومي عن الأفغاني، عن السلف الصالح، هدانا الله إلى سواء سبيله، قال:

أتت عمر بن الخطاب الأنباء ممن أقامه (رقيبًا) على سير وسيرة عماله بأن عامل مصر ـ عمروبن العاص ـ وعامل دمشق ـ معاوية بن أبي سفيان ـ قد بدا عليهما البذخ والثراء، وهما الخادمان للجموع، وأنهما يصرفان سلطان الحكم ونفوذه بغير وجوه الحق. فخاف الفاروق أن ينفر المسلمون من حكامهم، فأسرع لسد ذلك الخلل فكتب إلى ابن العاص غاضبًا:

إلى العاصي ابن العاصي. ما أقطعتك مصر طعمة لك ولقومك، ومتى كان ابن العاص في مثل ما بلغني عنه من ثراء ودور وقصور؟!

وبمثل هذا الكلام الخشن خاطب معاوية مهددًا. ثم لم يكتف بما كتب، ولم يسأل: من أين لكما هذا، لأن هذه العبارة لم تكن رائجة في تلك الأيام، بل أرسل معتمدًا من قبله، وأمره أن يشاطر كل عامل مقتناه من ثروة ومتاع. ففعل المعتمد ما أمره به سيده. حتى إنه أخذ فردة نعل ابن العاص وترك له الأخرى.

وآلت الخلافة إلى عثمان بن عفان، فتغيرت الحالة الروحية في الأمة تغييرًا محسوسًا، فبطر العمال والأمراء، وأثرى ذووالقربى من الخليفة. وقصر (المجاهدون)، مع جريهم وسعيهم وراء تدارك معاشهم عن اللحاق بالمنتمين إلى رجال الدولة القابضين على مفاتيح بيت المال، فتكونت من جراء ذلك طبقة أخذت تتحسس بشيء من الظلم، وتتحفز للمطالبة بالحق المأكول.

وكان الصحابي الجليل أبوذر الغفاري أول من تنبه لهذا الخطر الذي يتهدد الخلافة، فجاء إلى معاوية بن أبي سفيان، وخاطبه بتقليل دواعي السرف والترف، وبوجوب الرجوع إلى سيرة السلف، وعدم التمادي في مسببات الحسد.

فأجابه معاوية: يا أبا ذر، إن ما تقوله هوالحق، ولكن ليس في استطاعتي الرجوع إلى سيرة الصديق والفاروق وسيرهما، وغاية ما في إمكاني الحث على بذل الصدقات، والقول اللين إرشادا، وعن طريق الوعظ لتخفيف دواعي الحسد.

فقال أبوذر: يا معاوية، قد نصحتك والدين النصيحة. فاحذر أنت والخليفة عثمان مغبة ما أنتما عليه. وذهب من مجلس معاوية مغاضبًا.

ولكي يسترضيه معاوية بعث إليه ليلًا، بألف دينار فقبلها أبوذر، وفرقها في الحال على المعوزين.

وفي ثاني يوم أرجع معاوية الرسول إلى أبي ذر ليقول له: إن الألف دينار لم ترسل إليك، وإنما غلطت أنا، وإني أخشى عذاب معاوية.

فقال له أبوذر: والله لم يبق معي من دنانير معاوية ولا دينار.

وضاق معاوية ذرعًا بأبي ذر فاستجار بالخليفة عثمان، فأمره هذا بإرسال

أبي ذر إليه فأرسله. ولما تقابل أبوذر مع عثمان لم يسمع منه أكثر مما سمع من معاوية، فقال أبوذر: يا عثمان، أما تذكر حديث رسول الله؟ ومعناه: إذا وصل البناء إلى سلع، واستعلى في المدينة، وجبت الهجرة. فها قد استعلى بناؤك، وبناء قريبك معاوية وأعوانكما — فأستودعك الله — تاركًا لك ولمن استعملت من العمال (أعمالكم)، والله من ورائكم محيط.

فألح عثمان على أبي ذر أن لا يفعل، فقال أبوذر: إن رسول الله أولى أن يتبع.

وبالفعل قد هاجر هذا الصحابي الجليل من المدينة، حتى لا يرى المال الحرام يرتفع قبابًا وقصورًا، ويستحيل جنائن غلباء، ودارات مربعة وقوراء، وخيولًا عليها البراذغ المفضضة، وسيوفًا تنام في أغماد ذهبية استرقت لونها الأصفر من وجوه الرعية اليائسة.

والقصة الاخرى والاهم والاخطر هى قصة الصحابى الجليل حجر بن عدى

حُجر بن عَدي الكندي الكوفي، من فضلاء الصحابة وزهادهم، وفد على النبي مع اخيه هانئ بن عدي وشارك في معركة القادسية، وفتح مرج عذراء بالشام، وهومن خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قاتل معه في الجمل، وصفين، والنهروان، وكان يرأس قبيلته في كل المعارك

روى أحمد بن حنبل في كتابه باب الزهد، والحاكم في المستدرك من طريق ابن سيرين قال: أطال زياد الخطبة، فقال حجر: الصلاة فمضى في خطبته فحصبه حجر والناس، فنزل زياد وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان ، فكتب إليه أن سرّح به إليَّ، فلما قدم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: أوأمير المؤمنين أنا؟ قال: نعم ، فأمر بقتله، فقال حجر: لا تطلقوا عني حديدا ولا تغسلوا عني دما، فإني لاقٍ معاوية بالجادة، وإني مخاصم

ذكر ابن الأثير الجزري: أن حجر بن عدي كان من أعيان الصحابة ولما ولي زياد العراق، وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر، خلعه حجر وتابعه جماعة من شيعة علي بن أبي طالب ﷺ وحصبه يوما في تأخير الصلاة

هووأصحابه، فكتب فيه زياد الى معاوية، فأمره أن يبعث به وبأصحابه إليه، فبعث بهم مع وائل بن حجر الحضرمي، ومعه جماعة، فلما أشرف على مرج عذراء، قال: إني لأول المسلمين كبّر في نواحيها، فأُنزل هووأصحابه عذراء وهي قرية عند دمشق فأمر معاوية بقتلهم، فشفّع أصحابه في بعضهم فشفّعهم، ثم قتل حجر وستة معه، وأطلق ستة، ولما أرادوا قتله صلى ركعتين، ثم قال: لولا تظنوا بي غير الذي بي لأطلتهما، وقال: لا تنزعوا عني حديدا ولا تغسلوا عني دما، فإني لاقٍ معاوية على الجادة.

ذكر خليفة في حوادث عام إحدى وخمسين قال: فيها قتل معاوية بن أبي سفيان حجر بن عدي الأدبر ومعه محرز بن شهاب، وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة القيسي، وصيفي بن فسيل.

كان زياد ابن سمية من أدهى عمال معاوية في خلق الاضطرابات والفتن بين القبائل، ومما يؤثر عنه أنه عندما همَّ بالقبض على حجر بن عدي الكندي، أمر محمد بن الأشعث الكندي بالقبض عليه هادفا من وراء ذلك ذرع بذور الفتنة والشقاق في قبيلة كندة، وهي من أقوى قبائل الكوفة ليستريح من وحدتها، ويلهي كل من أنصار محمد بأعدائه الجدد، ولكن حجر فوت عليه هذه الفرصة.

وروي أنه عندما وضعوا للقتل قالوا لحجر وأصحابه: تبرؤون من هذا الرجل؟ – يعني عليا – قالوا: بل نتولاه، ونتبرأ ممن تبرأ منه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً، حتى قتلوا ستة مع حجر بن عدي الكندي.
الذهبي – سير أعلام النبلاء – ومن صغار الصحابة – حجر بن عدي

الجزء : (٣) – رقم الصفحة : (٤٦٦)

– .... وروى ابن عون ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر في السوق ، فنعي إليه حجر ، فأطلق حبوته ، وقام ، وقد غلب عليه النحيب ، هشام بن حسان ، عن محمد ، قال : لما أتي معاوية بحجر ، قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال : أوأمير المؤمنين أنا ، اضربوا عنقه ، فصلى ركعتين ، وقال لأهله : لا تطلقوا عني حديدا ، ولا تغسلوا عني دما ، فإني ملاق معاوية على الجادة.

- .... وقيل : أن رسول معاوية عرض عليهم البراءة من رجل والتوبة ، فأبى ذلك عشرة ، وتبرأ عشرة ، فلما انتهى القتل إلى حجر ، جعل يرعد ، وقيل : لما حج معاوية استأذن على عائشة ، فقالت : أقتلت حجرا ، قال : وجدت في قتله صلاح الناس ، وخفت من فسادهم ، وكان قتلهم في سنة احدى وخمسين ، ومشهدهم ظاهر بعذراء يزار ، وخلف حجر ولدين : عبيد الله ، وعبد الرحمن ، قتلهما مصعب بن الزبير الأمير ، وكانا يتشيعان.

ابن سعد - الطبقات الكبرى - طبقات الكوفيين، وفى الطبقة الأولى : من أهل الكوفة بعد أصحاب رسول الله ﷺ ومن هذه الطبقة ممن روى عن علي بن أبي طالب) - ٢٢١٢ - حجر بن عدي

الجزء : (٦) - رقم الصفحة : (٢٤٣)

- .... فشهدوا ، فقال معاوية بن أبي سفيان : أخرجوهم إلى عذرى فأقتلوهم هنالك ، قال : فحملوا اليها ، فقال حجر : ما هذه القرية ، قالوا : عذراء ، قال : الحمد لله أما والله إني لأول مسلم نبح كلابها في سبيل الله ، ثم أتي بي اليوم اليها مصفودا ودفع كل رجل منهم إلى رجل من أهل الشام ليقتله ودفع حجر إلى رجل من حمير فقدمه ليقتله ، فقال : يا هؤلاء دعوني أصلي ركعتين فتركوه فتوضأ وصلى ركعتين فطول فيهما ، فقيل له : طولت أجزعت فانصرف ، فقال : ما توضأت قط الا صليت وما صليت صلاة قط أخف من هذه ولئن جزعت لقد رأيت سيفا مشهورا وكفنا منشورا وقبرا محفورا وكانت عشائرهم جاؤوا بالأكفان وحفروا لهم القبور ، ويقال : بل معاوية الذي حفر لهم القبور وبعث اليهم بالأكفان ، وقال حجر : اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل العراق شهدوا علينا وإن أهل الشام قتلونا ، قال : فقيل لحجر مد عنقك ، فقال : إن ذاك لدم ما كنت لاعين عليه فقدم فضربت عنقه وكان معاوية قد بعث رجلا من بني سلامان بن سعد يقال له هدبة بن فياض فقتلهم وكان أعور ....

الفصل الثامن

الحســـن بن علـــــى
ومعاوية بن أبي سفيان

أبومحمد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (١٥ رمضان ٣ هـ - ٤٩ هـ، أو٥٠ هـ، أو٥١ هـ/ ٤ مارس ٦٢٥ م - ٦٧٠ م)، هوسبط الرسول محمد، وصَحابيّ، وخامس الخلفاء الراشدين عند أهل السنة والجماعة، والإمام الثاني عند الشيعة، أطلق عليه النبي محمد لقب سيد شباب أهل الجنة فقال: «الحسَنَ والحُسَيْنَ سيِّدا شبابِ أَهْلِ الجنَّةِ»، وهورابع أصحاب الكساء. أبوه علي بن أبي طالب ابن عم النبي محَمد، أمه: فاطمة بنت النبي محمد، وقيل إنه أشبه الناس بالنبي.ولد في النصف من شهر رمضان عام ٣ هـ، وكان النبي محمد يحبه كثيرًا ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»، وكان يأخذه معه إلى المسجد النبوي في أوقات الصلاة، فيصلي بالناس، وكان الحسن يركب على ظهره وهوساجد، ويحمله على كتفيه، ويُقبّله ويداعبه ويضعه في حجره ويَرْقِيه، كما كان يعلمه الحلال والحرام، توفي جده النبي محمد سنة ١١ هـ وكذلك توفيت أمه فاطمة في نفس السنة، شارك الحسن في الجهاد في عهد عثمان، فشارك في فتح إفريقية تحت إمرة عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وشارك في فتح طبرستان وجرجان في جيش سعيد بن العاص، كما شارك في معركة الجمل ومعركة صفين.

لما استشهد الخليفة الرابع: علي رضي الله عنه بقتل أحد الخوارج له وهوعبدالرحمن بن عمروالمرادي في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه سنة أربعين للهجرة النبوية بويع بالخلافة بعده ابنه الحسن رضي الله عنه واستمر خليفة على الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك نحوسبعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل ستة أشهر وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقه لأن تلك المدة كانت مكملة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكـًا.

فقد روى الترمذي بإسناده إلى سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك» .

وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضـًا بلفظ: «الخلافة ثلاثون عامـًا ثم يكون بعد ذلك الملك» .

وعند أبي داود بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء أوملكه من يشاء».

ولم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ: ((الخلافة في أمتي ثلاثون سنة)) أن الأشهر التي تولى فيها الحسن بن علي بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبوة ومكملة لها.

فقد قال أبوبكر بن العربي رحمه الله تعالى: (فنفذ الوعد الصادق في قوله- ﷺ-...: ((الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم تعود ملكـًا)) فكانت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وللحسن منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يومـًا فسبحان المحيط لا رب غيره) .

وقال القاضي عياض: (لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي... والمراد من حديث «الخلافة ثلاثون سنة» خلافة النبوة وقد جاء مفسراً في بعض الروايات «خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكـًا» .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في (دلائل النبوة) من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: ((الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكـًا)) وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي) .

وقال شارح الطحاوية: (وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفـًا، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر) .

وقال المناوي بعد ذكره لقوله ﷺ: ((ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) قال: (وكان ذلك فلما بويع له بعد أبيه وصار هوالإمام الحق مدة ستة أشهر تكملة للثلاثين سنة التي أخبر المصطفى ﷺ إنها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكـًا عضوضـًا) .

ولما كان رضي الله عنه هوالمبايع بالخلافة بعد أبيه وأنه الإمام الحق تلك المدة التي كانت مكملة لخلافة النبوة

أخرج ابن سعد في طبقاته عددًا من المرويات التي تحدثت عن بيعة الحسن، منها أن عامر الشعبي قال: «أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ صَلَّى عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، وَدُفِنَ عَلِيٌّ بِالْكُوفَةِ عِنْدَ مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ فِي الرَّحَبَةِ مِمَّا يَلِي أَبْوَابَ كِنْدَةَ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ النَّاسُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ انْصَرَفَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ دَفْنِهِ فَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِهِ فَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ خِلَافَةُ عَلِيٍّ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ.»

تنص المصادر السنية والشيعية على أن أول من بايع الحسن بالخلافة هوقيس بن سعد الانصاري، وقال له: «ابسط يدك أبايعك عَلَى كتاب الله، عَزَّ وَجَلَّ، وسنة نبيه وقتال المحلين، فَقَالَ لَهُ الْحَسَن، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَلَى كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذَلِكَ يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت وبايعه الناس.» هذا الخبر أورده ابن الأثير الجزري. والطبري، وابن الجوزي. وتزيد المصادر الشيعية على أن عبد الله بن عباس قد حفز المسلمين على مبايعته فقال: «معاشر الناس إن هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه.» فاستجابوا له، وقالوا: «ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة.» فتبادر الناس إلى بيعته. اشترط الحسن على أهل العراق عندما أرادوا بيعته بالسمع والطاعة، وأن يسالموا من سالم، وأن يحاربوا من حارب، ينقل الطبري في كتابه عن الزهري أنه قال: «بَايَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ الْحَسَن بْنَ عَلِيٍّ بِالْخِلَافَةِ، فَطَفِقَ يَشْتَرِطُ عَلَيْهِمُ الْحَسَنُ: إِنَّكُمْ سَامِعُونَ مُطِيعُونَ، تُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ، وَتُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ، فَارْتَابَ أَهْلُ الْعِرَاقِ فِي أَمْرِهِمْ حِينَ اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ هَذَا الشَّرْطَ، وَقَالُوا: مَا هَذَا لَكُمْ بِصَاحِبٍ، وَمَا يُرِيدُ هَذَا الْقِتَالَ.» وقد أخرج ابن عساكر هذا الخبر من طريق الزهري بمثله، وأورده ابن كثير بنحوه. ونقل ابن سعد في طبقات قول خالد بن مضرب، قال: «سمعت الحسن بن علي يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم. قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت.» وقول ميمون بن مهران: «إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين. بايعهم على الإمرة. وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه. ويرضوا

بما رضي به.» وتنص المصادر الشيعية على ذلك أيضًا، يقول الشيخ المفيد: «ولما قبض أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس الحسن عليه السلام وذكر حقه، فبايعه أصحاب أبيه على حرب من حارب وسلم من سالم.»

تنص مصادر أهل السنة والجماعة على أن الروايات التي نقلت شرط الحسن بالمسالمة تفيد بابتدائه في التمهيد للصلح مع معاوية بن أبي سفيان فور استخلافه، وذلك تحقيقًا لنبوءة النبي. فتشير الروايات على أن الحسن قد قام فور استخلافه بوضع شرط لقبوله مبايعة أهل العراق له وهوأن يقوموا بمسالمة من يسالم ويحاربون من يحارب، فعن ميمون بن مهران، قال: «إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين. بايعهم على الإمرة. وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه. ويرضوا بما رضي به.» ويقول خالد بن مضرب، قال: «سمعت الحسن بن علي يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم. قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت.»وقد نقل ابن سعد في طبقاته رواية تذكر أن معاوية بن أبي سفيان بعث إلى الحسن بعد وفاة علي فأصلح الذي بينهما سرًا. يقول عمروبن دينار: «أن معاوية كان يعلم أن الحسن كان أكره الناس للفتنة. فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سرًا وأعطاه معاوية عهدا إن حدث به حدث والحسن حي ليسمينه وليجعلن هذا الأمر إليه.»بعد أن كشف الحسن عن نيته في الصلح مع معاوية وقعت محاولة لاغتياله، وتنص المصادر أن هذه المحاولة قد جرت بعد استخلافه بقليل، وهوما أشارت إليه أكثر من رواية، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته من طريق أبي جميلة الطهوي، قال: «أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي. فبينما هويصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر. وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد- وحسن ساجد، قال حصين: وعمي أدرك ذاك. قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهرًا ثم برئ. فقعد على المنبر فقال: «يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم أهل البيت الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: فما زال يقول ذاك حتى ما يرى أحد من أهل المسجد إلا وهويخن بكاء.»

أن أهل العراق قد دفعوا الحسن إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، فخرج الحسن بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وأرسل القوة الضاربة من الجيش وهي «شرطة الخميس» إلى «مسكن» بقيادة قيس بن سعد بن عبادة. وقد أشار ابن سعد في طبقاته إلى ذلك في الرواية التي أخرجها من طريق الشعبي، قال: «بايع أهل العراق بعد علي بن أبي طالب الحسن بن علي، ثم قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظيم وابتزوا الناس أمورهم. فإنا نرجوأن يمكن الله منهم. فسار الحسن إلى أهل الشام. وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة. في اثني عشر ألفا، وكانوا يسمون شرطة الخميس». ومن خلال هذه الرواية السابقة يتضح أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن كثير بقوله: «وَلَمْ يَكُنْ فِي نِيَّةِ الْحَسَنِ أَنْ يُقَاتِلَ أَحَدًا، وَلَكِنْ غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ، فَاجْتَمَعُوا اجْتِمَاعًا عَظِيمًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، فَأَمَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَارَ هُوَ بِالْجُيُوشِ فِي إِثْرِهِ قَاصِدًا بِلَادَ الشَّام، لِيُقَاتِلَ مُعَاوِيَةَ وَأَهْلَ الشَّام فَلَمَّا اجْتَازَ بِالْمَدَائِنِ نَزَلَهَا وَقَدَّمَ الْمُقَدِّمَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ.» رجح بعض الباحثين مثل «خالد بن محمد الغيث» أن تاريخ خروج الحسن من الكوفة في شهر صفر من سنة ٤١هـ. تشير بعض المصادر السنية إلى أن الحسن قد أظهر حنكة كبيرة قد دلت على دهائه عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر، نظرًا لطبيعة أهل العراق الذين كان معهم، وليقيم عليهم الدليل ويثبت صدق نظرته فيهم، وعلى سلامة ما اتجه إليه. فوافقهم على المسير لحرب معاوية. بعد أن وصل خبر خروج الحسن إلى المدائن خرج معاوية بن أبي سفيان بأهل الشام إلى العراق حتى نزل جسر منبج، فأقبل من جسر منبج إلى «مسكن» في خمسة أيام ودخل في اليوم السادس.

يقول الحسن البصري:

اسْتَقْبَلَ وَاللهِ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُوبْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَكَانَ

وَاللهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أَيْ عَمْرُوإِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ، وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَاعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولاَ لَهُ: وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتَيَاهُ، فَدَخَلاَ عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا، وَقَالاَ لَهُ: فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُوعَبْدِ المُطَّلِبِ، قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا، قَالاَ: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا، قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»، قَالَ أَبُوعَبْدِ اللهِ: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ: إِنَّمَا ثَبَتَ لَنَا سَمَاعُ الحَسَنِ مِنْ أَبِي بَكْرَةَ، بِهَذَا الحَدِيثِ».

بعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن ومعاوية، شرع الحسن في تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذي تم، فقام فيهم خطيبًا ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، وقد أورد البلاذري الخطبة التي ألقاها، قال الحسن: «إني أرجوأن أكون أنصح خلف لخلقه، وما أنا محتمل عَلَى أحد ضغينة وَلا حقدًا، وَلا مريد بِهِ غائلة وَلا سوءً، ألا وإن مَا تكرهون فِي الجماعة خير لكم مما تحبون فِي الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيرًا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري وَلا تردوا علي، غفر الله لي ولكم.» وفيما هويخطب هجم عليه بعض معسكره محاولين قتله بعد أن اتهموه بالضعف لعزمه على صلح معاوية، وشدوا على فسفاطه، فدخلوه، وانتزعوا مصلاه من تحته، وانتهبوا ثيابه. ثم شد عليه «عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي» فنَزَعَ رداءَهُ عن عاتقه، فبقي متقلدًا سيفه فدهش، ثم رجع ذهنه، فركب فرسه، وأطاف به الناس، فبعضهم يعجزه ويضعفه، وبعضهم ينحي أولئك عنه، ويمنعهم منه، وانطلق رجل يقال له «الجراح بن سنان الأسدي» وكان يرى رأي الخوارج فانتظر الحسن في «مظلم ساباط»، فقعد له ينتظره، فلما مر الحسن، ودنا من دابته فأخذ بلجامها، ثم أخرج معولًا كان معه، وقال: «أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل.» وطعنه بالمعول في أصل فخذه، فشق في فخذه شقًا كاد يصل

إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرا إلى الأرض، ثم سارع «عبد الله بن الخضل الطائي» فنزع المعول من يده، وقام «ظبيان بن عمارة التميمي» بقتل الجراح. وحُمل الحسن إلى المدائن، ثم أتى سعد بن مسعود الثقفي عامل الحسن على المدائن بطبيب وقام عليه حتى برئ وحوله إلى القصر الأبيض بالمدائن. وقد أورد هذه الرواية أبوحنيفة الدينوري، وقد أوردت الكتب الشيعية هذه الرواية بنحورواية البلاذري فأوردها أبوالفرج الأصفهاني. والشيخ المفيد.أما موقف الحسن تجاه ما حصل له في معكسره، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته عن «هلال بن خباب»، قال: «جمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في قصر المدائن. فقال: يا أهل العراق لولم تَذْهَلْ نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لَذَهَلْتُ: مقتلكم أبي. ومطعنكم بغلتي. وانتهابكم ثقلي أوقال: ردائي عن عاتقي. وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا. قال: ثم نزل فدخل القصر.»وأما موقف شرطة الخميس وهم مقدمة جيش العراق من الصلح فقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي الغريف، قال: «كُنَّا فِي مُقَدِّمَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا تَقْطُرُ أَسْيَافُنَا مِنَ الْحِدَّةِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ، وَعَلَيْنَا أَبُوالْعُمُرِطَهْ، فَلَمَّا أَتَانَا صُلْحُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ كَأَنَّمَا كُسِرَتْ ظُهُورُنَا مِنَ الْحَرَدِ وَالْغَيْظِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكُوفَةَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا يُكَنَّى أَبَا عَامِرٍ سُفْيَانُ بْنُ اللَّيْلِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ الْحَسَنُ: «لَا تَقُلْ ذَاكَ يَا أَبَا عَامِرٍ، لَمْ أَذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَهُمْ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ».»أما موقف قيس بن سعد بن عبادة أمير مقدمة جيش الحسن من الصلح، فتشير المصادر أنه تردد في الدخول فيه، واعتزل بمن أطاعه من جيشه مدة، ثم دخل في الصلح وبايع معاوية بن أبي سفيان بعد مراجعته للأمر.وأما مواقف أمراء علي بن أبي طالب من الصلح فقد اتسمت بالتباين والتفاوت، حيث قبله بعضهم وكرهه بعضهم الآخر. فكان موقف عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القبول والاستحسان، وأما زياد بن أبيه وقيس بن سعد بن عبادة فقد كان بالرفض ثم القبول، وهناك فريق ثالث دخل الصلح وهوله كاره، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين: قسم يرى أن الصلح ملزم له في ظل حياة الحسن فقط ويمثل هؤلاء حجر بن عدي، وقسم يرى أن الصلح ملزم له في ظل حياة الحسن

ومعاوية، أوالآخر موتًا منهما، ويمثل هؤلاء الحسين بن علي.

تنص مصادر أهل السنة والجماعة على أن الحسن قد ترك المدائن وسار إلى الكوفة بعد أن نجى من محاولة الاغتيال الأخيرة في معسكره، ولما أراد المسير أتاه عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز بكتاب الصلح كما أُسلف. وبعد ذلك سار معاوية من «مسكن» إلى «النخيلة»، ثم خرج الحسن من الكوفة إلى النخيلة لمقابلة معاوية وتسليم الأمر له. أخرج الطبراني في معجمه الكبير عن الشعبي، قال: «شهدت الحسن بن علي رضي الله عنه بالنخيلة حين صالحه معاوية رضي الله عنه، فقال له معاوية: إذا كان ذا فقم فتكلم، وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي. وربما قال سفيان: أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي. فقام فخطب على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه -قال الشعبي: وأنا أسمع- ثم قال: «أما بعد، فإن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقًا لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة، وحقن دمائهم، أويكون حقًا كان لامرئ أحق به مني، ففعلت ذلك، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.»كذلك أخرج رواية البيعة أحمد بن حنبل من طريق أنس بن سيرين، قال: «قال الحسن بن علي يوم كلم معاوية: «ما بين جابرس وجابلق: رجل جده نبي غيري وإني رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ، وكنت أحقهم بذاك، ألا إنا قد بايعنا معاوية ولا أدري ﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾».»وأخرج ابن سعد رواية البيعة من طريق عمروبن دينار، وفيها: «فقام الحسن فقال: يا أيها الناس إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث وأنا أصلحت آخره لذي حق أديت إليه حقه أحق به مني. أوحق جدت به لصلاح أمة محمد وإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك أولشر يعلمه فيك ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾ ثم نزل.» بعد ذلك جاء الحسن بقيس بن سعد بن عبادة ليبايع معاوية، فبايعه.

تنص المصادر السنية والشيعية على نفس أسباب الصلح، وقد ذكر ابن حجر الهيتمي صورة كتاب الصلح بين الحسن ومعاوية على النحوالآتي:

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

هَذَا مَا صَالح عَلَيْهِ الْحسن بن عَليّ رَضِي الله عَنْهُمَا مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان صَالحه على:

• أَن يسلم إِلَيْهِ ولَايَة الْمُسلمين على أَن يعْمل فيهم بِكِتَاب الله تَعَالَى وَسنة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وسيرة الْخُلَفَاء الرَّاشِدين المهديين.

• وَلَيْسَ لمعاوية بن أبي سُفْيَان أَن يعْهَد إِلَى أحد من بعده عهدا بل يكون الْأَمر من بعده شُورَى بَين الْمُسلمين.

• وعَلى أَن النَّاس آمنون حَيْثُ كَانُوا من أَرض الله تَعَالَى فِي شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم.

• وعَلى أَن أَصْحَاب عَليّ وشيعته آمنون على أنفسهم وَأَمْوَالهمْ وَنِسَائِهِمْ وَأَوْلَادهمْ حَيْثُ كَانُوا.

• وعَلى مُعَاوِيَة بن ابي سُفْيَان بذلك عهد الله وميثاقه وَأَن لَا يَبْتَغِي لِلْحسنِ بن عَليّ وَلَا لِأَخِيهِ الْحُسَيْن وَلَا لأحد من أهل بَيت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم غائلة سرا وَلَا جَهرا وَلَا يخيف أحدا مِنْهُم فِي أفق من الْآفَاق.

أشهد عَلَيْهِ فلَان وَفُلَان بن فلَان وَكفى بِالله شَهِيدًا.

• تنص بعض المصادر السنية والشيعية زيادة على الشروط السابقة أن الحسن اشترط على معاوية أن يترك سب علي بن أبي طالب، أوأن يترك سب علي وهويسمع

وقد ورد هذا الشرط فى شمس الدين الذهبيم. سير أعلام النبلاء، الجزء الثالث) صفحة ٢٦٤..

يقول الحسن: «خشيت أن يجىء يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ ثَمَانُونَ أَلْفًا، أوأكثر أوأقل، تَنْضَحُ أَوْدَاجُهُمْ دَمًا، كُلُّهُمْ يَسْتَعْدِي اللهَ فِيمَ هُرِيقَ دَمُهُ.» وقال وهويخطب الناس بالمدائن: «ألا إن أمر الله واقع إذ ليس له دافع وإن كره الناس، إني ما أحببت أن ألي من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه

محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني مما يضرني فالحقوا بطيتكم.» وقال في خطبته التي تنازل فيها لمعاوية: «وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَفْتُ فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ إِمَّا كَانَ حَقًّا لِي تَرَكْتُهُ لِمُعَاوِيَةَ إِرَادَةَ صَلَاحِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ.»اضطراب جيش أهل العراق والكوفة: يقول ابن الأثير الجزري في كتابه الكامل في التاريخ: «قِيلَ لِلْحَسَنِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: كَرِهْتُ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَوْمًا لَا يَثِقُ بِهِمْ أَحَدٌ أَبَدًا إِلَّا غُلِبَ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَافِقُ آخَرَ فِي رَأْيٍ وَلَا هَوًى، مُخْتَلِفِينَ لَا نِيَّةَ لَهُمْ فِي خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ، لَقَدْ لَقِيَ أَبِي مِنْهُمْ أُمُورًا عِظَامًا، فَلَيْتَ شِعْرِي لِمَنْ يَصْلُحُونَ بَعْدِي، وَهِيَ أَسْرَعُ الْبِلَادِ خَرَابًا!»أسباب أخرى: يقول أبوبكر بن العربي: «وَعَمِلَ الْحَسَنُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بِمُقْتَضَى حَالِهِ، فَإِنَّهُ صَالَحَ حِينَ اسْتَشْرَى الْأَمْرُ عَلَيْهِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِأَسْبَابٍ سَمَاوِيَّةٍ، وَمَقَادِيرَ أَزَلِيَّةٍ، وَمَوَاعِيدَ مِنْ الصَّادِقِ صَادِقَةٍ، وَمِنْهَا مَا رَأَى مِنْ تَشَتُّتِ آرَاءِ مَنْ مَعَهُ، وَمِنْهَا أَنَّهُ طُعِنَ حِينَ خَرَجَ إلَى مُعَاوِيَةَ فَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ وَدَاوَى جُرْحَهُ حَتَّى بَرِئَ؛ فَعَلِمَ أَنَّ عِنْدَهُ مَنْ يُنَافِقُ عَلَيْهِ وَلَا يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَمِنْهَا أَنَّهُ رَأَى الْخَوَارِجَ أَحَاطُوا بِأَطْرَافِهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إنْ اشْتَغَلَ بِحَرْبِ مُعَاوِيَةَ اسْتَوْلَى الْخَوَارِجُ عَلَى الْبِلَادِ، وَإِنْ اشْتَغَلَ بِالْخَوَارِجِ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ».

وفاة الحسن، وأكثر الآراء أنه توفي سنة ٤٩ هـ وهوقول الواقدي وخليفة بن خياط، وقيل سنة ٥٠ هـ وهوقول المدائني وابن الكلبي والزبير بن بكار، وقيل ٥١ هـ وهوقول محمد بن إسماعيل البخاري ورجَّحه خالد الغيث. ومات وهوابن سبع وأربعين سنة، أوثمان وأربعين سنة، ورُوى أنه قبل مماته رأى رؤيا كأنّ بين عينيه مكتوبٌ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾، ففسرها سعيد بن المسيب أن أجله قد اقترب، قال أبونعيم الأصبهاني: «لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع، فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد، ما هذا الجزع؟ ما هوإلا أن تفارق روحك جسدك، فتقدم على أبويك علي وفاطمة، وعلى جديك النبي ﷺ وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب، قال: فسُرّيَ عنه. وفي رواية: أن القائل له ذلك الحسين، وأن الحسن قال له: يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله، وأرى خلقا من خلق الله لم أر مثله قط. قال: فبكى

الحسين رضي الله عنهما».

أمّا عن سبب وفاته، فالمشهور عند السنة والشيعة أنه قُتل مسمومًا، قال قتادة بن دعامة: «قال الحسن للحسين: قد سقيت السم غير مرة، ولم أسق مثل هذه، إني لأضع كبدي. فقال: من فعله؟ فأبى أن يخبره.»، وقال ابن حجر العسقلاني: «يقال إنه مات مسمومًا.»، أما عن قاتله فاختُلف في ذلك، حيث تذكر أغلب المصادر الشيعية أن زوجته جعدة بنت الأشعث هي من سقته السم بإيعاز من يزيد بن معاوية، وقيل بإيعاز من معاوية نفسه، ، يقول ابن خلدون: «وما نُقل من أن معاوية دسَّ إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث،

هكذا مات الحسن بن على بن ابى طالب مسموما بايعاز من معاوية كما قالت اغلب الرويات ولكى نفهم ونتحرى الحقيقة دعنا نرى كيف مات اكثر من عدولمعاوية بن ابى سفيان كيف مات الاشتر النخعى ؟؟

مالك الأشتر هومالك بن الحارث النخعي الشهير بـالأشتر أيضـًا (وفاة ٣٩ هـ)، من أبرز قادة جيش الإمام أمير المؤمنين ومن وجوه العراق وشجعانه.

ويعدّ الأشتر من خاصّة أمير المؤمنين ومن أبرز قادة جيشه في معركتي الجمل، وصفين، وقد أوكل إليه ولاية مصر التي استشهد في طريقه إليها،

بعد أن انتهت معركة صفين عاد الأشتر إلى الجزيرة، فلمّا اضطربت الأوضاع في مصر قرّر أمير المؤمنين عزل الأشتر عن ولاية نصيبين وتعيينه واليـًا على مصر لمعالجة الوضع المضطرب هناك

كتب الامام على إلى أهل مصر- حين ولّى عليهم الأشتر- كتابـًا يصف فيه الأشتر بقوله:

أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع. أشدّ على الفجار من حريق النار، وهومالك بن الحارث أخومذحج، فاسمعوا له، وأطيعوا أمره فيما طابق الحق فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة، ولا نابي الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنّه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا

عن أمري، آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم

الأميني، ترجمة أعلام نهج البلاغة، ص ٤٠.

. فلمّا علم جواسيس معاوية بذلك كتبوا إليه نبأ انتصاب مالك الأشتر واليـًا على مصر من قبل أمير المؤمنين ، حينها شعر معاوية بصعوبة الموقف فيما إذا وصل الأشتر إلى مصر التي كان معاوية يروم السيطرة عليها في عهد واليها محمد بن أبي بكر، فبعث معاوية إلى رجل من أهل الخراج في القلزم يثق به، وقال له: إن الأشتر قد ولي مصر فان كفيتنيه – وقضيت عليه – لم آخذ منك خراجـًا ما بقيت، فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه. فاحتال هذا القلزمي في أن تظاهر له بحبّ علي ، وأتاه بطعام حتى إذا طعم سقاة شربة عسل قد جعل فيها سمـًا، فلمّا شربها مات. البخاري – التاريخ الكبير – باب الميم – ١٣٢٥ – مالك الأشتر

الجزء : (٧) – رقم الصفحة : (٣١١)

١٣٢٥ – مالك الأشتر ، قال لي عبد الله بن محمد ، نا : عبد الرزاق ، قال : أرنا : معمر ، عن الزهري ، قال : بعث علي الأشتر أميرا على مصر حتى بلغ قلزم فشرب شربة من عسل فكان فيها حتفه ، فقال عمروبن العاص : أن لله جنودا من عسل ، وبعث علي محمد بن أبي بكر أميرا على مصر ، وخرج قيس بْن سعد قبل المدينة قبل قتل محمد.

ابن كثير – البداية والنهاية – ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين – ما وقع فيها من الاحداث الجزء : (١٠) – رقم الصفحة : (٦٥٥)

[النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

– .... وولي الأشتر النخعي مصر ، وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين ، فكتب إليه فاستقدمه عليه ، وولاه مصر ، فلما بلغ معاوية تولية الأشتر النخعي مصر بدل محمد بن أبي بكر ، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لجرأته وشجاعته ، فسار الأشتر اليها ، فلما بلغ القلزم لاستقبله الجايسار ، وهومقدم علي على الخراج ، فقدم إليه طعاما ، وسقاه شرابا من عسل فمات منه ، فلما بلغ ذلك

معاوية وعمرا وأهل الشام ، قالوا : إن لله لجنودا من عسل.

– .... وقد ذكر ابن جرير في تاريخه : إن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر ليقتله ووعده على ذلك بأمور ففعل ذلك ، وفي هذا نظر ، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان (ر) ، والمقصود إن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحا شديدا بموت الأشتر النخعي ، ولما بلغ ذلك عليا تأسف على شجاعته وغنائه ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر.

الفصل التاسع

الإمام الحسين بن علي
ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان

وصمة من التاريخ الأموي حقيقةً يأنف القلم من ذكر اسم هذا المجرم الذي شوّهت مخازيه وبوائقه صحائف التاريخ واشمأزت الأجيال من سيرته البشعة التي يندى لها جبين الإنسانية ويقشعر لها الضمير الإنساني الحي، فهذا المنحرف الذي نشأ جانحـًا نحوكل رذيلة ميالاً إلى كل موبقة لم يترك كبيرة أوصغيرة من الآثام والجرائم إلا وجاء بها فكان خليعـًا مستهتراً مدمنـًا على الخمور واللهووالعبث مع الكلاب والقردة، ملحداً حاقداً على الإسلام والنبي وأهل بيته. ورث هذا الحقد عن أبيه وجده رأسي الكفر والنفاق، أنه يزيد بن معاوية سليل الشجرة الملعونة في القرآن، الذي تولى الخلافة بعد أبيه معاوية لمدة ثلاث سنوات أرتكب فيها من الجرائم البشعة والمجازر الرهيبة والفظائع المهولة، ما لم ترتكبه طواغيت العصور، فلوّث التاريخ بصحائفه البشعة وجرائمه المنكرة، التي جعلته في الحضيض الأدنى من الغي والظلال والطغيان. في السنة الأولى لخلافته المشؤومة قتل سيد شباب أهل الجنة وسبط الرسول الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، ولم يسلم من القتل حتى الطفل الرضيع، وسبى نساء آل بيت النبوة من كربلاء إلى الشام، أما في السنة الثانية فقد أرسل جيشـًا أستباح به مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة ثلاثة أيام، وفي السنة الثالثة رمى الكعبة المشرفة بالمنجنيق، وفي أثناء ذلك عجل الله بروحه إلى النار. ولرب سائل يسأل ما الذي يدعوإلى الكتابة عن هذه الشخصية المنحرفة التي امتلأت جوانبها بالمخازي والوحشية والسادية، وأي جانب من جوانبها يستحق الكتابة وقد ذكر المؤلفون والمؤرخون والمحققون على مر العصور كفره وزندقته وفسقه ووحشيته ما لا مجال لحصره، إلا أنك تجد من تحدّر من تلك الشجرة الملعونة وأشرأب في قلبه نزعاتها الإجرامية وراقت له قسوتها ووحشيتها وجُبلت نفسه على شاكلتها فراح يبرئ ساحة هذا المجرم ويبرر أعماله الوحشية، أليس من العجيب أن تجد من يقول: (أن الحسين قتل بسيف جده لأنه خرج على إمام زمانه يزيد بعد أن تمت البيعة له وكملت شروط الخلافة بأجماع أهل الحل والعقد ولم يظهر منه ما يشينه ويزري به)! والله أن هذا الكلام لهوالعجب العجاب والأعجب من هذا أن هذه الكلمات المسمومة التي أطلقها أبن عربي في العواصم والقواصم لم تكن الوحيدة، فقد نسج على منوالها الضال عدد

من المنحرفين ووعاظ السلاطين، من هم على شاكلة شريح القاضي وأبي هريرة وسمرة بن جندب، فحذا حذوابن عربي في غيه وضلالته عبد المغيث بن زهير الحربي الذي ألف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية! ولا أدري هل جعل شرب الخمر والعربدة مع القرود والكلاب والكفر فضيلة وقتل سيد شباب أهل الجنة من أفضل الفضائل!!! وجرى في هذا الضلال والإسفاف أيضاً الحفناوي، في كتابه أبوسفيان شيخ الأموين وتبعه في زمرة الضلالة والانحراف محمد الخضري، الذي شجب جميع الثورات التي قامت ضد السلطة الأموية وأعتبرها خروجاً على الدولة الإسلامية!!! وكأن ابن عربي ومن جرى مجراه من هؤلاء قد نسوا أوتناسوا الأحاديث الشريفة الكثيرة، في وجوب مقارعة الظلم والاستبداد والثورة على الظالمين، ووجوب الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكأن في أذانهم وقراً، ولم يسمعوا الحديث الشريف: (أفضل الجهاد عند الله كلمة الحق في وجه سلطان جائر) والحديث الشريف: (من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهده مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله). وهذا ما دعا الإمام الحسين ﷺ للخروج على يزيد ورفع راية الرفض ضده وقد صرح هو ﷺ بهذا الهدف السامي الذي قصده عند خروجه قائلاً: (أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً أنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي رسول الله ﷺ أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر واسير بسيرة جدي ﷺ وأبي علي بن أبي طالب). كلا أنهم لم ينسوا هذه الأحاديث ولكنها لا تعنيهم كما كانت هذه الأحاديث الشريفة لا تعني أبا هريرة وسمرة بن جندب، فالذي يعنيهم ما تدر أحاديثهم المنحرفة والمختلقة من أرباح من قبل السلطة. فالتاريخ يشهد على جرائم يزيد البشعة وأعماله القذرة وهي كافية لفضح هؤلاء المرتزقة من وعاظ السلاطين، ومن حذا حذوهم، فهذا الشوكاني ينتفض على هؤلاء وغيرهم من أهل الضلالات فيقول: (ولقد أفرط البعض فحكموا بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه باغ على الخمير السكير الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية لعنه اللهً فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدع من سماعها كل جلمود). (نيل الأوطار ج ٧ ص ١٤٧) من هويزيد

من يتحرّى حقائق التاريخ يجد هذه الشخصية الشاذة على حقيقتها البشعة الدموية نقطة سوداء وبؤرة رجس ووصمة عار، هذا هونسب يزيد الموغل في عدائه للإسلام، والعريق في محاربته الرسول ﷺ فكيف يكون من ينشأ في هذه الاجواء؟ لقد نشأ متمرداً على الإسلام حاقداً على المسلمين وخاصة على آل الرسول ﷺ منحرفاً عن المبادىء الإنسانية شاذاً عن القيم الأخلاقية والدينية.
أما تاريخه فأليك بعض أقوال المؤرخين فيه، روى أبوالفرج الأصفهاني: (كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام، وأظهر الفتك وشرب الخمر وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل الشاعر النصراني). (وروى مثله البلاذري في أنساب الاشراف وابن كثير في البداية والنهاية وقال الجاحظ: (المنكرات التي أقترفها يزيد من قتل الحسين وحمله بنات رسول الله ﷺ سبايا وقرعه ثنايا الحسين بالعود وإخافته أهل المدينة وهدم الكعبة تدل على القسوة والغلظة والنصب وسوء الرأي والحقد والبغضاء والنفاق والخروج من الإيمان فالفاسق ملعون ومن نهى عن شتم الملعون فملعون). () وقال الذهبي في سير النبلاء: (كان يزيد بن معاوية ناصبياً فظاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر أفتتح دولته بقتل الحسين الشهيد وختمها بوقعة الحرة فمقته الناس ولم يبارك في عمره). (رسائل الجاحظ ص ٢٩٨ الرسالة الحادية عشر في بني أمية) وقال السيد مير علي الهندي: (فكان ـ أي يزيد ـ قاسياً غدّاراً كأبيه ولكنه ليس داهية مثله بل كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته القاسية بستار من اللباقة الدبلوماسية الناعمة وكانت طبيعته المنحلة وخلقه المنحط لا تتسرب إليها شفقة ولا عدل كان يقتل ويعذب نشدانـاً للمتعة واللذة التي يشعر بها وهوينظر إلى آلام الآخرين وكان بؤرة لأبشع الرذائل وهاهم ندماؤه من الجنسين خير شاهد على ذلك لقد كانوا حثالة المجتمع). (سير النبلاء) وقال الشيخ محمد عبده: (أذا وجدت في الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع وحكومة جائرة تعطله وجب على كل مسلم نصر الأولى ثم قال: ومن هذا الباب خروج الإمام الحسين سبط الرسول ﷺ على إمام الجور والبغي الذي ولي المسلمين بالقوة والمكر يزيد بن معاوية خذله الله وخذل من انتصر له). (روح الإسلام ص ٢١٦) هذا غيض من فيض من أقوال المؤرخين والمؤلفين من المتقدمين والمتأخرين في يزيد، عدا قصص

الخلاعة والمجون وأشعاره التي صرح فيها بكفره ومجالس اللهوالتي كان يقيمها والتي لا يسعنا ذكرها فهي تحتاج إلى فصل مطول. أما لهوه واستهتاره فينقل ابن الطقطقي هذه الرواية: (كان يزيد بن معاوية كلفاً بالصيد لاهياً به وكان يلبس في الصيد الأساور من الذهب والجلاجل المنسوجة منه ويهب لكل كلب عبداً يخدمه).

ولد يزيد سنة ٢٦ للهجرة. أبوه معاوية بن أبي سفيان وأمه مَيْسُونَ بِنْتُ بَحْدَلٍ(بجدل) الْكَلْبِيَّةُ. لم تتحمل ميسون الغربة والبقاء في دمشق والعيش فيها بعد زواجها من معاوية، فانفصلت عنه وعادت إلى محل سكناها في بادية الصحراء. وتحتمل المصادر أنه كانت حينها حامل بيزيد أوكان يزيدا آنذاك مُرضعاً. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٢٧١؛ الزركلي، الإعلام، ج ٧، ص ٣٣٩. عاش يزيد مع أمه وبين قبيلتها ونشأ في البرية. تعود قبيلة ميسون إلى قبائل حُوّارين (في منطقة حمص بالشام) المسيحية قبل اسلامها وهي معروفة بفصاحتها وبإنشادها الشعر، كما تأثر يزيد بمن حوله وكان فصيحا وشاعرا.

تشير المصادر إلى أنّ يزيد كان متهتكا ومقبلًا على الشهوات،فقيهي، بني أمية في التاريخ، ص ٣٣. يجاهر بشرب الخمر ويبالغ في ذلك. كان بعض صحابة رسول الله ﷺ وكذا الإمام الحسين ﷺ يصرّحون بفسقه ويعتبرونه من أهل الكبائر. اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٦٠.

اعتبر البلاذري أنّ يزيد كان أوَّل من أظهر شرب الشراب، والاستهتار بالغناء والصيد، واتّخاذ القيّان[ملاحظة ١] والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة، والنطاح بين الكباش والدباب والقرود.

كان له قرد يكنّيه «أبا قيس» ويسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع،يرى بعض المحققين أنّ ترعرع يزيد في قبيلة أمه التي كانت حديثة الإسلام كان لها الأثر الكبير في تكوين شخصيته. أبوالفرج الأصفهاني، الآغاني، ج ١٧، ص ٣٠١؛ نقلاً عن الولوي وآخرين، «العلاقات بين الخلفاء الأمويين والمسيحيين الذميين»، ص ١٣٨. واستشهدوا على كلامهم بوجود مستشارين مسيح كـ سرجون

الرومي وأخطل التغلبي في بلاط يزيد ومدّه يد الصلح مع الروم في الشرق.

وورد لعن يزيد واستحقاقه للعن عن بعض أئمة أهل السنة كالذهبي وابن عماد الحنبلي وابن الجوزي وابن خلدون.

ابن خلدون يرى اجماع الأمة على فسق يزيدابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٢١٦.

كما عرض ابن الجوزي أدلة لعن يزيد في كتابه «الرَّد عَلى المُتعَصّب العَنيد المَانع مِن ذَم يَزيدَ» فقال فيه: إن يزيد انتهك حرمة حرم رسول الله ﷺ وهي المدينة، وبخلاف وصية النبي ﷺ بحق أهل بيته ﷺ قتل سبطه ثم انتهك حرمة أهل بيته وساقهم أسارى إليه كما تعدّى على رأس الحسين ﷺ. ابن الجوزي، الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم اليزيد، ص ١٣.

هذا هويزيد بن معاوية الذى اختار معاوية ان يولية على رقاب المسلمين من بعدة ونقض عهدة مع سيدنا الحسن بعد ان قتلة ويقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)

فمعاوية ملعون بنص القران وتعالونرى كيف اخذت البيعة ليزيد الفاسق المتهتك شارب الخمر

كان صاحب فكرة البيعة ليزيد هوالمغيرة بن شعبة وذلك حسب قول الباحثين، وقد عرض على معاوية بأن تُعطى الخلافة ليزيد من بعده، وقد تكفَّل الدعوة ليزيد بن معاوية وأن يهيء أهل الكوفة لهذا الخبر. تعتبر مسألة عهد معاوية بالخلافة لابنه يزيد من بعده، من أكثر المسائل التي دفعت الكثيرين للوقوف ضده، وتوجيه النقد إليه، على اعتبار أنه خرج بذلك عن النهج الذي اتبعه المسلمون في اختيار خليفتهم منذ خلافة أبي بكر.

وإذا كان النظام الذي تبناه لابد من أن يفرز في النهاية تقليداً وراثيـاً في الحكم، إلا أن اتخاذ قرار من هذا النوع، لم يكن بالأمر اليسير، إذ لم يكن العرب يقرون من قبل بمبدأ الوراثة في الحكم.

ويبدوأن معاوية خشي انهيار الجهود التي بذلها، خلال أكثر من ثلاثين عاما، في تأسيس دولة أموية الهوى، خاصة وأن الصراع الدامي بينهم وبين بني هاشم كان لا يزال في أوجه، وأن اختيار هاشمي للخلافة من بعده من شأنه إزالة كل مرشح محتمل من الأمويين من الوجود وهوأمر لا يقبله الأمويون وهم "أهل الملة أجمع وأهل الغلب". كما أعتقد أن مركز الخلافة يجب أن يبقى في بلاد الشام بفعل أن أهله أطوع للخليفة من أهل الأمصار الأخرى، وأن الاتجاه السياسي الذي يمثله هؤلاء يجب أن يبقى سياسة الحكم والخلافة لأنها السياسة التي أثبتت وجودها في إدارة العرب والمسلمين آنذاك.

لهذا، رأى معاوية أن الاختيار يجب أن يظل محصوراً في بني أمية، فاختار ابنه يزيد. وقد دعاه إلى إيثار ابنه بالعهد دون غيره ممن يظن أنه أولى به، وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع، وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا. فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة ذلك، وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب.

وكانت هناك ثلاثة فئات من المسلمين متعارضة ومتصارعة، الفئة المتذمرة من الحكم الأموي ذات النزعة الراشدية، وهي تنتظر وفاة معاوية لإعلان موقفها السلبي، وحجتها أن القرار الوراثي يعتبر دخيلا على العرف العام، وخروجا على العادات الإسلامية. وتمثلت الفئة الثانية بالقوى المؤيدة للحكم الأموي والمتحالفة معه وهي المستفيدة من استمرارية المشروع السياسي المطروح في حين تمثلت الثالثة بالتيار الشيعي ذي العاطفة الوقادة التي تخول أهل البيت حقا سياسيا ودينيا قد يشبه الحق الذي يعطيه الفرس لآل كسرى.

لقد شجع ممثلوالفئة الثانية معاوية على اتخاذ قراره الوراثي هذا مسوغين ذلك بعدم وجود ما يتعرض وهذا المبدأ في الإسلام. وتشير الرواية المشهورة إلى أن الذي أشار على معاوية بتلك الفكرة هوالمغيرة بن شعبة.

قد تكون فكرة المغيرة دافعا تشجيعيا لمعاوية للمباشرة في اتخاذ إجراءات

تنفيذها، إلا أن الراجح أن معاوية قد عزم على توليه ابنه يزيد ولاية العهد ليكون خليفة من بعده، قبل عرض المغيرة، لأنه رأى أن ذلك ضرورة لوحده الأمة، ومنع الاختلاف بعد وفاته وأنه كان ينتظر الوقت المناسب لإعلان ذلك.

ويبدوأنه كان لزياد بن أبيه، حاكم البصرة، موقف مختلف، حيث أشار على معاوية أن يتريث في هذا الأمر، لأن المشروع سابق لأوانه وحجته في ذلك عدم توافر شروط الخلافة في يزيد فإنه "صاحب رسالة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد"، بالإضافة إلى أن الظروف السياسية لم تتهيأ بعد بفعل أن التيار المعارض كان لا يزال على جانب من القوة، وأنه لابد أن يلجأ إلى الثورة المسلحة والعصيان.

وآثر معاوية الالتزام بنصيحة زياد حتى لا يثير عليه الحسن بن علي وأبناء الصحابة، ورأى أن يترك إعلان ذلك إلى ظروف أكثر ملائمة.

وفي عام (٤٩ه/ ٦٦٩م) توفى الحسن بن علي، فشجعت هذه الحادثة معاوية على أخذ البيعة لابنه يزيد، وانتهى إلى التصميم على تنفيذها معتمداً على حلفائه قبائل الشام وفي طليعتهم الضحاك بن قيس الفهري وحسان بن بحدل الكلبي، وكان عليه تذليل بعض العقبات التي اعترضت تنفيذ هذه الفكرة ولعل أهمها:

إقناع كبار شخصيات الحجاز، لا سيما أبناء الصحابة. فكان عليه أن يحظى بتأييد الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، بالإضافة إلى بعض الشخصيات الأموية الذين كانوا يتطلعون إلى خلافته أمثال مروان بن الحكم وسعيد بن العاص.

تهيئة يزيد لتحمل المسؤولية.

قلب نظام الشورى، وجعل الحكم وراثياً.

أما فيما يتعلق بإقناع كبار شخصيات الحجاز، فقد كتب معاوية إلى مروان بن الحكم عاملة على المدينة، ليستشير الناس في أمر اختيار خلف له، دون

أن يسمى يزيد. ولما جاءه الجواب بالموافقة، كتب إلى مروان ليخبر الناس باختيار يزيد، كما كتب إلى عماله يأمرهم بمدحه وتقريظه، وبإرسال الوفود إليه من الأمصار، فأقبلت الوفود في العراق وسائر بلاد الشام تبايعه.

وسرعان ما تبين أن المدينة ستكون أكثر المدن الإسلامية معارضة لهذه البيعة حيث برز تيار معارض بزعامة عبد الرحمن بن أبي بكر، وحجته في ذلك أن معاوية يكون قد خرج عن سياسة أسلافه وجعل الخلافة وراثية، وأنكر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر هذا التدبير. فكتب مروان بذلك إلى معاوية.

وتوافق هؤلاء الأربعة أنه إذا كانت الخلافة وراثية فإن حقهم فيها أكثر من حق يزيد. أما إذا كانت بالاختيار لأفضل المرشحين فإن يزيد يغدوبعيداً عن كل حق فيها لعدم وجود أي من الصفات المطلوبة فيه.

لكن بيعة الحجازيين كانت ضرورية، لأن الحجاز مهد الإسلام ويعيش فيه الصحابة وأبناؤهم. لذلك كان لابد لمعاوية من الإقدام على عمل ما لتأمين هذه البيعة، فرأى أن يستعمل اللين أولا مع المعارضين، فقدم بنفسه إلى المدينة في عام (٥٥٠هـ/ ٦٧٠م) واجتمع بالعبادلة أبناء الصحابة، وهم: عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير، وأبدي أمامهم رغبتهم في أخذ البيعة لابنه يزيد، فعارضوه، وفشل في استمالتهم. ويبدوأنه قرر أن يتجاوزهم، فعاد إلى دمشق وأخذ يعد العدة للحظة الحاسمة دون الالتفات إلى رأي المعارضين، خاصة وأن أهل الشام والعراق بايعوا يزيد.

وبدأ لمعاوية أن يحاول مرة أخرى قبل الإقدام على تنفيذ البيعة لابنه. واستخدام عامله على المدينة سعيد بن العاص وسائل العنف والغلظة لحمل المعارضين على ذلك، فأبطأوا عنها إلا اليسير منهم لا سيما بنوهاشم.

وفي عام (٥٥٦هـ/ ٦٧٦م) أعلن معاوية رسميا البيعة لابنه يزيد، وجرت احتفالات التنصيب في دمشق وكان الحجاز وحده غائباً عن المشاركة فيها.

وخشى معاوية من تطور المعارضة إلى عصيان، فتوجه إلى المدينة

ليضمن، عن طريقة شخصيته ومكانته، تحقيق النجاح في كسب تأييد أهلها وإرغام المعارضين على قبول البيعة لزيد.

وما كاد يصل إلى المدينة حتى غادرها المعارضون إلى مكة، وبايع من بقي فيها ليزيد. وقرر معاوية أن يجد السير في طلب المعارضين، وقد بلغ به الغضب أشده. وفي المسجد حيث اجتمع بهم، دافع ابن الزبير باسم رفاقه عن موقفهم الرافض، وجرى حوار فاشل، عندئذ أدرك أنه لا بد من اللجوء إلى التهديد بالعقاب بعد أن فشلت وسائل الإقناع.

واستطاع بالحنكة والشدة حمل المعارضين على الاعتراف بولاية العهد ليزيد، باستثناء الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير.

أما الشخصيات الأموية التي كانت تتطلع نحو الخلافة، فلم تثر أية مشاكل جدية في وجه معاوية، بفعل سياسته التي ابتعها تجاه هذه الشخصيات القائمة على التفرقة والإيقاع بينها، خاصة بين مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص واستطاع عن طريق شخصيته وأسلوبه السياسي تجاوزها. واقتنع المعارضون، أخيراً، أن الأحداث قد تجاوزتهم فمالوا إلى المهادنة.

أما فيما يتعلق بمبدأ تحويل نظام الحكم، فقد كان على معاوية إقناع الناس بقبول مبدأ الحكم الوراثي وتعيين ابنه يزيد، فهويمتلك القدرة على تنفيذ ما يريد، وتوظيف ثقله السياسي في إقناع المعارضين، وقد نجح في ذلك.

ومهما يكن من أمر، فقد خالف معاوية شروط الخلافة، وانتقل بها من خلافه إسلامية شورية إلى ملكية وراثية.

وهكذا تولى يزيد بن معاوية الخلافة قصرا وجبرا وخيانة للعهد المبرم بين ابية معاوية والحسن بن على وهكذا تغلب الفرع الاموى مرة اخرى على رقاب الامة الاسلامية كلها وعلى رقاب اسيادهم الذين طالما عاندوهم وصارعوهم وحقدوا عليهم بنى هاشم الاطهار المصطفين كما ذكرنا واهل بيت خاتم المرسلين ومن هنا يبدا اشنع الفصول فى هذة الدراما الممتدة على طول مائتين عام وهوقتل الحسين والتمثيل بجثتة فهيا بنا نرى ما حدث

قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الإمارة وكيفية مقتله

ولنبدأ قبل ذلك بشيء من ترجمته ثم نتبع الجميع بذكر مناقبه وفضائله.

هوالحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبوعبد الله، القرشي الهاشمي، السبط الشهيد بكربلاء ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء، وريحانته من الدنيا.

ولد بعد أخيه الحسن، وكان مولد الحسن في سنة ثلاث من الهجرة.

وقال بعضهم: إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل، وولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع.

وقال قتادة: ولد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ.

وقتل يوم الجمعة، يوم عاشوراء في المحرم سنة إحدى وستين، وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف رضي الله عنه.

وروي عن النبي ﷺ أنه حنكه وتفل في فيه ودعا له وسماه حسينا، وقد كان سماه أبوه قبل ذلك حربا.

وقيل: جعفرا.

وقيل: إنما سماه يوم سابعه وعق عنه.

وقال جماعة: عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه به ما بين أسفل من ذلك.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك الحزامي.

قال: كان وجه الحسن يشبه وجه رسول الله ﷺ، وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله ﷺ.

وروى محمد بن سيرين، وأخته حفصة، عن أنس.

قال: كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين، فجعل يقول بقضيب في

أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسنا.

فقلت له: إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ.

وقال سفيان: قلت لعبيد الله بن أبي زياد: رأيت الحسين؟

قال: نعم، أسود الرأس واللحية، إلا شعرات ههنا في مقدم لحيته، فلا أدري أخضب وترك ذلك المكان تشبها برسول الله ﷺ، أولم يكن شاب منه غير ذلك؟.

وقال ابن جريج: سمعت عمر بن عطاء قال: رأيت الحسين بن علي يصبغ بالوشمة، أما هوفكان ابن ستين سنة، وكان رأسه ولحيته شديدي السواد.

فأما الحديث الذي روي من طريقين ضعيفين أن فاطمة سألت رسول الله ﷺ في مرض الموت أن يَنْحَل ولديها شيئا فقال: «أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فله جُرأتي وجودي» فليس بصحيح، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب المعتبرة.

وقد أدرك الحسين من حياة النبي ﷺ خمس سنين أونحوها، وروى عنه أحاديث.

وقال مسلم بن الحجاج: له رؤية من النبي ﷺ.

وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل، عن أبيه أنه قال في الحسن بن علي: إنه تابعي ثقة، وهذا غريب فلأن يقول في الحسين إنه تابعي بطريق الأولى.

وسنذكر ما كان رسول الله ﷺ يكرمهما به، وما كان يظهر من محبتهما والحنوعليهما.

والمقصود: أن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهوعنه راضٍ، ولكنه كان صغيرا.

ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان، وصحب أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، في الجمل وصفين، وكان معظما موقرا، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل.

فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح شق ذلك عليه ولم يسدد رأي أخيه في ذلك، بل حثّه على قتل أهل الشام.

فقال له أخوه: والله لقد هممت أن أسجنك في بيتٍ وأطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك.

فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم، فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراما زائدا، ويقول لهما: مرحبا وأهلا، ويعطيهما عطاء جزيلا.

وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند، والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي.

فقال الحسين: والله لن تعطي أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلا أفضل منا.

ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد، في سنة إحدى وخمسين.

ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممن امتنع من مبايعته، هووابن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عمر، وابن عباس، ثم مات ابن أبي بكر وهومصمم على ذلك.

فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير، وخرجا من المدينة فارين إلى مكة فأقاما بها، فعكف الناس على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد.

وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاه عند الكعبة، وجعل يتردد في غبون ذلك إلى الحسين في جملة الناس، ولا يمكنه أن يتحرك بشيء مما في نفسه مع وجود الحسين، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه.

غير أنه قد تعينت السرايا والبعوث إلى مكة بسببه، ولكن أظفره الله بهم

كما تقدم آنفا، فانقشعت السرايا عن مكة مفلولين وانتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من اليزيديين.

وضرب أخاه عمرا وسجنه واقتص منه وأهانه، وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز، واشتهر أمره وبُعد صيته، ومع هذا كله ليس هومعظما عند الناس مثل الحسين.

بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لأنه السيد الكبير، وابن بنت رسول الله ﷺ، فليس على وجه الأرض يومئذٍ أحد يساميه ولا يساويه، ولكن الدولة اليزيدية كانت كلها تناوئه.

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم - وذلك حين بلغهم موت معاوية وولاية يزيد، ومصير الحسين إلى مكة فرارا من بيعة يزيد - فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهمذاني، وعبد الله بن والٍ معمها كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية.

فقدما على الحسين لعشر مضين من رمضان من هذه السنة، ثم بعثوا بعدهما نفرا منهم: قيس بن مسهر الضدائي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكوا الأرحبي، وعمارة بن عبد الله السلولي، ومعهم نحومن مائة وخمسين كتابا إلى الحسين.

ثم بعثوا هانئ بن هانئ السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي ومعهما كتاب فيه الاستعجال في السير إليهم، وكتب إليه شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم، وعمروبن حجاج الزبيدي، ومحمد بن عمر بن يحيى التميمي:

أما بعد: فقد أخضرت الجنان، وأينعت الثمار، ولطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجندة والسلام عليك.

فاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحسين، وجعلوا يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضا عن يزيد بن معاوية، ويذكرون في كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية، وينالون منه ويتكلمون في دولته، وأنهم لم يبايعوا أحدا إلى

الآن، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم.

فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتما وأمرا حازما محكما، بعث إليه ليركب في أهله وذويه، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه.

وكتب معه كتابا إلى أهل العراق بذلك، فلما سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فأخذ منها دليلين فسارا به على براري مهجورة المسالك.

فكان أحد الدليلين منهما أول هالك، وذلك من شدة العطش، وقد أضلوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له: المضيق، من بطن خبيت، فتطير به مسلم بن عقيل، فتلبث مسلم على ما هنالك ومات الدليل الآخر.

فكتب إلى الحسين يستشيره في أمره، فكتب إليه يعزم عليه أن يدخل العراق، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ويستخبر خبرهم.

فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له: مسلم بن عوسجة الأسدي.

وقيل: نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي فالله أعلم.

فتسامع أهل الكوفة بقدومه، فجاؤوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين، وحلفوا له لينصرنه بأنفسهم وأموالهم، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفا، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفا.

فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور، فتجهز الحسين من مكة قاصدا الكوفة كما سنذكره.

وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير خّبره رجل بذلك، فجعل يضرب عن ذلك صفحا ولا يعبأ به، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة، وأمرهم بالائتلاف والسنة.

وقال: إني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب عليّ، ولا آخذكم بالظنة، ولكن والله الذي لا إله إلا هولئن فارقتم إمامكم ونكثتم بيعته لأقاتلنكم ما دام في يدي من سيفي قائمته.

فقام إليه رجل يقال له: عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي.

فقال له: إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالغشمة، وإن الذي سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين.

فقال له النعمان: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون من الأقوياء الأعزين في معصية الله.

ثم نزل فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يعلمه بذلك، وكتب إلى يزيد عمارة بن عقبة، وعمروبن سعد بن أبي وقاص، فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة، وذلك بإشارة سرجون مولى يزيد بن معاوية، وكان يزيد يستشيره.

فقال سرجون: أكنت قابلا من معاوية ما أشار به لوكان حيا؟

قال: نعم!

قال: فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فوله إياها.

من هوعبيد الله بن زياد علية لعنة الله فهوابن الدعى زياد ابن أبية الذى أصبح بقدرة قادر زياد ابن أبي سفيان فقد استلحقة معاوية فى قصة مشهورة واصبحت تضاف إلى موبقات معاوية التى لا تنتهى

ولم يعجب هذا العمل السياسي خصوم معاوية، فتمسكوا بتسمية زياد بن أبيه وهاجموا معاوية بالشعر، ومن أشهر ما هوجم به مقالة يزيد بن المفرغ الحميري:

ألا أبلغ معاوية بن حـــرب مغلغلة عن الرجل اليمانـي

أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني؟

فاشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتانِ

حيث أن زياد هذا كان لة وزن سياسى كبير وبأس شديد فى الحرب وقد كان اختار جانب الامام علي ولكن معاوية كتب يستميلة إلى جانبة بهذة الحيلة

الملعونة التى تخالف الدين والسنة وهى نسبة الى ابوسفيان واقرارة ابن لة واخ لمعاوية وهواصلا ليس معلوم الاب فقد زنت أمة مع أكثر من شخص واذا كانت القصة التى تروى أن في إحدى المرات قص زياد إحدى معارك المسلمين فأعجب به الناس فقال أبوسفيان لعلي بن أبي طالب: أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى؟ فقال علي: نعم، قال أبوسفيان: أما أنه ابن عمك، قال وكيف ذلك؟ قال أبوسفيان: أنا قذفته في رحم أمه سمية. قال علي وما يمنعك أن تدعيه؟ فقال: أخشى الجالس على المنبر وكان الجالس هوعمر بن الخطاب

فحتى إن كان هوفعلا من زنا بسمية فلا يصح استلاحقة ونسبة لة فحديث النبى يقول الولد للفراش وللعاهر الحجر ولكن معاوية لا يعباء بكلام النبى حيث خاف معاوية منه فلجأ إلى الحيلة وذكر ما كان من أمر أبيه يومـًا، ومقالته في زياد، فأرسل إليه أنه سيقر بنسبه إلى أبيه، ويصبح اسمه زياد بن أبي سفيان، فوافق زياد، فصالحه واستقدمه إلى الشام واستلحقه بنسب أبيه أبوسفيان وكان ذلك سنة ٤٤ هـ. وقد أحدث زياد هذا احداث جسام فى الكوفة والبصرة عندما ولاة معاوية عليهما ولكن الان فلنعود إلى ابنة الملعون عبيدالله

وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد، وكان يريد أن يعزله عن البصرة، فولاه البصرة والكوفة معا لما يريده الله به وبغيره.

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل، فإن قدرت عليه فاقتله أوانفه، وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمروالباهلي، فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة.

فلما دخلها متلثما بعمامة سوداء، فجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قال: سلام عليكم.

فيقولون: وعليكم السلام مرحبا بابن رسول الله – يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه – وتكاثر الناس عليه، ودخلها في سبعة عشر راكبا.

فقال لهم مسلم بن عمرو: من جهة يزيد، تأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد، فلما علموا ذلك علتهم كآبة وحزن شديد، فتحقق عبيد الله الخبر، ونزل

قصر الإمارة من الكوفة.

فلما استقر أمره أرسل مولى أبي رهم – وقيل: كان مولى له يقال له: معقل – ومعه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص، وأنه إنما جاء لهذه البيعة، فذهب ذلك المولى فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها، وهي دار هانئ بن عروة التي تحول إليها من الدار الأولى.

فبايع وأدخلوه على مسلم بن عقيل فلزمهم أياما حتى اطلع على جلية أمرهم، فدفع المال إلى أبي ثمامة العامري بأمر مسلم بن عقيل – وكان هوالذي يقبض ما يؤتى به من الأموال ويشتري السلاح – وكان من فرسان العرب، فرجع ذلك المولى وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها.

وقد تحول مسلم بن عقيل إلى دار هانئ بن حميد بن عروة المرادي، ثم إلى دار شريك بن الأعور، وكان من الأمراء الأكابر، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته.

فبعث إلى هانئ يقول له: ابعث مسلم بن عقيل حتى يكون في داري ليقتل عبيد الله إذا جاء يعودني.

فبعثه إليه فقال له شريك: كن أنت في الخباء، فإذا جلس عبيد الله فإني أطلب الماء وهي إشارتي إليك، فاخرج فاقتله.

فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك وعنده هانئ بن عروة، وقام من بين يديه غلام يقال له مهران، فتحدث عنده ساعة.

ثم قال شريك: اسقوني، فتجبن مسلم عن قتله، وخرجت جارية بكوز من ماء، فوجدت مسلما في الخباء فاستحيت ورجعت بالماء ثلاثا.

ثم قال: اسقوني، ولوكان فيه ذهاب نفسي أتحمونني من الماء؟

ففهم مهران الغدر، فغمز مولاه فنهض سريعا وخرج.

فقال شريك: أيها الأمير، إني أريد أن أوصي إليك.

فقال: سأعود!

فخرج به مولاه فأركبه وطرد به - أي ساق به - وجعل يقول له مولاه: إن القوم أرادوا قتلك.

فقال: ويحك إني بهم لرفيق، فما بالهم؟

وقال شريك لمسلم: ما منعك أن تخرج فتقتله؟

قال: حديث بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الإيمان ضد الفتك، لا يفتك مؤمن»، وكرهت أن أقتله في بيتك.

فقال: أَما لوقتلته لجلست في القصر لم يستعد منه أحد وليكفينك أمر البصرة، ولوقتلته لقتلت ظالما فاجرا، ومات شريك بعد ثلاث.

ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهومتلثم ظنه النعمان بن بشير الحسين قد قدم، فأغلق باب القصر وقال: ما أنا بمسلم إليك أمانتي.

فقال له عبيد الله: افتح لأفتحنه، ففتح وهويظنه الحسين، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط في يده، فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة وأمر مناديا فنادى: إن الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد:

فإن أمير المؤمنين قد ولاني أمركم وثغركم وفيأكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدة على مريبكم وعاصيكم، وإنما أنا ممتثل فيكم أمره ومنفذ عهده.

ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية وأهل الريب والخلاف والشقاق، وأيما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أونفي، وأسقطت عرافته من الديوان - وكان هانئ أحد الأمراء الكبار - ولم يسلم على عبيد الله منذ قدم وتمارض، فذكره عبيد الله وقال: ما بال هانئ لم يأتني مع الأمراء؟

فقالوا: أيها الأمير إنه يشتكي.

فقال: إنه بلغني أنه يجلس على باب داره.

وزعم بعضهم: أنه عاده قبل شريك بن الأعور ومسلم بن عقيل عنده، وقد هموا بقتله فلم يمكنهم هانئ لكونه في داره.

فجاء الأمراء إلى هانئ بن عروة فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد، فالتفت عبيد الله إلى القاضي فقال متمثلا بقول الشاعر:

أريد حياته ويريد قتلي ❊ عذيرك من خليلك من مراد

فلما سلم هانئ على عبيد الله قال: يا هانئ أين مسلم بن عقيل؟

قال: لا أدري.

فقام ذلك المولى التميمي الذي دخل دار هانئ في صورة قاصد من حمص فبايع في داره، ودفع الدراهم بحضرة هانئ إلى مسلم.

فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم!

فلما رآه هانئ قطع وأسقط في يده.

فقال: أصلح الله الأمير، والله ما دعوته إلى منزلي، ولكنه جاء فطرح نفسه عليَّ.

فقال عبيد الله: فأتني به.

فقال: والله لوكان تحت قدمي ما رفعتها عنه.

فقال: أدنوه مني، فأدنوه فضربه بحربة على وجهه فشجه على حاجبه وكسر أنفه، وتناول هانئ سيف شرطي ليسله فدفع عن ذلك.

وقال عبيد الله: قد أحل الله لي دمك، لأنك حروري، ثم أمر به فحبسه في جانب الدار، وجاء قومه من بني مذحج مع عمروبن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل.

فسمع عبيد الله لهم جلبة، فقال لشريح القاضي وهوعنده: أخرج إليهم فقل لهم إن الأمير لم يحبسه إلا ليسأله عن مسلم بن عقيل.

فقال لهم: إن صاحبكم حي، وقد ضربه سلطاننا ضربا لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم.

فتفرقوا إلى منازلهم، وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره: يا منصور أمت.

فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، عبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هوفي القلب إلى عبيد الله، وهويخطب الناس في أمر هانئ ويحذرهم من الاختلاف، وأشراف الناس وأمراؤهم تحت منبره.

فبينما هوكذلك إذ جاءت النظارة يقولون: جاء مسلم بن عقيل، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب.

فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهددوهم وتوعدوهم.

وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك.

ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنك غدا بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم؟

فتخاذل الناس وقصّروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل، حتى لم يبق إلا في خمسمائة نفس.

ثم تقالّوا حتى بقي في ثلاثمائة، ثم تقالّوا حتى بقي معه ثلاثون رجلا، فصلى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة.

ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدله على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهووحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب.

فأتى بابا فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها: طوعة، كانت أم ولد للأشعث بن قيس، وقد كان لها ابن من غيره يقال له: بلال بن أسيد، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنتظره.

فقال لها مسلم بن عقيل: اسقني ماء فسقته، ثم دخلت وخرجت فوجدته.

فقالت: ألم تشرب؟

قال: بلى!

قالت: فاذهب إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أجمله لك.

فقام فقال: يا أمة الله ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة، فهل إلى أجر ومعروف وفعل نكافئك به بعد اليوم؟

فقالت: يا عبد الله وما هو؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغرّوني.

فقالت: أنت مسلم؟

قال: نعم!

قالت: ادخل! فأدخلته بيتا من دارها غير البيت الذي يكون فيه وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج، فسألها عن شأنها.

فقالت: يا بني اله عن هذا، فألح عليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحدا، فأخبرته خبر مسلم، فاضطجع إلى الصباح ساكتا لا يتكلم.

وأما عبيد الله بن زياد فإنه نزل من القصر بمن معه من الأمراء والأشراف بعد العشاء الآخرة، فصلى بهم العشاء في المسجد الجامع.

ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عقيل وحث على طلبه، ومن وجد عنده ولم يعلم به فدمه هدر، ومن جاء به فله ديته، وطلب الشرط وحثهم على ذلك

وتهددهم.

فلما أصبح ابن تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم، فجاء عبد الرحمن فسارّ أباه بذلك وهوعند ابن زياد.

فقال ابن زياد: ما الذي سارّك به؟

فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال: قم فأتني به الساعة.

وبعث ابن زياد عمر بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن، ومحمد بن الأشعث في سبعين أوثمانين فارسا، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هوفيها.

فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات، وأصيبت شفته العليا والسفلى.

ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب فضاق بهم ذرعا، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم.

فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده، وجاؤوا ببغلة فأركبوه عليها وسلبوا عنه سيفه، فلم يبق يملك من نفسه شيئا.

فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول، فيئس من نفسه، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال بعض من حوله: إن من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي إذا نزل به هذا.

فقال: أما والله لست أبكي على نفسي، ولكن أبكي على الحسين، وآل الحسين، إنه قد خرج إليكم اليوم أوأمس من مكة، ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال: إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل.

فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع فلم يصدق الرسول

في ذلك، وقال: كل ما حم الإله واقع.

قالوا: ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر، إذا على بابه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤذن لهم على ابن زياد، ومسلم مخضب بالدماء في وجهه وثيابه، وهومثخن بالجراح، وهوفي غاية العطش، وإذا قلة من ماء بارد هنالك فأراد أن يتناولها ليشرب منها.

فقال له رجل من أولئك: والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم.

فقال له: ويلك يا ابن ناهلة، أنت أولى بالحميم والخلود في نار الجحيم مني.

ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكلال والعطش، فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط مولى له إلى داره فجاء بقلة عليها منديل، ومعه قدح.

فجعل يفرغ له في القدح ويعطيه فيشرب فلا يستطيع أن يسيغه من كثرة الدماء التي تعلوعلى الماء مرتين أوثلاثا، فلما شرب سقطت ثناياه مع الماء.

فقال: الحمد لله لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماء.

ثم أدخل على ابن زياد، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه.

فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير؟!

فقال: لا! إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه، وإن لم يرد قتلي فسأسلم عليه كثيرا.

فأقبل ابن زياد عليه فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم على قتل بعض؟

قال: كلا لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوإلى حكم الكتاب.

قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة

تشرب الخمر؟.

فقال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنك قلت بغير علم، وأنت أحق بذلك مني، فإني لست كما ذكرت، وإن أولى بها مني من يلغ في دماء المسلمين ولغا، ويقتل النفس التي حرم الله بغير نفس، ويقتل على الغضب والظن، وهويلهوويلعب كأنه لم يصنع شيئا.

فقال له ابن زياد: يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه، ولم يرك أهله.

قال: فمن أهله يا ابن زياد؟

قال: أمير المؤمنين يزيد.

قال: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكما بيننا وبينكم.

قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئا؟

قال: لا والله ما هوبالظن ولكنه اليقين.

قال له: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس.

قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم.

وأقبل ابن زياد يشتمه، ويشتم حسينا وعليا، ومسلم ساكت لا يكلمه.

رواه ابن جرير، عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة.

ثم قال له ابن زياد: إني قاتلك.

قال: كذلك؟

قال: نعم.

قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي.

قال: أوص.

فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص.

فقال: يا عمر إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سر فقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك. فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد.

فقام فتنحى قريبا من ابن زياد، فقال له مسلم: إنّ عليّ دينا في الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين، فإني كنت كتبت إليه أن الناس معه، ولا أراه إلا مقبلا.

فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له، فأجاز ذلك له كله.

وقال: أما الحسين فإنه لم يردنا لا نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه.

ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد إلى أعلا القصر، وهويكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا.

ثم ضرب عنقه رجل يقال له: بكير بن حمران، ثم ألقي رأسه إلى أسفل القصر، وأتبع رأسه بجسده.

ثم أمر بهانئ بن عروة المذحجي فضربت عنقه بسوق الغنم، وصُلب بمكان من الكوفة يقال له: الكناسة.

فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة:

فان كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري * إلى هانئ في السوق وابن عقيل

أصابهما أمر الإمـــــام فأصبحـا * أحاديث من يغشى بكل سبيل

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهـــه * وآخر يهوي في طمار قتيـــل

ترى جسدا قـــد غير الموت لونه * ونضح دمٍ قد سال كلّ مسيل

فإن أنتـــم لـــم تثأروا بأخيكـم * فكونوا بغيـا أرضيت بقليل

ثم إن ابن زياد قتل معهما أناسا آخرين، ثم بعث برؤوسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام، وكتب له كتابا صورة ما وقع من أمرهما.

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة بيوم خطب أهلها خطبة بليغة، ووعظهم فيها وحذرهم، وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والتفرق.

وذلك لما رواه هشام بن الكلبي وأبومخنف، عن الصقعب بن زهير، عن أبي عثمان النهدي.

قال: بعث الحسين مع مولى له يقال له: سلمان كتابا إلى أشراف أهل البصرة فيه:

أما بعد:

فإن الله اصطفى محمدا على خلقه وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وورثته وأحق الناس به وبمقامه في الناس.

فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم.

وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، فتسمعوا قولي وتطيعوا أمري، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله.

وعندي في صحة هذا عن الحسين نظر، والظاهر أنه مطرز بكلام مريد من بعض رواة الشيعة.

قال: فكل من قرأ ذلك من الأشراف كتمه إلا المنذر بن الجارود فإنه ظن أنه دسيسة من ابن زياد، فجاء به إليه، فبعث خلف الرسول الذي جاء به من حسين فضرب عنقه، وصعد عبيد الله بن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد:

فوالله ما بي تقرن الصعبة، وما يقعقع لي بالشنان، وإني لنكال لمن عاداني، وسهام لمن حاربني، أنصف القارة من رماها.

يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والإرجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه، ولآخذن الأدنى بالأقصى.

حتى يستقيم لي الأمر، ولا يكن فيكم مخالف ولا مشاقق، أنا ابن زياد أشبهته من بين مَنْ وطئ الحصى، ولم يتنزعني شبه خالٍ ولا عمٍ.

ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمروالباهلي فكان من أمره ما تقدم.

قال أبومخنف: عن الصقعب بن زهير، عن عون بن جحيفة قال: كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة، وذلك يوم عرفة سنة ستين.

وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصدا أرض العراق بيوم واحد، وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة.

وخرج من مكة لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية.

وفي رواية ذكرها ابن جرير: أن مسلم بن عقيل لما بكى قال له عبيد الله بن عباس السلمي: إن من يطلب مثل ما تطلب لا يبكي إذ أنزل به مثل الذي نزل بك.

قال: إني والله ما لنفسي أبكي، ومالها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفا، ولكنني أبكي لأهلي المقبلين إلى الكوفة، أبكي الحسين وآل حسين.

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبد الله! إني والله أراك ستعجز عن أماني، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث رجلا على لساني يبلغ حسينا عني رسالة؟

فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم أوغدا هووأهل بيته، وإن ما تراه من

جزعي لذلك، فتقول له: إن ابن عقيل بعثني إليك وهوفي أيدي القوم أسير لا يدري أيصبح أم يمسي حتى يقتل.

وهويقول لك: ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أوالقتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لكاذب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أني قد أمنتك.

قال أبومخنف: فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائي من بني مالك بن ثمامة – وكان شاعرا – فقال له: اذهب فالق حسينا فأبلغه هذا الكتاب – وكتب فيه الذي أمره به ابن عقيل – ثم أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره.

فخرج حتى لقي الحسين بزبالة، لأربع ليال من الكوفة فأخبره الخبر وأبلغه الرسالة.

فقال الحسين: كل ما حم نازل، عند الله نحتسب وأنفسنا وفساد أئمتنا وأمضى فى طريقة إلى كربلاء أوكرب وبلاء كما قال.

تعدّ واقعة الطف من أكثر المعارك جدلًا في التاريخ الإسلامي فقد كان لنتائج وتفاصيل المعركة آثار سياسية ونفسية وعقائدية لا تزال موضع جدل إلى الفترة المعاصرة، حيث تعدّ هذه المعركة أبرز حادثة من بين سلسلة من الوقائع التي كان لها دور محوري في صياغة طبيعة العلاقة بين السنة والشيعة عبر التاريخ وأصبحت معركة كربلاء وتفاصيلها الدقيقة رمزا للشيعة ومن أهم مرتكزاتهم الثقافية وأصبح يوم ١٠ محرم أويوم عاشوراء، يوم وقوع المعركة، رمزًا من قبل الشيعة «لثورة المظلوم على الظالم ويوم انتصار الدم على السيف».

رغم قلة أهمية هذه المعركة من الناحية العسكرية إلا أن هذه المعركة تركت آثارًا سياسية وفكرية ودينية هامة. حيث أصبح شعار «يا لثارات الحسين» عاملًا مركزيًا في تبلور الثقافة الشيعية وأصبحت المعركة وتفاصيلها ونتائجها

تمثل قيمة روحانية ذات معاني كبيرة لدى الشيعة، الذين يعتبرون معركة كربلاء ثورة سياسية ضد الظلم. بينما أصبح مدفن الحسين في كربلاء مكانًا مقدسًا لدى الشيعة يزوره مؤمنوهم، مع ما يرافق ذلك من ترديد لأدعية خاصة أثناء كل زيارة لقبره. أدى مقتل الحسين إلى نشوء سلسلة من المؤلفات الدينية والخطب والوعظ والأدعية الخاصة التي لها علاقة بحادثة مقتله وألفت عشرات المؤلفات لوصف حادثة مقتله.

يعتبر الشيعة معركة كربلاء قصة تحمل معاني كثيرة كالتضحية والحق والحرية وكان لرموز هذه الواقعة حسب الشيعة دور في الثورة الإيرانية وتعبئة الشعب الإيراني بروح التصدي لنظام الشاه، وخاصة في المظاهرات المليونية التي خرجت في طهران والمدن الإيرانية المختلفة أيام عاشوراء والتي أجبرت الشاه السابق محمد رضا بهلوي على الفرار من إيران، ومهدت السبيل أمام إقامة النظام الإسلامي الشيعي في إيران وكان لهذه الحادثة أيضًا، بنظر الشيعة، دور في المقاومة الإسلامية في وجه الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان

لمّا بلغ عبيد الله بن زياد خروج الحسين من مكّة وأنّه توجّه نحوالعراق بعث الحُصين بن نُمير صاحب شرطته ومعه أربعة آلاف فنظّم الخَيْلَ من القادسيّة إلى خَفّان وما بين القَطْقُطانة إلى جبل لَعْلَع لمراقبة خطوط الحركة؛ لأنها مراكز ومحطّات لابُدَّ للمُتوجِّهين صوب العراق والشام أنْ يمرُّوا بها. ووجّه الحصين بن تميم الحر بن يزيد اليربوعي من بني رياح- وكان ضمن الأربعة آلاف- في ألف إلى الحسين، وقال: سايره ولا تدعه يرجع حتى يدخل الكوفة، وجعجع به، ففعل ذلك الحر بن يزيد.روى أبومخنف عن عبد الله بن سليم والمنذر ابن المشمعل الأسديين، قالا: كنّا نساير الحسين فنزل شراف وأمر فتيانه باستقاء الماء والإكثار منه، ثم ساروا صباحا، فلما انتصف النهار رأينا هوادي الخيل فسبقناهم إلى ذي حسم، فضربت ابنية الحسين، وجاء القوم فاذا الحر في ألف فارس فوقف مقابل الحسين في حرّ الظهيرة والحسين واصحابه معتمون متقلدوا أسيافهم، فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم ورشفوا الخيل.

ذكرت أكثر المصادر التاريخية أن ركب الحسين بن علي وصل إلى كربلاء يوم الخميس المصادف للثاني من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة. إلا الدينوري حيث ذهب إلى القول بانّ الحسين وصل إلى كربلاء يوم الأربعاء المصادف لأول يوم من شهر محرم. ولم يزل الحرّ يساير الحسين، وكلمّا أراد المسير، يمنعونه تارة ويسايرونه أخرى حتّى بلغ كربلاء، فلمّا وصلها، قال: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: كربلاء. فقال: اللهمَّ، إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء. وكان علي بن أبي طالب قد مرَّ بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين، فوقف فسأل عنه، فأُخبر باسمه، فقال: ها هنا محطّ ركابهم، وها هنا مهراق دمائهم! فَسُئل عن ذلك، فقال: ثقل لآل بيت محمّد ﷺ، ينزلون هاهنا!. وقال الحسين: انزلوا، فها هنا مَحطُّ رحالنا، وسفك دمائنا، ومقتل رجالنا. ثمّ أمر الحسين بأثقاله، فحُطَّت بذلك المكان يوم الخميس الثاني من المحرم من سنة إحدى وستين وقيل يوم الأربعاء، غُرّة المحرّم من سنة إحدى وستين. وروي أنّ الحسين جمع ولده وإخوته وأهل بيته، ثم نظر إليهم فبكى ساعة، ثم قال: «اللهم إنا عترة نبيك محمد ﷺ وقد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنوأمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا، وأنصرنا على القوم الظالمين». ثم أقبل على أصحابه، فقال: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون». وجاء في بعض الروايات إن أبا عبد الله اشترى الأرض المحيطة بقبره من أهل نينوى والغاضرية بمبلغ ستّين ألف درهم، ودفعها لهم صدقة بشرط أن يدلّوا الناس على قبره ويضيّفون القادم لزيارة قبره لثلاثة.ولما نزل الحسين وأصحابه كربلاء في الثاني من المحرم كتب الحرّ بن يزيد الرياحي إلى عبيد الله بن زياد بالخبر فكتب عبيد الله بن زياد كتابًا إلى الحسين يقول فيه: أما بعد، إنّ يزيد بن معاوية كتب إليَّ أن لا تغمض جفنك من المنام، ولا تشبع بطنك من الطعام أويرجع الحسين على حكمي، أوتقتله والسلام. فلما ورد الكتاب قرأه الحسين ثم رمى به ثم قال: «لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق». فقال له الرسول: «أبا عبد الله! جواب الكتاب؟». قال: «ما له عندي جواب، لأنّه قد حقّت عليه كلمة العذاب». فأخبر الرسول ابن زياد بذلك، فغضب من ذلك أشدّ الغضب وأمر بإعداد الجيش لمحاربة الحسين.

كان وصول عمر بن سعد إلى كربلاء في الثالث من المحرّم على رأس أربعة آلاف مقاتل من الكوفيين.وقد سجل المؤرخون في كيفية تولي عمر بن سعد مهمة محاربة الحسين، بانّه: حينما علم عبيد الله بن زياد بموقف الحسين من كتابه التفت إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، وقد كان عمر بن سعد قبل ذلك بأيام قد عقد له عبيد الله بن زياد عقدًا وولاه الريّ ودستبي وأمره بحرب الديلم، فخرج متوجها إليها ولما بلغ حمام أعين عسكر هناك ومعه أربعة آلاف، فلمّا كان ذلك اليوم استدعاه ابن زياد فقال له: «أريد أن تخرج إلى قتال الحسين بن علي، فإذا نحن فرغنا من شغله سرت إلى عملك إن شاء الله». فقال له عمر: «أيّها الأمير! إن أردت أن تعفيني من قتال الحسين بن علي فافعل!» فقال: «قد عفيتك فاردد إلينا عهدنا الذي كتبناه لك واجلس في منزلك نبعث غيرك».، فقال له عمر: «أمهلني اليوم، ولما رأى إصراره رضي بالمسير إلى كربلاء» وتوجّه بمعيّة الأربعة آلاف في اليوم الثاني نحوكربلاء.

وما أن حلّ اليوم السابع من المحرم حتى كتب ابن زياد إلى ابن سعد: «أنْ حِل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يذوقوا منه قطرة». فبعث عمر بن سعد في الوقت عمروبن الحجّاج في خمسمئة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ومنعوهم أن يستقوا منه قطرة.وجاء في بعض المصادر أنّه لما اشتد العطش على معسكر الحسين قيض الحسين أخاه العباس لهذه المهمة وأمره أن يستقي للحرائر والصبية وضم إليه عشرين راجلا وثلاثين فارسًا وقصدوا الفرات بالليل، وتقدم نافع بن هلال الجملي باللواء فصاح عمروبن الحجاج: «من الرجل؟» قال: «جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه». وصاح نافع بأصحابه املأوا أسقيتكم فشدّ عليهم أصحاب ابن الحجاج فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض كقمر بني هاشم ونافع بن هلال الجملي يقاتل فجاؤوا بالماء إلى معسكر الحسين.

لما تكاملت الجيوش في صحراء كربلاء أرسل الحسين عمروبن قرظة الأنصاري إلى ابن سعد يطلب الاجتماع معه ليلا بين المعسكرين، فخرج كل منهما في عشرين فارسا وأمر الحسين من معه أن يتأخر إلا العباس وابنه عليا الأكبر وفعل ابن سعد كذلك وبقي معه ابنه حفص وغلامه. فقال الحسين: «يا

ابن سعد أتقاتلني أما تتقي الله الذي إليه معادك؟! فأنا ابن من قد علمت! ألا تكون معي وتدع هؤلاء فإنه أقرب إلى الله تعالى؟».ولما امتنع ابن سعد من الاستجابة للحسين وتذرع بحجج واهية منها الخوف من أن تهدم داره وتصادر ضيعته ويحجز ماله. ولما أيس منه الحسين قام وهويقول: «مالك ذبحك الله ذبحك على فراشك عاجلا ولا غفر لك يوم حشرك فوالله إني لأرجوأن لا تأكل من بر العراق إلا يسيرًا».

في اليوم التالي عبأ عمر بن سعد رجاله وفرسانه فوضع على ميمنة الجيش عمروبن الحجاج الزبيدي وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن وعلى الخيل عروة بن قيس وكانت قوات الحسين تتألف من ٣٢ فارسا و٤٠ راجلا من المشاة .

وأعطى رايته أخاه العباس بن علي وقبل أن تبدأ المعركة لجأ جيش ابن زياد إلى منع الماء عن الحسين وصحبه، فلبثوا أيامًا يعانون العطش.

بدأ رماة الجيش الأموي يمطرون الحسين وأصحابه بوابل من السهام وأصيب الكثير من أصحاب الحسين ثم اشتد القتال ودارت رحى الحرب وغطى الغبار أرجاء الميدان واستمر القتال ساعة من النهار ولما انجلت الغبرة كان هناك خمسين صريعا من أصحاب الحسين واستمرت رحى الحرب تدور في ميدان كربلاء وأصحاب الحسين يتساقطون الواحد تلوالآخر واستمر الهجوم والزحف نحومن بقي مع الحسين وأحاطوا بهم من جهات متعددة وتم حرق الخيام فراح من بقي من أصحاب الحسين وأهل بيته ينازلون جيش عمر بن سعد ويتساقطون الواحد تلوالآخر، ومنهم: ولده علي الأكبر، أخوته، عبد الله، عثمان، جعفر، محمد، أبناء أخيه الحسن أبوبكر، والقاسم، والحسن المثنى، ابن أخته زينب، عون بن عبد الله بن جعفر الطيار، آل عقيل: عبد الله بن مسلم، عبد الرحمن بن عقيل، جعفر بن عقيل، محمد بن مسلم بن عقيل، عبد الله بن عقيل.

بدأت اللحظات الأخيرة من المعركة عندما ركب الحسين جواده يتقدمه أخوه العباس بن علي بن أبي طالب حامل اللواء. إلا أن العباس ذهب إلى بحر

العلقمي وهوجزء من نهر الفرات ليأخذ الماء إلى الحسين واصحابه ولكن العباس لم يستطع ان يشرب شربة ماء واحدة إثارًا لأخوه الحسين وسرعان ما وقع صريعا من جنود العدوولم يبق في الميدان سوى الحسين الذي أصيب بسهم فاستقر السهم في نحره، وراحت ضربات الرماح والسيوف تمطر جسده، وحسب رواية الشيعة فإن شمر بن ذي جوشن قام بفصل رأس الحسين عن جسده بضربة سيف كما وانهم جعلوخيلاً تسمى بخيل الاعوجي تمشي وتسير فوق جسد الحسين بن علي وكان ذلك في يوم الجمعة من عاشوراء في المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة وله من العمر ٥٦ سنة. ولم ينج من القتل إلا علي بن الحسين، فحفظ نسل أبيه من بعده.قتل الحسين وجميع صحبه وبعض أهل بيته، وتذكر بعض الروايات خاصة الشيعية أن النساء والأطفال سيقوا إلى يزيد بن معاوية في الشام، بينما تذكر المصادر الأخرى أن النساء والأطفال عادوا إلى المدينة المنورة.

هناك الكثير من التضارب حول التفاصيل الدقيقة لوقائع المعركة وماحدث بعد المعركة ولايوجد مصادر محايدة يمكن الاعتماد عليها ولكن هناك إجماع على أن رأس الحسين قد قطع وتم إرساله مع نساء أهل بيت الحسين إلى الشام إلى بلاط يزيد بن معاوية فبعض المصادر تشير إلى أنه أهان نساء آل بيت النبي محمد بن عبد الله وأنهن أخذن إلى الشام مسبيات وأُهِنّ هناك ولكن هناك مصادر أخرى على لسان ابن تيمية تقول نصا «إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك، وظهر البكاء في داره ولم يسب لهم حريما بل أكرم بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم» وهذه الرواية يرفضها الشيعة وبعض من أهل السنة.هنالك أيضا جدل أزلي حول من كان المسؤول عن قتل الحسين، ففي نظر الشيعة والذي يوافق بعض المؤرخين من أهل السنة مثل ابن كثير في البداية والنهاية، وابن الأثير في الكامل، وابن خلدون في العبر والإمام الذهبي في تاريخ الإسلام فإن يزيد لم يكن ملتزما بمبادئ الإسلام في طريقة حياته وحكمه وكان هوالمسؤول الأول عن مقتل الحسين.

على مسئولية يزيد عن دم الحسين (ﷺ) -ونستعرض في هذا الدليل النصوص التي تدلُّ على انّ قتل الحسين (ﷺ) كان بايعازٍ من يزيد بن معاوية بقطع النظر عن انَّ الأمر بالقتل كان منوطاً بعدم البيعة فحسب أومنوطاً بعدم البيعة بالإضافة إلى الدخول مع بني امية في مواجة.

النص الأول: ما نقله جمعٌ من المؤرخين من انَّ عبد الله بن عباس بعث برسالةٍ إلى يزيد بن معاوية، وهي رسالة طويلة نذكرُ منها موضع الحاجة: (من عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية أما بعد... وانت قتلت حسيناً بفيك الكثكث ولك الاثلب... لا تحسبني لا أباً لك نسيتُ قتلَك حُسيناً وفتيانَ بني عبد المطلب مصابيح الدجى ونجوم الأعلام ، غادرهم جنودك مصرَّعين في صعيد ، مرمَّلين بالتراب ، مسلوبين بالعراء ، لا مكفَّنين ، تُسفي عليهم الرياح وتعاورهم الذئاب ، وتنشي بهم عرج الضباع حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم فأجنُّوهم في أكفانهم، وبي والله وبهم عززتَ وجلست مجلسك الذي جلستَ يا يزيد).

وهذا النصُّ كما تلاحظون صريحٌ جداً، حيثُ نسب ابنُ عباس(رحمه الله) قتلَ الحسين (ﷺ) إلى يزيد في رسالته إليه مرَّتين حيثُ قال في موضع منها : (وأنتَ قتلتَ حُسيناً) وقال في موضع آخر من الرسالة : (لا تحسبني لا أبا لك نسيتُ قتلَك حُسيناً)، ثم انَّ ابن عباس حمَّل يزيد تبعاتِ كلِّ ما جرى على الحسين (ﷺ) وأصحابه وعائلته.

ولا يخفى على أحدٍ انَّ مثل ابن عباس لا يتجنَّى على أحدٍ ولا ينسب لأحدٍ جُرماً لم يرتكبه خصوصاً وانَّ ابن عباس يواجه يزيد بهذه النسبة مواجهة غير آبهٍ بسلطانه وسطوته رغم انَّ دواعي المداراة تقتضي السكوت عن ذلك، على انَّه لوكان يزيد في موقع ضعف فإنَّ جلالة ابن عباس وورعه تأبى عن أنْ ينسب لأحدٍ جُرماً لم يرتكبه فهوالصحابيُّ الجليل بل هومن ألمع الصحابة وأعلمهم بحدود الله جلَّ وعلا فمثله لا يتكلَّم بغير علم.

ثم انَّ بعض الكتاب شكك في صحة هذه الرسالة وقال: أحسبُ انَّها منتحلة على عبد الله بن عباس، وبرَّر ذلك بأنَّه كيف يمكن لابن عباس أن يُواجه يزيد

بمثل ذلك والحال انَّ يزيد لا زال في سلطانه وصاحب قوَّة ومنعة، وابنُ عباس أكيس من أنْ يصدر عنه مثل هذا الكلام.

والجواب عن هذا الإشكال: واضح، إذ انَّه لوتمَّ هذا لكان يقتضي نسف كلِّ النصوص الكثيرة التي دلَّت على انَّ رجالاً واجهوا ملوكـًا أولي قوة وسطوة بأشدَّ من هذه المواجهة، فهذا التاريخ يعجُّ بمثل هذه المواقف، فإنَّ الدنيا لا تخلومن أصحاب النفوس الأبية والأنوف المتشامخة، فقضيَّة حجر بن عدي٢ سار بخبرها الركبان وتناقلتها كتب التاريخ دون استثناء ، وغير خافٍ على هذا الكاتب الملاحم التي سطَّرها التاريخ لصحابة رسول الله ﷺ في بدء الدعوة في مكة المكرمة.

ولا أدري ما هورأي هذا الكاتب في الحسين بن علي (رضي الله عنه) حينما واجه يزيد وعبيد الله بن زياد، ألم يكن أبوعبد الله الحسين (رضي الله عنه) في نظر هذا الكاتب كيِّسـًا، وهل الكياسة تقتضي دائمـًا المُداهنة والمداراة ؟!.

ثم انَّ الملاحِظ للظروف التي صدرت فيها هذه الرسالة يعرف انَّ يزيد حينذاك لم يكن من القوة بحيث يمكنه البطش بعبد الله بن عباس، فالضعف السياسي والعسكري الذي انتاب دولة يزيد لا تخفى على مَن له أدنى تأمُّل في ظروف صدور هذه الرسالة. ولوكنَّا بصدد هذا البحث لشرحنا ذلك مفصلاً.

النص الثاني: ماذكره الطبري، وهذا نصُّه : (فلمَّا نظر يزيد إلى رأس الحسين قال:

يُفلِّقنَ هامـًا من رجال أعزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما)

وذكر ابن الاثير في الكامل ماهذا نصُّه : (ثم أذِن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهوينكتُ به ثغره ثم قال: إنَّ هذا وايَّانا كما قال الحصين بن الحمام:

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفت قواضبُ في أيماننا تقطرُ الدما

يُفلِّقنَ هامـًا من رجالٍ أعـــزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما)

وقد ذكر المسعوديُّ في مروج الذهب هذا النصَّ: (فوضع الرأس بين يديه

فاقبل ينكتُ بالقضيب في فيه ويقول:

نفلِّقُ هاماً من رجال أحبةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما)

ونقل سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص عن ابن ابي الدنيا: (انه لمَّا نكت بالقضيب ثناياه أنشد لحصين بن الحمام المرِّى:

صبرنا وكان الصبر منا سجيَّةً بأسيافنا تفرين هاماً ومعصما

نفلِّق هاماً من رؤوسِ أحبةٍ الينا وهم كانوا أعــقَّ وأظلما

قال مجاهد: فوالله لم يبقَ في الناس أحدٌ إلاّ سبَّه وعابَه وتركَه.

وروى ابنُ ابي الدنيا عن الحسن البصري قال: ضرب يزيدُ رأس الحسين ومكاناً كان يُقبِّله رسولُ الله ﷺ.

وهذه النصوص التي ذكرنا بعضها تعبِّر وبأجلى تعبير عن أنَّ قتل الحسين (ﷺ) كان بأمر من يزيد بن معاوية، فإنَّ قرع ثنايا الحسين(ﷺ) بالقضيب لا يُناسب من كان متجافياً وكارهاً لقتل الحسين (ﷺ)، وهل هناك تعبيرٌ عن التشفِّي أبلغ من هذا التعبير، فقرعُ ثنايا ابي عبد الله (ﷺ) يُعطي بأنَّ يزيد كان قد بلغ به الحنَق والغضب على الحسين (ﷺ) بحيث أخذ يتصرَّف تصرفات غير عقلائيَّة.

فما معنى أن ينكت ثنايا الحسين(ﷺ) ويقرعها بقضيبه غير الغطرسة والعنجهيَّة والتي خدشها الحسين (ﷺ) بإبائه البيعة له.

ثم ما معنى هذا الشعر الذي تمثَّل به والذي نقله أكثرُ المؤرِّخين، فإنَّ من له أدنى فهم بكلام العرب يعرف انَّ يزيد قصد من هذه الابيات الفخر والاعتزاز والتبختر، فهويُعبِّر عن انَّه حقيقٌ بهذا الانجاز الذي لا يجسر عليه غيره، فهوقد قتل رجلاً منيعاً عزيزاً بلغت عزَّتُه حداً تتصاغر أمامها العظماء وتتلكأ عن مسِّها جبابرةُ الرجال وتنثني عن مطاولتها أُنوف الأبطال، ولعمري ليس في الدنيا أدعى من هذا الفخر والاعتزاز، وهل من نشوةٍ تعدلُ هذه النشوة.

فيزيد يأبى ان يُنسب هذا الانجاز لغيره، فهوالذي فلقَ هامة هذا الطود

الشامخ وهوالذي أخذ النصَفَ من الحسين – على حدِّ تعبيره – فحقَّ له أنْ ينتشي وحقَّ له أنْ يتباهى فلا شيء يُدغدغ كبرياءه سوى دم الحسين (رضي الله عنه)، فلوأمكنه لعبَّر بكلِّ عضوٍ من أعضائه عن هذه النشوة، فلسانُه وتقريعه لا تنسابان حجم البهجة التي انطوت عليها مشاعر يزيد، فهوقد تمنَّى لوكان لكلِّ جارحةٍ منه لسان يُعبِّر عن مستوى الحرارة التي أطفئتها دماءُ الحسين (رضي الله عنه) المتخثِّرة على شيبته، وودَّ لوانَّ تلك الدماء تمسحُ جراحات روحه المتهرئة علَّها تكون بلسماً ينتجع به ومرهماً يُبرِّد لهيبها المُستعر.

ثم انَّكم تلاحظون انَّ البيت الاول الذي تمثَّل به يزيد – بحسب نقل ابن الاثير – يُعبِّر عن المبرِّر الذي دعى يزيد لقتل الحسين رضي الله عنه وهوانَّ الحسين لم يُنصفه حينما لم يقبل ببيعته، فما كان إلاّ القواضب التي تقطر دماً تأخذ النصَف من الحسين ليزيد.

وتلاحظون انَّ القواضب المقطرة بالدم هي القواضب التي في أيمان يزيد، فلم تكن القواضب المسلولة هي قواضب غيره ويكون يزيد قد أدرك بها ثأره، وانَّما هي قواضب يزيد نفسه حيث نسبها لنفسه حينما قال : (قواضبُ في أيماننا تقطرُ الدما).

ثم انَّكم تلاحظون انَّ يزيد قد وصف الهاماتِ التي فلَّقها انَّها هاماتُ رجالٍ عقُّوه وظلموه وهذا ما

برَّر تفليقها، وأيُّ تعبيرٍ أبلغ من هذا النصِّ على مسئوليَّة يزيد عن دم الحسين رضي الله عنه بعدما تبختر وتبجَّح وعبَّر عن إرادته التامَّة بلسانه وتقريعه لثنايا أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه.

والعجب من بعض الكتَّاب انَّه أنكر أنْ يكون يزيد قد نكت ثنايا الحسين رضي الله عنه، إذ لا نفهم مبرِّراً لهذا الانكار بعد أنْ نقل هذا الحدث أكثرُ المؤرِّخين.

النص الثالث: ما ذكره الكامل لابن الاثير : (لمَّا وصل رأسُ الحسين حسُنت حالُ ابن زياد عنده وزاده ووصَله وسرَّه ما فعل ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بُغضُ الناس ولعنُهم وسبُّهم فندم على قتل الحسين فكان يقول وما عليَّ لواحتملتُ الاذى وأنزلتُ الحسين معي في داري وحكَّمته فيما يريد،

وإنْ كان عليَّ في ذلك وهنٌ في سلطاني حفظاً لرسول الله ﷺ ورعايةً لحقِّه وقرابته)٧.

ونقل الطبري في تاريخه : (لمَّا قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي ﷺ وبني أبيه بعث برؤوسهم إلى يزيد بن معاوية فسرَّ بقتلهم أولاً وحسنت بذلك منزلة عبيد الله عنده ثم لم يلبث إلاّ قليلاً حتى ندم على قتل الحسين ﷺ، فكان يقول ما كان عليَّ لواحتملتُ الاذى وأنزلتُه معي في داري وحكَّمته فيما يُريد وإنْ كان عليَّ في ذلك وكَفٌ ووهن في سلطاني حفظاً لرسول الله ﷺ ورعايةً لحقِّه وقرابته)٨.

وهذا النصُّ كما تلاحظون صريحٌ في اقرار يزيد على نفسه بقتل الحسين ﷺ، وهذا ما يُعبِّر عنه قوله : (وماذا عليَّ لواحتملتُ الاذى وأنزلتُ الحسين معي في داري).

وتلاحظون انَّ يزيد يُعبِّر عن ندمه فيما اقترفه في حقِّ الحسين ﷺ وحقِّ رسول الله ﷺ وانَّه كان الأجدر به أن يحتمل الوهن الذي سوف يدخل عليه في سلطانه والاذية التي سوف تنتابه، فهويُشير إلى المبرِّر الذي دعاه إلى قتل الحسين ﷺ.

فالمبرِّر الأول: هوانَّ بقاء الحسين ﷺ يُحطِّم كبرياءه وغطرسته، وهذا ما عبَّر عنه بالاذى.

والمبرِّر الثاني: هوانَّ بقاء الحسين ﷺ يُوهن من سلطانه.

فهذا النص يُلخِّص لنا الدوافع التي حدتْ بيزيد بن معاوية إلى اتِّخاذ هذا الخيار الصعب. وليس هناك من مبررٍ غير الذي ذكره يزيد في هذا النص، ولولم يكن قتل الحسين ﷺ بمشيئةٍ منه لكان أولى بأنْ يعتذر به خصوصاً انَّه في مقام التعبير عن ندمه والذي يقتضي إلتماس المعاذير المهدئة لغلواء النفس ساعة الندم.

فالندم -كما هوواضح- مرارة تعتلج النفس تستوجب اضطرابها، وحينها تبحث عن السبيل الذي يُعيد اليها قرارها. ولا أظنُّ انَّ هناك سبيل انجع من أنْ

تُدرك النفس عدم تورُّطها بالجرم الذي توهَّمت بادئ ذي بدء انَّها اقترفته إلاّ انَّه لمَّا كانت نفس يزيد تُدرك انَّه لا أحد غير صاحبها مسئول عن دم الحسين ﷺ ألجئته إلى أنْ يعترف بذلك.

ثم ما الذي أوجب أن تستفيقَ نفسُ يزيد من نشوتها بعد أنْ كان مسروراً بقتل الحسين ﷺ ممَّا حدى به أن يُجزل العطاء لعبيد الله بن زياد وتَحسن منزلته عنده.

فنقول: انَّ ذلك يجيب عليه النص الذي ذكر في الكامل لابن الاثير وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي وكذلك الطبري -وانْ كنا لم نذكره خشية الإطالة- حيث انَّه صرَّح انَّ منشأ ندمه هوما رآه وسمعه من سخط الناس عليه ولعنهم له، فهوقد رأى بأُمِّ عينه الصحابي الجليل أبا برزة الأسلمي٩وهوساخطٌ عليه وسمع توبيخه له حينما أخذ ينكتُ ثغر الحسين ﷺ بقضيبه، وقد ذكر هذا الحدث جمعٌ من المؤرخين منهم الطبري وهذا نصُّ ما جاء في تاريخه.

(ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب، فهوينكت به في ثغره، ثم قال : انَّ هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المرِّي:

يفلِّقن هاماً من رجال أحبَّةٍ***الينا وهم كانكانوا أعقَّ وأظلما

قال: فقال رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يُقال له أبوبرزة الأسلمي أتنكت بقضيبك ثغر الحسين، أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربما رأيتُ رسول الله ﷺ يرشفُه، أما انَّك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زيادٍ شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمّد ﷺ شفيعه، ثم قام فولّى)١٠.

هذا الموقف وأمثاله وما تناهى إلى مسامع يزيد من سخط الناس ولعنهم ايّاه هوالذي أوجب أنْ يفيق يزيدُ من نشوته.

ثم إنَّ هذا النص - الثالث - الذي نقلناه لك يُعبَّر أبلغ تعبير عن الحالة التي كان عليها الناس بعد مقتل الحسين ﷺ، فهم انَّما يشتمون يزيداً ويلعنون يزيداً، وما ذلك إلا لأنَّهم يرون انَّه المسئول عن قتل الحسين ﷺ، ومن الواضح انَّ ذلك لا ينشأ جزافاً، وانَّما نشأ عن اطلاعهم التام على مسئوليته

عن دم الحسين ﷺ، وهذا دليل آخر على ما نروم إثباته، وذلك لانَّهم أقرب إلى الحدث فيكون اطَّلاعهم على ملابساته عن كثب.

ثم انَّه قد يُقال إنَّ يزيد -كما نصَّ الطبري وكذلك غيره- قد نسب قتل الحسين إلى عبيد الله بن زياد. فنقول إنَّ هذا ما سوف نجيب عليه في بحث مستقل فانتظر.

النص الرابع: ما ذكره الطبري : (قال ولمَّا جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثم دعا بعليِّ بن الحسين وصبيان الحسين ونساءه فأُدخلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعليٍّ ﷺ أبوك الذي قطعَ رحمي وجهل حقِّي ونازعني سلطاني فصنع اللهُ به ما قد رأيت)١١.

ونقل الطبري في محلٍّ آخر ما هذا نصُّه : قال فلمَّا نظر يزيد إلى رأس الحسين... ثم قال أتدرون من أين أتى هذا قال: أبي عليٌّ خيرٌ من أبيه وامِّي فاطمة خيرٌ من أُمِّه ، وجدِّي رسول الله خير من جدِّه وأنا خيرٌ منه وأحقُّ بهذا الأمر... فلعمري إنَّما أتي من قبل فقهه ولم يقرأ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٢. ١٣

وتلاحظون انَّ يزيد في نصِّ الطبريِّ الاول يُبرِّر إقدامه على قتل الحسين ﷺ وانَّه جهل حقَّه ونازعه سلطانه، وهما نفس المبرِّرين اللذين ذكرهما يزيد في النصِّ الثالث - الذي نقلناه لك فيما سبق، وكان أحرى بيزيد لولم يكن هوالمتورِّط بدم الحسين ﷺ أنْ يعتذر عن قتله بأنَّ ذلك لم يكن بإرادته لا أنْ يعتذر عن القتل بانَّ الحسين كان مستحقِّـًا للقتل لأنَّه جهل حقَّه ونازعه سلطانه وانَّ الله قد جازاه بأنْ قتله وكأنَّه يرى انَّه أكرم على الله من الحسين ﷺ.

وهكذا الكلام في النصِّ الآخر فإنَّ يزيد اعتذر عن استحقاق الحسين ﷺ للقتل بقوله: (فلعمري إنَّما أتى من قِبَل فقهه ولم يقرأ قل اللهم مالك الملك ، فلأنَّ الحسين ﷺ لم يكن مصيبـًا في فقهه فقتله الله عز وجل!!!

وتلاحظون انَّ هذا الإعتذار الذي التمسه يزيد إنَّما هواعتذار على اقدامه على قتل الحسين ﷺ، فكأنَّه يقول إنَّ الله قد قتل الحسين ﷺ على يديَّ لأنَّ

فقهه كان منافياً للقرآن فهوقد توهَّم أخصِّيته وأفضلية أبيه علينا والحال انَّ الله يقول: قل اللهم مالك الملك.

والذي يؤكِّد هذا الفهم وانَّ يزيد كان يرى انَّ الحسين ﷺ مستحقٌّ للقتل الحوار الذي دار بين يزيد وبين الامام عليِّ بن الحسين ﷺ كما نقله الطبري :(ثم أُدخل الاسارى اليه وفيهم عليُّ بن الحسين، فقال: ايهٍ يا علي... فقال عليٌّ ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ١٤ فقال يزيد ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوعَنْ كَثِيرٍ ﴾ ١٥)١٦.

فهذا النص يُعبِّر عن انَّ يزيد كان يرى انَّ الحسين

ثم انَّ هذا النصَّ مشتمل على قرينة مؤكِّدة على جرءة يزيد على انتهاك حرمات الله جلَّ وعلا، فإنَّكم تلاحظون انَّ يزيد دعا أشراف أهل الشام١٧ وأجلسهم حوله ثم دعا عليَّ بن الحسين ﷺ ونساء الحسين ﷺ فأُدخلوا عليه والناس ينظرون، ترى ما هومبرِّر هذا الفعل الشنيع الذي أقدم عليه يزيد؟!، وما الذي دعاه إلى أنْ يُدخل نساء الحسين ﷺ على هيئة الأُسارى إلى مجلس دعا اليه الرجال؟! ثم يخاطب عليَّ بن الحسين ﷺ خطاب توبيخ وتقريع: أبوك قطع رحمي أبوك جهل حقِّي أبوك نازعني سلطاني، وهل يصدر هذا من كارهٍ لقتل الحسين ﷺ أوكارهٍ لاقصاء عائلة الحسين إلى الشام؟!.

كلُّ ذلك يُعبِّر عن انّ اقصاء عائلة الحسين ﷺ إلى الشام كان بمحض إرادته وإلا فما معنى أن يعرضهم على الرجال ويُدخلهم مجلسه على هيئة السبايا ؟! حتى اجترأ أحد الجالسين واستوهب يزيد احدى اخوات الحسين ﷺ، والأنكى من ذلك هوجواب يزيد على السيدة زينب حينما وبَّخت ذلك الرجل – وقد ذكر هذا الحدث جمعٌ من المؤرخين منهم الطبري : (ثم انَّ رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين هبني هذه يعنيني فارعدت وفرقت... وأخذت بثياب اختي زينب... فقالت: كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله، فغضب فقال كذبتِ والله انَّ ذلك لي ولوشئتُ أن

أفعله لفعلت، قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أنْ تخرج عن ملَّتنا وتدين بغير ديننا، فغضب يزيد واستطار ثم قال: إيايَّ تستقبلين بهذا إنَّما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين ابي ودين أخي وجدِّي اهتديت أنتَ وأبوك وجدُّك، قال كذبت يا عدوَّة الله...).

وواضحٌ انَّ هذا النص لا يتناسب مع كراهية يزيد لإقصاء عائلة الحسين ﷺ إلى الشام بهيئة السبايا، وكيف يكون كارهـًا وقد عرضهم على الرجال وشتمهم وشتم الحسين وعليَّ بن أبي طالب ﷺ على انَّ بعض النصوص التاريخيَّة نصَّت على انَّ يزيد أدخل عائلة الحسين ﷺ في مجلسه ورأس الحسين ﷺ بين يديه.

وهذا نصُّ ماذكره ابنُ الاثير في الكامل : (ثم أُدخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه).

النص الخامس: ما نقله الخوارزمي في مقتل الحسين ﷺ قال: (لما اُدخل رأس الحسين وحرمه على يزيد بن معاوية وكان رأس الحسين بين يديه في طست جعل ينكت ثناياه بمخصَّرة في يده ويقول: (ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا) وذكر الابيات إلى قوله : (من بني أحمد ما كان فعل).

وذكر السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ماهذا نصه: (وأما المشهور عن يزيد في جميع الروايات: انَّه لمَّا حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام، وجعل ينكتُ عليه بالخيزران ويقول أبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا وقعة الخزرج من وقع الاسل

قد قتلنا القِرن من ساداتهم وعدلنا قتلَ بدر فاعتدل

قال الشعبي وزاد فيها يزيد فقال:

لعبت هاشـمُ بالملك فـلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

لستُ من خندف إنْ لم انتقم من بني أحمدَ ما كان فعل

قال: مجاهد: نافق.

وهنا يكشف يزيد عن سريرته وعن اضغانه المخبوءة وعن وتره الذي وتره به جدُّ الحسين ووالدُ الحسين حينما صرَّع أشياخه ببدر، ولم تكن هذه المرارة تُبارح فؤادَه المكلوم، فلقد كانت تقضُّ مضجعه كما كانت تؤرِّقُ أسلافه، فلم يكن من شيء يُطفئ هذا الغليل سوى دم الحسين ﷺ فحقٌ ليزيد أنْ يتمنَّى شهود أشياخه لهذا الحدث ، فلقد أثلج صدورهم وأدرك ثأرهم، فكم تمنَّى لوانَّ أشياخه ترمقُه وشفتاه تنفرج عن ابتسامة مثقلة أثقلتها قواضبُ والد الحسين، فلم يكن شبحُ عمِّه حنظلة يُغادر خلَده وسيف ابن أبي طالب وبريقه يخسفُ جماله. وكم تمنَّى على الدهر لويبعثُ له جدَّته الثكلى لتنتشق دمَ الحسين وتُلطِّخ به شعرها وجيدها علَّ شيئاً من ألمها يسكن، فحذارِ حذارِ أن يعاتبه أحدٌ على صنيعه، فهوالموتور وهوالمثكول وهوالمؤرَّقُ الكسير وهوالذي رُمّلت أُنوفُ آبائه في الوحل.

النص السادس: ما ذكره ابن الاثير في الكامل وكذلك الطبري في تاريخه، وهذا نصُّ ماجاء في الكامل: (إنَّ آل الحسين لما وصلوا الكوفة حبسهم ابنُ زياد وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجرٌ فيه كتاب مربوط، وفيه انَّ البريد سار بأمركم إلى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فإنْ سمعتم التكبير فايقنوا بالقتل وإنْ لم تسمعوا تكبيراً فهوالامان... ثم جاء البريد بأمر يزيد بارسالهم، فدعا ابن زياد...)٢٣.

وهذا النصُّ يُوضح أنَّ ابن زياد لم يكن يُبرم أمراً إلاّ بعد مراجعة يزيد بن معاوية، إذ انَّ إرسال عائلة الحسين ﷺ إلى الشام أوفكَّ أسرهم ليس أخطر من قتل الحسين ﷺ فكيف يستقلُّ بقتل الحسين ولا يستقلُّ بهذا الأمر الذي هوأيسر بكثير من قتل الحسين ﷺ والتمثيل بجسده.

وهذا ما يُعبِّر تعبيراً واضحاً عن انَّ قتل الحسين ﷺ والتمثيل بجسده كان بإيعازٍ من يزيد بن معاوية.

ثم لماذا قبل يزيد ببقاء عائلة الحسين ﷺ في الأسر ثم المسير بهم إلى الشام رغم انَّهم نسوة وأطفال لا يملكون حولاً ولا قوة، ألم يكن من المناسب لولم يكن يزيد راضياً بقتل الحسين ﷺ أن يُوبِّخ ابن زياد ويأمره بفكِّ أسرهم

وإرجاعهم إلى وطنهم، فلماذا يأمرُ عبيد الله بن زياد بأن يُبقيهم في الأسر ثم يأمر بإقصائهم إلى الشام، أليس هذا امعاناً في إذلالهم وأذيتهم.

وقد تقول انَّ هناك نصوصاً أخرى لم تذكر انَّ ابن زياد أرسل إلى يزيد يستأمره في شأن عائلة الحسين ﷺ، وهذا ما يعني عدم دقَّة هذا النصِّ.

إلا انَّه يُقال انَّ النصوص الأخرى لم تنفِ ذلك وإنَّما ذكرت انَّ ابن زياد أرسل عائلة الحسين ﷺ مع رؤوس القتلى إلى يزيد، فهي ساكتة عن انَّه أرسل قبل ذلك إلى يزيد يستأمره في شأنهم أوانَّه لم يرسل، على انَّ النصَّ الذي نقلناه عن ابن الاثير وكذلك الطبري هوالمناسب للإعتبار العقلائي، إذ انَّ هذا هومقتضى علاقة الرئيس مع المرؤوس الا أن يكون يزيد قد أمر ابن زياد بذلك ابتداءً كما أمره بانْ يبعث اليه برأس مسلم بن عقيل وكذلك أمر الوليد بأنْ يبعث اليه برأس الحسين كما نقلت ذلك النصوصُ التاريخيَّة.

ثم انَّه لوسلَّمنا انَّ عبيد الله بن زياد لم يرسل إلى يزيد ليستأمره في شأن عائلة الحسين ﷺ إلا انَّ من المطمئن به انَّ ابن زياد كان جازماً بقبول يزيد بهذا الإجراء وإلا لم يُقدم عليه، وذلك لخطورته، إذ لم يُعهَد في تاريخ الإسلام أن تُؤسر نساء المسلمين ويُطاف بهم من بلدٍ إلى بلد، على انَّ لهذه العائلة خصوصيَّة لا تخفى على مثل عبيد الله بن زياد فهي عائلة قرشيَّة هاشميَّة والأفظع من ذلك انَّها عائلة الرسول الاكرم ﷺ.

ومن الواضح انَّ هذا الجزم لم ينشأ عن فراغ، فلابدَّ انَّ يزيد قد أوعز اليه بذلك بادئ ذي بدء أولا أقل انَّه استوحى ذلك من سياسة يزيد فهوالخبير بما تنطوي عليه سريرة يزيد بن معاوية.

ثم انَّ هناك نصَّاً ذكره اليعقوبي في تاريخه عن عبد الله بن عباس صريح في انَّ اقصاء عائلة الحسين ﷺ إلى الشام كان بامرٍ من يزيد بن معاوية، حيث نقل اليعقوبي رسالةً من عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية جاء فيها: (ألا ومِن أعجب الاعاجيب، وما عشت أراك الدهرُ العجيبَ، حملك بنات عبد المطلب وغلمة صغاراً من ولده اليك بالشام كالسبي المجلوب، تُري الناس انَّك قهرتنا وانَّك تأمر علينا).

وهذا النص كما تلاحظون ينسب إقصاء عائلة الحسين ﷺ إلى يزيد نفسه وبه يتأكَّد النصُّ الذي نقلناه

الكامل لابن الاثير وكذلك الطبري.

على انَّه يمكن تعزيز ماذكرناه بالسياسة التي انتهجها يزيد مع عائلة الحسين ﷺ وكذلك رأس الحسين ﷺ فقد ذكر المؤرِّخون انَّ يزيد أمر بإدخال عائلة الحسين ﷺ إلى مجلسه على هيئة السبايا بعد أنْ دعا أشراف أهل الشام إلى ذلك المجلس وأخذ ينكتُ ثنايا ابي عبد الله ﷺ بقضيبه بمرأى من نسائه وأخواته وبناته وهويتبختر بأبيات تُعبِّر عن بهجته بمصرع الحسين ﷺ وانَّ ذلك تمَّ بقواضبه التي تقطرُ بالدم ثم أخذ يُوبِّخ عليَّ بن الحسين ﷺ بقوله أبوك قطع رحمي أبوك جهل حقِّي أبوك نازعني سلطاني، وبعد كلِّ ذلك يشتمُ السيدة زينب ويشتمُ الحسين ويشتم علي بن أبي طالب ﷺ.

هذا وقد ذكر المؤرخون انَّ عائلة الحسين لما وصلت إلى الشام اُوقفت في المكان الذي تُوقف فيه الاسارى، وذلك لغرض استصغارهم وامتهانهم وتبدوحينئذٍ عزَّةُ السلطان وهيبته. واليك نصُّ ما جاء في كتاب تاريخ مختصر الدول: (ثم بعث به -أي برأس الحسين- وبأولاده إلى يزيد بن معاوية، فأمر نساءه وبناته فأُقمن بدرجة المسجد حيث تُوقف الاسارى لينظر الناس اليهم).

النص السابع: ما نقله اليعقوبي عن معاوية بن يزيد بن معاية بن ابي سفيان انَّه حينما تقلَّد الحكم بعد أبيه خطب الناس فقال: (أما بعد حمد الله والثناء عليه... ألا وانَّ جدِّي معاوية بن ابي سفيان قد نازع الامر مَن كان أولى به قرابة... ثم قلَّد أبي وكان غير خليقٍ للخير فركب هواه... فقلَّتْ منعتُه وانقطعت مدَّتُه وصار إلى حفرته رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه، ثم بكى وقال: إنَّ أعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه وقد قتل عترة الرسول ﷺ وأباح الحرمة وحرَّق الكعبة...).

وهذا النص من أوضح الوثائق التاريخيَّة المثبتة لمسئولية يزيد عن قتل عترة الرسول ﷺ، فقد صرَّح معاوية - نجلُ يزيد الأكبر على مرأى ومسمع من شيوخ بني اميَّة - بمسئولية أبيه عن قتل عترة الرسول ﷺ، ولم يذكر التاريخ

حدثـًا قتَل فيه يزيد أحداً من أولاد الرسول ﷺ سوى واقعة كربلاء، والتي قُتل فيها الحسين ﷺ مع جمع من أولاده وأولاد أخيه الامام الحسن ﷺ واخوته من صُلب عليٍّ بن ابي طالب ﷺ، فحتى واقعة الحرَّة والتي أسرف يزيدُ فيها في دماء الصحابة وأولاد المهاجرين والانصار لم يتعرَّض لأولاد الرسول ﷺ وكان ذلك عن قصدٍ وتعمَّد حيث أوصى قائد جيشه مسلم بن عقبة المرِّي بعدم التعرّض لعليٍّ بن الحسين ﷺ.

وهذا ما يُؤكد مراد معاوية بن يزيد من قوله : (وقد قتل عترة الرسول ﷺ) هوقتل يزيد للحسين ﷺ وأهل بيته ﷺ.

وبملاحظة مجموع هذه النصوص التي ذكرنا بعضها لا يسع المنصف إنكار مسئولية يزيد عن دم الحسين ﷺ، فإنَّه إنْ وقع التشكيك في صدور بعض هذه النصوص أوالتشكيك في دلالة بعضها فإنَّه لا مجال للتشكيك في مجموعها، وذلك باعتبار انَّ مجموعها يكوِّن تواتراً اجماليـًا قدرُه المتيقن هومسئولية يزيد عن دم الحسين ﷺ، وحينما يُمثِّل مجموع هذه الأخبار تواتراً اجماليًّـا لا معنى عندئذٍ لملاحظة كلِّ نصٍّ على حدة كما هوثابت في علم الاصول، هذا بالاضافة إلى انضمام مجموعة من القرائن والمؤيِّدات التي تُعزّز تمامية هذه النصوص أولا أقل بعضها.

صدم مقتل الحسين المجتمع الإسلامي، وتأثرت صورة يزيد لدى المسلمين، كان فلمقتل الحسين تأثير عاطفي على أهل السنة والجماعة، الذين يتذكرون الحدث باعتباره حادثًا مأساويًا وأن الذين قتلوا بصحبة الحسين شهداء. بينما كان التأثير على الشيعة أعمق حسب ظهر على شكل مراسم وشعائر وعقائد

في الفترة ما بين مقتل الخليفة عثمان بن عفان ومعركة كربلاء، أصبح المسلمون أما إلى حانب علي بن أبي طالب وأهل البيت، وأما إلى جانب معاوية بن أبي سفيان وبني أمية بالإضافة إلى مجموعة أخرى اتخذت موقف الحياد بين الطرفين، إلا ان هذا الانقسام لم يتحول حتى ذلك الوقت إلى انقسام فقهي أوعقائدي. إلا أنه وبعد واقعة كربلاء بدأ الانقسام يأخذ منحى

آخر؛ حيث ساهمت واقعة كربلاء في إعطاء الفريق المنتمي إلى شيعة علي هوية مختلفة، حتى تحول إلى مذهب فقهي كامل في زمن الإمام السادس للشيعة جعفر الصادق. كتب هاينز هالم: "لم يكن هناك أي جانب ديني للشيعة قبل عام ٦٨٠. كان موت الإمام الثالث (الحسين) وأتباعه بمثابة الانفجار الكبير الذي أدى إلى توسع النُّظم الشيعية سريعًا وبعثها إلى الحياة".

يعتقد الشيعة أن موت الحسين في كربلاء كان بمثابة تضحية لمنع فساد الإسلام من قبل الحكام المستبدين ولحماية عقيدة الإسلام.

يُعتقد أن الحسين كان على دراية كاملة بمصيره ونتائج تمرده، الذي يعتقد أنه كان أمرًا إلهيًا. وبذلك يُذكر بأنه سيد الشهداء. يصف المؤرخ البريطاني جيرالد هاوتينغ معركة كربلاء بأنها "أسمى" مثال على "المعاناة والاستشهاد" للشيعة. ووفقًا لعبد العزيز ساتشدينا يعتبر الشيعة واقعة كربلاء ذروة المعاناة والقمع والانتقام الذي أصبح أحد الأهداف الأساسية للعديد من الانتفاضات الشيعية. ويُعتقد أن الانتقام من مقتل الحسين سيكون أحد الأهداف الأساسية للإمام الشيعي الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي، الذي يُنتظر ظهوره في آخر الزمان

يعتبر المسلمون الشيعة أن العتبة الحسينية من الأماكن المقدسة، ويحثون على زيارتها. ووفقًا للتقاليد الشيعية، قام بأول زيارة للعتبة الحسينية علي بن الحسين السجاد زين العابدين وأهله أثناء عودتهم من الشام إلى المدينة المنورة. إلا أن أول زيارة مسجلة تاريخيًا هي زيارة الصحابي سليمان بن صرد وأتباعه من التوابين إلى قبر الحسين قبل مغادرتهم إلى معركة عين الوردة. وبحسب ما ورد فقد رثوا وضربوا صدورهم وقضوا ليلة بالقرب من القبر. بعد ذلك اقتصر هذا التقليد على أئمة الشيعة لعدة عقود، قبل أن يكتسب زخمًا بزمن جعفر الصادق، كما شجع البويهيون والصفويون هذه الممارسة. تحدث الزيارات الخاصة في ١٠ محرم (زيارة عاشوراء) وبعد ٤٠ يومًا من ذكرى مقتل الحسين التي تُعرف بزيارة الأربعين. تعتبر تربة كربلاء مبجلة لدى الشيعة حيث أنها قد مزجت بدم الحسين ومن قتل معه ويذهب البعض من الشيعة إلى أن لها آثار شفائية خارقة.

يعتبر الشيعة أن الحزن على الحسين من سبل النجاة في الآخرة،

ويكون ذكرى لمعاناته. وبعد وفاة الحسين، عندما تم نقل عائلته إلى عبيد الله بن زياد، ورد أن زينب شقيقة الحسين صرخت بعد رؤية جسده مقطوع الرأس، ويعتبر الشيعة أن هذا أول رثاء للحسين. بالإضافة أن على بن الحسين قضى بقية حياته في البكاء على والده، وبالمثل يُعتقد أن فاطمة والدة الحسين تبكي عليه في الجنة، وأن بكاء المؤمنين طريقة لمواساة أحزانها. تُنظم التجمعات الخاصة بالمناسبة (المجالس الحسينية، الرثاء، ذكر المَقاتِل) في أماكن مخصصة لهذا الغرض تسمى الحسينية. وفي هذه التجمعات تروى قصة كربلاء والمراثي المختلفة ويتلوها القراء المختصين بذلك.

خلال شهر محرم، تقام مواكب عامة لإحياء ذكرى معركة كربلاء، لكن هذه الشعائر لا ترجع إلى زمن المعركة، ولكنها نشأت في القرن العاشر، فظهرت لأول مرة في بغداد عام ٩٦٣ في عهد معز الدولة البويهي.

تنطلق المواكب من الحسينية ويقف المشاركون في الشوارع ويضربون صدورهم ورؤوسهم قبل أن يعودوا إلى الحسينية لحضور المجلس الحسيني. وفي بعض الأحيان تستخدم السلاسل والسكاكين لإحداث الجروح ونزف الدم. وفي جنوب آسيا، يقاد حصان مزين بالزخارف في المواكب يسمى ذوالجناح، نسبة إلى حصان الحسين في المعركة، يقاد بلا راكب في الشوارع. وفي إيران، تُعرض مشاهد تمثيلية لمعركة كربلاء على خشبة المسرح أمام الجمهور في طقوس تسمى التعزية. وفي الهند تشير التعزية إلى التوابيت والنسخ المقلدة لمقبرة الحسين المحمولة في المواكب. تتم معظم هذه الطقوس خلال الأيام العشرة الأولى من شهر محرم، وتصل إلى ذروتها في اليوم العاشر، على الرغم من أن المجالس يمكن أن تقام أيضًا على مدار العام. يقوب مايكل فيشر أن إحياء الشيعة لذكرى معركة كربلاء ليس فقط إعادة سرد القصة، بل يقدم لهم أيضًا "نماذج الحياة وقواعد السلوك" التي تنطبق على جميع جوانب الحياة، الذي يسميه نموذج كربلاء. وطبقًا لأولموجولز فإن نموذج كربلاء يزود الشيعة بمعايير بطولية وروح استشهادية، ويمثل تجسيدًا للمعركة بين الخير والشر والعدالة والظلم. انتقد العديد من العلماء الشيعة الطقوس التي

تنطوي على جلد الذات، لأنها تعتبر بدعة تضر بسمعة المذهب الشيعي. وقد حظر المرشد الأعلى لإيران علي خامنئي هذه الممارسة في إيران منذ عام ١٩٩٤

كان أن أول استخدام سياسي لمقتل الحسين خلال تمرد المختار الثقفي، عندما استولى على الكوفة تحت شعار "الانتقام للحسين". وعلى الرغم من أن التوابين استخدموا نفس الشعار، إلا أنه لا يبدوأنه كان لديهم برنامجًا سياسيًا من أجل تعزيز شرعيتهم. وأيضا ادعى العباسيون أنهم انتقموا لموت الحسين عن طريق خلع الأمويين عن العرش، وخلال السنوات الأولى من حكمهم، شجعوا أيضًا طقوس محرم. أما البويهيون فكانوا سلالة شيعية في الأصل من إيران، وعندما سيطروا على العاصمة العباسية بغداد، روَّجوا للطقوس العامة في محرم لتصوير أنفسهم على أنهم رعاة للدين وتقوية الهوية الشيعة في العراق. بعد استيلاء الصفويين على إيران عام ١٥٠١ أعلنوا أن دين الدولة هوالإسلام الشيعي الاثنا عشري، وأصبحت طقوس كربلاء ومحرم وسيلة للدعاية الصفوية ووسيلة لترسيخ هوية السلالة الشيعية. وزعم رضا يلدرم أن الدافع للثورة الصفوية كان الانتقام لمقتل الحسين. واعتبر مؤسس السلالة إسماعيل الصفوي نفسه المهدي (الإمام الشيعي الثاني عشر) أوسلفه. وبالمثل قام القاجاريون بتشجيع إقامة طقوس محرم مثل المواكب، التعزية والمجالس لتحسين العلاقة بين الدولة والجمهور.

لعبت واقعة كربلاء ورمزيتها الشيعية دورًا مهمًا في الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩.

عكس النظرة التقليدية إلى المذهب الشيعي كمذهب للمعاناة والحداد والتهدئة السياسية، تم منح الإسلام الشيعي ومعركة كربلاء تأويلات جديدة في الفترة التي سبقت الثورة من قبل مفكرين ومرجعيات دينية مثل جلال آل أحمد وعلي شريعتي ونعمة الله صالحي نجف آبادي. ووفقًا لهؤلاء، فإن التشيع كان أيديولوجية للثورة والنضال السياسي ضد الاستبداد والاستغلال، وكان ينظر إلى معركة كربلاء ومقتل الحسين كنموذج للنضال الثوري. وكان لابد من استبدال البكاء والحداد بالنشاط السياسي لتحقيق مُثل الحسين.بعد

إصلاحات الثورة البيضاء للشاه الإيراني محمد رضا بهلوي، والتي عارضها رجال الدين الإيرانيون وغيرهم، وصف روح الله الخميني الشاه بأنه يزيد عصره. وكتب الخميني: "نضال الحسين في كربلاء يفسر بنفس الطريقة كالنضال ضد مبدأ الملكية غير الإسلامية". وهكذا تمت مقارنة معارضة الشاه بمعارضة الحسين ليزيد، وأصبحت التجمعات الطقسية في محرم ذات طبيعة سياسية بشكل متزايد. وفقًا لكمران آغي، فإن عداء الشاه لمختلف طقوس محرم، والتي اعتبرها غير حضارية، قد ساهم في سقوطه. وقامت الجمهورية الإسلامية التي تأسست بعد الثورة منذ ذلك الحين بالترويج لطقوس محرم. حيث يشجع رجال الدين على المشاركة العامة في الانتخابات كشكل من أشكال «النشاط السياسي» يمكن مقارنته بالنشاط السياسي للحسين. وكذلك روح الاستشهاد التي دعا لها المسؤولون الإيرانيون لدى القوات الإيرانية خلال الحرب العراقية الإيرانية اقتداءً بتضحية الحسين.

يحيي الشيعة ذكرى المعركة في كل سنة هجرية ابتدءً من الأول من محرم لحد العاشر من محرم، وقد يصل الإحياء لليوم الثالث عشر، قد يتضمن الإحياء بعض الشعائر مثل إقامة المجالس والمواكب الحسينية، وزيارة ضريح الحسين، واللطم والتطبير وغيرها. ويحيى أيضًا الأربعين أي اليوم العشرون من صفر والذي يوافق مرور ٤٠ يوم على مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب في معركة كربلاء على يد جيش عبيد الله بن زياد.

يوافق يوم مقتل الحسين يوم العاشر من المحرم، وهواليوم الذي نجّى الله فيه موسى من فرعون، وصيامه مستحب عند أهل السنة والجماعة، فقد روى البخاري عن ابن عباس قال: «قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجَّى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: «فأنا أحقُّ بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه».».

ولنختم قصتنا بواقعة أخرى لبنى أمية ولكنها ليست الاخيرة فهذه الواقعة ستكون بداية عصر فجور سيمتتد إلى ماشاء الله فبنى أمية لم يكتفوا بتنفيذ انتقامهم من بنى هاشم المتمثلين فى ابناء النبى محمد علية افضل الصلاة

والسلام وقتلهم وتقطيعهم والتمثيل بجسسهم كما رأينا ولكن سينتقمون من الصحابة والبدريين والمهاجرين والانصار وسيقتلوهم ويفنوهم اجمعين ثم لن يشبعوا من قتل اهل المدينه كما سنرى بل سيذهبون إلى مكة ويضربوا الكعبة بالمنجنيق ، ما هذا الحقد

روى البخاري (٥٢٩) عَنْ غَيْلَانَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : مَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قِيلَ الصَّلَاةُ ؟ قَالَ أَلَيْسَ ضَيَّعْتُمْ مَا ضَيَّعْتُمْ فِيهَا ؟

ثم رواه عقبه (٥٣٠) عن الزُّهْرِيّ قال : دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : لاَ أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلاَةَ ، وَهَذِهِ الصَّلاَةُ قَدْ ضُيِّعَتْ .

ورواه حماد بن سلمة ، أن ثابتاً أخبره ، قال : قال أنس : ما شيء شهدته على عهد رسول الله ﷺ ، إلا وقد أنكرته اليوم ، إلا شهادتكم هذه . فقيل : ولا الصلاة ؟ فقال : إنكم تصلون الظهر مع المغرب ، أهكذا كان رسول الله ﷺ يصلي ؟ .

قال المفسرون انس رضي الله عنه احس فاجأة بضياع الدين كلة فلا اى شيئ كان يعهدة أيام النبى والخلفاء الراشدين من بعده بجدة الان كل شيء تبدل وبعد ذلك مازلنا ندافع عن بنى أمية وملكهم الصحابى الجليل يبكى لضياع كل شيء فحتى حينما ردوا علية أنة على الأقل بقيت الصلاة فيرد وينكر ويقول حتى الصلاة ضاعت فليست هذه صلاة الرسول ولا موافقتها حتى فحسبنا الله ونعم الوكيل على من ضيعوا الاسلام

والان لنرى ماذا فعل يزيد ابن معاويه بن ابي سفيان بن حرب ابن أمية هووعائلته بالمدينة المنورة ومكة المكرمة ومازال لم يمضى على موت النبى خمسون عام أوأقل .

وفداً من أهل المدينة المنورة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم وأطلق لأميرهم وهوعبد الله بن حنظلة بن أبي عامر قريباً من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في

شربه الخمر وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه فخلعوه عند المنبر النبوي[٢]، وكان من الأسباب أيضاً أن حادثة كربلاء كانت الشرارة التي أشعلت الحرب، فعندما وصل خبر مقتل الحسين بن علي إلى الحجاز أعلن عبد الله بن الزبير خلع يزيد بن معاوية، وبدأ يأخذ البيعة لنفسه من الناس في مكة، وحوصر بني أمية في دار مروان بن الحكم في المدينة المنورة، فلما علم يزيد بن معاوية بذلك أرسل إليهم جيشاً عليه مسلم بن عقبة المري.

كان أول وقعة الحرة ما كان من خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، وفيها أن أهل المدينة أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد على المدينة وبايعوا عبد الله بن حنظلة أميراً عليهم، ثم حاصروا بني أمية فاجتمع بنوأمية ومواليهم ومن يرى رأيهم في ألف رجل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فكتبوا إلى يزيد يستغيثون به فقدم الرسول إليه وهوجالس على كرسي وقد وضع قدميه في طشت فيه ماء لنقرس كان بهما، فلما قرأ الكتاب تمثل: لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان، ثم قال: أما يكون بنوأمية ألف رجل. فقال الرسول: بلى والله وأكثر، قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار فبعث إلى عمروبن سعيد فأقرأه الكتاب وأمره أن يسير إليهم في الناس، فقال: قد كنت ضبطت لك الأمور والبلاد، فأما الآن إذ صارت دماء قريش تهرق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك.

ثم بعث يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير إلى المدينة المنورة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فقال: «والله لا جمعتهما للفاسق، قتل ابن رسول الله وغزوالكعبة» ثم أرسل إليه يعتذر، فبعث إلى مسلم بن عقبة المري وهوالذي سمي لاحقاً مسرف وهوشيخ كبير مريض فأخبره الخبر فقال: أما يكون بنوأمية ألف رجل. فقال الرسول: بلى. قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار ليس هؤلاء بأهل أن ينصروا فإنهم الأذلاء دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم ويتبين لك من يقاتل على طاعتك ومن يستسلم، قال: ويحك إنه لا خير في العيش بعدهم فاخرج بالناس. وقيل إن معاوية بن أبي سفيان قال ليزيد: إن لك من أهل المدينة

يومـاً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته.

فلما خلع أهل المدينة أمر يزيد مسلم بالمسير إليهم فنادى في الناس بالتجهز إلى الحجاز وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار فانتدب لذلك اثنا عشر ألفـاً، وسار الجيش وعليهم مسلم فقال له يزيد: إن حدث بك حدث، فاستخلف الحصين بن نمير السكوني وقال له: ادع القوم ثلاثـاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فانهبها ثلاثـاً فكل ما فيها من مال أودابة أوسلاح أوطعام فهوللجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين، فاكفف عنه واستوص به خيراً؛ فإنه لم يدخل مع الناس، وإنه قد أتاني كتابه، ولما سمع عبد الملك بن مروان أن يزيد قد سير الجنود إلى المدينة قال: ليت السماء وقعت على الأرض إعظامـاً لذلك.

ثم سار مسلم حتى أقبل بالجيش، فبلغ أهل المدينة خبرهم فاشتد حصارهم لبني أمية بدار مروان وقالوا: والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أوتعطونا عهد الله وميثاقه أن لا تبغونا غائلة ولا تدلوا لنا على عورة ولا تظاهروا علينا عدواً، فنكف عنكم ونخرجكم عنا. فعاهدوهم على ذلك، فأخرجوهم من المدينة، وكان أهل المدينة قد جعلوا في كل منهل بينهم وبين الشام زقا من قطران وعور، فأرسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلوحتى وردوا المدينة، فلما أخرج أهل المدينة بني أمية ساروا بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى فدعا بعمروبن عثمان بن عفان أول الناس فقال له: خبرني ما وراءك وأشر علي فقال: لا أستطيع قد أخذ علينا العهود والمواثيق أن لا ندل على عورة ولا نظاهر عدونا، فانتهره وقال: والله لولا أنك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله (لا أقيلها قرشيـاً) بعدك، فخرج إلى أصحابه فأخبرهم خبره فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك:ادخل قبلي لعله يجتزئ بك عني، فدخل عبد الملك فقال: هات ما عندك فقال: نعم، أرى أن تسير بمن معك، فإذا انتهيت إلى ذي نخلة نزلت فاستظل الناس في ظله فأكلوا من صقره فإذا أصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار ثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقـاً ثم تستقبل القوم فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم ويصيبهم

أذاها ويرون من ائتلاف بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم ما داموا مغربين، ثم قاتلهم واستعن الله عليهم.[٣]

ثم إنه صار في كل مكان يصنع ما أمر به عبد الملك فجاءهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم فقال : إن أمير المؤمنين يزعم أنكم الأصل وإني أكره إراقة دمائكم وإني أؤجلكم ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت إلى هذا المحل الذي بمكة وإن أبيتم كنا قد أعذرنا إليكم، فلما مضت الثلاث قال : يا أهل المدينة ما تصنعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا : بل نحارب فقال لهم : لا تفعلوا بل ادخلوا في الطاعة ونجعل جدنا وشوكتنا على أهل هذا الملحد الذي قد جمع إليه المراق والفساق من كل أوب يعني ابن الزبير فقالوا له : يا أعداء الله لوأردتم أن تجوزوا إليه ما تركناكم نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام فتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وكان أهل المدينة قد اتخذوا خندقا وعليه جمع منهم وكان عليه عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف وهوابن عم عبد الرحمن بن عوف وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر وهم قريش في جانب المدينة وكان معقل بن سنان الأشجعي وهومن الصحابة على ربع آخر وهم المهاجرون وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري في أعظم تلك الأرباع وهم الأنصار .

فأقبل مسلم من ناحية الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة وكان مريضا فأمر فوضع له كرسي بين الصفين وقال يا أهل الشام قاتلوا عن أميركم وادعوا، فأخذوا لا يقصدون ربعا من تلك الأرباع إلا هزموه، ثم وجه الخيل نحوابن الغسيل فحمل عليهم ابن الغسيل فيمن معه فكشفهم فانتهوا إلى مسلم فنهض في وجوههم بالرجال وصاح بهم فقاتلوا قتالا شديدا، ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى ابن الغسيل فقاتل معه في نحومن عشرين فارسا قتالا حسنا ثم قال لابن الغسيل : من كان معك فارسا فليأتني فليقف معي فإذا حملت فليحملوا فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلما فأقتله أوأقتل دونه، ففعل ذلك وجمع الخيل إليه فحمل بهم الفضل على أهل الشام فانكشفوا فقال لأصحابه : احملوا أخرى جعلت فداكم فوالله لئن عاينت

أميرهم لأقتلنه أوأقتل دونه، إنه ليس بعد الصبر إلا النصر ثم حمل وحمل أصحابه فانفرجت خيل الشام عن مسلم بن عقبة ومعه نحوخمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعي الأسنة نحوالقوم، ومضى الفضل كما هونحوراية مسلم فضرب رأس صاحبها فقط المغفر وفلق هامته وخر ميتا وقال : خذها مني وأنا ابن عبد المطلب وظن أنه مسلم فقال : قتلت طاغية القوم ورب الكعبة فقال : أخطأت استك الحفرة وإنما كان ذلك غلاما روميا وكان شجاعا فأخذ مسلم رايته وحرض أهل الشام وقال : شدوا مع هذه الراية .

فمشى برايته وشدت تلك الرجال أمام الراية فصرع الفضل بن عباس فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة إلا نحومن عشرة أذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف، وأقبلت خيل مسلم ورجالته نحوابن الغسيل وهويحرض أصحابه ويذم أهل المدينة ويقدم الخيل إلى ابن الغسيل وأصحابه، فلم تقدم عليهم للرماح التي بأيدهم والسيوف وكانت تتفرق عنهم فنادى مسلم الحصين بن نمير وعبد الله بن عضاه الأشعري وأمرهما أن ينزلا في جندهما ففعلا وتقدما إليهم، فقال ابن الغسيل لأصحابه : إن عدوكم قد أصاب وجه القتال الذي كان ينبغي أن يقاتلكم به وإني قد ظننت ألا يلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم أما إنكم أهل النصرة ودار الهجرة وما أظن أن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء الذين يقاتلونكم وإن لكل امرئ منكم ميتة هوميت بها لا محالة ووالله ما من ميتة أفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها .

ثم دنا بعضهم من بعض فأخذ أهل الشام يرمونهم بالنبل فقال ابن الغسيل لأصحابه : علام تستهدفون لهم من أراد التعجيل إلى الجنة فليلزم هذه الراية، فقال إليه كل مستميت فنهض بعضهم إلى بعض فاقتتلوا أشد قتال رؤي لأهل هذا القتال وأخذ ابن الغسيل يقدم بنيه واحدا واحدا حتى قتلوا بين يديه، ثم قتل وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، فقال : ما أحب أن الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم وقتل معه عبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن عمروبن حزم الأنصاري، فمر به مروان بن الحكم فقال : رحمك الله رب

سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة إلى جنبها

أباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال فأفزع ذلك من بها من الصحابة ، فخرج أبوسعيد الخدري حتى دخل في كهف الجبل فتبعه رجل من أهل الشام، فاقتحم عليه الغار فانتضى أبوسعيد سيفه يخوف به الشامي، فلم ينصرف عنه فعاد أبوسعيد وأغمد سيفه وقال : لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، فقال : من أنت قال : أنا أبوسعيد الخدري، قال : صاحب رسول الله قال : نعم فتركه ومضى، وحدث محمد بن عبد الله الحضرمي عن إسحاق بن وهب العلاف عن مبارك بن فضالة عن أبي هارون العبدي قال : رأيت أبا سعيد الخدري ممعط اللحية فقلت تعبث بلحيتك فقال لا هذا ما لقيت من ظلمة أهل الشام دخلوا علي زمن الحرة فأخذوا ما كان في البيت من متاع أوحرى ثم دخلت علي طائفة أخرى فلم يجدوا في البيت شيئا فأسفوا أن يخرجوا بغير شيء فقال أضجعوا الشيخ فأضجعوني فجعل كل واحد منهم يأخذ من لحيتي خصلة .

وقيل إن مسلما لما نزل بأهل المدينة خرج إليه أهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة فهابهم أهل الشام وكرهوا أن يقاتلوهم فلما رآهم مسلم وكان شديد الوجع سبهم وذمهم وحرضهم فقاتلوهم، ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم من شاء فمن امتنع من ذلك قتله وطلب الأمان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ولمحمد بن أبي الجهم بن حذيفة ولمعقل بن سنان الأشجعي فأتي بهم بعد الوقعة بيوم فقال : بايعوا على الشرط، فقال القرشيان : نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فضرب أعناقهما .

وجاء معقل بن سنان الأشجعي فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقى فقال له مسلم : أي الشراب أحب إليك قال : العسل، قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له أرويت قال نعم، قال والله لا تشرب بعدها شربة إلا في نار جهنم، فقال : أنشدك الله والرحم فقال له : أنت الذي لقيتني بطبرية ليلة خرجت من

عند يزيد فقلت سرنا شهرا ورجعنا شهرا وأصبحنا صفرا نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق ونبايع لرجل من المهاجرين أوالأنصار فيم غطفان وأشجع من الخلق والخلافة إنني آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر منه على قتلك إلا فعلت ثم أمر به فقتل .

وأتي بيزيد بن وهب فقال له بايع، قال أبايعك على الكتاب والسنة قال اقتلوه قال أنا أبايعك قال لا والله فتكلم فيه مروان لصهر كان بينهما فأمر بمروان فوجئت عنقه ثم قتل يزيد، ثم أتى مروان بعلي بن الحسين فجاء يمشي بين مروان وابنه عبد الملك حتى جلس بينهما عنده فدعا مروان بشراب ليتحرم بذلك من مسلم فشرب منه يسيرا ثم ناوله علي بن الحسين فلما وقع في يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فارتعدت كفه ولم يأمنه على نفسه وأمسك القدح فقال له : أجئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي والله لوكان إليهما أمر لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك وأخبرني أنك كاتبته فإن شئت فاشرب، وممن قتل بالحرة عبد الله بن عاصم الأنصاري وقتل أيضا فيها عبيد الله بن عبد الله بن موهب ووهب بن عبد الله بن زمعة بن الأسود وعبد الله بن الرحمن بن حاطب وزبير بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وربيعة بن كعب الأسلمي.

ذكرت الكتب أرقاما عظيمة لعدد قتلى موقعة الحرة من الصحابة والتابعين، رصد كتاب التاريخ لخليفة بن خياطمنها التالي:

عدل بنوهاشم

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

أبوبكر بن عبد الله بن جعفر بن أبوطالب

عون بن عبد الله بن جعفر بن أبوطالب

جعفر بن محمد بن علي بن أبوطالب

الفضل بن العباس بن ربيعة

عبد الله بن نوفل بن الحارث

حمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث

عباس بن عتبة بن أبي لهب

قال الذهبي: لما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس، وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله في عمره، وسار جيش الحرة إلى مكة لقتال ابن الزبير فمات أمير الجيش بالطريق، فاستخلف عليهم أميرا وأتوا مكة فحاصروا ابن الزبير وقاتلوه ورموه بالمنجنيق، ذلك في صفر سنة أربع وستين، واحترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل وكان في السقف، وأهلك الله يزيد في نصف شهر ربيع الأول من هذا العام. اهـ. من تاريخ الخلفاء للسيوطي.

وقال ابن كثير رحمه الله :

قال ابن جرير: وفي هذه السنة – يعني سنة أربع وستين – هدم ابن الزبير الكعبة، وذلك لأنه مال جدارها من رمي المنجنيق ، فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرق من حرير ، وادخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب ، عند الخزان ، حتى أعاد ابن الزبير بناءها على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل ، ثم لما غلبه.

استباحوا المدينة ثلاث ايام وهدموا الكعبة لولا أن بناها عبدالله بن الزبير مرة أخرى كما رأينا ومازلنا نقول رضي الله عن ابوسفيان ومعاوية ويزيد عزيزي القارئ اترك لك الحكم بعد كل ما سمعت ومازال لديك أدنى شك أن هولاء قد أفسدوا الاسلام وغيروا وبدلوا كل منهج النبى ويكفى أنهم خالفوا كل تعاليم النبى واحاديثة المتواترة ، بماذا أوصى النبى قبل أن يموت لكى يستقيم هذا الدين .

ملحق رقم ١

كتاب المعتضد في شأن بني أمية

أبوالعباس أحمد المعتضد بالله، خليفة عباسي. بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، وكان شجاعاً مهيباً ظاهر الجبروت، شديدا الوطأة على المفسدين. وهوأول خليفة عباسي لم يكن والده خليفة من قبله حيث لم يتول والده طلحة الموفق بالله الخلافة مثل أخوانه الثلاثة (المعتز بالله، المعتمد على الله، المنتصر بالله)كان ملكاً شجاعاً مهيباً ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة من أفراد خلفاء بني العباس وكان يقدم على الأسد وحده لشجاعته وكان قليل الرحمة إذا غضب على قائد أمر بأن يلقى في حفيرة ويطم عليه وكان ذا سياسة عظيمة. وكان شهماً جلداً موصوفاً بالرجلة قد لقي الحروب وعرف فضله فقام بالأمر أحسن قيام وهابه الناس ورهبوه أحسن رهبة وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيبته. وكانت أيامه طيبه كثيرة الأمن والرخاء.

وننقل هنا من كتاب الطبرى تاريخ الطبري – سنه اربع وثمانين ومائتين

ذكر كتاب المعتضد في شان بني أمية

الجزء : (١٠) – رقم الصفحة : (٥٤ / ٥٥)

وفي هذه السنه عزم المعتضد بالله على لعن معاويه بن ابى سفيان على المنابر، وامر بإنشاء كتاب بذلك يقرا على الناس، فخوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامه، وانه لا يامن ان تكون فتنه، فلم يلتفت الى ذلك من قوله.

وذكر ان أول شيء بدا به المعتضد حين اراد ذلك الأمر بالتقدم الى العامه بلزوم اعمالهم، وترك الاجتماع والقضية والشهادات عند السلطان، الا ان يسألوا عن شهاده ان كانت عندهم، وبمنع القصاص من القعود على الطرقات، وعملت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينه السلام في الارباع والمحال والاسواق، فقرئت يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الاولى من هذه السنه، ثم منع يوم الجمعه لاربع بقين منها القصاص من القعود في الجامعين، ومنع اهل الحلق في الفتيا اوغيرهم من القعود في المسجدين، ومنع الباعه من القعود في رحابهما.

وفي جمادى الآخرة نودى في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاص اوغيره، ومنع القصاص واهل الحلق من القعود.

وفي يوم الحادي عشر- وذلك يوم الجمعه- نودى في الجامعين بان الذمة بريه ممن اجتمع من الناس على مناظره اوجدل، وان من فعل ذلك أحل بنفسه الضرب، وتقدم الى الشراب والذين يسقون الماء في الجامعين الا يترحموا على معاويه، ولا يذكروه بخير.

وتحدث الناس ان الكتاب الذى امر المعتضد بانشائه بلعن معاويه يقرا بعد صلاه الجمعه على المنبر، فلما صلى الناس الجمعه بادروا الى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرا.

فذكر ان المعتضد امر باخراج الكتاب الذى كان المأمون امر بانشائه بلعن

معاويه، فاخرج له من الديوان، فاخذ من جوامعه نسخه هذا الكتاب، وذكر انها نسخه الكتاب الذى أنشئ للمعتضد بالله:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلى العظيم، الحليم الحكيم، العزيز الرحيم، المنفرد بالوحدانية، الباهر بقدرته، الخالق بمشيئته وحكمته، الذى يعلم سوابق الصدور، وضمائر القلوب، لا يخفى عليه خافية، ولا يغرب عنه مثقال ذره في السموات العلا، ولا في الارضين السفلى، قد احاط بكل شيء علما، واحصى كل شيء عددا، وضرب لكل شيء أمدا، وهوالعليم الخبير والحمد لله الذى برا خلقه لعبادته، وخلق عباده لمعرفته، على سابق علمه في طاعه مطيعهم، وماضى امره في عصيان عاصيهم، فبين لهم ما يأتون وما يتقون، ونهج لهم سبل النجاة، وحذرهم مسالك الهلكة، وظاهر عليهم الحجه، وقدم اليهم المعذرة، واختار لهم دينه الذى ارتضى لهم، واكرمهم به، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعروته أولياءه واهل طاعته، والعاندين عنه والمخالفين له اعداءه واهل معصيته، ليهلك من هلك عن بينه، ويحيا من حي عن بينه، وان الله لسميع عليم والحمد لله الذى اصطفى محمدا رسوله من جميع بريته، واختاره لرسالته، وابتعثه بالهدى والدين المرتضى الى عباده اجمعين، وانزل عليه الكتاب المبين المستبين، وتاذن له بالنصر

والتمكين، وايده بالعز والبرهان المتين، فاهتدى به من اهتدى، واستنقذ به من استجاب له من العمى، وأضل من ادبر وتولى، حتى اظهر الله امره، وأعز نصره، وقهر من خالفه، وانجز له وعده، وختم به رسله، وقبضه مؤديا لأمره، مبلغا لرسالته، ناصحا لامته، مرضيا مهتديا الى اكرم مآب المنقلبين، واعلى منازل انبيائه المرسلين، وعباده الفائزين، فصلى الله عليه افضل صلاه وأتمها، وأجلها وأعظمها، وأزكاها وأطهرها، وعلى آله الطيبين.

والحمد لله الذى جعل امير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ورثه

خاتم النبيين وسيد المرسلين والقائمين بالدين، والمقومين لعباده المؤمنين، والمستحفظين ودائع الحكمه، ومواريث النبوه، والمستخلفين في الامه، والمنصورين بالعز والمنعه، والتأييد والغلبه، حتى «يظهر الله دينه عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.» ❋

وقد انتهى الى امير المؤمنين ما عليه جماعه من العامه من شبهه قد دخلتهم في اديانهم، وفساد قد لحقهم في معتقدهم، وعصبية قد غلبت عليها اهواؤهم، ونطقت بها السنتهم، على غير معرفه ولا رويه، وقلدوا فيها قاده الضلالة بلا بينه ولا بصيره، وخالفوا السنن المتبعه، الى الأهواء المبتدعه، قال قَالَ الله عز وجل: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ، خروجا عن الجماعه، ومسارعه الى الفتنة وإيثارا للفرقة، وتشتيتا للكلمة وإظهارا لموالاة من قطع الله عنه الموالاة، وبتر منه العصمة، واخرجه من الملة، واوجب عليه اللعنه، وتعظيما لمن صغر الله حقه، واوهن امره، واضعف ركنه، من بنى اميه الشجرة الملعونه، ومخالفه لمن استنقذهم الله به من الهلكة، واسبغ عليهم به النعمه، من اهل بيت البركه والرحمه، قال الله عز وجل: «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ❋» فأعظم امير المؤمنين ما انتهى اليه من ذلك، ورای في ترك إنكارهَ حرجاَ عليه في الدين، وفسادا لمن قلده الله امره من المسلمين، وإهمالا لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين، واقامه الحجه على الشاكين، وبسط اليد على العاندين.

واميرالمؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بان الله عز وجل لما ابتعث محمدا بدينه، وامره ان يصدع بامره، بدا باهله وعشيرته، فدعاهم الى ربه، وانذرهم وبشرهم، ونصح لهم وارشدهم، فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع امره نفر يسير من بنى ابيه، من بين مؤمن بما اتى به من ربه، وبين ناصر له وان لم يتبع دينه، إعزازا له، وإشفاقا عليه، لماضى علم الله

فيمن اختار منهم، ونفذت مشيئته فيما يستودعه اياه من خلافته وارث نبيه، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميته، يدفعون من نابذه، وينهرون من عاره وعانده، ويتوثقون له ممن كانفه وعاضده، ويبايعون له من سمح بنصرته، ويتجسسون له اخبار اعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له براى العين، حتى بلغ المدى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله، والايمان به، باثبت بصيره، واحسن هدى ورغبه، فجعلهم الله اهل بيت الرحمه، واهل بيت الدين- «اذهب عنهم الرجس وطهرهم تَطْهِيراً» - ومعدن الحكمه، وورثه النبوه وموضع الخلافه، واوجب لهم الفضيلة، والزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممن عانده ونابذه، وكذبه وحاربه من عشيرته، العدد الأكثر، والسواد الأعظم، يتلقونه بالتكذيب والتثريب، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويبادونه بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من اتبعه واشدهم في ذلك عداوة واعظمهم له مخالفه، واولهم في كل حرب ومناصبه، لا يرفع على الاسلام رايه الا كان صاحبها وقائدها ورئيسها، في كل مواطن الحرب، من بدر واحد والخندق والفتح ابوسفيان بن حرب واشياعه من بنى اميه، الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على لسان رسول الله في عده مواطن، وعده مواضع، لماضى علم الله فيهم وفي امرهم، ونفاقهم وكفر أحلامهم، فحارب مجاهدا، ودافع مكابدا، واقام منابذا حتى قهره السيف، وعلا امر الله وهم كارهون، فتقول بالإسلام غير منطوعليه، واسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون، وميز له المؤلفه قلوبهم، فقبله وولده على علم منه، فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ص، وانزل به كتابا قوله:

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً﴾ ولا اختلاف بين احد انه اراد بها بنى اميه.

[ومنه قول الرسول ع وقد رآه مقبلا على حمار ومعاويه يقود به ويزيد ابنه يسوق به: لعن الله القائد والراكب والسائق] ومنه ما يرويه الرواه من قوله:

يا بنى عبد مناف تلقفوها تلقف الكره، فما هناك جنه ولا نار وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنه من الله كما لحقت «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ» ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية احد بعد ذهاب بصره، وقوله لقائده: هاهنا ذببنا محمدا واصحابه ومنه الرؤيا التي رآها النبي ص فوجم لها، فما رئى ضاحكا بعدها، فانزل الله: «وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» ، فذكروا انه راى نفرا من بنى اميه ينزون على منبره ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن ابى العاص لحكايته اياه، والحقه الله بدعوه رسوله آيه باقيه حين رآه يتخلج، فقال له: كن كما أنت، فبقى على ذلك سائر عمره، الى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنه كانت في الاسلام، واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها اوأريق بعدها.

ومنه ما انزل الله على نبيه في سوره القدر: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» ، من ملك بنى اميه [ومنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بمعاويه ليكتب بامره بين يديه، فدافع بامره، واعتل بطعامه، فقال النبي: لا اشبع الله بطنه، فبقى لا يشبع،] ويقول: والله ما اترك الطعام شبعا، ولكن اعياء [ومنه ان رسول الله ص قال: يطلع من هذا الفج رجل من امتى يحشر على غير ملتي، فطلع معاويه] [ومنه ان رسول الله ص، قال: إذا رايتم معاويه على منبري فاقتلوه] [ومنه الحديث المرفوع المشهور انه قال: ان معاويه في تابوت من نار في اسفل درك منها ينادى: يا حنان يا منان، الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين] . ومنه انبراؤه بالمحاربة لافضل المسلمين في الاسلام مكانا، واقدمهم اليه سبقا، واحسنهم فيه أثرا وذكرا، على بن ابى طالب، ينازعه حقه بباطله، ويجاهد انصاره بضلاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هووأبوه يحاولانه، من إطفاء نور الله وجحود دينه، و «يَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ المشركون» .

يستهوى اهل الغباوة، ويموه على اهل الجهاله بمكره وبغيه، [الذين قدم رسول الله ص الخبر عنهما، فقال لعمار: تقتلك الفئة الباغيه تدعوهم الى الجنه ويدعونك الى النار] ، مؤثرا للعاجلة، كافرا بالآجلة، خارجا من ربقه الاسلام، مستحلا للدم الحرام، حتى سفك في فتنته، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه، مجاهدا لله، مجتهدا في ان يعصى الله فلا يطاع، وتبطل احكامه فلا تقام، ويخالف دينه فلا يدان وان تعلوكلمه الضلالة، وترتفع دعوه الباطل، وكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيا، ودينه المنصور، وحكمه المتبع النافذ، وامره الغالب، وكيد من حاده المغلوب الداحض، حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتبعها، وتطوق تلك الدماء وما سفك بعدها، وسن سنن الفساد التي عليه إثمها واثم من عمل بها الى يوم القيامه، وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها، واغتره الاملاء، واستدرجه الامهال، «والله له بالمرصاد» .

ثم مما اوجب الله له به اللعنه، قتله من قتل صبرا من خيار الصحابه والتابعين واهل الفضل والديانه، مثل عمروبن الحمق وحجر بن عدى، فيمن قتل من أمثالهم، في ان تكون له العزه والملك والغلبه، ولله العزه والملك والقدره، والله عز وجل يقول: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً.»

ومما استحق به اللعنه من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سميه، جراه على الله، والله يقول: «ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ» [وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم، يقول: ملعون من ادعى إلى غير أبيه، أوانتمى الى غير مواليه] ، [ويقول: الولد للفراش وللعاهر الحجر،] فخالف حكم الله عز وجل وسنه نبيه ص جهارا، وجعل الولد لغير الفراش، والعاهر لا يضره عهره، فادخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبه زوجه النبي ص وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله، واثبت بها قربى قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله، مما لم يدخل على الاسلام خلل مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهه.

ومنه إيثاره بدين الله، ودعاؤه عباد الله الى ابنه يزيد المتكبر الخمير،

صاحب الديوك والفهود والقرود، واخذه البيعه له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبه، وهويعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره فلما تمكن منه ما مكنه منه، ووطأة له، وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فاوقع باهل الحره الوقيعه التي لم يكن في الاسلام اشنع منها ولا افحش، مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عبد نفسه وغليله، وظن ان قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهرا بكفره ومظهرا لشركه:

ليت أشياخي ببـــدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القــوم من ساداتكم وعدلنا ميل بـــدر فاعتــدل
فأهلوا واستهلـــوا فرحــا ثم قالــوا: يا يزيد لا تســل
لست من خندف ان لم انتقم من بنى احمد ما كان فعــل
ولعت هاشــم بالملك فــلا خبر جــاء، ولا وحى نــزل

هذا هوالمروق من الدين، وقول من لا يرجع الى الله ولا الى دينه ولا الى كتابه ولا الى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ثم من اغلظ ما انتهك، واعظم ما اخترم سفكه دم الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّابن فاطمه بنت رسول الله.

ص مع موقعه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهاده رسول الله ص له ولأخيه بسيادة شباب اهل الجنه، اجتراء على الله، وكفرا بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهده لعترته، واستهانة بحرمته، فكأنما يقتل به وباهل بيته قوما من كفار اهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمه، ولا يرقب منه سطوه، فبتر الله عمره، واجتث اصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، واعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته.

هذا الى ما كان من بنى مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل احكامه، واتخاذ مال الله دولا بينهم، وهدم بيته، واستحلال حرامه، ونصبهم المجانيق عليه، ورميهم اياه بالنيران، لا يألون له إحراقا وإخرابا، ولما حرم الله منه استباحه

وانتهاكا، ولمن لجأ اليه قتلا وتنكيلا، ولمن امنه الله به اخافه وتشريدا، حتى إذا حقت عليهم كلمه العذاب، واستحقوا من الله الانتقام، وملئوا الارض بالجور والعدوان، وعموا عباد الله بالظلم والاقتسار، وحلت عليهم السخطه، ونزلت بهم من الله السطوة، اتاح الله لهم من عتره نبيه، واهل وراثته من استخلصهم منهم بخلافته، مثل ما اتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لاوائلهم الكافرين، فسفك الله بهم دماءهم مرتدين، كما سفك بابائهم دماء آباء الكفره المشركين، وقطع الله دابر القوم الظالمين، والحمد لله رب العالمين ومكن الله المستضعفين، ورد الله الحق الى اهله المستحقين، كما قال جل شانه: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ.

« واعلموا ايها الناس، ان الله عز وجل انما امر ليطاع، ومثل ليتمثل، وحكم ليقبل، والزم الأخذ بسنه نبيه ص ليتبع، وان كثيرا ممن ضل فالتوى، وانتقل من اهل الجهاله والسفاه ممن اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وقد قال الله عز وجل: «فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ»

فانتهوا معاشر الناس عما يسخط الله عليكم، وراجعوا ما يرضيه عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، والزموا ما امركم به، وجانبوا ما نهاكم عنه، واتبعوا الصراط المستقيم، والحجه البينه، والسبل الواضحه، واهل بيت الرحمه، الذين هداكم الله بهم بديئا، واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيرا، واصاركم الى الخفض والأمن والعز بدولتهم، وشملكم الصلاح في ايانكم ومعايشكم في ايامهم، والعنوا من لعنه الله ورسوله، وفارقوا من لا تنالون القربه من الله الا بمفارقته.

اللهم العن أبا سفيان بن حرب، ومعاويه ابنه، ويزيد بن معاويه، ومروان ابن الحكم وولده، اللهم العن ائمه الكفر، وقاده الضلالة، وأعداء الدين، ومجاهدى الرسول، ومغيرى الأحكام، ومبدلي الكتاب، وسفاكى الدم الحرام.

اللهم انا نتبرأ إليك من موالاه اعدائك، ومن الاغماض لأهل معصيتك، كما قلت: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

» يايها الناس، اعرفوا الحق تعرفوا اهله، وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها، فانه انما يبين عن الناس اعمالهم، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم، فلا يأخذكم في الله لومه لائم، ولا يميلن بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم وكيد من يكيدكم، وطاعه من تخرجكم طاعته الى معصية ربكم.

ايها الناس، بنا هداكم الله، ونحن المستحفظون فيكم، امر الله ونحن ورثه رسول الله والقائمون بدين الله، فقفوا عند ما نقفكم عليه، وانفذوا لما نأمركم به، فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وائمه الهدى على سبيل الايمان والتقوى، وامير المؤمنين يستعصم الله لكم، ويسأله توفيقكم، ويرغب الى الله في هدايتكم لرشدكم، وفي حفظ دينه عليكم، حتى تلقوه به مستحقين طاعته، مستحقبين لرحمته، والله حسب امير المؤمنين فيكم، وعليه توكله، وبالله على ما قلده من أموركم استعانته، ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوه الا بالله والسلام عليكم.

وكتب ابوالقاسم عبيد الله بن سليمان في سنه اربع وثمانين ومائتين

وذكر ان عبيد الله بن سليمان احضر يوسف بن يعقوب القاضى، وامره ان يعمل الحيله في ابطال ما عزم عليه المعتضد، فمضى يوسف بن يعقوب، فكلم المعتضد في ذلك، وقال له: يا امير المؤمنين، انى اخاف ان تضطرب العامه، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركه فقال: ان تحركت العامه اونطقت وضعت سيفي فيها، فقال: يا امير المؤمنين، فما تصنع بالطالبين الذين هم في كل ناحيه يخرجون، ويميل اليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول وماثرهم، وفي هذا الكتاب اطراؤهم، اوكما قال، وإذا سمع الناس هذا كانوا اليهم اميل، وكانوا هم ابسط السنه، واثبت حجه منهم اليوم فامسك المعتضد فلم يرد عليه جوابا، ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء

تاريخ الطبري – سنه اربع وثمانين ومائتين – أخبار متفرقة

الجزء : (١٠) – رقم الصفحة : (٥٤)

ملحق رقم ٢

رسالة الجاحظ فى بنى امية

قال الجاحظ : «اطال الله بقاءك. واتم بنعمته عليك. وكرامته لك»

اعلم ارشد الله امرك ان هذه الامه قد صارت بعد اسلامها والخروج من جاهليتها الي طبقات متفاوته ومنازل مختلفه.

فالطبقه الاولي عصر النبي صلي الله عليه وسلم. وابي بكر.وعمر رضي الله عنهما وست سنين من خلافه عثمان رضي الله عنه كانوا علي التوحيد الصحيح والإخلاص المخلص مع الالفه واجتماع الكلمه علي الكتاب والسنه وليس هناك عمل قبيح ولا بدعه فاحشه ولا نزع يد من طاعه ولا حسد ولا غل ولا تأول حتي كان الذي كان من قتل عثمان رضي الله عنه وما انتهك منه ومن خبطهم اياه بالسلاح ويعج بطنه بالحراب وفري اوداجه بالمشاقص وشدخ هامته بالعمد مع كفه عن البسط ونهيه عن الامتناع مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهاده وصلي القبله واكل الذبيحة ومع ضرب نسأله بحضرته واقحام الرجال علي..حرمته مع اتقاء ناءله بنت الفرافصه عنه بيدها حتي اظنوا إصبعين من اصابعها وقد كشفت عن قناعها ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك ردعا لهم وكاسرا من عزمهم مع وطنهم في اضلاعه بعد موته والقاءهم علي المزبله جسده مجردا بعد سحبه وهي الجزره التي جعلها رسول الله ﷺ كفوا لبناته وأيامه وعقاءله بعد السب والتعطيش والحصر الشديد والمنع من القوت مع احتجاجه عليهم واقحامه لهم ومع اجتماعهم علي ان دم الفاسق حرام كدم المؤمن الا من ارتد بعد الإسلام اوزني بعد احصان اوقتل مؤمنا علي عمداورجل عدا علي الناس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبه ومع اجتماعهم علي ان لا يقتل من هذه الامه مولي ولا يجهز منها علي جريح ثم مع ذلك كله (دمروا)عليه وعلي أزواجه وحرمه وهوجالس في محرابه ومصحفه يلوح في حجره لن يري ان موحدا (يقدم) علي قتل من كان في مثل صفته وحاله.

لا جرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته ولا تسكن فورته ولا يموت ثاءره ولا يكل طالبه وكيف يضيع الله دم وليه والمنتقم له وما سمعنا بدم بعد دم يحيي بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه وقتل سافحه وادرك...بطاءلته وبلغ كل محبته كدمه رحمه الله عليه ولقد كان لهم في اخذه وفي اقامته للناس

والاقتصاص منه وفي بيع ما ظهر من رياعه وحداءفه وساءر امواله وفي حبسه بما بقي عليه وفي طمره حتي لا يحس بزكره ما يغنيهم عن قتله ان كان قد ركب كل ما قذفوه به وادعوه عليه وهذا كله بحضره جلسه المهاجرين والسلف المتقدمين والانصار التابعين.

ولكن الناس كانوا علي طبقات مختلفه ومراتب متباينة :من قاءل ومن شاد علي عضده ومن خاذل عن نصرته والعاجز ناصر بإرادته ومطيع بحسن نيته وانما الشك منا فيه وفي خاذله ومن اراد عزله والاستبدال به فأما قاتله والمعين علي دمه والمريد لذلك منه فضلال لا شك فيهم ومراق لا امتراء في حكمهم علي ان هذا لم يعد منهم الفجور اما علي سوء تأويل واما علي تعمد للشقاء ..

ثم ما زالت الفتن متصله والحروب مترادفه كحرب الجمل وكوقاءع صفين وكيوم النهروان وقبل ذلك يوم الزابوقه فيه أمر (ابن حنيف)وقتل حكيم بن جلبه الي ان قتل اشقاءها علي بن طالب رضوان الله عليه فأسعده الله بالشهاده واوجب لقاتله النار واللعنة.

الي ان كان من اعتزال الحسن عليه السلام والحروب وتخليته الامور عند.انشار اصحابه وما رأي من الخلل في

عسكره.وما عرف من اختلافهم علي أبيه وكثره تلونهم عليه فعندها استوي معاويه علي الملك واستبد علي بقيه الشوري وعلي جماعه المسلمين ومن الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه عام الجماعه وما كان عام جماعه بل كان عام فرقه وقهر وجبريه وغلبه والعام الذي تحولت فيه الإمامه ملكا كسرويا والخلافه غصبا قيصريا ولم يعد ذلك اجمع الضلال والفسق.

ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلي منازل ما رتبنا حق رد قضيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ردا مكشوفا وجحد حكمه جحدا ظاهرا في ولد الفراش وما يجب العاهر مع اجتماع الامه ان سميه لم تكن لابي سفيان فراشا وانه انما كان بها عاهرا فخرج بذلك من حكم الفجار الي حكم الكفار.

وليس قتل حجر بن عدي واطعام عمروبن العاص خراج مصر وبيعه

يزيد الخليع والاستءثار بالقئ واختيار الولاده علي الهوي وتعطيل الحدود بالشفاعه والقرابه من جنس جحد الاحكام المنصوصه والشرائع المشهورة والسنن المنصويه..

وسواء في باب ما يستحق من (الاكفار)جحد الكتاب ورد السنه (اذ)كانت السنه في شهره الكتاب وظهوره الا ان احدهما اعظم وعقاب الاخره عليه اشد فهذه اول كفره كانت من الامه ثم لم تكن الا فيمن..يدعي امامتها والخلافه عليه علي ان كثيرا من اهل ذلك العصر قد كفروا بترك اكفاره وقد رايت عليهم نابته عصرنا ومبتدعه دهرنا فقالت.

ولا تسبوه فإن له صحبه.وسب معاويه بدعه. ومن بيغضه فقد خالف السنه فزعمت ان من السنه ترك البراءه ممن جحد السنه.

ثم الذي كان من يزيد ابنه ومن عماله واهل نصرته ثم غزومسكه ورمي الكعبه واستباحه المدينه وقتل الحسين عليه السلام في أكثر اهل بيته مصابيح الظلام واوتاد الإسلام بعد الذي أعطي من نفسه من تفريق اتباعه والرجوع الي داره وحرمه اوالذهاب في الارض حتي لا يحس به اوالمقام حيث امر به فأبوا الا قتله والنزول علي حكمهم وسواء قتل نفسه بيده اواسلمها الي عدوه وخير فيها من لا يبرد غليله الا بشرب دمه فأحسبوا قتله ليس بكفر واباحه المدينه وهتك الحرمه ليس بحجه كيف تقولون في رمي الكعبه وهدم البيت الحرام وقبله المسلمين؟ فإن قلتم ليس ذلك أرادوا بلانما أرادوا المتحرز به والمتحصن بحيطانه افما كان من حق البيت وحريمه ان يحصروه فيه الا ان يعطي بيده واي شئ بق من رجل قد اخذت عليه الارض الا موضع قدمه .

واحسب ما رووا عليه من الاشعار التي قولها شرك والتمثل به كفر شيئا مصنوعا كيف تصنع بنقر القضيب بين ثنتي الحسين عليه السلام وحمل بنات الرسول صلى الله عليه وسلم حواسر علي الاقتاب العاريه والإبل الصعاب والكشف عن عوره علي بن الحسين عند الشك في بلوغه علي انهم ان وجدوه وقد انبت قتلوه وانا لم يكن انبت حملوه كما يصنع امير جيش المسلمين بذاري المشركين وكيف تقول في قول عبيد الله بن زياد لإخوته وخاصته دعوني أقتله فإنه بقيه هذا النسل فأحسم

به هذا القرن وأميت به هذا الداء وأقطع به هذه الماده؟

خبرونا علام تدل هذه القسوة. وهذه الغلظه بعد ان شفوا انفسهم بقتلهم. ونالوا ما احبوا فيهم؟اتدل علي نصب وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق وعلي يقين مدخول وايمان مخروج ام تدل علي الاخلاص وعلي النبي ﷺ والحفظ له وعلي براءه الساحه وصحه السريره؟

فإن كان علي ما وصفنا لا يعدوالفسق والضلال وذلك ادني منازله . فالفاسق ملعون ومن نبي عن لعن الملعون فملعون.

وزعمت نبته عصرنا ومبتدعه دهرنا أن سب ولاه السوء فتنه ولعن الجوره بدعه وإن كانوا يأخذون السمي بالسمي . والولي بالولي. والقريب.بالقريب واخافوا الأولياء وامنوا الأعداء وحكموا بالشفاعه والهوي وإظهار القدره والتهاون بالامه والقمع للرعيه وانهم في غير مداراه ولا تقيه وانه عدا ذلك الي الكفر و(جاوز) الضلال الي الجحد فذلك اضل من الجحد لمن كف عن شتمهم والبراءه منهم.

علي انه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل. كمن أستحقه برد السنه وهدم الكعبه .وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن أستحقه بالتجوير والنابته في هذا الوجه اكفر من يزيد وابيه وابن زياد وابيه ولوثبت أيضا علي يزيد انه تمثل بقول ابن الزبعري

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخروج من وقع الاسل
لاستطالوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيـــد لا تسـل
قد قتلنا الغر من ساداتهـم وعدلناه ببـــدر فاعتـــدل

كان تجوير النابتي لربه وتشبيهه بخلقه اعظم من ذلك واقطع علي انهم مجمعون علي انه ملعون من قتل مؤمنا متعمدا أومتأولا فإذا كان القاتل سلطانا جاءرا اواميرا عاصيا لم يستحلوا سبه ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه وان خاف الصلحاء وقتل الفقهاء واجاع الفقير وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور

وشرب الخمور واظهر الفجور.

ثم ما زال الناس يتكدرون مره ويداهونهم مره ويقاربونهم مره ويشاركونهم مره الا بقيه ممن عصمه الله تعالي ذكره حتي قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحجاج ومولاء يزيد بن (ابي مسلم)فأعادوا علي ...البيت بالهدم وعلي حرم المدينه بالغزوفهدموا الكعبه واستباهوا الحرمه وحولوا قبله واسط واخروا صلاه الجمعه الي مغيريان الشمس فإن قال رجل لاحدهم(اتق الله فقد اخرت الصلاه عن وقتها) قتله علي هذا القول جهارا غير ختل وعلانيه غير سر ولا يعلم القتل علي ذلك إلا أقبح من انكاره فكيف يكفر العبد شئ ولا يكفر بأعظم منه وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ (بعض)الجبابره وخوفه العواقب واراء ان في الناس بقيه ينهون عن الفساد قي الارض حتي قام عبد الملك بن مروان والحجاج فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه وقتلا فيه فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه.

فأحسب تحويل القبله كان غلطا وهدم البيت كان تأويلا واحسب ما رووا من كل وجه كانوا يزعمون ان خليفه المرء في اهله ارفع عنده من رسول اليهم باطلا و(مصنوعا)مولدا واحسب وشم أيدي المسلمين ونقش ايدي المسلمات وردهم بعد الهجره الي قراهم وقتل الفقهاء وسب اثمه الهدي والنصب لعتره رسول الله ﷺ لا يكون كفرا كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعه ولا يصلون اولاهن حتي تصير الشمس علي اعالي الجدران كالملأ المعصفر فإن نطق مسلم خبط بالسيف وأخذته العمد وشك بالرماح وان قل قاءل «اتق الله.اخذته العزه بالإثم ثم لم يرضي الا بنثر دماغه علي صدره وبصلبه حيث تراه عياله»

ومما يدلك علي ان القوم لم يكونوا الا في طريق التمرد علي الله عز وجل والاستخفاف بالدين والتهاون بالمسلمين والابتذال لأهل الحق اكل إمراءهم الطعام وشربهم الشراب علي منابرهم أيام جمعهم وجوعهم فعل ذلك حسن ...ابن ولجه وطارف مولي عثمان والحجاج وغيرهم وذلك ان كان كفرا كله فلم يبلغ كفر نابته عصرنا وروافض دهرنا لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك.

كان اختلاف الناس في القدر علي ان طاءفه تقول كل شئ بقضاء وقدر وتقول طاءفه اخري كل شئ بقضاء وقدر الا المعاصي *ولم يكن احد يقول *ان الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الانسان مثل العمي والبصر و(كانت) طاءفه منهم تقول ان الله يري لا تزيد علي ذلك فإن خافت ان يظن بها التشبيه قالت *يري بلا كيف تعريا من التجسيم والتصوير ثم زعم أكثرهم ان كلام الله حسن وبين وحجه وبرهان وان التوراه غير الزبور. والزبور غير الإنجيل .والانجيل غير القرآن .والبقره غير ال عمران.وان الله تولي تأليفه وجعله برهانا علي صدق رسوله وانه لويشاء ان يزيد فيه زاد ولوشاء ان ينقص منه نقص ولوشاء ان يبدله بدله ولوشاء ان ينسخه كله لغير نسخه وانه انزله تنزيلا وانا فصله تفصيلا وانا بالله كان دون غيره ولا يقدر عليه هوغير ان الله مع ذلك كله لم يخلقه فأعطوا جمع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق.

والعجب ان الخلق .عند العرب انما هوالتقدير نفسه فإذا قالوا خلق كذا. وكذا .ولذلك قال «احسن الخالقين» وقالتخلقون إفكا وقال(وإذا تخلق من الطين كهيءه الطير) تقديره . صنعه وجعله وقدره وانزله وفصله واحدثه ومنعوا خلقه وليس تأويل خلقه أكثر من قدره ولوقالوا بدل قولهم*قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ما كانت المسأله عليهم الا من وجه واحد *

والعجب ان الذي منعه بزعمهم ان يزعم أنه مخلوق انه لم يسمع ذلك من سلفه وهويعلم أنه لم يسمع أيضا عن سلفه انه ليس بمخلوق وليس ذلك يهم ولكن لما كان الكلام من الله تعالي عندهم علي مثل خروج الصوت من الجوف وعلي جهه تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفتين وما كان علي غير هذه الصوره والصفه فليس بكلام ولما كان عندهم علي غير ذلك الصفه وكنا عندهم علي غير هذه الصفه وكنا لكلامنا غير خالقين .وجب ان الله عز وجل لكلامه غير خالق إذ كنا غير خالقين لكلامنا فإنما قالوا ذلك لانهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرق وان لم يقروا بذلك بألسنتهم فذلك معناهم وقصدهم..

وقد كلنت هذه الامه لا تجاوز معاصيها الإثم والضلال الاما حكيت لك عن بني اميه وبني مروان من لم يدن بإكفارهم حتي نجمت النوابت وتابعتها

هذه العوام فصار الغالب علي هذا القرن الكفر وهوالتشبيه والجبر فصار كفرهم اعظم من كفر من مضي في الاعمال التي هي الفسق(وصاروا)شركاء من كفر منهم بتوليهم وترك إكفارهم. قال الله عز وجل .(ومن يتولهم منكم فإنه منهم)

وارجوان يكون الله قد اغاث المحقين ورحمهم وقوي ضعفهم وكثر قلتهم حتي(صار)ولا امرنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد اشد اسبصارا في التشبيه من عليتنا واعلم بما يلزم فيه منا واكشف للقناع من رؤساتنا وصادقوا الناس وقد انتظموا معاني الفساد اجمع وبلغوا غايات البدع ثم قرنوا بذلك العصبيه التي هلك بها عالم بعد عالم والحميه التي لا تبقي دينا الا أفسدته ولا دنيا الا اهلكتها وهوما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبيه وما قد صار إليه الموالي من الفخر علي العجم والعرب وقد نجمت من الموالي ناجمه ونبتت منهم نابته تزعم أن المولي بولاته قد صار عربيا لقول النبي ﷺ مولي القوم منهمولقوله(الولاء لحمه كلحمه النسب لا يباع ولا يوهب قال.. فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوه كانوا اشرف من العرب ولما حول ذلك الي العرب صارت العرب أشرف منهم..

قالوا*فنحن معاشرالموالي بقديمنا في العجم أشرف من العرب وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجم (وللعجم) القديم دون الحديث وللعرب الحديث دون القديم ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا وصاحب الخصلتين افضل من صاحب الخصله.

وقد جعل الله المولي بعد ان كان عجميا عربيا بولاءه كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحلفه وبعد ان جعل اسماعيل وكان أعجميا...عربيا ولولا قول النبي ﷺ : ان اسماعيل كان عربيا ما كان عندنا الا أعجميا لان الاعجم لا يصير عربيا كما أن العربي لا يصير اعجميا فأنما علمنا أن اسماعيل صيره الله عربيا بعد ان كان اعجميا بقول النبي ﷺ فكذلك حكم قوله *مولي القوم منهم وقوله(الولاء لحمه).

قالوا :وقد جعل الله ابراهيم ﷺ ابا لمن لم يلد كما جعله ابا لمن ولد

وجعل أزواج التي امهات المؤمنين ولم يلدن منهم احدا وجعل الجار والد من لم يلد في قول غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه .

وليس ادعي الي الفساد ولا اجلب للشر من المفاخره وليس علي ظهرها الافخور.

واي شئ اغيظ من أن يكون عبدك زعم انه أشرف منك وهومقر انه صار شريفا بعتقك اياه.

وقد كتبت. مد الله في عمرك . كتبا في مفاخره قحطان وفي تفضيل عدنان وفي رد الموالي الي مكانهم في الفضل والنقص والي قدر ما جعل الله تعالي لهم بالعرب من الشرف. ارجوان يكون عدلا بينهم وداعيه الي صلاحهم ومنبهه عليهم ولهم.

وقد اردت ان ارسل بالجزء الاول اليك ثم رأيت الا يكون الا بعد استئذانك واستشمارك والانتهاء في ذلك الي رغبتك فرأيك فيه موفق ان شاء لله تعالي وبه الثقه.....

بسم الله الرحمن الرحيم

نقابة السادة الأشراف

ذرية سيدنا وإمامنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

شهادة نسب

تشهد نقابة السادة الأشراف بأن

الشريف : محمد علي موسى محمود أبو النصر

هو من ذرية : سيدنا الإمام الحسين رضي الله عنه

نقيب السادة الأشراف
الشريف
أحمد كامل يس الرفاعي

برقم : ٥٨٥٦٥
بتاريخ : ٢٠٠٦/٣/٧

تحريرًا في ٢٠٠٦/٣/٩

نبذة تعريفية بالكاتب

الكاتب هو **مصطفى محمد على ابو النصر** من مواليد ١٩٨٧ م و يرجع تاريخ عائلتة إلى الشاعر الكبير على ابو النصر شاعر الخديوي اسماعيل فى القرن الماضي من مدينة منفلوط و هو مهتم و باحث في التاريخ الاسلامي و حاصل على بكالوريوس التجارة و اداره الاعمال من جامعة حلوان عام ٢٠٠٩ و قد ساهم بالعديد من الدراسات و الأبحاث التى نشرت فى مواقع متعددة على شبكة الإنترنت و لكن هذا يعد أول كتاب يصدر لة و الذى استمر تأليفه و اخراجة فى صورتة النهائية سنوات و سنوات من البحث و مراجعة المصادر للوصول للمعلومة الدقيقة و هو يعد إضافة مهمة للمكتبة العربية فى مجال التاريخ الاسلامي فهو يستخدم منهج المدرسة الحديثة فى التاريخ القائمة على أن التاريخ ليس فقط رواية و لكن رؤية و رواية فمن أهم أسباب تقدم و حضاره الأمم هى معرفة تاريخها جيدا كما ذكر ابن خلدون فى مقدمة كتابه الشهيرة

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

الْفَصْل الأَوَّلُ : قـريـــــش..... ١٣

الْفَصْل الثاني :أَخُـــــــوه الـدَّم ٣٣

الْفَصْل الثالث : هاشـــم وأميـــة ٣٩

الْفَصْل الرابع : عبد المطلب بن هاشم و حرب بن أمية ٦٣

الفصل الخامس : ابو سفيان بن حرب و محمد بن عبد الله ﷺ ٨٣

الفصل السادس : عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٧٩

الفصل السابـــع : علـى بن أبـــى طالـب عليه السلام ومعاوية بن أبى سفيان ...١٩٩

الفصل الثامن : الحســـن بن علـــــى ومعاوية بن أبي سفيان ٢٨٣

الفصل التاسع الإمام الحسين بن علـي ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان... ٢٩٧

ملحق رقم ١ : كتاب المعتضد في شأن بني أمية ٣٥٧

ملحق رقم ٢ : رسالة الجاحظ فى بنى امية ٣٦٧

نبذة تعريفية بالكاتب..... ٣٧٧